ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ – ٣١٠ هـ

الجزء الثالث

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار المعارف



تاريخ الطبري



ذخائر العرب
٣٠

تاريخ الطبرى

تاريخ الرسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى
٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثالث

تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج م ع

بيـــــان

ذكرت فى مقدّمة هذا الكتاب أنى اتخذت النسخة المطبوعة فى ليدن — بين سنتى ١٨٧٩ و ١٨٩٨ — أصلا اعتمدت عليه فى التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التى نشرت نشراً علمياً على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت لمصححيها ؛ وأثبت فى حواشى الكتاب أهم فروقها ؛ كما زدت على ذلك فروق النسخ التى حصلت عليها ؛ مع ما وجدته ضرورياً من التعليق والشرح والتوضيح .

وقد فاتنى أن أذكر أنى رجعت عند التحقيق أيضاً إلى ما يأتى :

١ — الروايات التى أوردها ابن جرير الطبرى فى تفسيره [١] ؛ مما يتعلق بأخبار بدء الخلق وقصص الأنبياء والسيرة النبويّة ؛ ويكاد يكون ما أورده من ذلك متحدًا مع ما جاء فى تاريخه من حيث الإسناد والعبارة .

٢ — سيرة ابن هشام [٢] فى جميع ما ساقه المؤلف من رواية محمد بن إسحاق ، مما يتعلق بتاريخ العرب فى الجاهلية وأخبار النبى عليه السلام فى نشأته ومبعثه ومغازيه ؛ إذ كانت رواية ابن إسحاق فى تاريخ الطبرى تحتل المكانة الأولى فى هذا الباب .

٣ — الأجزاء [٣] التى قام بنشرها الأستاذ المستشرق كوزيجارتن I.G.L. Kosegarten

---

(١) طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ؛ وطبعة بولاق فيما لم يظهر حتى الآن من طبعة دار المعارف .

(٢) سيرة ابن هشام بشرح أبى القاسم السهيلى المعروف بالروض الأنف — المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ .

(٣) طبعت فى جرايفسفلد Greifswald فى عام ١٨٥٣ م .

على أساس المخطوطات التي اعتمد عليها ؛ وهي ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، وتنتظم الأحداث الواقعة بين أواخر السنة الحادية عشرة وأواخر السنة الرابعة عشرة للهجرة ؛ وقد رمزت إليها في الحواشي بالحرف (ز) .

٤ — كتاب الغزوات الضامنة الكافلة ، والفتوح الجامعة الحافلة[١] ؛ لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصاري المعروف بابن حبيش ، وذكر في هذا الكتاب الغزوات والفتوح الإسلامية في أيام الخلفاء الثلاثة الأوائل؛ أبي بكر وعمر وعثمان .

٥ — تاريخ ابن الأثير الجزري المعروف بالكامل[٢] . وقد ذكر في مقدمته أنه أخذ جميع تراجم أبي جعفر ، لم يخلّ بواحدة منها ، واختار أتم الروايات فنقلها .

٦ — القسم الخاص بالتاريخ ، من كتاب نهاية الأرب لشهاب الدين النويري. وقد اعتمدت — فيما لم تنشره دار الكتب بمصر[٣] — على النسخة المصوّرة المحفوظة في الدار برقم ٥٤٩ — معارف عامة ؛ عن الأصل المحفوظ بمكتبة كبريلي بالآستانة .

هذا ؛ عدا ما قابلته من نصوص هذا الكتاب بما نقله أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وياقوت في معجم البلدان ، والثعالبي في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس[٤] .

---

(١) قد اعتمدت في مراجعة هذا الكتاب على النصوص التي أوردها ناشر طبعة ليدن نقلا عن نسخة خطية في مكتبة ليدن رقم ٣٤٣ Or .

(٢) نشره منير الدمشقي بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، بتعليقات العالم المؤرخ عبد الوهاب النجار .

(٣) أصدرت دار الكتب ثمانية عشر جزءاً من هذا الكتاب ، يبدأ القسم الخاص بالتاريخ من أول الجزء الثالث عشر من هذه الطبعة .

(٤) طبع هذا الكتاب في مطبعة باريس الوطنية سنة ١٩٠٠ بتحقيق زوتنبرج Zotenberg

ولا يفوتنى أن أذكر هنا أيضا أنى عنيت عناية تامة بالإفادة من الاستدراكات والتصويبات والتعليقات التى ألحقها ناشرو طبعة ليدن ، فأثبت بهذه الطبعة جميع التصويبات ، ورجعت إلى مواضع التعليقات فى نصوصها الأصلية .

أما ما قد يظهر فى هذه الطبعة من ملاحظات ، وما قد ينبه عليه العلماء والباحثون والمعنيون بالنصوص العربية وسلامتها من تصويبات؛ فقد عقدت العزم على تلافى ذلك كله بعد الانتهاء من طبع بقية الأجزاء .

وأسأل الله جل شأنه ، العون والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة فى صفر سنة ١٣٨٢ هـ
يوليه سنة ١٩٦٢ م



بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الأحداث الكائنة فى سنة سبع من الهجرة

غزوة خَيْبَر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم فى بقيّة المحرّم إلى خَيْبَر واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفارىّ ، فمضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرَّجيع ؛ فنزل بين أهل خَيْبر وبين غَطَفان — فيما حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق — ليَحُول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهلَ خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال : فبلغنى أنّ غَطَفان لما سمعتْ بمنزلِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خَيْبر ، جَمَعُوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه ؛ حتى إذا ساروا مَنقَلةً[1] سمعوا خلفهم فى أموالهم وأهاليهم حِسًّا ؛ ظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعُوا على أعقابهم ؛ فأقاموا فى أهاليهم وأموالهم ؛ وخلّوْا بين رسول الله وبين خَيْبَر ، وبدأ[2] رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها[3] مالاً مالا ، ويفتتحها[4] حِصْنًا حِصْنًا ؛ فكان أوّلَ حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قُتِل محمود بن مسلمة ؛ ألقيتْ عليه رحًا منه فقتلته ؛ ثم القَمُوص ؛ حصن ابن أبى الحُقَيق . وأصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم سَبَايا ؛ منهم صفيّة بنت حُيَىّ بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ؛ وابنَتَىْ عمٍّ لها . فاصطفَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صفيّة لنفسه ، وكان دحية الكلبىّ قد سأل رسولَ الله صفية ؛ فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنَتَىْ عمّها ؛ وفشت السبايا من خيبر[5] فى[6] المسلمين[7] .

١٥٧٦/١

---

(١) منقلة : مرحلة .
(٢) ابن هشام : « وتدنى » .
(٣) س : « وأخذها » .
(٤) س : « وفتحها » .
(٥) س : « وقسمت السبايا فى خيبر » .
(٦) س : « بين » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

قال: ثم جعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتدنّى[١] الحصون والأموال.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أنه حدّثه بعضُ أسلَم؛ أنّ بني سهم مِنْ أسلَم، أتوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: يا رسول الله؛ والله لقد جُهِدْنا وما بأيدينا شيء؛ فلم يجدُوا عند رسول الله شيئًا يعطيهم إياه، فقال النبيّ: اللهمّ إنك قد عرفتَ حالَهم، وأنْ ليست بهم قوة؛ وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه؛ فافتحْ عليهم أعظمَ حصونِها[٢]؛ أكثرها طعاما وودَكًا. فغدا النّاس، ففتح الله عليهم حِصْنَ الصّعب بن معاذ؛ وما بخيبر حصْنٌ كان أكثرَ طعاماً وودَكًا منه. ١٥٧٧/١

قال: ولما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مِنْ حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوْا إلى حصنهم الوَطيح والسُّلالِم — وكان آخر حصون خيْبر افتتح — حاصَرَهم رسول الله بضعَ عشرة ليلة[٣].

فحدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سَلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سَهْل أخي بني حارثة، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: خرج مَرْحب اليهوديّ من حِصْنهم؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز؛ ويقول:

قد علمَتْ خَيْبَرُ أنّي مَرْحَبُ ... شاكِي السّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ[٤]

أطْعَنُ أحْيَانًا وَحِينًا أضْرِبُ ... إذَا اللُّيوثُ أقبلَتْ تَحَرَّبُ[٥]

* كانَ حِمَايَ، لَلْحِمَى لا يُقْرَبُ *

وهو يقول: هَلْ من مبارز! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم: من لهذا؟ فقام محمد بن مسلمة؛ فقال: أنا له يا رسول الله؛ أنا والله الموتور الثائر؛ قتلوا أخي بالأمس! قال: فقم إليه؛ اللهمّ أعِنْه عليه.

فلما أن دنا كلٌّ واحدمنهما مِن صاحبه، دخلت بينهما شجرةٌ عُمْريّةٌ[٦]

---

(١) يتدنى، أي يأخذ الأدنى فالأدنى.

(٢) س: «حصن لهم».

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٢٣٨.

(٤) شاكي السلاح: حادّة.

(٥) تحرب، أي أقبلت مغضبة.

(٦) عمرية: قديمة.

من شجر العُشَر[١]؛ فجعل أحدُهما يلوذ بها مِن صاحبه ؛ فكلّما لاذ بها اقتطع بسيفه منها ما دونه منها ؛ حتى برز كلٌّ واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرَّجل القائم، ما بينهما فَنَنٌ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه؛ فاتقاه بالدَّرقة فوقع سيفه فيها ؛ فعَضَّتْ به فأمْسكَتْه ، وضربه محمد ابن مسلمة حتى قتلَه[٢] .

١٥٧٨/١

ثمّ خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أنّي يَاسِرُ شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَاوِرُ
إذَا اللُّيُوثُ أقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأحْجَمَتْ عَنْ صَوْلَتِي المَغَاوِرُ
* إنَّ حِمَايَ فيه مَوْتٌ حَاضِرُ *

وحدّثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدّثني محمد ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ؛ أنّ الزُّبَير بنَ العوّام خرج إلى ياسر ، فقالت أمّه صفيّة بنت عبد المطلب : أيقتُلُ ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابنك يقتلُه إن شاء الله . فخرج الزّبير وهو يقول :

قد علمَتْ خَيْبَرُ أنّي زبَّارْ[٣] قَرْمٌ لقوم غَيْرِ نِكْسٍ فَرَّارْ
ابنُ حُمَاةِ المَجْدِ وابْنُ الأخْيَارْ[٤] يَاسِرُ لا يَغْرُرْكَ جَمْعُ الكُفَّار
* فَجَمْعُهم مثل السَّرَابِ الجَرَّارْ *

ثم التقيا فقتله الزبير .

١٥٧٩/١

حدّثنا ابنُ بشّار ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا عَوْف ، عن ميمون أبي عبد الله ، أنّ عبد الله بن بُرَيدة حدّث عن بُرَيدة الأسلميّ ، قال : لما كان حين[٥] نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحصن أهل خيبر ، أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عمر بن الخطاب ، ونهض مَنْ نهض

---

(١) العشر : شجر أملس ضعيف العود . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨، ٢٣٩ .
(٣) زبار ، من الزبر وهو القوة والمنعة . (٤) النويري : « أين حماة المجد » .
(٥) س : « حيث » .

معه من الناس ؛ فلقُوا أهل خيبر ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ يجبِّنُه أصحابُه ويجبّنهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعْطِينّ اللواء غداً رَجُلا يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . فلمّا كان من الغد تطاولَ لها[1] أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليّاً عليه السلام وهو أرْمد ، فتفل فى عينيه ، وأعطاه اللواءَ ؛ ونهض معه من الناس مَنْ نهض . قال : فلقِيَ أهل خيبر ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّى مَرْحبُ   شاكِى السِّلَاحِ بَطَلٌ مجَرَّبُ
أَطعَنُ أَحْيَاناً وحيناً أَضْرِبُ   إِذَا اللُّيُوث أَقبلتْ تَلَهَّبُ

فاختلف هو وعلىٌّ ضربتين ، فضربه علىٌّ على هامتِه ؛ حتّى عضّ السيف منها بأضراسه[2] ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضَرْبته[3] ؛ فما تتامّ آخر الناس مع علىّ عليه السلام حتّى فتح الله له ولهم .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا المسيّب بن مسلم الأودىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشّقيقة[4] ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج . فلمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ رايةَ رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشدٌّ من القتال الأوّل ؛ ثم رجع فأخبِر بذلك رسول الله ، فقال : أما والله لأعطينّها غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها[5] عنوة – قال : وليس ثَمّ علىّ عليه السلام – فتطاولت لها قريش ، ورجا كلٌّ واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛

١/١٥٨٠

---

(١) و : « تطاولها » .
(٢) س : « باطن رأسه » .
(٣) س : « المضربة » .
(٤) الشقيقة : نوع من صداع يعرض فى مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفى الحديث : « احتجم وهو محرم من شقيقة » – اللسان .
(٥) س : « فأخذها » .

فأصبح فجاء عليٌّ عليه السلام على بعيرٍ له ، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو أرْمد ، وقد عصب عينيه بشقّة بُرْد قَطَرىّ ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : مالك ؟ قال : رمِدْتُ بعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنُ منّى ، فدنا فتفَل فى عينيه ، فما وجعهما[1] حتى مضى لسبيله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حُلّة أرجوان حمراء قد اخرجّ خَمْلُها[2] . فأتى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفرٌ مُعَصْفَرٌ يمان ، وحجرٌ قد ثقَبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمتْ خيبر أنّى مرحبُ　　　شاكِى السِّلاحِ بَطَلٌ مجرّبُ

فقال علىٌّ عليه السلام :

أنَا الذِى سَمَّتْنِى أُمِّى حَيْدَرَهْ　　　أَكِيلُكم بالسيفِ كَيْل السنْدَرَهْ[3]

* لَيْثٌ بغابات شَدِيدٌ قَسْوَرَهْ *

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره علىٌّ فضربه ، فقدّ الحجرَ والمِغْفرَ ورأسَه ؛ ١٥٨١/١ حتى وقع فى الأضراس . وأخذ المدينة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهله ، عن أبى رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علىّ بن أبى طالب حين بعثَه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم برايته ؛ فلمّا دنا مِن الحصْن خرج إليه أهلُه ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح تُرْسَه من يده ؛ فتناول علىٌّ رضى الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه ؛ ثمّ ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتُنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نَقْلِبَ ذلك الباب فما نَقلبُه[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

---

(١) ط : « وجعها » ، و : « رجعها » ، وما أثبته من النويرى .
(٢) الخمل : هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .
(٣) السندرة : مكيال كبير .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٩ .

فتَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص، حصن ابن أبي الحُقَيق، أُتِيَ رسول الله بصفيّة بنت حُيَيّ بن أخطب، وبأخرى معها؛ فمرّ بهما بلال — وهو الذى جاء بهما — على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التى مع صفيّة صاحت وصكّت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلمّا رآها رسولُ الله قال: أغرِبوا[1] عنى هذه الشيطانة؛ وأمر بصفيّة فحيزت خلْفَه، وألْقِيَ عليها رداؤُه، فعرف المسلمون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال — فيما بلغنى — حين رأى من تلك اليهودية[2] ما رأى: أنُزِعَتْ منك الرحمة يا بلال؛ حيث تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما! وكانت صفيّة قد رأت فى المنام وهى عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق؛ أن قمرًا وقع فى حجرها؛ فعرضت رؤياها على زوْجها فقال: ما هذا إلا أنّك تمنّيْن ملك الحجاز محمداً، فلطَم وجهَها لطمةً اخضرّتْ عينها منها؛ فأُتِيَ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها، فسألها: ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر.

١٥٨٢/١

قال ابن إسحاق: وأُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق — وكان عنده كنز بنى النَّضير — فسأله فجحَد أن يكون يعلم مكانه؛ فأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى قد رأيت كِنانة يُطِيفُ بهذه الخَرِبَة كلّ غداة. فقال رسول الله لكنانة: أرأيتَ إن وَجَدْناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم؛ فأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالخربة فحُفِرَتْ؛ فأخرج منها بعض كنزهم؛ ثم سأله ما بقى، فأبى أنْ يؤديَه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبيرَ بن العوام، فقال: عذّبه حتى تستأصل ما عنده؛ فكان الزبير يقدح بزنده فى صدره حتى أشرف على نفسه؛ ثم دفعه رسولُ الله إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر فى حصْنيْهم، الوطيح والسُّلالم؛ حتى إذا أيقنوا بالهلَكة[3] سألوه

(١) أغربوا: أبعدوا.

(٢) س: «اليهود»، وفى ابن هشام: «بتلك».

(٣) س: «الهلاك».

أن يسيّرهم ويحقن لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها : الشِّقّ ونطاة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلاّ ما كان من ذينك الحصنَين . ١/١٥٨٣

فلما سمع بهم أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيّرهم ويحقن دماءهم لهم ، ويخلّوا له الأموال ، ففعل ، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود ؛ أخو بنى حارثة ؛ فلما نزل أهلُ خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله أن يعاملهم بالأموال على النِّصْف ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأعمرُ لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على النّصف ؛ على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل فَدَك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئًا للمسلمين ، وكانت فَدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم لم يجْلبُوا[1] عليها بخَيْلٍ ولا ركاب .

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سَلاّم بن مِشْكَم شاةً مصليّة[2] ؛ وقد سألت : أيّ عُضو من الشاة أحبُّ إلى رسول الله ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرتْ فيها السمّ ، فسمّتْ سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتْها بين يدى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تناول الذِّراع ؛ فأخذها فلاكَ منها مُضغة فلم يُسِغْها ؛ ومعه بِشْر بن البَرَاء ابن معرور ؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بِشْر فأساغها ؛ وأما رسول الله فلفَظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرُنى أنه مسمُومٌ ؛ ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملكِ على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يَخْفَ عليك ، فقلتُ : إن كان نبيًّا فسيُخْبَر ؛ وإن كان ملكًا استرحتُ منه ؛ فتجاوز عنها النبيّ صلى الله عليه وسلم . ومات بشر بن البَرَاء من إكلَتِه التى أكل[3] . ١/١٥٨٤

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ؛ عن مَرْوان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : وقد كان رسول الله صلى الله

---

(١) و : « يوجفوا » .
(٢) مصلية : مشوية .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال فى مرضه الذى تُوفِّىَ فيه– ودخلتْ عليه أمّ بشر بن البرَاء تعوده : يا أمّ بِشْر ؛ إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِى من الأكْلة التى أكلتُ مع ابنك بخيبر .

قال : وكان المسلمون يروْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوّة .

قال ابن إسحاق : فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرى فحاصر أهله ليالىَ ، ثمّ انصرف راجعًا إلى المدينة .

* * *

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : لمّا انصرفنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر إلى وادى القرى ، نزلْنا أصُلاً مع مغارِب الشمس ، ومع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غلامٌ له ؛ أهداه إليه رفاعة بن زيد الجُذامىّ، ثم الضُّبَيْبىّ[1] ؛ فوالله إنا لنضع رَحْل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ أتاه سهمٌ غرْب[2] ؛ فأصابه فقتله، فقلنا : هنيئًا له الجنّة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : كلا والذى نفس محمد بيده؛ إنّ شَمْلَته الآن لتُحرَقُ عليه فى النار . قال : وكان غلّها من فىْء المسلمين يوم خيبر . ١٥٨٥/١

قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ، فقال : يا رسولَ الله ، أصبتُ شِراكَيْن لنعليْن لى ، قال : فقال : يُقَدّ لك مثلهما من النار[3] .

وفى هذه السّفرة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه عن صلاة الصبح حتّى طلعت الشمس ؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق،

---

(١) الضبيبى ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة . وفى ابن هشام : « الضبينى » .

(٢) سهم غرب : لا يدرى راميه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، قال: لمّا انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من خيبر؛ وكان ببعض الطريق، قال مِنْ آخر الليل: مَنْ رجلٌ يحفظ علينا الفجر، لعلّنا نَنام؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله أحفظ لك؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ونزل الناس فناموا؛ وقام بلال يصلى، فصلّى ما شاء الله أن يُصلِّى ثم استند إلى بعيره؛ واستقبل الفجر يرمقُه؛ فغلبته عينه، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّلَ أصحابه هبّ من نومه، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال! فقال: يا رسولَ الله، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك، قال: صدقت. ثم اقتاد رسول الله غيرَ كثير، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة، فصلّى بالناس، فلمّا سلّم أقبل على الناس، فقال: إذا نسيتمُ الصلاة فصلّوها إذا ذكرتموها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى﴾[1].

قال ابن إسحاق: وكان فتْح خيبر فى صفر. ١٥٨٦/١

قال: وشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نساء من نساء المسلمين، فرضَخَ[2] لهنّ رسول الله من الفَىْء ولم يضربْ لهنّ بسهم.

* * *

[أمر الحجاج بن علاط السُّلَمِى]

قال: ولما فتِحت خيبر قال الحجّاج بن عِلاَط السُّلَمىّ ثم البَهْزىّ لرسول الله صلّى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ إنّ لى مالاً بمكة عند صاحبتى أمّ شيبة بنت أبى طلحة – وكانت عنده، له منها مُعَرِّض بن الحجاج – ومال متفرّق فى تجار أهل مكة، فأذنْ لى يا رسولَ الله. فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال: إنه لا بدّ لى من أن أقول، قال: قل، قال الحجاج: فخرجت حتّى إذا قدمت مكة، فوجدت بثنيّة البيضاء رجالاً من قريش يتسمّعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) سورة طه ١٤، والخبر فى ابن هشام ٢: ٢٤١، ٢٤٢

(٢) رضخ: أعطى.

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفًا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسّسون الأخبار ؛ فلما رأوْنى قالوا : الحجاج بن علاط — ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبَر ! أخبِرْنا بأمرِ محمد ، فإنه قد بلَغنا أن القاطع قد سار إلى خَيْبر ؛ وهى بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلتُ: قد بلغنى ذلك ، وعندى من الخبر ما يسرّكم . قال : فالتاطوا[1] بجَنْبَىْ ناقتى يقولون : إيه ياحجّاج! قال: قلت: هُزِموا هزيمةً لم تسمعوا بمثلها قطّ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قطّ ، وأسِرَ محمدٌ أسراً ، وقالوا : لن نقتلَه حتى نبعثَ به إلى مكّة فيقتلوه بين أظهرهم بمَنْ كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكّة وقالوا : قد جاءكم الخبَر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقْدَم به عليكم فيُقتَل بين أظهركم . قال : قلت : أعينونِى على جمع مالى بمكّة على غرَمائى ؛ فإنّى أريد أن أقدَم خيبر ،فأصيب من فَلّ[2] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

١٥٨٧/١

قال : فقاموا فجمعوا مالى كأحَثّ جَمْع سمعت به . فجئت صاحبتى فقلت : مالى — وقد كان لى عندها مال موضوع — لعلى ألحق بخيبر ؛ فأصيب من فُرَصِ البيع قبل أن يسبقَنِى إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبرَ وجاءه عنّى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى ؛ وأنا فى خيمةٍ من خيام التجّار ، فقال : يا حجّاج ، ما هذا الذى جئت به؟ قال: قلت: وهلْ عندك حِفْظٌ لما وضعت عندك ؟ قال: نعم ، قلت: فاستأخِرْ عنِّى حتى ألقاك على خَلاء ، فإنى فى جَمْع مالى كما ترى؛ فانصرفَ عنى حتى إذا فرغتُ من جَمْع كلّ شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروجَ ، لقيت العبّاس ، فقلت : احفظ علىّ حديثى يا أبا الفضل؛ فإنّى أخشى الطّلب ثلاثًا ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل، قال: قلتُ فإنّى والله لقد تركتُ ابنَ أخيك عروسًا على ابنة ملِكهم — يعنى صفيّة بنت حيىّ ابن أخطب — ولقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجّاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكتم علىّ ؛ ولقد أسلمت

١٥٨٨/١

(١) التاطوا : التصقوا ، وفى ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون . قال ابن هشام : « ويقال : من فىء محمد » .

وما جئت إلاّ لآخذ مالى فَرَقًا من أن أغلَب عليه، فإذا مضت ثلاثٌ فأظهِرْ أمرَك؛ فهو والله على ما تحبّ. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلّةً له، وتخلّقَ وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رأوْه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلّد لحرّ المصيبة! قال: كلا والذى حلفتم به! لقد افتتحَ محمدٌ خيبر، وتُرِك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحَتْ له ولأصحابه. قالوا: مَنْ جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذى جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلِمًا، وأخذ مالَه وانطلق ليلحقَ برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يالَ عبَاد الله! أفلت عدوُّ الله! أما والله لو علمْنَا لكان لنا وله شأنٌ، ولم ينشَبُوا[1] أن جاءهم الخبر بذلك[2].

* * *

[ذكر مقاسم خيبر وأموالها]

حدثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنى عبد الله بن أبى بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خيبر على الشِّقّ ونَطَاة والكَتيبَة؛ فكانت الشِّقُّ ونَطاة فى سُهمان المسلمين، وكانت الكتيبةُ خمس الله عزّ وجلّ وخُمْس النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطُعْم أزواج النبىّ، وطعم رجال مَشَوْا بين رسول الله وبين أهل فَدَك بالصُّلْح؛ منهم مُحَيِّصةُ ابن مسعود، أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وَسْق شعير، وثلاثين وَسْق تمر. وقُسِمَتْ خيبر على أهل الحديبيَة؛ مَنْ شهد منهم خيبر ومن غاب عنها، ولم يَغِبْ عنها إلاّ جابر بن عبد الله بن حَرَام الأنصارىّ، فقسم له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كسهم مَنْ حضرها. ١/١٥٨٩

(١) لم ينشبوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خَيْبر قذف الله الرُّعب فى قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصَالحونه على النّصف من فَدَك، فقدمتْ عليه رُسُلهم بخيْبر أو بالطائف[1]، وإمّا بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، لأنه لم يُوجِف[2] عليها بخيل ولا ركاب[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خَيْبر عبدَ الله بن رواحة خارصًا[4] بين المسلمين ويهود ، فيَخْرُص عليهم ؛ فإذا قالوا : تعدّيت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ؛ وإن شئتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمُؤتة ، فكان جَبّار بن صَخْر بن خنساء ، أخُو بنى سلِمة ؛ هو الذى يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأسًا فى معاملتهم ؛ حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن سهل ، أخى بنى حارثة ؛ فقتلوه ، فاتّهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه[5] .

١/١٥٩٠

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهرىّ : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النّخل على خَرْجها ؟ أبَتّ ذلك لهم حتى قُبض ، أمْ أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرنى ابنُ شهاب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنْوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ خمّسها رَسول الله وقسّمها

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « بالطريق » .
(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧
(٤) الخارص : الذى يحزر ما على النخل والكرم من تمر ؛ وهو من الخرص ؛ أى الظن .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨

بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل[١] من أهلها على الإجْلاء بعد القتال ؛ فدعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقِرُّكم ما أقرّكم الله. فقبلوا[٢] ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبدَالله بن رواحة فيَقْسِمُ ثمرَها ، ويعدل عليهم فى الخرْص ؛ فلما تَوفّى الله عزّ وجلّ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أقرّها أبو بكر بعد النبيّ فى أيديهم على المعاملة التى كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفّىَ ، ثم أقرّها عمر صَدْرًا من إمارته ؛ ثمّ بلغ عمرَ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجَعه الذى قبض فيه : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، ففَحَصَ عمر عن ذلك حتى بلغه الثَّبَتُ ، فأرسَلَ إلى يهود أنّ الله قد أذِنَ فى إجلائكم ؛ فقد بلغنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعنّ بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهدٌ من رسول الله فلْيأتِنى به أنفذه له ؛ ومَنْ لم يكن عنده عهدٌ من رسول الله من اليهود فليتجهَّزْ للجلاء ؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم[٣] . ١٥٩١/١

قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

* * *

قال الواقديّ : فى هذه السنة ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبى العاص بن الربيع ؛ وذلك فى المحرّم .

قال : وفيها قَدِمَ حاطبُ بن أبى بَلْتَعة من عند المُقَوْقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دُلْدُل وحِمَاره يَعْفُور وكُسًا ؛ وبعث[٤] معهما بخَصِىّ فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما[٥] ؛ فأسلمت هى وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمّ سلَيْم بنت مِلْحَان — وكانت ماريَة وضيئة — قال : فبعث النبيّ صلى الله عليه

(١) س : « وترك من ترك » .
(٢) س : « فقبلوه » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩
(٤) و : « وأرسل » .
(٥) س : « للناس » .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .

قال : وفى هذه السنة اتّخذ النبىّ صلى الله عليه وسلم مِنْبره الذى كان يخطبُ الناس عليه ، واتخذ دَرَجتيْن ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل فى سنة ثمان . قال : وهو الثبَتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب فى ثلاثين رجلا إلى عَجُز هوازن بتُرَبَةَ ، فخرج بدليل له من بنى هلال ؛ وكانوا يسيرون الليل ، ويكمُنون النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيداً ، ورجع . ١٥٩٢/١

قال : وفيها سرّية أبى بكر بن أبى قُحافة فى شعبان إلى نجد ؛ قال سلَمة ابن الأكوع : غزونا مع أبى بكر فى تلك السنة .

قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدىّ : وفيها سرّية بَشير بن سعد إلى بنى مُرّة بفدَك فى شعبان فى ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وارْتُثّ فى القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها سريّة غالب بن عبد الله فى شهر رمضان إلى المَيْفَعَة ؛ فحدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ ابن عبد الله الكلبىّ إلى أرض بنى مرّة ، فأصاب بها مِرْداس بن نَهيك حليفاً لهم من الحُرَقة من جُهَيْنة ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .

قال أسامة : لمّا غَشيناه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرناه الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ لك بلا إله إلا الله !

* * *

١٥٩٣/١ قال الواقدىّ : وفيها سريّة غالب بن عبد الله إلى بنى عبد بن ثعلبة ؛ ذكر أن عبد الله بن جعفر حدّثه عن ابن أبى عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

قال يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنى أعلم غِرّةً من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلا ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النَّعمَ والشاء ، وحدَرُوها إلى المدينة .

* * *

قال : وفيها سريّة بشير بن سعد إلى يُمْن وجِناب ؛ فى شوّال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدّثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السريّة أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعيّ — وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر — قدِم على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعًا من غَطَفان بالجِناب قد بعث إليهم عُيينة بن حِصْن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشيرَ بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيل بن نويرة ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ؛ ولقيَهم عبدٌ لعُيينة بن حِصْن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عُيَيْنة ؛ فانهزم ، فلقيَه الحارث بن عوف منهزمًا ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

* * *

[عمرة القضاء]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خَيْبر ، أقام بها شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبانَ وشهر رمضان وشوّالا ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج فى ذى القَعْدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً عُمْرة القضاء مكان عُمرته التى صدّوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممّن كان معه فى عُمْرته تلك ، وهى سنة سبع ؛ فلما سمِع به أهلُ مكة خرجوا عنه ؛ وتحدّثَتْ قريش بينها أنّ محمداً وأصحابه فى عسْر وجُهْد وحاجة[1] . ١/١٥٩٤

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُمارة ، عن الحكَم بن عُتَيْبة ، عن مِقسَم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفُّوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار النَّدْوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسولُ الله المسجد ، اضطبع[1] بردائه ، وأخرج عَضُدَه اليمنى ، ثم قال : رَحِمَ الله امرأً أراهُم اليوم من نفسه قُوَّةً ! ثم استلم الركن. وخرج يُهَرْوِلُ ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيتُ منهم ؛ واستلم الرُّكْن اليمانىّ مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى سائرها .

وكان ابن عباس يقول : كان النّاس يظنُّون أنها ليستْ عليهم ؛ وذلك أنّ رسولَ الله إنما صنعها لهذا الحىّ من قريش للّذى بلغه عنهم ؛ حتى حج حجّة الوداع ، فرَمَلَها ، فمضت السنّة بها[2] .

١٥٩٥/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بَكْر ؛ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكّة فى تلك العُمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة آخذٌ بخِطام ناقته ؛ وهو يقول :

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سَبيلِهْ ... إنِّى شَهِيدٌ أنَّه رَسُولُهْ

خَلوا فكلُّ الخيْرِ فى رسولِهْ ... يا رَبِّ إنِّى مُؤْمِنٌ بقيلِهْ

أعْرِفُ حَقَّ اللهِ فى قَبُولِهْ ... نَحْنُ قَتَلْناكم على تأويلِهْ[3]

كما قَتَلْناكم على تَنْزِيلِهْ ... ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عن مَقِيلِهْ

* ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَليلِهْ[4] *

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

---

(١) فى اللسان : « اضطبع الشىء : أدخله تحت ضَبْعيه ؛ والاضطباع الذى يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمراً فيتهيأ له ، يقال : قد اضطبعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضبع ؛ وهو العضد ؛ ومنه الحديث : « أنه طاف مضطبعاً وعليه برد أخضر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلى : ويروى : « اليوم نضربكم على تأويله » ، بسكون الباء ؛ وهو جائز فى الضرورة .

(٤) قال السهيلى : « وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزء ؛ اشتركا فيه » .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نَجيح ، عن عطاء بن رَباح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك ؛ وهو حرامٌ ؛ وكان الذى زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل ، فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش وكّلَتْه بإخراج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنّا ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتمونى فأعْرَسْتُ بين أظهركم فصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك فاخرج عنّا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بَسَرِف ، فبنَى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبْدِلوا الْهَدْىَ وأبدَل معهم ، فعزّتْ عليهم الإبل فرخّص لهم فى البقر ؛ ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة فى ذى الحجة ، فأقام بها بقيّة ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم وصفرا وشهرَىْ ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثَهُ إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة . ١٥٩٦/١

وقال الواقدىّ : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن الزهرىّ ، قال : أمرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا فى قابل قضاء لعُمْرَة الحديبية ، وأن يهدوا .

قال : وحدّثنى عبدُ الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكُنْ هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً فى الشهر الذى صدّهُم المشركون فيه .

قال الواقدىّ : قول ابن أبى ذئب أحبُّ إلينا ، لأنهم أحصِرُوا ولم يَصِلوا إلى البيت .

وقال الواقدىّ : وحدّثنى عُبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضّية ستين بَدَنة . ١٥٩٧/١

قال : وحدّثنى مُعاذ بن محمد الأنصارىّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حمل السلاح والبيض والرّماح ، وقاد مائة فرس ، واستعمل على السلاح بشيرَ بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مَسْلَمة ، فبلغ ذلك قريشًا فراعهم ؛ فأرسلوا مِكْرز بن حفص بن الأخيَف ، فلقيه بمَرّ الظَّهْران ، فقال له : ما عُرِفتُ صغيراً ولا كبيراً إلاّ بالوفاء ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن يكون قريبًا إلىّ . فرجع إلى قريش فأخبرهم .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها كانت غزوة ابن أبى العوْجاء[1] السُّلَمِىّ إلى بنى سُلَيم فى ذى القعْدة ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع من مكة فى خمسين رجلاً ، فخرج إليهم .

قال أبو جعفر : فلقيه – فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر – بنو سليم ، فأصيب بها هو وأصحابه جميعًا .

قال أبو جعفر : أما الواقدىّ فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ، وأصيب أصحابه .

(١) و : « أبى العود » .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفِّيتْ — فيما زعم الواقدىّ — زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة ، عن عبد الله بن أبى بكر .

* * *

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالبَ بن عبد الله الليثى فى صفر إلى الكَدِيد إلى بنى الملوّح . ١٥٩٨/١

قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السرّية وغالب بن عبد الله ؛ ماحدّثنى إبراهيم بن سَعيد الجوهرىّ وسعيد بن يحيى بن سعيد — قال إبراهيم : حدّثنى يحيى بن سعيد ، وقال سعيد بن يحيى : حدّثنى أبى — وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ؛ جَميعًا عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يعقوب ابن عُتْبة بن المغيرة ، عن مُسْلِم بن عبدالله بن خُبَيْب الجُهَنىّ ، عن جندب ابن مكيث الجهنىّ ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبدالله الكلبىّ ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكَدِيد ، وأمره أن يُغير عليهم ، فخرج — وكنت فى سريّته — فضينا ؛ حتى إذا كنا بقُدَيد لقينا بها الحارث ابن مالك — وهو ابن البَرْصاء الليثىّ — فأخذناه فقال : إنىّ إنما جئت لأُسلِم ؛ فقال غالبُ بن عبد الله : إن كنت إنّما جئت مسلمًا ، فلنْ يضرّك رِباطُ يوم وليلة ؛ وإن كنتَ على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطًا ثم خلّف عليه رُوَيْجلا أسود كان معنا ، فقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإنْ نازعَك فاحتزّ رأسَه . قال : ثمّ مضينا حتى أتينا بطن الكَدِيد ، فنزلنا عُشَيْشِيَةً بعد العصر ، فبعثنى أصحابى رَبِيئَةً ، فَعَمَدْتُ إلى تلّ يطلعنى على الحاضر[1] ، فانبطحت عليه — وذلك قُبَيْلَ المغرب — فخرج منهم رجل ، فنظر فرآنى منبطحًا على التلّ ، فقال لامرأته : والله إنّى لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيتُه أوّل النهار ؛ فانظرى لا تكون الكلاب ١٥٩٩/١

(١) الحاضر : الحىّ إذا حضر .

جرّت بعض أوعيتك . فنظرتْ فقالت : والله ما أفقد شيئًا . قال : فناوليني قوسي وسهمين من نَبْلي ، فناولته فرماني بسهْم فوضعه في جنبي . قال : فنزعتهُ فوضعته ، ولم أتحرّك . ثمّ رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبي ، فنزعته فوضعته ولم أنحرّك . فقال : أما والله لقد خالطه سهمايَ ، ولو كان ربيئة[١] لتحرّك ؛ فإذا أصبحت فاتّبعي سهميّ فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال : فأمهلناهم حتى راحت رائحتُهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عتَمةٌ[٢] من الليل شننّا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقْنا النّعم ؛ فوجّهنا قافلين ؛ وخرج صَريخُ القوم إلى القوم مُغَوِّثًا[٣]. قال : وخرجنا سِراعًا حتى نمرّ بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صَريخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلاّ بطنُ الوادي من قُدَيْد ، بعثَ الله عزّ وجلّ من حيث شاء سحابًا ما رأينا قبل ذلك مطرًا ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم ؛ ونحن نحدوها سراعًا ؛ حتى أسندناها في المشلّل ؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين ؛ وهو يحدوها في أعقابها ، ويقول : ١٦٠٠/١

أبَى أبو القاسم أنْ تَعَزَّبِي[٤] في خَضِلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ[٥]

* صُفْرٍ أعاليه كلَوْنِ المُذْهَبِ *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شِعارَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أمِتْ أمِتْ[٦].

قال الواقديّ : كانت سريّة غالب بن عبد الله بضعةَ عشرَ رجلاً .

* * *

(١) الربيئة : الطليعة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .
(٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ! (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت في المرعى .
(٥) الخضل : النبات الأخضر المقبل . والمغلولب : الكثير الذى يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العَلاء بن الحضرمىّ إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ؛ وكتب إليه كتابًا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبىّ رسولِ الله إلى المنذر بن ساوَى. سلامٌ عليك؛ فإنّى أحمَدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنّ كتابك جاءنى ورسلُك . وإنه مَنْ صلّى صلاتَنا ، وأكل ذبيحتَنا ، واستقبَلَ قِبلَتَنا فإنه مسلم؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومَنْ أبَى فعليه الجزية. قال : فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنّ على المجوس الجِزْية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم.

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَو بن العاص إلى جَيْفَر وعبّاد ابنىْ جُلَنْدَى بعُمَان ، فصدّقا النبىّ ، وأقرّا بما جاء به ، وصدّق أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس . ١٦٠١/١

قال : وفيها سريّة شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، فى شهر ربيع الأول فى أربعة وعشرين رجلا ، فشنّ الغارة عليهم ، فأصابوا نَعَما وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكلّ رجل .

قال : وفيها كانت سريّة عمرو بن كعب الغِفارىّ إلى ذات أطلاح ، خرج فى خمسة عشر رجلا ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعًا كثيراً ، فدعوْهم إلى الإسلام ، فأبوْا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحابَ عمرو جميعًا ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدىّ : وذات أطلاح من ناحية الشأم ، وكانوا من قُضاعة ، ورأسهم رَجُلٌ يقال له سَدُوس .

* * *

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلِمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشىّ ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدرىّ ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة فى أوّل صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى ابن أبى أوْس ، عن حبيب بن أبى أوْس ، قال : حدّثنى

١٦٠٢/١ عمرو بن العاص من فيه إلى أذنى، قال: لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يروْن رأيى، ويسمعون منّى، فقلت لهم: تعلمون والله أنّى لأرى أمر محمد يعلُو الأمور علُوًّا مُنْكَراً. وإنّى قد رأيت رأيًا فما تروْن فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قلت: رأيتُ أن نلحقَ بالنجاشىّ، فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنّا عند النجاشىّ، فلأن[1] نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدى محمد؛ وإن يظهر قومنا فنحن مَنْ قد عرفوا؛ فلا يأتينا منهم إلا خيرٌ. فقالوا: إنّ هذا لرأىٌ. قلت: فاجمعوا له ما نُهْدِى إليه — وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه من أرضنا الأدَم — فجمعنا له أدَمًا كثيراً، ثم خرجنا حتّى قدمنا عليه؛ فوالله إنا لعنده؛ إذ جاءه عمرو بن أميّة الضّمرىّ — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه — قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلتُ لأصحابى: هذا عَمْرو بن أميّة الضمْرىّ، لو قد دخلت على النّجاشىّ وسألته إياه؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه! فإذا فعلت ذلك رأتْ قريش أنّى قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد.

فدخلت عليه، فسجدتُ له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا بصديقى! أهديْتَ لى شيئًا من بلادك؟ قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدَمًا كثيراً، ثم قرّبته إليه، فأعجبه واشتهاه؛ ثم قلت له: أيها الملك؛ إنّى

١٦٠٣/١ قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسول رجل عدوّ لنا، فأعطِنيه لأقتله[2]، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مدّ يده[3] فضرب بها[4] أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره — يعنى النجاشىّ — فلو انشقّت الأرض لى لدخلتُ فيها فرَقًا منه. ثم قلت: والله أيها الملك لو ظننتُ أنك تكْرَه هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيَك رسول رجل يأتيه الناموسُ الأكبر[5] الذى كان يأتى موسى، لتقتله! فقلت: أيّها الملك، أكذاك هو؟ قال:

---

(١) ط «فإنا أن».
(٢) س: «أقتله».
(٣) و: «يديه».
(٤) و: «بهما».
(٥) و: «الأعظم».

ويحك ياعمرو ! أطعنى واتّبعه ؛ فإنه والله لَعلى الحقّ ، وليظهرنّ عَلَى مَن خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : فتبايعنى له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابى ؛ وقد حال رأيى عمّا كان عليه ، وكتمت أصحابى إسلامى ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيتُ خالد ابن الوليد — وذلك قبل الفتح — وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسِم ؛ وإن الرجل لنبىّ ، أذهب والله أسلِم ؛ فحتّى متى ! فقلت : والله ما جئتُ إلاّ لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلَم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يا رسولَ الله ، إنّى أبايعك على أن تغفرَ لى ما تقدّم من ذنبِى ، ولا أذكر ما تأخّر ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وإنّ الهجرة تجبُّ ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت . ١٦٠٤/١

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا أتّهم ؛ أنّ عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلَمَا .

* * *

ذكر ما فى الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة فى سنة ثمان من سنى الهجرة

فممّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص فى جُمادى الآخرة إلى السّلاسل من بلاد قُضاعة فى ثلثمائة[1] ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل — فيما ذُكر — كانتْ قُضاعيّة ، فذُكر أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألّفهم بذلك ، فوجّهه فى أهلِ الشرف من المهاجرين والأنصار ، ثم استمدّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمدّه بأبى عبيدة بن الجرّاح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر فى مائتين ، فكان جميعهم[2] خمسمائة .

(١) س : « فى ثلثمائة من قضاعة » . (٢) س : « جمعهم » .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بَلِىّ وعُذْرة ، يستنفر الناس إلى الشأم ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأةً مِنْ بَلِىّ، فبعثه رسولُ الله إليهم يستألِفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام ، يقال له السلاسل — وبذلك سُمّيت تلك الغزوة ذات السلاسل — فلمّا كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا عبيدة ابن الجرّاح فى المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبى عبيدة حين وجّهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئتَ مدداً لى ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إنّ رسول الله قد قال لى : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتَنى أطعتُك، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنما أنت مددٌ لى ، قال: فدونَك ! فصلّى عمرو ابن العاص بالناس . ١٦٠٥/١

* * *

[غزوة الخبَط]

قال الواقدىّ : وفيها كانت غزوة الخبَط ؛ وكان الأميرَ فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى رجب منها ، فى ثلثمائة من المهاجرين والأنصار قبَل جُهَيْنة ، فأصابهم فيها أزْلٌ شديد وجهدٌ، حتى اقتسموا التّمر عدداً .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عَمّى عبد الله بن وهب ، قال : أخبرنى عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدّثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: خرجنا فى بعث ونحن ثلثمائة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح، فأصابنا جوعٌ ، فكنّا نأكل الخبَط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابّةٌ من البحر

يقال لها العَنبر ، فمكثنا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجلٌ من الأنصار ١/٦٠٦
جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى .

قال عمرو بن دينار — وسمعت ذكوان أبا صالح قال : إنه قيس بن سعد .

قال عمرو : وحدثني بكر بن سوادة الجُذامىّ ، عن أبى جمرة ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلاّ أنه قال : جهدوا ؛ وقد كان عليهم قيس ابن سعد ، ونحر لهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم فى بَعْثٍ من وراء البحر ؛ وإنّ البحرَ ألقى إليهم دابّة ؛ فمكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقدّدون ويغرفون شحمها ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت ، وقال فى الحوت : لو نعلم أنّا نبلغه قبل أن يُرْوِح لأحببنا أن لو كان عندنا منه شىء ؛ ولم يذكر الخبَط ولا شيئًا سوى ذلك .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مخْلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زوّدنا النبىّ صلى الله عليه وسلم جرابًا من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمرة تمرة ، فنمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل ؛ حتى نَفِد ما فى الجراب ، فكُنّا نجنِى الخبَط ، فجعنا جوعًا شديداً . قال : فألقى لنا البحر حوتًا ميتًا ، فقال أبو عبيدة : جياع كلوا ، فأكلنا — وكان أبو عبيدة ينصب الضِّلَع من أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته ، ويجلس النفر الخمسة فى موضع عينه — ١/١٦٠٧
فأكلنا وادّهنّا حتى صَلَحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر : فذكرنا ذلك للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُلوا رزقًا أخرجه الله عزّ وجلّ لكم ، معكم منه شىء ؟ — وكان معنا منه شىء — فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه .

قال الواقدىّ : وإنما سميت غزوة الخبَط[1] ، لأنهم أكلوا الخبَط حتى كأنّ أشداقهم أشداق الإبل العَضِهة .

---

(١) الخبط : ورق العضاه من الطلح ونحوه ، يخبط ويضرب بالعصا فيتناثر ثم يعلف الإبل ، يقال : عضه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل العضاه ورعيها .

قال : وفيها كانت سَرِيّة وجّهها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمَة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاريّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلميّ ، قال: تزوّجتُ امرأةً من قومى ، فأصدقتُها مائتى درهم ، فجئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحى ، فقال : وكم أصدقتَ ؟ قلت : مائتى درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنّما تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم ! والله ما عندى ما أعينُك به . قال : فلبثتُ أيامًا ؛ وأقبل رَجُلٌ من بنى جُشَم بن معاوية يقال له رفاعة بن قيس — أو قيس بن رفاعة — فى بطنٍ عظيم من جُشَم ؛ حتى نزل بقومه ومَنْ معه بالغابة ؛ يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسمٍ وشرف فى جُشَم . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين ، من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفًا [1] عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلّت وما كادت . ثم قال : تبلّغوا على هذه واعتقبوها . ١٦٠٨/١

قال : فخرجنا ومعنا سلاحُنا من النّبل والسيوف ؛ حتى جئنا قريبًا من الحاضر عُشَيْشِيَةً مع غروب الشمس ، فكمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبيّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبّرت وشددت على العسكر فكبّرا وشُدّا معى .

قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غِرّة أو نصيب منهم شيئًا ، غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راعٍ قد سرح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوّفوا عليه .

---

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .

قال : فقام صاحبهُم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفَه ، فجعله فى عنقه ثم قال : والله لأتبعنّ أثر راعينا هذا ؛ ولقد أصابه شرٌّ. فقال نَفَرٌ ممّن معه : والله لا تذهب، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلاّ أنا ، قالوا : فنحنُ معك ، قال : والله لا يتبعنى منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بى ، فلما أمكننى نفحتُه بسهم فوضعته فى فؤاده ، فوالله ما تكلّم ، ووثبتُ إليه فاحتززت رأسه ، ثم شددتُ فى ناحية العسكر وكبَّرت ؛ وشدّ صاحباى وكبّرا ؛ فوالله ما كان إلا النّجاء ممّن كان فيه عندك بكلّ ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ؛ وما خفّ معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلاً عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معى ، قال : فأعاننى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا ، فجمعتُ إلىّ أهلى . ١٦٠٩/١

وأما الواقدىّ ، فذكر أنّ محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمَةَ ، حدّثه عن أبيه ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبى حَدْرَد فى هذه السريّة مع أبى قَتادة ، وأنّ السريّة كانت ستة عشر رجلا ، وأنّهم غابوا خمس عشرة ليلة ، وأن سُهمانهم كانت اثنى عشر بعيرًا يُعْدَلُ البعير بعشرٍ من الغنم ، وأنهم أصابوا فى وُجوههم أربعَ نسوة ؛ فيهنّ فتاة وضيئة ، فصارت لأبى قتادة ، فكلّم مَحْمِيَة بن الجَزْء فيها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغنم ، فقال : هَبْها لى ، فوهبها له ، فأعطاها رسولُ الله محمية بن جَزْء الزُّبيدىّ .

* * *

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سريّة أبا قتادة إلى بطن إضَم . حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبى القعقاع بن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع – عن أبيه ، عن عبد الله بن أبى حَدْرَد ، قال : بعثَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَم ، فخرجت فى نفر من المسلمين فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبْعِىّ ومحلّم بن جَثّامة بن قيس الليثى ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم – وكانت قبل الفتح – مرّ بنا عامر بن الأضبط ١٦١٠/١ الأشجعىّ على قَعود له ، معه مُتَيِّع له ووطْب من لبن[1] . فلمّا مرّ بنا سلّم علينا بتحيّة الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلّم بن جَثّامة الليثى لشىء كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بعيره ومتيِّعه ، فلمّا قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا . . . . ﴾[2] الآية .

وقال الواقدىّ : إنّما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثَ هذه السريّة حين خرج لفتح مكة فى شهر رمضان ، وكانوا ثمانيةَ نفر .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق – فيما حدّثنا ابن حُميد، قال : حدّثنا سلَمة عنه ، قال : لما رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة من خيْبر ؛ أقام بها شهرَىْ ربيع ، ثم بعث فى جمادى الأولى بَعثَه إلى الشأم الذين أصيبوا بمؤتة .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بَعثَهُ إلى مؤتة فى جُمادى الأولى من سنة ثمان ؛ واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيبَ جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهّز الناسُ ، ثم تهيّئُوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودّع الناسُ أمراء رَسُول اللهِ وسلموا عليهم وودّعوهم : فلمّا

(١) متيع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . والوطب : وعاء اللبن .
(٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر فى التفسير ٩ : ٧٣ .

ودّع عبد الله بن رَواحة مع من ودّع من أمراء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بكَى، فقالوا له : ما يُبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بى حبّ الدنيا ، ولا صبابة بكم ؛ ولكنى سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ﴾[1] . فلست أدرى كيف لى بالصَّدَرِ بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة : ١٦١١/١

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمٰنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[2]

أو طَعْنَةً بِيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشاءَ والكَبِدَا[3]

حتى يقولوا إذَا مَرُّوا على جَدَثِي ... أَرْشَدَكَ اللهُ مِنْ غَازٍ وقد رَشَدَا !

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ،فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يُشَيِّعهم ؛ حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلَامُ على امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ ... فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وخَلِيلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مَعان من أرض الشأم ؛ فبلغ الناسَ أنّ هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة ألف من الروم، وانضمّت إليه المستعربة من لَخْم وجُذام وبلقَيْن وَبَهْراء وبَلِىّ فى مائة ألف منهم ؛ عليهم رجلٌ من بَلِىّ ، ثم أحد إرَاشة ، يقال له : مالك بن رافلة ، فلمّا بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعان ليلتَيْن ، ينظرون فى أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمِدّنا برجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له فشجّع الناسَ عبدُ الله بن رواحة، وقال: يا قوم ؛ والله إنّ الذى تكرهونَ لَلّذى خرَجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فإنما هى إحدَى ١٦١٢/١

---

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفذ الأحشاء : تمضى فيها .

الحسْنَيَيْن ؛ إما ظهور ؛ وإمَّا شهادة ، فقال الناس : قد والله صَدَق ابنُ رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة فى مَحبسهم ذلك :

جَلَبْنَا الخيْلَ منْ آجامِ قُرْحٍ تُغَرُّ مِنَ الحَشِيشِ لها العَكُومُ[1]
حذَوْناها مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً أزَلَّ كأَنَّ صَفْحَتَهُ أدِيمُ[2]
أقامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مُعَانٍ فأعْقبَ بَعْدَ فترتِها جُمُومُ
فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنَفَّسُ فى مَنَاخِرِها السَّمُومُ
فلا وأبى ، مَآبَ لنأتِيَنْها ولو كانت بها عَرَبٌ ورُومُ
فعَبَّأنا أعِنَّتَها فجاءَتْ عَوَابِسَ والغُبَارُ لها بَرِيمُ[3]
بذِى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيه إذا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ
فراضِيَةِ المعِيشَةِ طَلَّقَتْها أسِنَّتُنا فتَنْكِحُ أو تَئِيمُ[4]

ثم مضى الناس[5]

١٦١٣/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدّث عن زيد بن أرْقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة فى حِجْره ، فخرج فى سفره ذلك مُرْدِفِى على حقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثّل أبياته هذه :

إذَا أدَّيْتِنِي وَحَمَلْتِ رحْلِي مَسِيرَةَ أرْبَعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ
فشَأْنُكِ أنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ولا أرجِعْ إلى أهْلِى وَرَائِى[6]
وجاءَ المسلمون وغادَرُونى بأرض الشأم مشتَهِىَ الثَّواءِ
وَرَدَّكِ كلُّ ذى نَسَبٍ قرِيبٍ إلى الرَّحْمنِ مُنْقَطِعُ الإخَاءِ

---

(١) قال السهيلى : تغر ، أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب. وفى ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، اوالبيت فى ياقوت ٧ : ٤٩ .
(٢) سبتا ، أى حذوناها نعالا من جلد . وأزل : أملس .
(٣) قال السهيلى : « البريم : حيط تحزم به المرأة ، والبريم أيضا : لفيف الناس وأخلاطهم » .
(٤) راضية المعيشة ، أى معيشتها مرضية . وتئيم : تبقى من غير زوج .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
(٦) خلاك ذم ، أى فارقك الذم .

هنالك لا أبالى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَخْلٍ أسَافِلُهَا رِواءِ[1]

قال : فلما سمعتهنّ منه بكيت ، فخفقنى بالدِّرَّة ، وقال : ما عليك يا لُكَع ! يرزقنى الله الشهادة ، وترجع بين شُعْبَتَىِ الرَّحْل ! ثم قال عبد الله فى بعض شعره وهو يرتجز :

يا زَيْدَ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تطاول اللَّيْلُ هُدِيتَ فانْزِلِ[2] ١٦١٤/١

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء ، لَقِيتْهم جموع هِرَقل من الرّوم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدوُّ ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعبّأ المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عُذْرة ، يقال له قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عَبَايَة بن مالك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى شاط[3] فى رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبى طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه[4] القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[5]، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فكان جعفرٌ أوّل رجل من المسلمين عَقَر فى الإسلام فرسه[6].

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة وأبو تُمَيْلة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد ، عن أبيه ، قال : حدّثنى أبى الذى أرضعنى — وكان أحد بنى مرّة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مُؤْتة — قال : والله لكأنّى أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الرّايةَ عبدُ الله بن رَواحة ؛ ثمّ تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردّد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمْتُ يا نَفْسُ لَتَنزِلِنَّهْ طَائِعَةً أوْ فَلَتُكْرَهِنَّهْ

---

(١) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . (٢) اليعملات : جمع يعملة ؛ وهى الناقة السريعة . والذبل : التى أضعفها السير فقل لحمها .

(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك. (٤) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصا.

(٥) عقرها : ضرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١/١٦١٥

إنّ أجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنّهْ[1] مالى أراكِ تَكْرَهِين الجَنَّهْ !

قد طَالَمَا قد كنْتِ مُطْمَئِنَّهْ هَلْ أنْتِ إلا نُطْفَةٌ فى شَنّهْ ![2]

وقال أيضًا :

يا نَفْس إلَّا تُقْتَلى تَمُوتِى هٰذَا حِمَامُ المَوْتِ قد صَلِيتِ

وما تَمَنَّيتِ فقدْ أعْطِيتِ إنْ تَفْعَلِى فِعْلَهُمَا هُدِيتِ

قال : ثم نزل ؛ فلمّا نزل أتاه ابن عمٍّ له بعظم من لحم ؛ فقال : شُدَّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهس[3] منه نهسَةً ثم سمع الحطْمة[4] فى ناحية الناس، فقال : وأنت فى الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابتُ بن أقرم ؛ أخو بَلْعجلان ؛ فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا :

١/١٦١٦

أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلمّا أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى[5] بهم ، ثم انحاز وتحيّز عنه[6] حتى انصرف بالناس[7] .

فحدّثنى القاسم بن بِشْر بن معروف ، قال : حدّثنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سُمَيْر ، قال : قَدِم علينا عبد الله بن رَبَاح الأنصاريّ — وكانت الأنصار تُفَقّهُه — فغشيَه الناس ، فقال : حدّثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : بعث رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .

(٢) النطفة : الماء القليل الصافى . والشنة : السقاء البالى .

(٣) انتهس : أخذ منه بفمه يسيرا .

(٤) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

(٥) حاشى بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفى ابن هشام : « خاشى بهم » ، من المخاشاة ؛ وهو المحاجزة .

(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال : يا رسولَ الله ، ما كنت أذهبُ أن تستعمل زيداً عليّ ! قال : امض ؛ فإنك لا تدرى أىّ ذلك خير !

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صعِد المنبر . وأمر فنودى : الصَّلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال : باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازى ؛ إنّهم انطلقوا فلقُوا العدوّ ، فقتِل زيد شهيداً — واستغفر له — ثمّ أخذ اللواءَ جعفر ، فشدّ على القوم حتى قتِل شهيداً — فشهد له بالشهادة واستغفر له — ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميْه حتى قتِل شهيداً — فاستغفر له — ثمّ أخذ اللواء خالد بن الوليد — ولم يكن من الأمراء ؛ هو أمّر نفسه — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهمّ إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره — فمنذ يومئذ سمىّ خالد سيف الله — ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدّوا إخوانكم ولا يتخلّفنّ منكم أحد . فنفروا مُشاةً ورُكْبَانًا ، وذلك فى حرّ شديد .

١٦١٧/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، قال : لما أتى رسولَ الله مصابُ جعفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد مرّ[١] جعفر البارحة فى نفر من الملائكة ، له جناحان ، مختضب القوادم بالدّم ، يريدون بيشة ؛ أرضًا باليمن .

قال . وقد كان قُطْبَة بن قتادة العذرىّ الذى كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة [٢] قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة من حَدَس [٣] حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد قالت لقومها من حَدَس — وقومها بطن يقال لهم بنو غَنْم : أنْذِرُكم قومًا خُزْرًا [٤] ، ينظرون شَزْرًا [٥] ، ويقودون الخيل بُتْرًا [٦] ، ويُهريقون دمًا

---

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .

(٣) حدس : قبيلة من لخم .

(٤) خزراً : جمع أخزر ؛ وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

(٥) الشزر : نظر العداوة .

(٦) ابن هشام : « تترى » ، أى متتابعة .

عَكْراً[١]. فأخذوا بقولها ؛ فاعتزلوا من بين لَخْم ؛ فلم يزالوا بعدُ أثْرَى[٢] حَدَس . وكان الذين صَلَوُا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ؛ بطن من حَدَس ؛ فلم يزالوا قليلاً بعد ؛ ولما انصرف خالد بن الوليد بالناس أقبل بهم قافلاً[٣] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما دَنَوْا من دخول المدينة ، تلقاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، ولقيهم الصبيان يشتدّون ، ورسول الله مقبل مع القوم على دابّة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابنَ جعفر ؛ فأُتِيَ بعبد الله بن جعفر فأخذه ، فحمله بين يديه ، قال : وجعل الناس يحثُون على الجيش التّراب ، ويقولون : يا فُرّار في سبيل الله ، فيقول رسول الله : ليسوا بالفُرّار ؛ ولكنهم الكُرّار ؛ إن شاء الله[٤] !

١٦١٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ؛ عن بعض آل الحارث بن هشام — وهم أخواله — عن أم سلمة زوْج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : قالت أمّ سلمَة لامرأة سلمة بن هشام بن المغيرة : مالي لا أرى سلَمة يحضر الصلاة مع رسول الله ومع المسلمين ! قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلّما خرج صاح الناس : أفرَرْتم في سبيل الله ! حتى قعد في بيته فما يخرج[٤] .

وفيها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة .

* * *

ذكر الخبر عن فتح مكة

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ،

---

(١) العكر : المتعكر .

(٢) أثرى ، أي أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهي الكثرة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال : ثمّ أقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مُؤتة ، جمادى الآخرة ورجب .

ثم إنّ بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عَدَتْ على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة ؛ يقال له الوتير . وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وبنى خُزاعة رجلٌ من بَلْحضرمىّ ، يقال له مالك بن عبّاد — وحِلْف الحضرمىّ يومئذ إلى الأسود بن رَزْن — خرج تاجراً ، فلما توسّط أرض خزاعة عدَوا عليه فقتلوه ؛ وأخذوا ماله ؛ فعدتْ بنوبكْر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعَدَتْ خُزاعة قُبيل الإسلام على بنى الأسود بن رَزْن الدّيلىّ ؛ وهم مَنْخَر[1] بنى بكر وأشرافهم : سلْمى ، وكلثوم ، وذؤيب ؛ فقتلوهم بعرفَة عند أنصاب الحرم[2]. ١٦١٩/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن رجل من بنى الدّيل ، قال : كان بنو الأسود يُودَّوْنَ فى الجاهليّة دِيَتَيْن ديتين ، ونُودَّى دية ديَةً لفضلهم [فينا][2] .

فبينا بنو بكر وخُزاعة على ذلك حَجَز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلمّا كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وشرط لهم — كما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرّى ، عن عُروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا — أنه مَنْ أحبَّ أن يدخلَ فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقْده دخلَ فيه ، ومَنْ أحبّ أن يدخلَ فى عهد قُريش وعقدهم دخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر فى عَقْد قريش ، ودخلت خُزاعة فى عَقْد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٦٢٠/١

فلمّا كانت تلك الهدنة اغتنمتها[3] بنو الدّيل ، من بنى بكر من خُزاعة[4]

---

(١) المنخر هنا : المتقدمون ؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ .
(٣) س : « اغتنمها » .
(٤) س : « من بنى خزاعة » .

وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً][١] بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدِّيلى فى بنى الدِّيل — وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بنى بكْر تابعه — حتى بَيَّتَ خزاعة ، وهم على الوتير ؛ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا وتحاوزوا واقتتلوا ؛ ورفَدَت قريش بنى بكْر بالسِّلاح ؛ وقاتل معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفياً ؛ حتى حازوا[٢] خُزاعة إلى الحَرم .

— قال الواقدىّ : كان ممن أعان من قريش بنى بكْر على خُزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكّرين صَفْوان بن أميّة ، وعِكْرمة بن أبى جهل ، وسُهَيل بن عمرو ؛ مع غيرهم وعبيدهم —

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : فلما انتهوْا إليه قالت بنو بكْر : يانوْفل ، إنا قد دخلْنا الحرم إلهَك إلهَك ؛ فقال : كلمةعظيمة إنه لا إله له اليوم ! يا بنى بكْر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقُون فى الحرم ؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه ! وقد أصابوا منهم ليلة بَيَّتوهم بالوتير رجلا يقال له منبِّه ، وكان منبِّه رجلاً مفئوداً[٣] خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم بن أسد — فقال له منبِّه : يا تميم ، انجُ بنفسك ؛ فأمّا أنا فوالله إنى لميّتٌ قتلونى أو تركونى ؛ لقد انبتَّ[٤] فؤادى . فانطلق تميم فأفلَت ، وأدركوا منبِّهاً فقتلوه — فلمّا دخلت خُزاعة مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخُزاعىّ ، ودار مولى لهم يقال له رافع . ١٦٢١/١

قال : فلما تظاهرتْ [بنو بكرو][٥] قُريش على خُزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلّوا من خُزاعة — وكانوا فى عَقْده وعهده — خرج عمرو بن سالم الخُزاعىُّ ، ثم أحد بنى كعب ؛ حتى قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه

---

(١) من ابن هشام .
(٢) حازوهم : ساقوهم .
(٣) مفئود : ضعيف الفؤاد .
(٤) انبت : انقطع.
(٥) من سير ابن هشام .

وسلم المدينةَ ؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو فى المسجد جالسٌ بين ظهرانَيِ الناس ، فقال :

لاهمّ إنّى ناشدٌ مُحمّدا حِلفَ أبينا وأبيه الأتْلَدا[1]
فوالِداً كُنّا وَكُنْتَ وَلَدا[2] ثُمّتَ أسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يَدا[3]
فانْصُر رسول الله نَصْراً أعْتَدا[4] وادْعُ عِبادَ الله يأتوا مَدَدا[5]
فيهم رسول اللهِ قد تَجَرّدا[6] أبْيَض مثْل البَدْرِ يَنْمِى صُعُدا
إن سِيمَ خَسْفاً وَجْهُهُ تَرَبّدا فى فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يجْرِى مُزْبِدا[7]
إنّ قريشاً أخلفوك المَوْعِدا ونَقَضُوا ميثاقك المُؤكّدا
وجعلوا لى فى كَدَاء رَصَدا وزعموا أن لستُ أدْعُو أحَدا
وَهُمْ أذَلُّ وأقَلُّ عَدَدا هُمْ بَيّتُونا بالوَتِيرِ هُجّدا

* فقتّلونا رُكّعاً وَسُجّدا *

يقول : قد قتّلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ سمع ذلك : قد نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَنَانٌ من السماء ، فقال : إنّ هذه السحابة لتستَهِلّ بنصر بنى كعب .

١٦٢٢/١

ثم خرج بُدَيْل بن ورقاء فى نفر من خُزاعة حتى قدِموا على رسولِ الله المدينة ، فأخبروه بما أصِيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ؛ ثم انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال للناس : كأنّكم بأبى سفيان قد جاء ليشدّد العَقْد ، ويزيد فى المدّة .

---

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .
(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولداً وكنا والدا » ؛ قال السهيلى : « يريد أن بنى عبد مناف ، أمهم من خزاعة وكذلك قصى أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .
(٣) أسلمنا ، من السلم .
(٤) ابن هشام : « أعتدا ، أى حاضرا ، من الشىء العتيد ؛ وهو الحاضر » .
(٥) المدد : العون .
(٦) تجرد : تشمر وتهيأ ؛ وفى إحدى نسخ ابن هشام : «تحرد» ؛ بالحاء المهملة ؛ من الحرد ؛ وهو الغضب .
(٧) الفيلق : العسكر الكبير .

ومضى بُديل بن ورقاء وأصحابه ، فلقُوا أبا سفيان بعُسفان ، قد بعثتْه قريش إلى رسول الله ليشدّد العقد ويزيد فى المدّة ؛ وقد رهِبوا الذى صنعوا ؛ فلما لقىَ أبو سفيان بُديلا ، قال : مِنْ أين أقبلت يا بديل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسولَ الله ، قال : سِرْت[1] فى خُزاعة فى السّاحل وفى بطن هذا الوادى . قال : أوَ ما أتيتَ محمداً ؟ قال : لا. قال: فلما راح بُديل إلى مكّة قال أبو سفيان : لئن[2] كان جاء المدينة لقد علّف بها النّوى ؛ فعَمد إلى مَبْرَك ناقته[3] ، فأخذ من بعرها ففتّه ؛ فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً .

١٦٢٣/١

ثم خرج أبو سفيان حتى قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فدخل على ابنتِه أمّ حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فِراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَتْه عنه، فقال : يا بنيّة ؛ والله ما أدرِى أرغبتِ بى عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عنّى ! قالت : بل هو فراشُ رسول الله ، وأنت رجل مشرك نجِس ، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ، قال : والله لقد أصابكِ يا بنيّة بعدى شرٌّ. ثم خرَج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ، فكلّمه فلم يردُدْ عليه شيئًا، ثم ذهب إلى أبى بكر فكلّمه أن يكلّم له رسولَ الله ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمَر بن الخطاب ، فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ! فوالله لو لم أجدْ إلا الذرّ لجاهدتُكم . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ، وعندها الحسن بن علىّ ؛ غلامٌ يَدِبُّ بين يديها ، فقال : يا علىّ ؛ إنك أمسُّ القوم بى رَحِمًا ، وأقربُهم منّى قرابة ، وقد جئتُ فى حاجة ؛ فلا أرجعَنّ كما جئت خائبًا ، اشفع لنا إلى رسول الله ! قال : ويحك يا أباسفيان! والله لقد عزَم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة، فقال : يا ابنةَ محمّد ؛ هل لكِ أن تأمرى بُنيّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بُنَيّى ذلك

١٦٢٤/١

(١) ابن هشام : « تسيرت » . (٢) س : « لمن » .
(٣) ابن هشام : « فأتى مبرك راحلته » .

أن يجيرَ بين الناس، وما يجير على رسول الله أحد. قال: يا أبا الحسن، إنّى أرى الأمور قد اشتدّتْ علىّ فانصحنى. فقال له: والله ما أعلمُ شيئًا يُغنى عنك شيئًا، ولكنّك سيّد بنى كنانة؛ فقم فأجِرْ بين الناس، ثم الحقْ بأرضك. قال: أوَ ترَى ذلك مُغْنيًا عنى شيئًا! قال: لا والله ما أظنّ؛ ولكن لا أجدُ لك غير ذلك؛ فقام أبو سفيان فى المسجد، فقال: أيّها الناس؛ إنى قد أجرْتُ بين الناس؛ ثم ركب بعيرة فانطلق.

فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ علىّ شيئًا، ثم جئت ابنَ أبى قُحافة، فلم أجد عنده خيراً، ثم جئت ابنَ الخطاب؛ فوجدته أعْدَى القوم، ثمّ جئت علىّ بن أبى طالب، فوجدته ألينَ القوم؛ وقد أشار علىّ بشىء صنعتُه؛ فوالله ما أدرى هل يغنينى شيئًا أم لا! قالوا: وبماذا أمرَك؟ قال: أمرَنى أن أجيرَ بين الناس ففعلت؛ قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا، قالوا: ويلك! والله إن زاد على أن لَعِبَ بك، فما يُغنى عنّا ما قلت. قال: لا والله، ما وجدتُ غير ذلك، قال: وأمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز؛ وأمر أهله أن يجهّزوه؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تحرّك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أىْ بنيّة، أ أمركم رسول الله بأن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهّزْ، قال: فأين ترينَه يريد؟ قالت: والله ما أدرى. ١٦٢٥/١

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس[1] أنه سائر إلى مكة؛ وأمرهم بالجدّ والتهيّؤ[2]، وقال: اللهمّ خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نَبْغَتَها[3] فى بلادها.

فتجهّز الناس، فقال حسان بن ثابت الأنصارى يُحرّضُ الناس، ويذكر مصابَ رجال خُزاعة:

---

(١) و: «العباس».
(٢) س: «والانكماش».
(٣) نبغتها، من البغتة؛ وهى المفاجأة.

أَتانِي ولم أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ رجالُ بنى كعب تُحَزُّ رقابُها[١]

بأيدى رجالٍ لم يَسُلُّوا سيوفَهمْ وقتلَى كثيرٌ لم تُجَنَّ ثيابُها[٢]

ألا ليت شعرى هل تَنالنّ نُصْرَتِى سُهَيْلَ بنَ عمرو حرُّها وعقابُها[٣]!

وصفوانَ عَوْدًا حُزّ من شُفُر اسْتِهِ فهذا أَوانُ الْحَرْبِ شُدّ عصَابُها

فلا تأمننّا يابن أمِّ مُجَالدٍ إذا احتُلبتْ صِرْفًا وأعصَلَ نابُها[٤]

فلا تجْزَعوا منها فإنّ سيوفنا لَهَا وقعة بالموْت يُفْتَحُ بابُها[٥]

١/١٦٢٦

وقول حسان :

* بأيْدِى رِجَالٍ لَمْ يَسُلّوا سُيوفَهمْ *

يعنى قريشًا . وابن أمّ مجالد ، يعنى عِكْرِمة بن أبى جهل[٦]

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوة بن الزُّبير وغيره من عُلمائنا ، قالوا : لما أجمَع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسير[٧] إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بَلْتَعة كتابًا إلى قُريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسولُ الله من الأمر فى السَّيْر إليهم ؛ ثمّ أعطاه امرأة — يزعُم محمد بن جعفر أنها من مُزَيْنة ؛ وزعم غيرُه أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب[٨] — وجعل لها جُعْلاً على أن تُبَلّغه قريشًا . فجعلَتْه فى رأسها ، ثم فتلتْ عليه قُرونها ، ثم خرجتْ به . وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء بما صنع حاطبٌ ؛ فبعث علىّ بن أبى طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدْركا امرأةً

---

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغبنا فلم نشهد ببطحاء مكة » ، وفى ابن هشام : « عنانى ولم أشهد » .

(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .

(٤) الديوان : «إذا لحقت حرب وأعصل نابها » .

(٥) موضع هذا البيت فى الديوان :

وَلَوْ شَهِدَ البَطْحَاءَ مِنَّا عِصَابَةٌ لَهَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَاكَ ضِرَابُها

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ — ٢٦٦ .

(٧) س والتفسير وابن هشام : « السير » . (٨) « لبنى المطلب » .

قد كتب معها حاطب بكتاب[١] إلى قريش ، يحذّرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ؛ فخرجا[٢] حتى أدركاها بالحُليفة ، حُليفة[٣] ابن أبى أحمد ؛ فاستنزلاها ، فالتمسا فى رَحْلها ، فلم يجدا شيئًا ، فقال لها علىّ بن أبى طالب : إنّى أحلِفُ[٤] ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخْرِجِنّ إلىّ هذا الكتاب أو لنكشفنّكِ ؛ فلما رأتِ الجِدّ منه ، قالت : أعرِض عنّى ، فأعرض عنها ، فحلّتْ قرونَ رأسِها ، فاستخرجت الكتاب منه[٥] ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطبًا ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرْتُ ولا بدّلْتُ ، ولكنّى كنتُ امرأً ليس لى فى القوم أصلٌ ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهلٌ وولَد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، دعْنى فلأضربْ عنقه ، فإنّ الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعلّ الله قد اطّلع إلى[٦] أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عزّ وجلّ فى حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا ... ﴾[٧] إلى آخر القصة[٨] .

١٦٢٧/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلِم الزّهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم لسفره ؛ واستخلف

---

(١) و : « كتابا » .

(٢) بعدها فى و : « مسرعين » .

(٣) كذا فى ط ؛ على التصغير ؛ وفى ابن هشام : « الخليقة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛ ذكرهما ياقوت .

(٤) ابن هشام والتفسير : « أحلف بالله » .

(٥) ابن هشام : « منها » .

(٦) س : « على » .

(٧) سورة الممتحنة ١ ، ٤ .

(٨) الخبر فى التفسير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على المدينة أبا رُهْم كُلْثوم بن حُصَين بن خلَف الغِفَاريّ ، وخرج لعشر مضيْن من شهر رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْفان وأمَج ، أفطر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظَّهْران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبَّعَتْ سليم ؛ وألَّفَتْ مُزَيْنة[1] وفى كلّ القبائل عدد وإسلام ؛ وأوعَبَ[2] مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلّف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم مَرّ الظهران، وقد عُمّيَت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ ؛ فخرج فى تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحَكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورْقاء ، يتحسسون الأخبار ، هل يجدون خبراً أو يسمعون به[3] !

١/١٦٢٨

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وقد كان فيما حدّثنى محمد بن إسحاق، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ؛ عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سُفيان بن الحارث وعبد الله بن أبى أميّة بن المغيرة قد لَقيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنِيق العُقَاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخولَ على رسول الله، فكلّمته أمّ سلَمة فيهما ، فقالت : يا رسولَ الله، ابن عمك وابن عمّتك وصهرُك ، قال : لا حاجةَ لى بهما ، أما ابنُ عمّى فهتَك عِرْضى ؛ وأما ابنُ عمّتى وصهرى فهو الذى قال بمكة ما قال .

فلمّا خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبى سفيان بُنَىٌّ له فقال : والله ليأذَنَنّ لِى أو لآخُذَنّ بيد بُنَىّ[4] هذا ؛ ثم لنذهبنّ فى الأرض ؛ حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رقّ لهما ؛ ثم أذن لهما ،

١/١٦٢٩

---

(١) سبعت سليم ؛ أى كانت سبعمائة ، وألفت مزينة ، أى كانت ألفا .

(٢) أوعب القوم : خرجوا كلهم للغزو .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام : « بيدى بنى هذا » .

فدخلا عليه ؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله فى إسلامه واعتذاره مما كان مَضَى منه :

لَعَمْرِىَ إِنِّى يومَ أحملُ رايةً لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللّاتِ خَيْلَ محمدِ
لَكَالْمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أظْلَمَ ليلُه فهذا أوانى حينَ أُهْدَى وأَهْتَدِى[1]
وَهادٍ هدانِى غيرَ نفسى ونالنى مع اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ
أَصُدُّ وأَنْأَى جَاهِدًا عن محمدٍ[2] وأُدْعَى ولو لم أنتسبْ من محمّدِ
هُمُ ما هُمُ مَنْ لم يقل بهواهُمُ وإنْ كانَ ذا رَأْىٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ[3]
أُريد لأُرْضِيهِمْ ولستُ بلائطٍ مع القوم مالم أُهْدَ فى كلِّ مَقْعَدَ[4]
فقل لثقيفٍ لا أُريد قتالها وقل لثقيفٍ تلك غَيْرِىَ أَوْعِدِى
وما كنتُ فى الجَيْشِ الذى نالَ عامراً وما كانَ عن جَرَّى لسانى ولا يدِى[5]
قبائل جَاءتْ مِنْ بلادٍ بعيدةٍ نَزائعُ جَاءتْ مِنْ سُهَامٍ وسُرْدَدِ

قال : فزعموا أنه حين[6] أنشد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالنى مع الله من طرّدتُ كلَّ مُطَرَّدِ» ؛ ضَرَبَ النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره ، ثم قال : أنت طرّدتَنى كل مطرّد[7] ! ١٦٣٠/١

وقال الواقدىّ : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى مكّة ، فقائل يقول : يريد قريشًا ، وقائل يقول : يريد هَوازن ، وقائل يقول : يريد ثقيفًا ؛ وبعث إلى القبائل فتخلّفت عنه ؛ ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرّايات حتى قدم قُدَيْدًا ، فلقيته بنو سُلَيم على الخيل والسلاح التامّ ؛ وقد كان عُيينة

---

(١) المدلج : الذى يسير ليلا .
(٢) ط : « جاهد » ، وما أثبته من ابن هشام .
(٣) يفند : يلام ويكذب .
(٤) اللائط : الملصق .
(٥) عن جرى ؛ من جراء .
(٦) س : « لما » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

لِحقَ رسول الله[1] بالعَرْج فى نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسُّقْيَا ، فقال عيينة : يا رسولَ الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام ، فأين تتوجّه[2] يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : حيث شاء[3] الله . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمى عليهم الأخبار ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرّ الظَّهْران ، ولقيه العباس بالسُّقيا ، ولقيه مخرمة بن نوفل بنِيق العُقاب .

* * *

فلما نزل مَرّ الظهران خرج أبُو سفيان بن حرب ومعه حَكيم بن حِزام .

فحدّثنا أبو كريب ، قال : أخبرَنا يُونس بنُ بكَيْر ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكْرمة عن ابن عباس ، قال : لما نزلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صباح قريش[4] ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله فى بلادها ؛ فدخل مكة عَنْوة ؛ إنه لهلاكُ قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم البيضاء ، وقال : أَخرُج إلى الأراك لعلّى أرى حَطّابًا أو صاحب لَبَن ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت صوت أبى سفيان بن حَرْب وحكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون[5] الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كاليوم قطّ نيرانًا ! فقال بُديل : هذه والله نيرانُ خزاعة ، حَمَشَتْها[6] الحرب ! فقال أبو سفيان : خزاعة ألأم من ذلك وأذلّ ! فعرفت صوتَه ، فقلت

١٦٣١/١

(١) و : « برسول الله » .
(٢) و : « يتوجه رسول الله » .
(٣) س : « يشاء » .
(٤) يا صباح كذا ، ويا صباحاه ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغارة .
(٥) الأغانى : « يتجسسون » .
(٦) حمش فلانا : هيجه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبّيك فداك أبى وأمى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ورائى قد دلَف [١] إليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرنى ؟ فقلت : تركب عَجُز هذه البغلة ، فأستأمن لك رسولَ الله ؛ فوالله لئن ظفِر بك ليضربنّ عنقك ، فردفنى فخرجت به أركُض بغلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نحو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إلىّ ، قالوا : عمُّ رسول الله على بَغْلةِ رسول الله ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عَقْدٍ ولا عهد ! ثم اشتدّ نحو النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، وقد أردفتُ [٢] أبا سفيان ؛ حتى اقتحمتُ على باب القبّة ، وسبقت ١٦٣٢/١ عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطىءَ ؛ فدخل عمر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان عدوّ الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعْنى أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسولَ الله ، إنّى قد أجرْتُه ! ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه اليومَ أحدٌ دونى ! فلمّا أكثر فيه عُمَر ، قلت : مهلا يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنه رجل من بنى عبد مناف ؛ ولو كان من بنى عَدِىّ ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبّ إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنى أعلمُ أنّ إسلامَك كان أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنّاه حتى تغدوَ به علىّ بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلمّا أصبح غدا به على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلّم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبى أنت وأمّى ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أنْ لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّى شيئًا ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأنِ لك أن تعلم أنّى

---

(١) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أمّا هذه فنى النفس منها شىء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهّدْ شهادة الحق قبل والله أن تُضرب عنقك ؛ قال : فتشهّد .

١٦٣٣/١ قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهّد أبو سفيان : انصرف يا عباس فاحبِسه عند خَطْمِ[1] الجبل بمضيق الوادى ، حتى تمرّ عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسولَ الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبّ الفخر ، فاجعل له شيئًا يكون فى قومه . فقال : نَعمْ ؛ مَنْ دخل دارَ أبى سفيان فهو آمِنٌ ، ومَنْ دخلَ المسجد فهو آمنٌ ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمنٌ . فخرجت حتى حبستُه عند خَطْمِ الجبل بمضيق الوادى ؛ فمرّت عليه القبائل ، فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليْم ، فيقول : مالى ولسليْم ! فتمرّ به قبيلة ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أسلم ، فيقول : مالى ولأسلَم ! وتمرّ جُهينة ، فيقول : مالى ولجهينة ! حتى مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخضراء ؛ كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المهاجرين والأنصار فى الحديد ؛ لا يُرى منهم إلا الحَدَق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت : هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك عظيمًا . فقلت : ويْحك إنها النبوّة ! فقال : نعم إذاً ، فقلتُ : الحق الآن بقومك فحذّرهم ؛ فخرج سريعًا حتى أتى مكة ، فصرخ فى المسجد : يا معشرَ قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به ! قالوا : فمَهْ ! فقال : مَنْ دخل دارى فهو آمن ، فقالوا : ويحك ! وما تُغْنى عنّا دارك ! فقال : ومَنْ دخل المسجد فهو آمن ، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن[2] .

١٦٣٤/١ حدّثنى عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنى

---

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أى مقدمه ، وفى س : « حطم » بالحاء ؛ وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغانى ٦ : ٣٥٢ — ٣٥٤ ، (طبعة دار الكتب) .

أبى ، قال : حدّثنا ، أبان العطّار قال : حدّثنا هشام بن عروة ، عن عُرْوة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أمّا بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ؟ وبأمر مَنْ أغار ؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما ركب النبىّ بطنَ مَرّ عامداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقّيان رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجّه[1] النبىّ صلى الله عليه وسلم ! إليهم أو إلى الطائف ! وذاك أيام الفتح ؛ واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بُدَيْلَ بن ورقاء ، وأحبّا أن يصحبهما ، ولم يكن غير أبى سفيان وحكيم بن حزام وبُدَيل ؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نؤْتيَنّ من ورائكم ، فإنا لا ندرى مَنْ يريد محمد ! إيّانا يريد ، أو هوازن يريد ، أو ثقيفًا ! وكان بين النبىّ صلى الله عليه وسلم وبين قريش صُلْح يوم الحديبية وعَهْد ومدّة ، فكانت بنو بكر فى ذلك الصلح مع قريش ، فاقتتلتْ طائفة من بنى كَعب وطائفة من بنى بكْر ؛ وكان بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين قريش فى ذلك الصّلح الذى اصطلحوا عليه : « لا إغلال ولا إسلال » ، فأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، فاتّهمت بنو كعب قريشًا ، فمنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ مكة ؛ وفى غزوته تلك لقى أبا سفيان وحكيمًا وبُدَيْلا بمَرّ الظهْران ؛ ولم يشعروا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل مَرّ ، حتى طلعوا عليه ، فلما رأوْه بمَرّ ، دخل عليه أبو سفيان وبُدَيل وحكيم بمنزله بمَرّ الظّهران فبايعوه ، فلمّا بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فأخبِرتُ أنه قال : مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن — وهى بأعلى مكة — ومن دخلَ دارَ حكيم — وهى بأسفل مكة — فهو آمن ، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن . ١٦٣٥/١

وإنّه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عامديْن إلى مكة ، بعث فى أثرهما الزُّبير وأعطاه رايته ، وأمّره على خيل المهاجرين والأنصار

(١) س : « توجه » .

وأمَره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجُون ؛ وقال للزُّبير : لا تبرحْ حيث أمرتُك أن تغرز رايتى حتى آتيَك ؛ ومن ثَمّ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر خالد بن الوليد — فيمن كان أسلم من قُضاعة وبنى سليم وأناس ، إنما أسلموا قُبَيْل ذلك — أن يدخل من أسفَل مكة ؛ وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش . وبنو الحارث بن عبد مناة ومَنْ كان من الأحابيش أمرتْهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة . فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحُدّثت أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلاّ مَنْ قاتلكما ؛ فلمّا قدم خالد على بنى بكْر والأحابيشُ بأسفل مكة . قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجلّ ، ولم يكن بمكّة قتال غير ذلك ؛ غير أنّ كُرْز بن جابر أحد بنى محارب بن فِهْر وابن الأشعر — رجلا من بنى كعب — كانا فى خيل الزبير فسلكَا كَدَاء ، ولم يسلُكا طريق الزّبير الذى سلك ، الذى أمِر به[1] . فقدما على كتيبة من قريش مهبط كَدَاء فقُتِلا . ولم يكن بأعلى مكة من قِبَلِ الزبير قتال ؛ ومن ثمّ قدم النبىّ صلى الله عليه وسلم . وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهلُ مكّة ، وأقام النبىّ صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك . حتى جاءت هَوازن وثَقيف فنزلوا بحُنَيْن .

١٦٣٦/١

وحدّثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم حين فرّق جيشه مِنْ ذى طُوًى . أمر الزبير أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى ؛ وكان الزبير على المُجنِّبَة اليسرى ، فأمر سعد بن عبادة أن يدخُل فى بعض الناس من كَدَاء . فزعم بعضُ أهل العلم أن سعداً قال حين وجه داخلاً : « اليوم يوم المَلحَمَه ، اليوم تُستَحَلّ الحُرْمَه » . فسمعها رجلٌ من المهاجرين . فقال : يا رسولَ الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما نأمن أن تكون له فى قريش صَوْلة ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب : أدركْه فخُذ الراية ، فكن أنتَ الذى تدخُل بها[2] .

---

(١) : « أمره » .   (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح فى حديثه ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط أسفلَ مكة ، فى بعض الناس ؛ وكان خالد على المجنِّبة اليمنى ، وفيها أسلم وغِفار ومُزَيْنة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجرّاح بالصَّفّ من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذاخِر ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضُرِبَتْ هنالك قبّتُه[1]. ١٦٣٧/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح وعبد الله بن أبى بكر ، أنّ صفوان بن أميّة ، وعِكْرمة ابن أبى جَهْل ، وسُهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناسًا بالخندمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حِماسُ بن قيس بن خالد أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحًا قبل أن يدخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ويُصلح منها ، فقالت له امرأته : لماذا تعِدّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم ، فقال :

إنْ تُقبلوا اليومَ فمالى عِلّهْ هذا سلاحٌ كامل وألّهْ[2]
* وذُو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلّهْ[3] *

ثم شهد الخَنْدمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلمّا لقيَهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوَشُوهم شيئًا من قتال ، فقُتِل كُرْزُ ابن جابر بن حِسْل بن الأجَبّ بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضَبِيس ١٦٣٨/١

---

(١) ابن هشام : « ثم قال » . (٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .
(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حرام بن حبتشية بن كعب بن عمرو ؛ حليف بنى منقذ — وكانا فى خيل خالدبن الوليد ، فشذّا عنه ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً — قُتل خُنيس قبل كُرْز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجليه ؛ ثم قاتل حتى قُتِل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمتْ صفراء من بنى فِهرْ[1] نَقِيّةُ الوَجْهِ نَقِيّةُ الصَّدرْ
* لأضربنّ اليومَ عن أبِي صَخرْ *

وكان خُنيس يكنى بأبى صَخْر ؛ وأصيب من جُهينةَ سلَمة بن الميْلاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناسٌ قريب من اثنى عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا ، فخرج حِماس منهزماً ؛ حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى علىّ بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

١٦٣٩/١

إنك لو شهدتِ يوم الخَنْدَمَهْ إذْ فرّ صفوان وفرّ عِكْرِمَهْ
وابو يزيدَ قائمٌ كالمؤتِمهْ[2] واستقبلتهم بالسيوفِ المُسْلِمَهْ
يَقطعنْ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ضَرْباً فلا تَسْمَعُ إلاّ غَمْغَمَهْ[3]
لهم نَهِيتٌ خَلْفَنَا وهَمْهَمَهْ[4] لم تَنطِقِى فى اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَهْ[5]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد عهِد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألاّ يقتلوا أحداً إلاّ من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد فى نَفر سمّاهم ؛ أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

---

(١) قال السهيلى : « أشار بقوله : « صفراء » ، إلى صفرة الخلوق » .
(٢) قوله : « وابو يزيد » ، بقلب الهمزة من « أبو » ألفا ساكنة ؛ وهو سهيل بن عمرو خطيب قريش . المؤتمة : المرأة التى لها أيتام ؛ والأعرف فيها مؤتم مثل مطفل . وفى ط : « كالمأتمة » ، والصواب ما أثبته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .
(٣) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .
(٤) النهيت : صوت فى الصدر ، والهمهمة مثله .
(٥) الخبر والرجز فى ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

ابن أبي سَرْح بن حُبَيْب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤيّ — وإنما أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدّ مشركًا ، ففرّ إلى عُثْمانَ ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيّبه حتى أتى به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد أن اطمأنّ أهلُ مكة، فاستأمن له رسول الله ، فذُكِر أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صَمَتَ طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ ١٦٤٠/١ فلمّا انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حولَه من أصحابه: أما والله لقد صمتّ ليقومَ إليه بعضُكم فيضرب عنقه ! فقال رجلٌ من الأنصار : فهلاّ أومأتَ إليّ يا رسول الله ! قال: إن النبيّ لا يقتُل بالإشارة — وعبد الله بن خَطَل، رجلٌ من بني تيم بن غالب — وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلمًا ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدّقًا[1] ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ؛ وكان معه مولًى له يخدُمُه، وكان مسلمًا ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح لَه تيْسًا ، ويصنع له طعامًا ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئًا ، فعدَا عليه فقتله ، ثم ارتدّ مشركًا ؛ وكانت له قينتان : فرتنى وأخرى[2] معها ، وكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأمر بقتلهما معه — والحويرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد بن قصيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيَس بن صُبَابة — وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاريّ الذى كان قتل أخاه خطأً ، ورجوعه إلى قريش مرتدًّا — وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبدالمطلب؛ وكانت ممن يُؤذيه بمكة . فأما عِكْرمة بن أبي جهل فهرَب إلى اليمن ؛ وأسلمت امرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسولَ الله فأمّنه؛ فخرجت في طلبه حتى أتتْ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان عِكْرمة يحدّث — فيما يذكرون — أنّ الّذى ردّه إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول : أردت ركوبَ البحر لألحقَ بالحبشة ، فلما أتيتُ السفينة لأركبها ١٦٤١/١ قال صاحبها: يا عبد الله ، لا تركب سفينتي حتى تُوَحّدَ اللهَ ، وتخلع ما دونه من الأنداد ، فإني أخشى إن لم تفعل أن نَهلِك فيها ، فقلت: وما يركبه أحدٌ

---

(١) مصدقا : جامعا للصدقات .

(٢) ابن هشام : « وصاحبتها » .

حتى يوحِّد الله ويخلع ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص . قال : فقلت : ففيم أفارق محمداً ! فهذا الذى جاءنا به ، فوالله إنّ إلهنا فى البحر لإلهُنا فى البرّ ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل فى قلبى . وأما عبد الله ابن خَطَل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومىّ وأبو برزة الأسلمىّ، اشتركا فى دمه، وأما مقيَس بن صُبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله؛ رجل من قومه، فقالت أخت مِقيَس :

لَعَمْرِى لَقَدْ أَخزى نُمَيْلةُ رهْطَهُ وفَجَّعَ أضيافَ الشتَاء بمقيَسِ

فللهِ عَيْنَا مَن رأى مثلَ مِقْيَسٍ إذَا النُّفَسَاءُ أصبَحَتْ لم تُخَرَّسِ[1]!

وأما قينتَا ابن خَطَل فقتِلت إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمِن لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمّنها . وأما سارَة ، فاستؤمِنَ لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسًا له فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقَيْذ ، فقتله علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه[2] .

١٦٤٢/١ وقال الواقدىّ : أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقتل ستة نفر وأربع نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سمّاه ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عُتْبة ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارَة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقُريبَة ؛ قتلت يومئذ ، وفَرتَنَى عاشت إلى خلافة عثمان .

حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى ابن الوجيه ، عن قتادة السَّدوسىّ ؛ أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قام قائمًا حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحدَه ، لا شريك له ،

---

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسة ، بضم الخاء ؛ وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ .

صَدَقَ وعدَه، ونصر عبدَه، وهزم الأحزاب وحدَه. ألا كلّ مأثرة[١]، أو دم، أو مال يُدّعى؛ فهو تحت قدمَيَّ هاتين إلا سِدانة[٢] البيت وسقاية الحاجّ. ألا وقتيلُ الخطإ مثل[٣] العَمْد؛ السوط[٤] والعصا، فيهما الديَة مغلّظة [مائة من الإبل][٥]، منها أربعون في بطونها أولادها.

يا معشر قريش؛ إنّ الله قد أذهب عنكم نَخْوة الجاهليّة وتعظُّمَها بالآباء. الناسُ من آدَمَ؛ وآدم خلق من تراب. ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ....﴾[٦] الآية.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة؛ ما تُرَوْن أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريمٌ وابن أخ كريم. ثم قال: اذهبُوا فأنتم الطُّلَقاء[٧].

١٦٤٣/١ فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عَنْوة، وكانوا له فيْئًا، فبذلك يسمّى أهلُ مكة الطلقاء. ثمّ اجتمع الناس بمكّة لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فجلس لهم — فيما بلغني — على الصَّفَا وعمر بن الخطاب تحت رسول الله أسفلَ من مجلسه يأخذ على الناس. فبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة لله ولرسوله — فيما استطاعوا — وكذلك كانت بيعتُه لمن بايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من الناس على الإسلام. فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرّجال بايعَ النساء، واجتمع إليه نساءٌ من نساء قريش؛ فيهنّ هند بنت عُتْبة، متنقّبة متنكّرة لحدَثها وما كان من صنيعها بحمزة[٨]، فهي تخاف أن يأخذَها رسولُ الله صلى الله

(١) المأثرة: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس.
(٢) سدانة البيت: خدمته
(٣) ابن هشام: «شبه».
(٤) ابن هشام: «بالسوط والعصا».
(٥) من ابن هشام.
(٦) سورة الحجرات ١٣.
(٧) الخبر إلى هنا في ابن هشام ٢: ٢٧٤.
(٨) س: «لحمزة».

عليه وسلم بحدّثها ذلك ، فلما دنوْنَ منه ليبايعنَه قال، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني —: تبايعْننَنِي على ألاّ تشركْن بالله شيئًا ! فقالت هند: والله إنّك لتأخذعلينا أمرًا ما تأخذه على الرّجال وسنؤتيكه، قال: ولا تسرقْنَ ، قالت : والله إن كنتُ لأصيب من مال أبي سفيان الهنَة والهنَة ، وما أدرى أكان ذلك حلاًّلِي أم لا ! فقال أبو سفيان — وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه فى حِلّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإنّكِ لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عمّا سلف عفا الله عنك ! قال : ولا تزنينَ ، قالت : يا رسولَ الله ، هل تزنى الحرّة ! قال : ولا تقتلْنَ أولادَكُنّ ، قالت : قد ربّيْناهم صغاراً، وقتلتَهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرَب[1]. ١/١٦٤٤ قال : ولا تأتينَ ببهتان تفترينَه بين أيديكُنّ وأرجلكُنّ ، قالت : والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينني فى معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلسَ ونحن نريد أن نعصيكَ فى معروف، فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهنّ واستغْفر لهنّ رسولَ الله ، فبايعهنّ عُمر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُصافحُ النساء ، ولا يمسّ امرأة ولا تمسّه إلاّ امرأة أحلّها الله له ، أوذاتَ مَحْرَمٍ منه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أنّ بيعة النساء قد كانت على نحويْن — فيما أخبره بعض أهل العلم — كان يوضَع بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهنّ وأعطيْنَه غمسَ يدَه فى الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساءُ أيديهنّ فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهنّ ، فإذا أعطينَه ما شرط عليهنّ ، قال : اذهبْنَ فقد بايعتُكنّ ، لا يزيد على ذلك .

* * *

قال الواقدىّ : فيها قتل خِراشُ بن أميّة الكعبيّ جُنَيْدبَ بن الأدْلع

(١) استغرب ، معلوماً ، ومجهولا : بالغ فى الضحك .

الهُذلىّ — وقال ابن إسحاق: ابن الأثْوَع الهذلىّ — وإنما قتله بذَحْل، كان فى الجاهليّة، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: إنّ خراشًا قتّال؛ إن خراشًا قتّال! يَعيبُه بذلك، فأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم خُزاعةَ أن يَدُوه.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير — قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلّا وقد حدّثنى عن عروة بن الزبير — قال: خرج صَفْوان بن أميّة يريد جُدّة، ليركب منها إلى اليمن[1]، فقال عُمير بن وهب، يا نبىّ الله، إنّ صفوان بن أميّة سيّد قومه، وقد خرج هاربًا منك ليقذف نفسه فى البحر؛ فأمِّنْه صلّى الله عليك! قال: هو آمِنٌ، قال: يا رسول الله، أعطِنى شيئًا يعرف به أمانك؛ فأعطاه عِمامته التى دخل فيها مكة؛ فخرج بها عُمير حتى أدركه بجُدّة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: ياصفوان، فِداك أبى وأمى! أذكّرك اللهَ فى نفسك أن تُهْلِكَها! فهذا أمانٌ من رسول الله قد جئتك به، قال: ويلك! اغرُبْ عنّى فلا تكلّمنى! قال: أىْ صفوان! فداك أبى وأمّى! أفضلُ الناس، وأبرّ الناس، وأحلمُ الناسُ، وخيرُ الناس، ابن عمّتك، عزُّه عِزّك، وشرفه شرفك، ومُلْكه ملكك! قال: إنّى أخافه على نفسى، قال: هو أحلَمُ من ذلك وأكرمُ؛ فرجع به معه، حتى قدِم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صَفْوان: إنّ هذا زعم أنك قد أمّنْتَنى، قال: صدق، قال: فاجعلنى فى أمرى بالخيار شهريْن، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر[2]. ١٦٤٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن الزّهرى، أنّ أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختةَ بنت الوليد — وكانت فاختة عند صفوان بن أميّة، وأمّ حكيم عند عكرمة بن أبى جهل — أسلمتا، فأمّا أمّ حكيم فاستأمنت رسولَ الله لعِكْرمة بن أبى جهل، فآمنه، فلحقت به باليمن، فجاءَتْ به؛ فلمّا أسلم عِكْرمة وصفوان، أقرّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النّكاح الأول[3]. ١٦٤٦/١

(١) س: «البحر».
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٦.
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٨.

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ؛ لما دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكّة هرب هبَيْرَةُ بن أبي وهب المخزوميّ وعبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى إلى نَجْران .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاريّ ؛ قال : رمَى حسّانُ عبدَ الله بن الزِّبَعْرى وهو بنجْران ببيت واحد ، ما زاده[1] عليه :

لاتَعْدَمَنْ رجلا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرانَ فى عَيْشٍ أَحَذَّ لئيم[2]

فلما بلغ ذلك ابنَ الزِّبعرَى ، رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسولَ المليكِ إنَّ لسانِى راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ[3]
إذْ أُبارِى الشيطانَ فى سَنَنِ الرِّيـ ـحِ ومَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ[4]
آمَنَ اللَّحْمُ والعِظَامُ لرَبِّى ثم نفسى الشهيدُ أنْتَ النَّذِيرُ
إنَّنى عنكَ زاجِرٌ ثَمَّ حَيًّا[5] من لؤَيٍّ فكُلُّهم مَغْرُورُ

١/١٦٤٧

وأما هُبيرة بن أبى وَهْب ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلامُ أمّ هانئ بنت أبى طالب وكانت تحته ، واسمها هند :

أشَاقَتْكَ هِنْدٌ أم نَآكَ سؤَالُها كَذَاكَ النَّوَى أسبابُها وانفتالُها[6]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان جميعُ مَنْ شهد فتح مكّة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومِن مُزينة ألف وثلاثة نفر ، ومن بنى سُلَيْم

(١) س : « زاد » .
(٢) عيش أحذ : قليل منقطع .
(٣) بور : هالك .
(٤) ابن هشام : « سنن الغى » ، والسنن : وسط الطريق . ومثبور : هالك .
(٥) كذا فى ابن هشام : وفى ط « إننى عنك ناهى . . . » .
(٦) فى أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر فى السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بنى تميم وقيس وأسد[١] .

* * *

قال الواقدىّ : فى هذه السنة تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مايكة بنت داود الليْثيّة ، فجاء إليها بعضُ أزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستحيين حين تزوّجين رجُلا قتل أباك ! فاستعاذت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثة ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أباها يوم فتح مكة .

* * *

١٦٤٨/١ قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العُزّى ببطن نَخْلة ، لخمس ليال بقينَ من رمضان ؛ وهو صنمٌ لبنى شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بنى هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزّى ، يقولون : هذا صَنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرأيتَ شيئًا ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدِمْه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيتَه ، وكسر الصنم ، فجعل السادنُ يقول : أعُزّى اغضَبى بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشيّة عريانةٌ مُوَلْوِلَة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك، فقال : تلك العزّى، ولا تعبَدُ العُزّى أبداً .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العُزّى — وكانت بنخلة ، وكانت بيتًا يعظّمه هذا الحىّ من قريش وكنانة ومُضر كلّها ؛ وكانت سَدَنَتُها من بنى شيبان ، من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم — فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علّق عليها سيفَه ، وأسند[٢] فى الجبل الذى هى إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أيا عَزَّ شُدِّى شَدَّةً لا شَوَى لها على خَالدٍ ألقِى القِناعَ وشَمِّرِى[٣]
ويا عُزَّ إن لم تَقْتُلِى اليومَ خَالِداً فَبُوئى بإثمٍ عَاجِلٍ أوتنصَّرِى[٤]

---

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) أسند فى الجبل : ارتفع فيه .
(٣) لا شوى لها ؛ أى لا تبق على شىء .
(٤) بوئى : ارجعى .

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]

* * *

قال الواقدىّ: وفيها هُدِم سُواع؛ وكان برُهاط لهذيل، وكان حَجَرًا؛ وكان الذى هدّمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصّنم، قال له السّادن: ما تريد؟ قال: هَدْم سُواع، قال: لا تطيق تهدمُه، قال له عمرو بن العاص: أنتَ فى الباطل بعد! فهدمه عمرو، ولم يجد فى خزانته شيئًا، ثم قال عمرو للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت والله.

١٦٤٩/١

وفيها هدم مناة بالمشلّل، هدمه سعد بن زيد الأشهلىُّ، وكان للأوس والخزرج.

* * *

[مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جَذِيمة، وكان من أمره وأمرهم ما حدّثنا به ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، قال: قد كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ؛ ولم يأمرهم بقتال؛ وكان ممّن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تِهامة داعيًا، ولم يبعثه مقاتِلاً؛ فوطئ بنى جذيمة، فأصاب منهم.

حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمّد بن إسحاق، عن حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنَيف، عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين، قال: بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين افتتح مكة خالدَ بن الوليد داعيًا ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب: سُلَيم ومُدْلِج، وقبائل من غيرهم؛ فلمّا نزلوا على الغُمَيْصاء — وهى ماء من مياه بنى جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة — على جماعتهم، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا فى الجاهلية عَوْف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة — وكانا أقبلا تاجرين من اليمن — حتى إذا نزلا بهم قتلوهما؛ وأخذوا أموالهما، فلمّا كان الإسلام، وبعث

١٦٥٠/١

(١) سيرة بن هشام ٢ : ٢٨٦ .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد ، سار حتّى نزل ذلك الماء ؛ فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإنّ الناس قد أسلموا[1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ أهل العلم ، عن رجل من بنى جُذيمة ، قال : لما أمرَنا خالدٌ بوضع السّلاح ، قال رجل منّا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جذيمة! إنّه خالد! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، ثمّ ما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ؛ والله لا أضع سلاحى أبدًا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفِك دماءنا ! إنّ الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمِن الناس ؛ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكُتِفُوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل مَنْ قتَل منهم . فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السّماء ، ثم قال : اللهمّ إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثم دعا علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : يا علىّ اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميْك . فخرج حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، فودَى لهم الدماء وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه ليَدِى ميلغَةَ[2] الكلب ؛ حتى إذا لم يبقَ شىء من دم ولا مال إلاّ ودّاه ، بقيتْ معه بقيّة من المال . فقال لهم علىٌّ عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقىَ لكم دم أو مال لم يودَ إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنّى أعطيكم هذه البقيّة من هذا المال احتياطاً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ممّا لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثمّ رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائمًا شاهراً يديه ؛ حتى إنه ليُرى بياضُ

١/١٦٥١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٢) الميلغة : شىء يحفر من خشب ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وأهل البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهمّ إنّى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات !

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض مَنْ يَعْذِرُ خالداً : إنه قال: ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حُذافة السهمىّ ، وقال : إنّ رسولَ الله قد أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جَحْدم قال لهم حين وضعوا سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضّرب ، قد كنت حذّرتكم ما وقعتم فيه [1] !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى سلَمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد و بين عبدالرحمن ابن عوف — فيما بلغنى — كلام فى ذلك ، فقال له: عملت بأمر الجاهليّة فى الإسلام ! فقال: إنّما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ! قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك إنما ثأرت بعمّك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان بينهما شىء [2] ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: مهلا يا خالد ! دع عنك أصحابى ؛ فوالله لو كان لك أحُدٌ ذهبًا ثم أنفقتَه فى سبيل الله ؛ ما أدركت غَدْوةَ رجل من أصحابى ولا رَوْحته [3]. ١٦٥٢/١

حدّثنا سعيد بن يحيى الأموىّ ، قال : حدّثنا أبى . وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ؛ جميعًا عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَريق، عن ابن شهاب الزهرىّ ، عن ابن عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمىّ ، عن أبيه عبد الله بن أبى حَدْرد ، قال : كنتُ يومئذ فى خَيْل خالد ، فقال لى فتى منهم — وهو فى السبى ؛ وقد جُمِعت يداه إلى عنقه برُمّة [4] ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى ! قلت : نعم ؛ قال : هل أنتَ آخذٌ بهذه الرُّمة فقائدى بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضىَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٢) ابن هشام : « شرّ » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .
(٤) الرمة : الحبل البالى .

إليهنّ حاجة ، ثم تَرُدّنى بعد ، فتصنعوا بى ما بدا لكم؟ قال: قلت : والله لَيسيرٌ ما سألت ، فأخذت برُتّـه فقدْتُه بها حتى أوقفته عليهنّ ، فقال : اسلمى حُبَيْش[1] ، على نَفَد العيش[2] :

أرَيْتكِ إذْ طالبْتكم فوجَدْتُكم بحَلْيَةَ أو ألْفيتكمْ بالخَوانقِ! ١/١٦٥٣
ألم يَكُ حَقًّا أن يُنوَّلَ عاشقٌ تَكَلّفَ إدْلاجَ السُّرى والوَدائقِ[3]!
فلا ذَنْبَ لى قد قُلْتُ إذْ أهْلُنا معاً أثيبى بوُدٍّ قَبْلَ إحدَى الصَّفائقِ![4]
أثيبى بوُدٍّ قبل أن تَشْحَطَ النَّوَى ويَنْأَى الأميرُ بالحبيب المفارقِ[5]
فإنّىَ لاسِرًّا لَدَىَّ أضَعْتُه ولا راق عَيْنى بعد وَجهِك رائقُ
عَلَى أنّ ما نابَ العَشيرَةَ شاغِلٌ ولا ذِكْرَ إلاّ أن يكون لوامقِ

قالت : وأنت فحُيّيتَ عشراً، وسبْعًا وِتْراً، وثمانيًا تَترَى[6]! ثم انصرفتُ به ، فقدّم فضُرِبت عنقه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى فِراس بن أبى سُنْبُلة الأسلمىّ؛ عن أشياخ منهم ، عمّن كان حضرها، قالوا: قامت إليه حين ضُرِبت عنقه ، فأكبّتْ عليه ، فما زالت تُقَبّلُهُ حتى ماتت عنده .

حدّثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة . ١/١٦٥٤

* * *

قال ابنُ إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقِينَ من شهر رمضان سنة ثمانٍ .

* * *

(١) حبيش : مرخّم حبيشة . (٢) على نفد العيش ؛ يريد على تمامه .
(٣) الإدلاج : السير ليلا . والودائق : جمع وديقة ؛ وهى شدة الحر فى الظهيرة .
(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .
(٥) تشحط : تبعد . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بحنين

وكان من أمْر رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأمْر المسلمين وأمْرِ هوازن ما حدّثنا عليّ بن نصر بن عليّ الجَهضميّ وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال عليّ: حدّثنا عبد الصّمد ، وقال عبد الوارث: حدثنا أبي — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عروة ، عن عُروة ، قال : أقام النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكّة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك ؛ حتى جاءت هوازن وثَقيف ، فنزلوا بحُنين — وحنين واد إلى جنب ذى المجاز — وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرَج رسول الله من المدينة ، وهم يظنّون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلمّا أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلتْ هَوازِن عامدين إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال — ورئيس هَوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بنى نصر — وأقبلت معهم ثَقيف ؛ حتى نزلوا حُنَيْنًا يريدون النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فلما حُدِّث النبيّ وهو بمكّة أنْ قد نزلت هوازن وثقيف بحنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بنى نصر — وهو رئيسهم يومئذ — عمَد النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى قدِم عليهم ، فوافاهم بحُنَين ، فهزمهم الله عزّ وجلّ ، وكان فيها ما ذكر الله عزّ وجلّ فى الكتاب ؛ وكان الذى ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنّمها الله عزّ وجلّ رسولَه ، فقسّم أموالَهم فيمن كان أسلم معه من قريش . ١٦٥٥/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما سمعتْ هوازِن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما فتح الله عليه من مكة ؛ جمعها مالك بن عوف النَّصريّ ؛ واجتمعت إليه مع هَوازن ثَقيف كلّها ، فجُمعت نصر وجُشَم كلّها وسعد بن بكر وناس من بنى هلال ؛ وهم قليل ، ولم يشهدها من قَيْس عَيْلان إلاّ هؤلاء ، وغابت عنها فلم يحضرها من هَوازن كعب ولا كلاب ؛ ولم يشهدها منهم أحدٌ له اسمٌ ، وفى جُشَم دُرَيْد بن

الصِّمَّة شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرْب ، وكان شيخًا كبيراً مجرَّبًا ؛ وفى ثقيف سيّدان لهم فى الأحْلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث فى بنى هلال ، وجِمَاع أمرِ الناس إلى مالك بن عوف النصرىّ .

فلمّا أجمَع مالك المسيرَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس ١/١٦٥٦ أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلمّا نزل بأوْطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دُرَيد بن الصِّمَّة فى شِجَار[1] له يُقَادُ به ؛ فلما نزَل قال : بأىّ وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوْطاس . قال : نعم مجالُ الخيل ! لا حَزْن ضَرِس[2] ، ولا سَهْل دَهِس[3] ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، ويُعار الشاء[4] ، وبكاء الصغير ! قالوا : ساقَ مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدُعِى له ، فقال : يا مالك ، إنَّك قد أصبحتَ رئيس قومك ؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سُقْتُ مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل خَلْف كلّ رجل أهلَه وماله ليقاتل عنهم ؛ قال : فأنقضَ به[5] ثم قال : راعى ضأن[6] والله ! هل يردّ المنهزمَ شىء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلاّ رجلٌ بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ فى أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الجِدُّ والحدُّ ؛ لو كان يوم عَلاء ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكلاب ؛ ولوَددت أنكم فعلتم ما فعلتْ كعب وكلاب ؛ فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذانك الجَذَعان[7] من بنى عامر ! لا ينفعان ولا

---

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والضرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب .

(٤) الأغانى : « ثغاء الشاء » .

(٥) أنقض به ، أى زجره .

(٦) فى الأغانى : « أى أحمق » .

(٧) الجذع : الشاب الحدث .

١٦٥٧/١ يضرّان، يا مالك إنّك لم تصنع بتقديم البَيْضة ؛ بيضة هوازن، إلى نُحور الخيل شيئًا ، ارفعهم إلى متمنّع[1] بلادهم وعُلْيا قومهم ؛ ثم الق الصبّاء[2] على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحْرزتَ أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرتَ وكَبِرَ علمك ؛ والله لتطيعُنّني يا معشرَ هوازن أو لأتّكِئَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ ورأىٌ . قال دُريد بن الصمّة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يَفُتْنى :

يا ليْتَنى فيهـــا جذَعْ أخُبّ فيها وَأضَعْ [3]
أقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كأنّها شَاةٌ صَدَعْ [4]

وكان دُريد رئيسَ بنى جُشَم وسيّدهم وأوسطهم ؛ ولكن السنّ أدركته حتى فَنِيَ — وهو دُريد بن الصّمة بن بكر بن علْقمة بن جُدَاعة بن غَزِيّة
١٦٥٨/١ ابن جُشَم بن معاوية بن بكْر بن هوازن — ثم قال مالك للناس : إذا أنتم رأيتم القومَ فاكسرُوا جفونَ سيوفكم ، وشُدّوا شَدّةَ رجل واحد عليهم [5].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أميّة ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدّث أن مالك بن عوف بعث عيونًا من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرّقت أوصالُهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضًا على خيل بُلْق ؛ فوالله ما تماسَكْنا أن أصابنَا ما ترى! فلم ينهَهُ ذلك عن وجهه ؛ أن مضى على ما يريد[6] .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث

---

(١) الأغانى : « أعلى بلادهم » .
(٢) الصباء : جمع صابئ ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبئوا من دينهم ، أى خرجوا .
(٣) الخبب والوضع : ضربان من السير .
(٤) الوطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذى فوق مربط الدابة .
(٥) الخبر فى ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغانى ١٠ : ٣٠ — ٣٢ (طبع دار الكتب) .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبدَ الله بن أبى حَدْرد الأسلمىّ ، وأمره أن يدخلَ فى الناس فيُقيم فيهم حتى يأتيَه بخبر منهم ؛ ويعلم مِنْ علمهم . فانطلق ابن أبى حَدْرد ، فدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حَرْب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمرَ هوازن وما هم عليه . ثم أتى رسولَ الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب ، فأخبره خبرَ ابن أبى حَدْرد ، فقال عمرُ : كذب ! فقال ابن أبى حَدْرد : إنْ تكذّبْنى فطالَما كذّبْتَ بالحقّ يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمعُ يا رسول الله إلى ما يقول ابن أبى حَدْرد ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : قد كنتَ ضالاًّ فهداك الله يا عمر[1] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن حسين ، قال : لما أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم السَّيْرَ إلى هَوازن ليلقاهم ، ذُكِر له أنّ عند صفوان بن أميّة أدراعًا وسلاحًا ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أميّة — وهو يومئذ مشرك : أعِرْنا سلاحك هذا نلْق فيه عدوّنا غداً . فقال له صفوان : أغَصْبًا يا محمد! قال : بل عارِيّة مضمونة حتى نؤدّيَها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة دِرْع بما يصلِحُها من السلاح ؛ فزعموا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيَه حَمْلها ففعل[2] . ١/١٦٥٩

قال أبو جعفر محمد بن علىّ : فمضت السنّة أن العاريّة مضمونة مؤدّاة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكْر ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفًا ، واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَتّابَ بن أسيد ابن أبى العِيص بن أميّة بن عبد شمس على مكّة أميراً على مَنْ غاب عنه من الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن[3] .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه ، قال : لمّا استقبلنا وادى حُنين ، انحدَرْنا فى واد من أودية تِهامة أجوف [1] حَطُوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً — قال : وفى عَماية [2] الصبح ، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادى ، فكَمنوا لنا فى شِعابه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتهيّئوا

١/١٦٦٠ وأعدّوا — فوالله ما راعنا ونحن منحطّون إلاّ الكتائب قد شدّتْ علينا شَدّة رجل واحد؛ وانهزم الناس أجمعون، فانشمروا [3] لا يلوى أحدٌ على أحد ؛ وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ! هلمّ إلىّ ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال: فلا شىء، احتملت الإبل بعضها بعضًا ، فانطلق الناس ؛ إلاّ أنه قد بقىَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممّن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته علىُّ بن أبى طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيْمَن بن عُبيد — وهو أيمن بن أمّ أيمن — وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل ، أمام الناس وهوازن خلْفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ؛ فاتبعوه . ولما انهزم النّاس ، ورأى مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمةَ، تكلّم رجالٌ منهم بما فى أنفسهم من الضِّغْنِ ، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه فى كنانته ؛ وصرخ كَلَدةُ بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أميّة بن

١/١٦٦١ خلَف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك فى المدّة التى جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقال : ألا بطل السِّحْرُ اليوم ! فقال له صفوان: اسكت فَضّ اللهُ فاك ! فوالله لأنْ يَرُبَّنى رجلٌ من قريش أحبُّ إلىّ من أن يَرُبَّنى

(١) أجوف : متسع . (٢) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٣) انشمر الناس : انفضوا وانهزموا .

رجل من هوازن ! وقال شيبةُ بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت :اليوم أدْرِكُ ثأري – وكان أبوه قُتل يوم أحُد – اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسولَ الله لأقتلَه ، فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي فلم أطقْ ذلك ، وعلمت أنه قد مُنع مني (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزّهريّ ، عن كَثِير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنيّ لمعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم آخذٌ بحَكَمَة (٢) بغلته البيضاء ، قد شجرتُها (٣) بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى مِن الناس ما رأى : أينَ أيّها الناس ! فلمّا رأى الناس لا يَلْوُون على شيء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة ! فناديت : يا معشرَ الأنصار ، يا معشر أصحاب السَّمُرة ! قال : فأجابوا : أنْ لبّيك لبّيك ! قال : فيذهبُ الرّجُل منهم يريد ليَثني بعيرَه ؛ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعه فيقذِفها في عُنقه ، ويأخذ سيفه وتُرسه ، ثم يقتحم عن بعيره فيخلّي سبيلَه في الناس ، ثم يَؤمّ الصوت ، حتى ينتهيَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، فكانت الدّعوى أوّلَ ما كانت : ياللأنصار ! ثم جُعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صُبُرًا عند الحرب ؛ فأشرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ركابه ، فنظر مُجتَلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حَمِيَ الوَطِيس (٤) ! ١/١٦٦٢

حدّثنا هارونُ بن إسحاق ، قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام ، قال : حدّثنا إسرائيل ، قال : حدّثنا أبو إسحاق ، عن البَرَاء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقودُ بالنبيّ صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حُنين ، فلمّا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .
(٢) الحكمة محركة : ما أحاط بحنكة بغلته من لجامه .
(٣) شجرتها بها ؛ أي وضمتها في شجرها ؛ وهو مجتمع اللحيين .
(٤) الوطيس : التنور يخبز فيه . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم المشركون ، نزل فجعل يرتجز ، ويقول :

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المطَّلِبْ

فما رُئِيَ من الناس أشدَّ منه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينَا ذلك الرجل من هَوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع ؛ إذ هَوَى له عليّ بن أبي طالب ورجل من الأنصار ، يريدانه ، فيأتيه عليٌّ من خلْفه ، فيضرب عُرْقُوبَيِ الجمل ، فوقع على عَجُزه ، ووثب الأنصاريّ على الرّجل فضربه ضربة أطَنّ قدَمه[1] بنصف ساقه ، فانجعف[2] عن رَحْله . قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتّى وجدوا الأسارَى مكتّفين ؛ وقد التفت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب — وكان ممّن صَبَر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسنَ الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثَفَر[3] بغلته — فقال : من هذا ؟ قال : ابن أمّك يا رسول الله[4] !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكْر ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم التَفَتَ ، فرأى أمّ سُليم بنت مِلْحان — وكانت مع زوجها أبي طلحة — حازمة وسطها ببُرْد لها ؛ وإنّها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيتْ أن يَعُزّها[5] الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزَامته[6] مع الخِطام ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّ سليم ! قالت : نعم ؛

١/١٦٦٣

(١) أطن قدمه : أطارها ؛ وسمع لضربه طنين ؛ أي دويّ .
(٢) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .
(٣) الثفر : السير في مؤخر السرج .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .
(٥) يعزها : يغلبها .
(٦) الخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ! اقتلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أوَ يكفي اللهُ يا أمّ سُليم ! ومعها خنجر في يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذتُه معي ؛ إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بعجتُه به[1]. قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقولُ أمّ سليم يارسول الله![2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثني حمّاد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ابن مالك ، قال : لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحْدَه هو قتلهم[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدّث عن جُبير بن مُطعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثلَ البجَاد[3] الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نملٌ أسود مبثوثٌ قد ملأ الوادي ؛ فلم أشكّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلاّ هزيمة القوم[4]. ١/١٦٦٤

حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سَلمة، عن محمد بن إسحاق، قال : فلمّا انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثَقيف ببني مالك ، فقُتِل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبيِّب ؛ جَدٌ ابن أمّ حكم بنت أبي سفيان ، وكانت رايتهم مع ذي الخِمار ، فلمّا قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لمّا بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قتلُ عثمان ، قال : أبعَدَه الله ! فإنه كان يبغِض قريشاً[4].

---

(١) بعج بطنه : شقه .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .
(٣) البجاد : الكساء .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

حدّثنا عليّ بن سهل ، قال : حدّثنا مؤمّل ، عن عُمارة بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم حُنين على بغلة بيضاء ، يقال لها دُلْدُل ، فلمّا انهزم المسلمون ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبغلته : البُدِى[1] دُلْدُل! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم حفْنَةً من تراب ، فرمى بها فى وجوههم ، وقال: «حم لا يُنْصَرون !». فولّى المشركون مُدْبِرين ، ما ضربَ بسيف ولا طعن برمْح ولا رمى بسهم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال: قتل مع عثْمان بن عبد الله غلام له نَصرانىٌّ أغرلُ[2]. قال : فبينا رجلٌ من الأنصار يستلب قتلَى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبَه ، فوجده أغرل ، فصرخ بأعلَى صوته: يعلم الله أن ثقيفًا غُرْل ما تختتِن ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنّا فى العرب ، فقلت : لا تقُلْ ذلك فداك أبى وأمّى ! إنما هو غلامٌ لنا نصرانىٌّ ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول : ألا تراهم مُختّنين! قال: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلمّا هُزِم الناس أسند رايتَه إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمّه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتَلْ منهم إلاّ رجلان ؛ رجل من بنى غِيَرَة يقال له وهب ، وآخر من بنى كُنّة[3] يقال له: الجُلاح ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلاح : قُتل اليوم سيّد شباب ثقيف ؛ إلا ما كان من ابن هُنَيدة — وابنُ هنيدة الحارث بن أوْس[4] .

١٦٦٥/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوُا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوْطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخْلة — ولم يكن فيمن توجّه نحو نخلة إلاّ بنو غِيَرَة من ثَقيف — فتبعتْ خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مَنْ سلك فى نَخْلة

(١) البدى : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .
(٢) أغرل : غير مختون . (٣) ابن هشام : « كبة » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه : « الحارث بن أويس » .

من الناس ، ولم تتبع مَنْ سلك الثنايا ، فأدرك ربيعةُ بن رُفيع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يَرْبوع بن سَمَّال بن عوْف بن امرئ القيس — وكان يقال له ابن لذْعة[1] وهي أمّه ، فغلبتْ على نسبه — دريدَ بن الصِّمّة ، فأخذ بخطام جمله ؛ وهو يظنّ أنه امرأة ؛ وذلك أنه كان في شِجَارٍ له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به ، وإذا هو بشيخٍ كبير ؛ وإذا هو دُريد بن الصِّمّة ، لا يعرفه الغلام ، فقال له دُريد: ماذا تريد بي ؟ قال: أقتلك ، قال : ومَنْ أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بنُ رفيع السُّلَميّ ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يُغْنِ شيئًا ، فقال: بئسما سلّحتْك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخّر الرّحل في الشّجَار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدّماغ ، فإني كذلك كنت أقتل الرجال . ثمّ إذا أتيتَ أمّكَ فأخبرْها أنك قتلتَ دُريد بن الصّمة ؛ فرُبَّ يومٍ والله قد منعتُ نساءَكِ ! فزعمتْ بنو سُليم أنّ ربيعة قال : لما ضربتُه فوقع تكشف الثوب عنه ، فإذا عِجَانُه وبطون فَخِذَيْه مثل القِرْطاس من ركوب الخيل أعراء[2] ، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثًا[3] . ١٦٦٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في آثار مَنْ توجّه قِبَلَ أوطاس ؛ فحدّثني موسى بن عبد الرحمن الكِنديّ ، قال : حدّثنا أبو أسامة ، عن بُريْد بن عبد الله ، عن أبي بُرْدة ، عن أبيه ، قال : لما قدِم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حُنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوْطاس ، فلقيَ دُرَيْد بن الصِّمّة ، فقتل دريداً ، وهزم الله أصحابه . ١٦٦٧/١

قال أبو موسى : فبعثني مع أبي عامر ، قال : فرُمِيَ أبو عامر في ركْبته ، رماه رجلٌ من بني جُشَم بسهم فأثبتَه في ركبته ، فانتهيت إليه ، فقلت : يا عمّ ، مَنْ رماك ؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى ، فقال : إنّ ذاك قاتلي ، تراه ذلك الذي رماني !

---

(١) ابن هشام : « الدغنة » . (٢) أعراء : جمع عرى وهو الفرس الذي لا يسرج .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ ، والأغاني ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدتُه ، فلحِقْتُه ، فلما رآنى ولَّى عنى ذاهبًا ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحى ! ألستَ عربيًّا ! ألا تثبت ! فكرّ ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ، ثم رجعت إلى أبى عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبَك ، قال : فانزع هذا السهم ، فنزعتُه فنزَا منه الماء ، فقال : يا بن أخى ، انطلق إلى رسول الله ، فأقرِئْه منى السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لى .

قال : واستخلفنى أبو عامر على الناس فمكث يسيراً . ثمّ إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون أن سلَمة بن دُريد ، هو الذى رمى أبا عامر بسهم فأصاب رُكْبته ، فقتله ، فقال سلَمة بن دُريد فى قتله أبا عامر :

إنْ تسْأَلوا عنّى فإنّى سَلَمَهْ ابنُ سَمَادِيرَ لمَنْ توَسَّمَهْ (١)

* أضرِبُ بالسَّيْفِ رءوسَ المُسْلِمَهْ *

وسمادير أمّ سلَمة ، فانتمى إليها .

١/١٦٦٨ قال : وخرج مالك بن عوْف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قَوْمه على ثنيّة من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفوا حتّى تمضى ضُعفاؤكم وتلحق أخراكم ؛ فوقف هنالك حتّى مضَى مَنْ كان لحق بهم من منهزمة الناس (٢) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ بنى سعد بن بكر ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ لخيله التى بعث : إن قدرتم على بِجَاد — رجل من بنى سعد ابن بكر — فلا يفلتنّكم ؛ وكان بجاد قد أحدَث حدثًا ، فلمّا ظفِر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العُزّى ، أخت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنّفوا عليها فى السياق معهم ،

---

(١) توسمه : استدل عليه وعرفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فقالت للمسلمين : تعلمون والله أنّى لأختُ صاحبكم من الرّضاعة ؛ فلم يُصدّقوها حتى أتوْا بها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن أبى وَجْزَة يزيد بن عبيد السعدىّ ، قال : لما انتُهِىَ بالشَّيْماء إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت : يا رسولَ الله ، إنّى أختُك ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عَضّةٌ عَضِضْتَنيها فى ظهرى وأنا متورِّكَتُك . قال : فعرَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءَه ، ثم قال : ها هنا ، فأجلسها عليه ، وخيّرها ، وقال : إن أحببتِ فعندى مُحبّةٌ مكرَّمَةً ، وإن أحببتِ أمتّعْك وترجعى إلى قومك ، قالت : بل تمتعنى وتردّنى إلى قومى ، فمتّعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها ؛ فزعمت بنو سعد بن بكر أنه أعطاها غلامًا له يقال له مكحول ، وجارية ؛ فزوّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نَسْلهما بقيّة[1] . ١٦٦٩/١

قال ابن إسحاق : استشهد يوم حُنَين من قريش ، ثم من بنى هاشم : أيْمَنُ بن عبيد — وهو ابن أمّ أيمن ، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — ومن بنى أسد بن عبد العُزّى يزيد بن زمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد — جَمَحَ به فرسٌ له يقال له الجناح ، فقُتل — ومن الأنصار سُراقة بن الحارث ابن عدىّ بن بلْعجلان ، ومن الأشعريين أبو عامر الأشعرىّ . ثم جُمعت إلى رسول الله سبَايا حُنين وأموالها ؛ وكان على المغانم مسعود بن عمرو القارىّ ، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالسبايا والأموال إلى الجِعْرانة فحبِسَتْ بها[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما قدِمَ فَلّ[3] ثَقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ؛ ولم يشهد حُنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيْلان بن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
(٣) الفل : الجماعة المنهزمون من الجيش .

سلمة ؛ كانا بجُرَش يتعلّمان صنعة الدّباب[1] والضَّبُّور[2] والمجانيق[3].

* * *

[غزوة الطائف]

فحدّثنا علىّ بن نصر بن علىّ ، قال : حدّثنا عبدُ الصمد بن عبد الوارث ، وحدّثنا عبدُ الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدّثنا أبى ، قال : أخبرَنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هِشام بن عُرْوة ، عن عروة ، ١/١٦٧٠ قال : سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين من فوره ذلك — يعنى منصرَفه[4] من حنين — حتى نزلَ الطائفَ ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه ، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحِصْن ؛ لم يخرج إليه فى ذلك أحدٌ منهم ؛ وأسلم مَنْ حولهم من الناس كلّهم ؛ وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودُهم ؛ ثم رجع النبىّ صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلاّ نصفَ شهر حتى نزل الجِعْرانة ؛ وبها السبْى الذى سَبَى رسولُ الله من حُنين من نسائهم وأبنائهم — ويزعمون أنّ ذلك السَّبْىَ الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدّته ستّة آلاف من نسائهم وأبنائهم — فلمّا رجَع النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة ، قدمتْ عليه وفود هَوازِن مُسْلِمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلّهم ، وأهلّ بعُمْرةٍ من الجِعْرانة ؛ وذلك فى ذى القعدة.

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحجّ ، ويعلّم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمّن مَنْ حجّ من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما

---

(١) فى ابن هشام : « الدبابات » قال السهيلى : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها » . وقال أبو ذر الخشنى : « الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بحائط الحصن » .

(٢) قال السهيلى : « الضبور : مثل رءوس الأسفاط ، يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى كتاب العين : الضبور : جلود يغشى بها خشب يتقى بها الحرب » .

(٣) المجانيق : جمع منجنيق ؛ وهى من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ .

(٤) ر : « من منصرفه » .

قدمها قدم عليه وفود ثقيف ، فقاضوه على القضية التى ذكرت ؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذى عندهم كاتبوه عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق عن عمرو بن شعيب ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك إلى الطائف من حنين على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ، فابتنى بها مسجداً ، فصلى فيه ، فأقاد يومئذ ١٦٧١/١ ببحرة الرغاة حين نزلها بدم — وهو أول دم أقيد به فى الإسلام — رجلا من بنى ليث ؛ قتل رجلا من هذيل ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمر رسول الله وهو بلية بحصن مالك بن عوف فهدم ؛ ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة ، فلما توجه فيها ، سأل على اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له : الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخب ؛ حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج ؛ وإما أن نخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه[١] .

ثم مضى رسول الله حتى نزل قريباً من الطائف ؛ فضرب عسكره ، فقتل أناس من أصحابه بالنبل ؛ وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم ، غلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل ، ارتفع ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ؛ فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة[٢] ؛ ومعه امرأتان من نسائه ؛ إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية وأخرى معها — قال الواقدى : الأخرى زينب بنت جحش — فضرب لهما قبتين ، فصلى بين القبتين ما أقام .

---

(١) س : « بإخراجه » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : سبع عشرة ليلة » .

فلما أسلمتْ ثَقيف ، بنَى عَلَى مُصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذلك أبو أميّة بن عمرو بن وهب بن مُعتّب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارِيَةٌ – فيما يزعمون – لا تطلع عليها الشمس يومًا من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض[١] ؛ فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وترامَوْا بالنَّبْل[٢] حتى إذا كان يوم الشدْخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبّابة ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحْمَاةً بالنار ، فخرجوا مِنْ تحتِها ، فرمتهم ثَقيف بالنَّبْل ، وقتلوا رجالا ؛ فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون . ١٦٧٢/١

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شُعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أنْ أمّنُونا حتى نكلّمكم ! فأمّنوهما ؛ فدعَوَا نساءً من نساء قريش وبنى كنانة ليخرُجْن إليهما – وهما يخافان عليهن السِّباء – فأبيْنَ ؛ منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها[٣] .

وقال الواقدىّ : حدثنى كَثير بن زيد ، عن الوليد بن رَبَاح ، عن أبى هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نَوْفل بن معاوية الدّيلى ، وقال : يا نوفل ، ما ترَى فى المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثعلب فى جُحْر ؛ إن أقمت عليه أخذتَه ، وإن تركتَه لم يضرّك . ١٦٧٣/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، قال : قد بلَغنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر بن أبى قحافة ، وهو محاصرٌ ثقيفًا بالطائف : يا أبا بكر ، إنى رأيتُ[٤] أنه أهْديَتْ لى قَعْبةٌ[٥]

---

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) و : « أريت » . (٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْداً ، فنقرَها ديكٌ فأهـَراق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظنّ أن تدْرِك منهم يومك هذا ما تُريد يا رسولَ الله. فقال رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إنّ خَوْلة بنت حَكِيم بن أميّة بن حارثة بن الأوْقص السُّلَمِيّة — وهى امرأة عثمان بن مظعون — قالت : يا رسولَ الله ، أعْطِنِى إن فتح الله عليك الطائف حُلِىَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِىَّ الفارعة بنت عُقَيْل — وكانتا من أحْلَى نساءِ ثقيف — قال : فذكر لى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذنْ لى فى ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرَتْ ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمرُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدّثَتْنيه خويلة أنك قلتَه ! قال : قد قلتُه ، قال : أوَ مَا أذِن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : أفلا أؤَذّنُ بالرّحيل فى الناس ! قال : بلى ؛ فأذّنَ عمر بالرّحيل ؛ فلما استقلّ الناس نادى سعيد بن عُبَيد بن أسيد بن أبى عمرو بن عِلاج الثقفىُّ : ألا إنّ الحىّ مقيمٌ ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجلْ والله مَجَدَةً كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عُيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره[1] ! قال : إنى والله ما جئت لأقاتلَ معكم ثقيفاً ؛ ولكنى أردت أن يفتح محمدٌ الطّائف فأصيب من ثَقيف جارية أتبطّنُها لعلها أن تلد لى رجلاً ؛ فإن ثقيفًا قوم مناكير[2] . (١/١٦٧٤)

واستُشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بنى ليْث ، وأربعة من الأنصار[3] .

* * *

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » . (٢) مناكير : ذوو دهاء .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها]

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثمّ خرجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين انصرف من الطائف على دَحْنا ؛ حتى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قدّم سَبْيَ هوازن حين سار إلى الطّائف إلى الجِعْرانة ، فحُبس بها ؛ ثم أتته وفود هَوازن بالجِعْرانة ؛ وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْى هوازن من النساء والذرارىّ عدد كثير ، ومن الإبِل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يُحْصَى [١] .

١/١٦٧٥ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أتى وفدُ هوازِن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفَى عليك ، فامنُنْ علينا مَنّ الله عليك ! فقام رجل من هوازن — أحدُ بنى سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم — يقال له زهير بن صُرَد ، وكان يكنى بأبى صُرَد — فقال : يا رسولَ الله ؛ إنّما فى الحظائر [٢] عمّاتك وخالاتك وحواضنك [٣] اللاتى كنّ يكفُلْنك ! ولو أننا ملَحْنا [٤] للحارث بن أبى شمِر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل ما نزلتَ به ، رجوْنا عطْفَه وعائدته ، وأنت خير المكفولين ! ثم قال :

امْنُنْ علينا رسولَ اللهِ فى كَرَمٍ فإنّكَ المرْءُ نرْجُوه ونَدَّخِرُ [٥]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الحظائر : جمع حظيرة ؛ وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ؛ وكان السبى فى حظائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعنى اللائى أرضعن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت حاضنته من بنى سعد ابن بكر .

(٤) ملحنا : أرضعنا ، والملح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويروى : « ولو أنا مالحنا » .

(٥) قال السهيلى : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى ؛ وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه » .

امنُنْ علَى بَيْضَةٍ قد عاقَها قدرٌ[١] مُمَزَّقٌ شَمْلُهَا ، فِى دهرِهَا غِيَرُ

فى أبيات قالها[٢] ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسولَ الله ؛ خيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا ، ١/١٦٧٦ بل تردّ علينا نساءنا وأبناءَنا فهم أحبّ إلينا ، فقال : أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطّلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صلّيت بالناس، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيكم عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلمّا صلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالناس الظهر، قاموا فتكلّموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله : أمّا ما كان لِى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أمّا أنا وبنو تميم فلا ، وقال عُيينة بن حصن : أمّا أنا وبنو فزارة فلا ،[و] قال عباس بن مرداس : أمّا أنا وبنو سليم فلا ، قالت[٣] بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله .

قال : يقول العباس لبنى سليم : وهّنتمونى[٤] ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أمّا مَنْ تمسّك بحقه من هذا السبى منكم فله بكلّ إنسان ستّ فرائض من أوّل شىء نُصيبه ، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم[٥] .

* * *

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيد بن عُبَيد السعدىّ أبو وَجْزة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم كان أعطى علىّ بن أبى طالب جاريةً من سَبْى حُنين يقال لها رَيْطة بنت هلال بن حيّان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن ١/١٦٧٧ سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفّان جاريةً يقال لها زينب بنت حيّان بن

(١) كذا فى السهيلى وفى ط : « اعتاقها » .
(٢) ذكرها السهيلى فى الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ .
(٣) ابن هشام : « فقالت » . (٤) وهنتمونى : أضعفتمونى .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حيّان ، وأعطى عمرَ بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر [١] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرَ بن الخطاب جاريةً من سبي هوازن ، فوهبها لى ، فبعثت بها إلى أخوالِي من بنى جُمَح ليُصلِحوا لى منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبَها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجتُ من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدّون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسولُ الله نساءَنا وأبناءَنا ، قال : قلت : تلكمُ صاحبتكم فى بنى جُمَح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عُيينة بن حِصْن فأخذ عجوزاً من عَجائز هَوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها فى الحىّ نسباً ؛ وعسى أن يعظُمَ فداؤها ! فلمّا ردّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم السبايا بستّ فرائض أبى أن يردّها ، فقال له زهير أبو صُرَد : خُذْها عنك ؛ فوالله ما فُوها ببارد ، ولا ثَديُها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا دَرُّها بماكد ، ولا زوجها بواجد [٢] . فردّها بستّ فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أنّ عُيينة لقىَ الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : والله إنك ما أخذتَها بكْراً غريرةً [٣] ، ولا نَصَفاً وثِيرَةً [٤] ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوَفْد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثَقيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكاً أنه إن أتانى مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأُتِىَ مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثَقيفاً على نفسه أن يعلموا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال له ما قال ؛ فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيّئتْ له ، وأمر بفرس له فأُتِىَ به الطائف ؛ فخرج ليلا ، فجلس على فرسه فركضَه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبَس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجِعْرانة — أو

١٦٧٨/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ . (٢) واجد : حزين ، والماكد : الغزير .
(٣) الغريرة : الصغيرة السن من النساء . (٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة ــ فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسُن إسلامه[١].

واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى مَن أسلم من تلك القبائل حولَ الطائف : ثُمالة وسلمة وفَهْم ؛ فكان يقاتل بهم ثَقيفًا ، لا يخرج لهم سَرْحٌ إلاّ أغار عليه، حتى ضَيَّقَ عليهم ، فقال أبو مِحْجَن ابن حبيب بن عمرو بن عميْر الثَّقَفِىّ :

هابَتِ الأعداءُ جَانِبَنا ثمّ تَغْزُونا بنو سَلِمَهْ
وأتانا مالكٌ بِهِمُ ناقضًا لِلعَهْدِ والحُرُمَهْ
وأَتَوْنا فى منَازِلنا ولقد كنّا أُولِى نَقِمَهْ

وهذا آخر حديث أبى وجْزة[٢] .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب ، قال : فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب واتّبعه الناس ١/١٦٧٩ يقولون : يا رسولَ الله، اقسمْ علينا فيئنَا الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت الشجرة عنه رداءه ، فقال : رُدُّوا علىَّ ردائى أيها الناس ؛ فوالله لو كان لى عدد شجر تِهامة نَعَمًا لقسمتها عليكم ، ثم ما لقيتمونى بخيلاً ولا جَبَانًا ولا كَذّابًا . ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنامه فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها فقال : أيّها الناس، إنه والله ليس لى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلاّ الخمُس، والخُمس مردودٌ عليكم، فأدُّوا الخِياطَ والمِخيط[٣] ؛

---

(١) فى رواية ابن هشام : « فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثلِهِ فى الناس كلّهم بمثل محمّدِ
أوفَى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِى ومتَى تَشَأْ يُخبِرْكَ عمّا فى غدِ
وإذا الكتيبة عرّدَتْ أنيابُها بالسمهرىّ وضربِ كلّ مهنّدِ
فكأنّه ليثٌ على أشبالِهِ وسْطَ الهباءةِ خادرٌ فى مرصَدِ

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٣) الخياط هنا : الخيط ، والمخيط : الإبرة .

فإن الغُلول[١] يكون على أهله عاراً ونارًا وشَنَارًا يوم القيامة . فجاءَه رجلٌ من الأنصار بكُبَّة[٢] من خيوط شَعَر فقال : يا رسولَ الله أخذتُ هذه الكُبّة أعملُ بها برذعة بعير لى دَبِر ، قال : أمّا نصيبى منها فلَكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجةَ لى بها ، ثم طرحها من يده[٣] .

إلى ها هنا حديث عمرو بن شعَيْب .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكْر ، قال : أعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المؤَلَّفَةَ قلوبهم — وكانوا أشرافًا من أشراف الناس يتألّفهم ويتألّف به قلوبهم — فأعطى أبا سفيان بن حرْب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النُّضير[٤] بن الحارث بن كلَدة بن علقمة أخا بنى عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العَلاء بن جارية الثقفىّ حليف بنى زُهْرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صَفْوان بن أميّة مائة بعير ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُويطِب بن عبد العُزّى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى عُيَيْنَةَ بن حِصْن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمىّ مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصرىّ مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ؛ منهم مَخْرَمة ابن نوفل بن أهَيب الزهرىّ ، وعمير بن وهب الجمحىّ ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤىّ — لا يحفَظ عدّة ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة — وأعطى سعيد بن يربوع بن عَنْكَثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السَّهْمِىّ[٥] خمسين من الإبل ، وأعطى عبّاس بن مرداس السُّلمىّ أباعرَ فتَسخّطها[٦] ، وعاتب فيها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

١٦٨٠/١

(١) الغلول : الخيانة . (٢) الكبة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جعله كببا.
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ – ٣٠٨ .
(٤) فى رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .
(٥) ابن هشام : « واسمه عدى بن قيس » .
(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

كانت نِهاباً تلافيْتُها بكَرِّى على المهرِ فِى الأجْرَعِ[1] ١٦٨١/١
وإيقاظِىَ القوْمَ أن يرْقدوا إذا هَجَعَ الناسُ لم أهْجَعِ
فأصْبحَ نَهْبِى ونَهْبُ العُبَيْـ ـدِ بيْنَ عُيَيْنَةَ والأقْرَعِ
وقد كنتُ فى الحربِ ذَا تُدْرَإٍ فلم أُعْطَ شَيْئاً ولم أمْنَعِ[2]
إلاّ أَفائِلَ أُعْطِيتُهـا عَدِيدَ قوائمها الأرْبَعِ[3]
وما كانَ حِصْنٌ ولا حَابِسٌ يَفُوقانِ مِرْداسَ فى المَجْمَعِ[4]
وما كُنْتُ دونَ امْرِئٍ منهمَا ومَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لا يُرْفَعِ[5]

قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذْهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فزادوه حتى رضِىَ ؛ فكان ذلك قطْع لسانه الذى أمر به[6] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أنّ قائلاً قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه : يا رسولَ الله ، أعطيتَ عُيينة بن حِصْن والأقرع بن حابس مائةً مائةً ، وتركتَ جُعَيْلَ بن سراقة الضَّمْرِىّ[7] ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أما والذى نفسى بيده ، لَجُعَيْلُ بن سراقة خيرٌ من طِلاع[8] الأرض ، كلّهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ؛ ولكنّى تألّفتهما ليُسْلما ، ووكلتُ جُعَيل بن سُراقة إلى إسلامه[9] . ١٦٨٢/١

---

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب ويغنم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .
(٢) ذا تدرأ ، أى ذا دفع عن قومى .
(٣) الأفائل : صغار الإبل ، واحدها أفيل .
(٤) ابن هشام : « يفوقان شيخى » .
(٥) س : « ومن تخفض » .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٧) قال السهيلى : « نسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ؛ وهو معدود فى غفار ؛ لأن غفاراً هم بنو حليل بن ضمرة » .
(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثيّ حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلّقًا نعْلَيه [١] بيده ، فقلنا له : هل حضرتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلّمه التميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، أقبل رَجُلٌ من بني تميم يقال له ذو الخُوَيْصِرة ، فوقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أركَ عدلْتَ ! فغضب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند مَنْ يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، ألا نقتله [٢] ! فقال : لا ، دعوه [٣] ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة [٤] ، يُنْظَرُ في النصل [٥] فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْح فلا يوجد شيءٌ] [٦] ؛ ثم في الفُوق [٧] فلا يوجد شيء ؛ سَبَقَ الفَرْثَ [٨] والدَّمَ [٩] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك ؛ وسمّاه ذا الخويصرة التميميّ [٩] .

قال أبو جعفر : وقد روى عن أبي سعيد الخُدْريّ أنّ الذي كلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ؛ إنما كلّمه به في مال كان عليٌّ عليه السلام بعثه من اليمن إلى رسول الله ، فقسّمه بين جماعة ؛ منهم عُيَيْنة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخيل ؛ فقال حينئذ ما ذُكر عن ذي الخُوَيصرة أنه قاله رجل حضره . ١٦٨٣/١

---

(١) ط : « معلقاً فيه نعليه » .
(٢) ابن هشام : « أقتله » .
(٣) ابن هشام : « دعه » .
(٤) الرمية : الشيء الذي يرمى .
(٥) النصل : حديد السهم .
(٦) من سيرة ابن هشام ، والقدح : السهم .
(٧) الفوق : طرف السهم الذي يباشر الوتر .
(٨) الفرث : ما يوجد في الكرش .
(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر أنّ رجلاً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ممّن شهد معه حنَيْنًا ، قال : والله إنى لأسير إلى جَنْب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على ناقة لى ، وفى رِجْلى نَعل غليظة ، إذ زحمت ناقتى ناقةَ رسول الله ، ويقع حرف نعلى على ساق رسول الله فأوجعَه ، قال : فقرَع قدمى بالسوط ، وقال : أوجعتَنى فتأخّرْ عنّى ، فانصرفت ؛ فلمّا كان من الغد إذا رسول الله يلتمسنى ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبتُ من رِجْل رسول الله بالأمس . قال : فجئته وأنا أتوقّع ، فقال لى : إنّك قد أصبتَ رجلى بالأمس فأوجعتَنى فقرعت قدمك[1] بالسوط ، فدعوتك لأعوّضك منها ؛ فأعطانى ثمانين نعجة بالضَّرْبة التى ضربنى .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبى سعيد الخُدرىّ ، قال : لما أعطَى رسولُ الله ما أعطى من تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب ، ولم يكن فى الأنصار منها شىء ، وَجَد هذا الحىّ من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثُرَتْ منهم القالة[2] ؛ حتى قال قائلهم : لقِىَ والله رسولُ الله قومَه ! فدخل عليه سعد بن عُبادة فقال : يا رسولَ الله ؛ إن هذا الحىّ من الأنصار قد وجَدوا عليك فى أنفسهم لما صنعتَ فى هذا الفىء الذى أصبت ؛ قسَمت فى قومك وأعطيت عطايا عظامًا فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحىّ من الأنصار شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلاّ من قومى ! قال : فاجمَعْ لى قومَك فى الحظيرة ، قال : فخرج سعدٌ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة ، قال : فجاءَه رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردّهم ، فلما اجتمعوا إليه أتاه سعدٌ فقال : قد اجتمع لك هذا الحىُّ من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهلٌ ، ثم قال : يا معشرَ الأنصار ، ما قالةٌ بلغتنى عنكم ،

١٦٨٤/١

(١) و : « رجلك » .
(٢) القالة : الكلام السيء .

ومَوْجِدَةٌ[١] وجدتموها فى أنفسكم ! ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ؛ وعالةً[٢] فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلَى ، لله ولرسوله المنُّ والفضل ! فقال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ! قالوا : وبماذا نُجيبُكَ يا رسول الله ، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ ! قال : أما والله لو شئتم لقلتم فصَدَقتم ، ولَصُدِّقتم ؛ أتيتنا مُكَذَّبًا فصَدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ؛ وَجَدْتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لُعَاعة[٣] من الدنيا تألّفْتُ بها قومًا ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ! أفلا ترضَوْن يا معشر الأنصار ؛ أن يذهب الناس بالشاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالِكم ! فوالذى نفس محمد بيده ؛ لولا الهجرةُ لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْبًا[٤] وسلكت الأنصار شِعْبا ، لسلكتُ شِعْب الأنصار ! اللهمَّ ارْحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناءِ الأنصار ! ١/١٦٨٥

قال : فبكى القوم حتى أخْضَلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قِسمًا وحظًّا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرّقوا[٥] .

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجِعْرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفىء ، فحبس بمِجَنَّةَ ،وهى بناحية مَرّ الظّهران ، فلمّا فرغ رسول الله من عُمْرته وانصرف راجعًا إلى المدينة ؛ استخلف عتّاب بن أسِيد على مكة ، وخلّف معه معاذَ بن جبل يُفَقِّهُ الناس فى الدين ويعلّمهم القرآن ، واتُّبِع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفىء .

وكانت عُمرة رسول الله فى ذى القعدة ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه

---

(١) كذا وردت هذه الرواية فى الطبرى ، وفى ابن هشام : «جدة» ، قال السهيلى : « هكذا الرواية « جدة » ، والمعروف عند أهل اللغة الموجدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة فى المال » .

(٢) عالة : جمع عائل ؛ وهوالفقير . (٣) قال السهيلى : «اللعاعة : بقلة ناعمة» .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة فى ذى القعدة أو فى ذى الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتّاب بن أَسيد ؛ وهى سنة ثمانٍ ؛ وأقام أهلُ الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع[1].

قال الواقدىّ : لمّا قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغنائمَ بين المسلمين بالجعرانة ، أصاب كلَّ رجلٍ أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارسًا أخذ سهم فرسه أيضًا . وقال أيضًا : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ لليالٍ بقينَ من ذى الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابنى الجُلَنْدَى من الأزْد مُصَدِّقًا ، فخلّيا بينه وبين الصّدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

١٦٨٦/١ قال : وفيها تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم الكلابية التى يقال لها فاطمة بنت الضّحاك بن سفيان ، فاختارت الدنيا حين خُيِّرت . وقيل : إنها استعاذتْ من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدّثه عن أبى وجزة السعدىّ أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلّم تزوّجها فى ذى القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية إبراهيم فى ذى الحجّة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمّ بُرْدة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خِداش بن عامر ابن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، وزوْجها البَرَاء بن أوس بن خالد بن الجعد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ؛ فكانت ترضعه .

قال : وكانت قابلتُها سَلْمى مولاة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبى رافع فأخبرته أنها ولدت غلامًا ؛ فبشّر به أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكاً .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهنّ حين رزِقتْ منه الولد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١١ .

١٦٨٧/١

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قَدِم وفدُ بنِي أسد على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم – فيما ذكر – فقالوا : قدِمنا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجلّ فى ذلك من قولهم : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ...﴾(1) الآية .

وفيها قدم وفد بَلِيّ فى شهر ربيع الأوّل ، فنزلوا على رُوَيْفع بن ثابت البَلَوِىّ .

وفيها قدِم وفد الداريِّين من لَخْم ، وهم عشرة .

* * *

[أمر ثقيف وإسلامها]

وفيها قدِم – فى قول الواقدىّ – عُرْوة بن مسعود الثقفىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلِمًا ، وكان من خبره – ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق – أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف اتّبع أثرَه عروة بنُ مسعود بن مُعَتّب حتى أدركه قبل أن يصِل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما يتحدّث قومهم(2) : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسولُ الله أنّ فيهم نخوةً بالامتناع الذى كان منهم – فقال له عُروة : يا رسولَ الله ، أنا أحبّ إليهم من أبكارهم(3) – وكان فيهم كذلك محبَّبًا مطاعًا –

---

(1) سورة الحجرات ١٧ . (2) ابن هشام : « قومه » .

(3) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

فخرج يدعُو قومَه إلى الإسلام ، ورجا ألاّ يخالفوه لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عُلّيّة له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموْه بالنَّبل ١٦٨٨/١ من كلّ وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتله رَجُلٌ منهم يقال له أوْس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بنى عتّاب بن مالك، يقال له وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلاّ ما فى الشهداءِ الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال فيه : إن مَثَله فى قومه كمثل صاحب يٰس فى قومه[1] .

* * *

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قيل : إنهم قدموا عليه فى شهر رمضان .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : ثمّ أقامت ثَقيف بعد قتل عُرْوة أشهُرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألاّ طاقة لهم بحرب مَنْ حَوْلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة بن المغيرة بن الأخنس بن شَرِيق الثقفىّ ، أنّ عمرو بن أميّة أخا بنى عِلاج كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو، الذى بينهما سَيِّئٌ — وكان عمرو بن أميّة من أدهى العرب — فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلىّ ، فقال عبد ياليل للرسول : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف ١٦٨٩/١ فى دارك . فقال : إنّ هذا لشىءٌ ما كنت أظنّه ! لَعَمْرو كان أمنعَ فى نفسه من ذلك . فلمّا رآه رَحَّبَ به ، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هِجْرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيتَ ، وقد[2] أسلمت

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ . (٢) ابن هشام : « قد » .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثَقِيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترونْ أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ ، ولا يخرج منكم أحدٌ إلاّ اقتُطِع به ! فائتمروا [بينهم][1] ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل ابن عمرو بن عمير — وكان فى سنّ[2] عُروة بن مسعود — وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشِىَ أن يُصنَع به إذا رجع كما يُصنع بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تبعثوا معى رجالاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجليْن من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك ، فيَكونوا ستة : عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دُهْمان أخو بنى يَسَار ، وأوس بن عوف أخو بنى سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة أخو بلحارث ؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتّب وشُرَحبيل بن غَيْلان بن سَلَمة بن معتّب ؛ فخرج بهم عبد ياليلَ — وهو نابُ القوم[3] وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خَشْيَةً من مثل ما صنِع بعروة بن مسعود ، ليشغلَ كلُّ رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه — فلما دنوْا من المدينة ، ونزلوا قناة لقُوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته

١٦٩٠/١ ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رِعْيتُها نُوَباً على أصحابه ، فلما رآهم المغيرة ترك الركاب وضبَر[4] يشتدُّ ليُبَشّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيَه أبو بكر الصّدّيق رضى الله عنه قبل أن يدخُل على رسول الله ، فأخبره عن ركْب ثقيف أنّهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم شروطًا ، ويكتتبوا من رسول الله كتابًا فى قومهم وبلادهم وأموالهم . فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله حتى أكون أنا الذى أحدّثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروّح الظّهر معهم ، وعلّمهم كيف يُحيُّون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهليّة .

---

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : « وكان سنّ عروة » .

(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم . (٤) ضبر : وثب .

ولما أن قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة فى ناحية مسجده – كما يزعمون – وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حتى اكتتبوا كتابهم؛ وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعَمون طعامًا يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم – وقد كان فيما سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يدَع الطاغية؛ وهى اللات، لا يهدمها ثلاث سنين؛ فأبى رسولُ الله ذلك عليهم؛ فما برحوا يسألونه سنة سنة، فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدَمهم؛ فأبى أن يدَعها شيئًا يسمّى؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرُون أن يسلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريّهم، ويكرهون أنْ يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلَهم الإسلام – فأبى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ذلك إلاّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيَهم من الصّلاة، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم؛ فقال رسول الله: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنُعْفيكم منه؛ وأما الصّلاة فلا خيرَ فى دين لا صلاة فيه؛ فقالوا: يا محمد، أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة. ١٦٩١/١

فلمّا أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم؛ أمّرَ عليهم عثمان بن أبى العاص – وكان من أحدثهم سنًّا – وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ إنى قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلّم القرآن[1].

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق، عن يعقوب ابن عُتْبة، قال: فلمّا خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجّهوا إلى بلادهم راجعين، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥، ٣٢٦.

والمغيرة بن شعبة فى هدْم الطاغية ، فخرجا مع القوم ؛ حتى إذا قدِموا الطائف أراد المغيرة أن يقدّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنتَ على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرْم[١] ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعْوَل ، وقام قومه دونه — بنو مُعتّب — خَشْيةَ أن يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُروة ، وخرج نساءُ ثقيف حُسَّرًا[٢] يبكين عليها ، ويقلن :

١٦٩٢/١

ألاَ أبْكِينَ دُفّاع[٣] أَسْلَمَهَا الرُّضّاع[٤]

* لم يُحْسِنُوا المِصَاع[٥] *

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك[٦]! واهاً لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحُليَّها وأرسل إلى أبى سفيان وحليُّها مجموع ، ومالُها من الذهب والجَزْع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن يقضىَ من مال اللات دَيْنَ عروة والأسود ابنَىْ مسعود ، فقضى منه دَيْنهما[٧] .

وفى هذه السنة غَزَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أقامَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصَرفه من الطائف ، ما بين ذى الحجة إلى رجب .

---

(١) ابن هشام : « الهدم » .
(٢) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٣) ابن هشام : « لتبكين » .
(٤) الرضاع هنا : اللئام .
(٥) المصاع : المصارعة .
(٦) ابن هشام : « آها لك » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ثم أمر النّاس بالتهيّؤ لغزو الروم ؛ فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق، عن الزّهريّ ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كلٌّ قد حدّث فى غزوة تبوك ما بلَغه عنها ، وبعض القوم يحدّث ما لم يحدّث بعض ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث . إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم أمرَ أصحابه بالتهيّؤ لغزو الرّوم ؛ وذلك فى زمن عُسْرة من الناس ، وشدّة من الحرّ ، وجَدْب من البلاد ؛ وحين طابت الثّمار وأحِبّت الظلال ؛ فالناس يحبّون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قلّما يخرج فى غزوة إلاّ كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذى يصمِد له ؛ إلاّ ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبُعْد الشُّقّة وشدّة الزمان وكثرة العدوّ الذى يصمِد[1] له ، ليتأهّبَ الناس لذلك أهبتَه ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم . ١/١٦٩٣

فتجهّز الناس على ما فى أنفسهم من الكُرْه لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظّموا من ذكر الرّوم وغزوهم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أخى بنى سلِمة : هل لك ياجدّ العامَ فى جلاد بنى الأصفر[2] ؟ فقال : يا رسول الله، أوَ تأذَنُ لى ولا تفتنّى ! فوالله لقد عرف قومى ما رجلٌ أشدّ عجبًا بالنساء منّى ؛ وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأصفر ألاّ أصبرَ عنهنّ . فأعرض عنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وقال : قد أذنت لك ؛ ففى الجدّ بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي . . . ﴾[3] الآية ؛ أى إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر — وليس ذلك به — [فما][4] سقط فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه . ١/١٦٩٤

وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفِرُوا فى الحرّ ، زهادةً فى الجهاد ،

(١) يصمد : يقصد . (٢) بنو الأصفر : هم الروم .
(٣) سورة التوبة ٤٩ . (٤) من ابن هشام .

وشكًّا فى الحقّ ، وإرْجافًا بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[١] .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ فى سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغِنَى على النفقة والحُمْلان[٢] فى سبيل الله ، ورغّبهم فى ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا[٣] ، وأنفق عثمان ابن عفان فى ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظمَ من نفقته[٤] .

ثمّ إن رجالاً من المسلمين أتوْا رسولَ الله؛ وهم البكّاءُون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[٥]، فاستحْملوا[٦] رسولَ الله، وكانوا أهلَ حاجة، فقال: ﴿ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾[٧] . قال: فبلغنى أنّ يامين بن عُمَير بن كعب النضْرىّ لقىَ أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفَّل ، وهما يبكيان ، فقال لهما: ما يُبْكيكما ؟ قالا: جئنا رسولَ الله ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملُنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحًا[٨] فارتحلاه ، وزوّدهما شيئًا من تَمْر ، فخرجا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم . ١٦٩٥/١

---

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثنى من أثق به أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف :سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أحد بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بنى سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزنى – وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى – وهرمى بن عبد الله أخو بنى واقف ، وعرباض بن سارية الفزارى » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الجمل يستقى عليه .

قال : وجاءَ المُعَذِّرون من الأعْراب ، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم اللهعزّ وجلّ ؛ وُذِكر لى أنهم كانوا من بنى غِفَار ، منهم خُفاف بن إيماء بن رَحْضَة .

ثم استتبّ[١] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفرُه ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأتْ بهم النيّة عن رسول الله حتى تخلّفوا عنه من غير شكّ ولا ارتياب ؛ منهم كعب بن مالك بن أبى كعب أخو بنى سلِمة ، ومرارة بن الربيع أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أميّة أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة أخو بنى سالم بن عوف ؛ وكانوا نفرَ صدق لا يُتّهمون فى إسلامهم ، فلمّا خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنيّة الوَدَاع ، وضرب عبد الله بن أبىّ بن سَلُول عسكره على حِدَةٍ أسفل منه بحذاء ذُبَاب ؛ جبل بالجبّانة أسفل من ثنيّة الوداع . وكان — فيما يزعمون — ليس بأقلّ العسكرين ؛ فلمّا سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أبىّ فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرّيب — وكان عبدُالله بن أبىّ أخا بنى عوف بن الخزرج — وعبد الله بن نَبْتَل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بنى قَيْنُقَاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممّن يكيد الإسلام وأهله[٢] .

قال : وفيهم — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصرىّ — أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ . . . ﴾[٣] ، الآية . ١/١٦٩٦

* * *

قال ابن إسحاق : وخلّف رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم : واستخلف على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة ، أخا بنى غِفار ، فأرجف المنافقون بعلىّ بن أبى طالب ، وقالوا : ما خلّفه

---

(١) استتب : تتابع واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ .
(٣) سورة التوبة ٤٨ .

إلا استثقالا له ، وتخفّفًا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ علىٌّ سلاحَه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبىّ الله؛ زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتَنى؛ أنك استثقلتَنى وتخفّفتَ منّى! فقال : كذبوا ، ولكنى إنما خلّفتُك لما ورائى ، فارجع فاخلُفْنى فى أهلى وأهلك ؛ أفلا ترضَى يا علىّ أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؛ إلاّ أنه لا نبىّ بعدى ! فرجع علىٌّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على سفره[1] .

ثم إنّ أبا خَيْثَمة أخا بنى سالم رجع — بعد أن سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أيامًا — إلى أهله فى يوم حارّ ، فوجد امرأتين له فى عريشين[2] لهما فى حائط[3] ، قد رشّتْ كلٌّ واحدة منهما عريشَها وبرّدتْ له فيه ماءً ، وهيّأتْ له فيه طعامًا ؛ فلمّا دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأتيْه وما صنعتا له ، قال : رسولُ الله فى الضِّحّ[4] والريح ، وأبو خيثمة فى ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيّإ وامرأة حسناء، فى ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنَّصَف! ثمّ قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحقَ برسول الله ؛ فهيّئا لى زاداً ؛ ففعلتا . ثم قدّم ناضِحَه فارتحله ، ثمّ خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى أدركه حين نزل تبُوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وهبٍ الجُمحىّ فى الطريق ، يطلب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، فترافقا[5] حتى إذا دنَوَا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمير بن وهب : إنّ لى ذنبًا ، فلا عليك أن تَخلّفَ عنّى حتى آتىَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ففعل، ثم سار حتى إذا دنا من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وهو نازل بتَبُوك ، قال الناس : يا رسولَ الله ، هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله : كُنْ أبا خيثمة ! فقالوا : يا رسولَ الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلمّا أناخ أقبلَ فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله : أوْلَى لك

١٦٩٧/١

(١) ابن هشام : « ثم رجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره » .

(٢) العريش : شبيه الخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : البستان .

(٤) الضح : الشمس . (٥) س : « فتواقفا » .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسولَ الله الخبر ، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين مرّ بالحِجْر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تشربُوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضّئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا رجُلين من بنى ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته فى جبلَىْ طيّئ ، فأخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحدٌ إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للّذى أصيب على مذهبه فشُفِيَ ، وأما الآخر الذى وقع بجبلَىْ طيّئ ؛ فإنّ طيئاً هدتْهُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة[1] . ١/١٦٩٨

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين[2] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، عن العبّاس بن سهل بن سعد الساعدىّ : فلما أصبح النّاس — ولا ماءَ معهم — شكَوْا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوَى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن لَبيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) فى ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبى بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمّه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك؛ ثم قال محمود : لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقُه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، أقبلنا عليه نقول : ويْحَكَ ! هل بعد هذا شيء ! قال : سحابة مارّةٌ .

١/١٦٩٩ ثمّ إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلّتْ ناقتُه ، فخرج أصحابُه في طلَبِها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقَبيًّا[1] بدريًّا ، وهو عمّ بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقاعيّ ، وكان منافقًا ، فقال زيد بن لُصَيب[2] وهو في رحل عُمارة ، وعُمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وعمارة عنده : إن رجلاً قال : إنّ محمداً هذا يخبركم أنه نبيّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ! وإنى والله ما أعلم إلاّ ما علّمني الله ، وقد دلّني الله عليها ، وهي في الوادي من شِعْب كذا وكذا قد حبستْها شجرة بزمامها ، فانطلِقوا حتى تأتُوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ، فقال : والله لَعجبٌ من شيء حدّثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفًا عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا — للذى قال زيد بن اللُّصَيب — فقال رجُلٌ ممن كان في رحْل عمارة ، ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتِيَ . فأقبل عمارة على زيد يَجَأ في عنقه[3] ، ويقول : يا عباد الله ، والله إنّ في رَحْلِي لداهية وما أدرى ! اخرج يا عدوّ الله من رحلي فلا تصحَبْني ! قال : فزعم بعضُ الناس أنّ زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض : لم يزل مُتّهماً بشرّ حتى هلك .

---

(١) أي ممن شهد بيعة العقبة . (٢) ابن هشام في إحدى روايتيه : « لصيت » .
(٣) يجأ في عنقه : يطعنه .

ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سائراً ؛ فجعل يتخلّف عنه الرجل فيقولون : يا رسولَ الله ، تخلّف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يكُ فيه خير فسيُلْحِقه الله بكم ، وإنْ يكُ غير[1] ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ، تخلّف أبو ذرّ وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإنْ يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يَكُ غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه . ١/١٧٠٠

قال : وتلوّم[2] أبو ذرّ على بعيره ؛ فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه ، فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشيًا ، ونزل رسولُ الله فى بعض منازله ، فنظره ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسولَ الله ، إنّ هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كن أبا ذرّ ! فلمّا تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذرّ ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذرّ ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعث وحده[3] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن سفيان الأسلميّ ، عن محمّد بن كعب القُرظيّ ، قال : لما نفى عثمان أبا ذرّ نزل أبو ذرّ الرَّبَذَة ، فأصابه بها قَدَرُه ، ولم يكن معه أحدٌ إلاّ امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غسّلاني وكفّناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأوّل ركْب يمرّ بكم فقولوا : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل العراق عُمّارًا ، فلم يَرُعْهم إلاّ بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلّ عبدُ الله بن مسعود يبكي ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشي وحدَك ، وتموت وحدك ، وتُبْعث وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه . ١/١٧٠١

ثمّ حدّثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله فى مسيره إلى تبوك .

---

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشْجَع حليفٌ لبنى سلِمة ، يقال له مَخْشِىّ[1] ابن حُمَيِّر ، يسيرون مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنىّ بكم غداً مُقَرَّنين فى الحبال ؛ إرْجافًا وترهيبًا للمؤمنين . فقال مخشىّ ابن حميِّر : والله لَوَدِدْتُ أنّى أقاضَى على أن يُضرب كلّ رجل منّا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن يُنزل الله فينا قرآنًا لمقالتكم هذه . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمّار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،[2] فسلْهم عمّا قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمّار فقال لهم ذلك ؛ فأتوْا رسولَ الله يعتذرون إليه ، فقام وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها[3] : يا رسولَ الله ، كنّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[4] . وقال مخشّى بن حميِّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ فكان الذى عُفِىَ عنه فى هذه الآية مخشىّ بن حميِّر ؛ فسمّى عبد الرحمن ، وسأل الله أنْ يقتله شهيداً لا يُعلَم مكانه ، ١٧٠٢/١ فقُتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنَّه بن رُؤْبة ، صاحب أيلَة ، فصالح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأهل جَرْباء وأذْرُح أعطوْه الجزية ، وكتب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لكلٍّ كتابًا ؛ فهو عندهم .

ثم إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أُكَيْدِر دومة — وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة ، كان ملكًا عليها ، وكان نصرانيًّا — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

---

(١) ابن هشام فى إحدى رواياته : « محشى » . بالتشديد .

(٢) احترقوا ، أى هلكوا ، وفى ط : « اخترقوا » ، وأثبت ما فى ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيتَ مثل هذا قطّ ! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسْرِج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخٌ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؛ فلمّا خرجوا تلقّتهم خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخذتْه ، وقتلوا أخاه حسّان ، وقد كان عليه قَباء له من ديباج مُخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه[1] عليه[2].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيتُ قَباء أكيدر حين قُدِم به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجّبون منه ، فقال رسول الله : أتَعْجَبون مِنْ هذا ! فو الذى نفس محمد بيده لمناديل[3] سعد بن معاذ فى الجنة أحسنُ من هذا !

١٧٠٣/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالداً قدم بأكيدر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمَه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيلَه ، فرجع إلى قريته .

* * *

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذى فى أول غزوة تبُوك . قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها[4] ، ثم انصرَف قافلا إلى المدينة ، فكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل ما يرْوِى الراكبَ والراكبَيْن والثلاثة ، بواد يقال له وادى المُشَقّق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ سبقنا إلى ذلكَ الماء فلا يَسْتَقِيَنّ منه شيئًا حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقوْا مافيه ، فلما أتاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) و : « مقدمه » .
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .
(٣) و « لمنديل » .
(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

وقف عليه فلم يَرَ فيه شيئًا ؛ فقال : مَنْ سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان، فقال : أوَ لم نَنْهَهم أن يستقُوا منه شيئًا حتى نأتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله ، ودعا عليهم. ثمّ نزل صلى الله عليه وسلم، فوضع يده تحت الوَشَل[1] ، فجعل يصبّ فى يده ما شاء الله أن يصبّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعوَ ، فانخرق من الماء — كما يقول مَنْ سمعه: إن[2] له حِسًّا كحسّ الصواعق؛ فشرب الناس واستقوْا حاجتهم منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَقِىَ منكم لَيَسمعنّ[3] بهذا الوادى ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

١٧٠٤/١

ثمّ أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى نزل بذى أوَان؛ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضِّرَار قد كانوا أتوْه وهو يتجهّز إلى تَبوك، فقالوا : يا رسول الله؛ إنا قد بنينا مسجداً لذى العلّة والحاجة والليلة المَطِيرة والليلة الشاتية؛ وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلّى لنا فيه . فقال : إنى على جَنَاح سَفَر ، وحال شغل — أو كما قال رسول الله — ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلّينا لكم فيه؛ فلما نزل بذى أوَان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بن الدُّخشُم ، أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدىّ — أو أخاه عاصم بن عدىّ أخا بنى العَجْلان — فقال : انطلقا إلى المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه ؛ فخرجا سريعيْن حتى أتيا بنى سالم ابن عوف؛ وهم رهط مالك بن الدُّخشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرْنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَفًا من النّخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدّان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرّقاه وهدماه، وتفرّقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4]، إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذام بن خالد ، من بنى عُبَيد بن

---

(١) الوشل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلا قليلا .

(٢) ابن هشام : « وإن له حسا » .

(٣) ابن هشام : « لئن بقيتم لتسمعن » .

(٤) سورة التوبة ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بنى عمرو بن عوف — ومن داره أخرج مسجد الشقاق — وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد — وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومُعَتِّب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعة بن زيد ، وأبو حَبيبة بن الأزعر من بنى ضُبيعة بن زيد ، وعبّاد ابن حُنَيْف ؛ أخو سهل بن حُنَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمّع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من بنى ضُبَيعة ، وبحزج — وهو إلى بنى ضُبيعة — وبجاد بن عثمان — وهو من بنى ضُبيعة — ووديعة بن ثابت وهو إلى بنى أميّة رهط أبى لُبابة بن عبد المنذر . ١٧٠٥/١

* * *

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ — وقد كان تخلّف عنه رهط من المنافقين ، وتخلّف أولئك الرّهط من المسلمين من غير شكّ ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يكلّمن أحدٌ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه مَنْ تخلّف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ولم يعذِرْهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة النفر ، حتى أنزل الله عزّ وجلّ قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ — إلى قوله — ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1] ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تَبُوك فى شهر رمضان . وقدِم عليه فى ذلك الشهر وفدَ ثَقيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

* * *

[أمر طيّئ وعدىّ بن حاتم]

قال : وفى هذه السنة — أعنى سنة تسع — وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى سريّة إلى بلاد طيّئ فى ربيع الآخر ، فأغار عليهم ، فسبى وأخذ سيفين كانا فى بيتِ الصنم ؛ يقال لأحدهما : ١٧٠٦/١

---

(١) سورة التوبة ١١٧ — ١١٩ .

رَسُوب ، وللآخرِ المخذَم ؛ وكان لهما ذِكْرٌ ، كان الحارث بن أبى شمِر نَذَرهما له ، وسبَى أخت عدىّ بن حاتم .

قال أبو جعفر : فأما الأخبار الواردة عن عدىّ بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت ، وبغير ما قال الواقدىّ فى سبى علىّ أختَ عدىّ بن حاتم .

حدّثنا محمد بن المثنى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدّثنا شعبة ، قال : حدثنا سماك ، قال : سمعت عبّاد بن حُبَيْش يحدّث عن عدىّ بن حاتم ، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم — أو قال : رسلُ رسول الله — فأخذوا عمّتى وناسًا ، فأتوْا بهم النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : فصُفّوا له . قالت : قلتُ : يا رسولَ الله ، نأى الوافد ، وانقطع الولد ؛ وأنا عجوز كبيرة ما بى من خدمة ؛ فمنّ علىّ مَنّ الله عليك يا رسول الله ! قال : ومن وَافِدُكِ ؟ قالت : عدىّ بن حاتم ؛ قال : الذى فرّ من الله ورسوله ! قالت : فمَنّ علىّ — ورَجُل إلى جنبه ترَى أنه علىّ عليه السلام ، قال : سليه حُمْلانًا — قال : فسألته ، فأمر بها فأتتنى ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ! قالت : ائتِه راغبًا وراهبًا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان — أو صبىّ — فذكر قربهم من النبىّ صلى الله عليه وسلم — فعرفت أنه ليس بملك[1] كسرى ولا قيصر ، فقال لى : يا عَدِىّ بن حاتم ، ما أفرّك[2] أن يقال لا إله إلا الله ! فهل من إله إلا الله ! وما أفرّك أن يُقال الله أكبر ! فهل من شىء هو أكبر من الله ! فأسلمتُ فرأيتُ وجهَه استبشر .

١٧٠٧/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيْبان بن سعد الطائىّ ، قال : كان عدىّ بن حاتم طيّئٌ يقول فيما بلغنى : ما رجل[3] من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به منّى ؛ أمّا

(١) و : « ملك » . (٢) ما الذى جعلك تفر من الجهاد فى سبيل الله .

(٣) ابن هشام : « ما من رجل » .

أنا فكنتُ امرأً شريفًا ، وكنتُ نصرانيًا أسيرُ فى قومى بالمرْباع [١] ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملكًا فى قومى ، لما كان يُصنع بى ، فلمّا سمعتُ برسول الله كرهتُه ، فقلت لغلام كان لى عربىّ وكان راعيًا لإبلى : لا أبالك ! أعدِدْ لى من إبلى أجمالاً ذُلُلا [٢] سمانا مَسَانّ ، فاحبسها قريبًا منّى ؛ فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنّى ، ففعل . ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدىّ ؛ ما كنت صانعًا إذا غشيتْك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيتُ رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قَرِّبْ لى جمالى ، فقرّبها ، فاحتملتُ بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحقُ بأهلِ دينى من النّصارى بالشأم ، فسلكت الحوشيّة وخلّفت ابنةَ حاتم فى الحاضر ، فلما قدمتُ الشأم أقمت بها ، وتُخالفنى خيلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنةَ حاتم فيمن أصيب . فقُدِم بها على رسول الله فى سبايا طيّئ ، وقد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشأم . قال : فجُعلت ابنة حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبَسن بها ، فمرّ بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقامت إليه — وكانت امرأةً جَزْلَةً — فقالت : يارسولَ الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنُنْ علىّ مَنّ الله عليك ! قال : ومَنْ وافدك ؟ قالت : عدىُّ بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ؛ حتى إذا كان الغد مرّ بى وقد أيستُ ، فأشار إلىّ رجلٌ من خلفه : أن قومى إليه فكلّميه ، قالت : فقمتُ إليه ، فقلت : يا رسولَ الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنُنْ علىّ مَنّ الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلى بخروجٍ حتى تجدِى من قومك مَنْ يكون لك ثقة حتى يبلّغك إلى بلادك ثم آذنينى . قالت : فسألت عن الرجل الذى أشار إلىّ أن كلّميه فقيل : علىّ بن أبى طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بَلِىّ — أو من قضاعة — قالت : وإنما أريد أن آتىَ أخى

١٧٠٨/١

(١) أسير بالمرباع ؛ أى آخذ الربع من الغنائم ؛ لأنى سيدهم .

(٢) ذللا : جمع ذلول ؛ وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

بالشأم ، قالت : فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسولَ الله ، قد قدم رهط من قومى لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى وأعطانى نفقةً ، فخرجت معهم حتى قدمْتُ الشأم .

١٧٠٩/١ قال عدىّ : فوالله ، إنىّ لقاعدٌ فى أهلى إذ نظرت إلى ظَعينة[١] تَصَوَّبُ إلىّ[٢] تَؤُمّنا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هى هى ؛ فلما وقفتْ علىّ انسحلَتْ[٣] تقول : القاطع الظالم ! احتملتَ بأهلك وولدك ، وتركت بُنَيّةَ والدك وعَوْرَتَهُ ! قال : قلت : يا أخيّة ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلتْ فأقامت عندى ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمَةً : ماذا تريْن فى أمر هذ الرجل ؟ قالت : أرَى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيًّا فالسابق إلَيه له فضيلة ، وإن يكن ملكًا فلن تذلّ فى عزّ اليمن وأنت أنت ! قلتُ : والله إن هذا للرّأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو فى مسجده فسلّمت عليه ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : عدىُّ بن حاتم ، فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بى إذ لَقيَتْهُ امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفَتْه ، فوقف لها طويلا تكلّمه فى حاجتها . قال : فقلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسولُ الله حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من أدَم محشُوَّةً ليفًا ، فقذفها إلىّ ، فقال لى : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلستُ وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت فى نفسى : والله

١٧١٠/١ ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدىّ بن حاتم ! ألم تك رَكُوسيا[٤] ! قال : قلت : بلى ، قال : أوَلم تكن تسير فى قومك بالمِرْباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإنّ ذلك لم يكن يحلّ لك فى دينك ، قال : قلت : أجلْ والله — وعرفت أنه نبىٌّ مرسل يعلم ما يُجهل — قال : ثمّ قال : لعلّه[٥] يا عدىّ بن

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج . (٢) تصوب إلى : تقصد .
(٣) انسحلت : أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدة .
(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .
(٥) بن هشام : « لعلك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى[١] من حاجتهم ! فوالله ليوشِكَنّ المال يفيض فيهم حتى لا يُوجَد مَنْ يأخذه ؛ ولعله[٢] إنما يمنعك من الدخول[٣] فى هذا الدين ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم ؛ فوالله لَيوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرُجُ من القادسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعلّه إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أنّ المُلك والسلطان فى غيرهم ، وايمُ الله ليوشكَنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت . قال : فأسلمت ، فكان عَدِىٌّ بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكوننّ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تَخرج من القادسيّة على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحجّ هذا البيت . وايمُ الله لتكونَنّ الثالثة ليفيضَنّ المال حتى لا يوجد من يأخذه .

* * *

[قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدىّ : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى تميم ، فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبى بكر ، قالا : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عُطارد بن حاجب بن زرارة بن عُدُس التميمىّ فى أشراف من تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزّبرقان بن بدر التّميمىّ ثمّ أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والُحتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بنى سعد فى وفد عَظيم من بنى تميم ، معهم عُيينة بن حصن بن حُذيفة الفزارىّ — وقد كان الأقرع بن حابس وعُيينة بن حصْن شهدا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلمّا وفد وفد بنى تميم كانا معهم — فلمّا دخل وفد بنى تميم المسجد ، نادَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراء الُحجُرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فآذى ذلك من صياحهم رسولَ الله

١ / ١٧١١

(١) كذا فى ابن هشام : وفى ط : « لما » . (٢) ابن هشام : « ولعلك » .

(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم؛ فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك[١] لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: نعم، أذنت لخطيبكم فليقل[٢]. فقام إليه عُطارد بن حاجب، فقال: الحمدُ لله الذى له علينا الفَضْل وهو أهله، الذى جعلنا ملوكًا، ووهب لنا أموالاً عظامًا نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عدداً. وأيسره عُدّةً، فمن مثلُنا فى الناس! ألَسْنا برءوس الناس وأولى فضلهم! فمن يفاخرنا فليعدّد مثل ما عدّدنا؛ وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام؛ ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا؛ وإنا نُعرف. أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضلَ من أمرنا، ثم جلس. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شمّاس أخى بلحارث بن الخزرج: قمْ فأجب الرجل فى خطبته.

١/١٧١٢

فقام ثابت، فقال: الحمدُ لله الذى السمواتُ والأرضُ خَلْقُه، قضى فيهنّ أمره، ووَسِع كُرْسيّه علمه، ولم يك شىء قطّ إلاّ من فضله. ثم كان من قدرته أنْ جعلنا ملوكًا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نَسَبًا، وأصْدقهم حَدِيثًا، وأفضلهم حَسَبًا، فأنزل عليه كتابه، وائتمنه على خَلْقه؛ فكان خِيَرَةَ الله من العالمين، ثم دعا الناسَ إلى الإيمان، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رَحِمِه؛ أكرم الناس أنسابًا، وأحسن الناس وجوهاً؛ وخير الناس فعالاً؛ ثم كان أوّل الخلق إجابةً — واستجاب لله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم — نحنُ؛ فنحنُ أنصارُ الله ووُزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودَمَه، ومَنْ كفر جاهدناه فى الله أبداً، وكان قتله علينا يَسِيرًا، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات؛ والسلام عليكم.

قالوا: يا محمد، ائذَنْ لشاعرنا، فقال: نعم، فقام الزّبرقان بن بدر فقال[٣]:

نحْنُ الكرامُ فلاَ حَىٌّ يُعادِلُنا ... منّا الملوكُ وفينَا تُنصَبُ البِيَعُ[٤]

---

(١) و: «قد جئناك». (٢) س: «فليفعل».

(٣) قال السهيلى: «وإن بعض الناس ينكر الشعر له، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم».

(٤) البيع: مواضع الصلوات والعبادات، واحدها بيعة.

وكَم قَسَرْنا من الأحياء كلّهم عند النِّهاب وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبعُ

ونحن نُطْعِم عند القَحْطِ مطعَمنا مِنَ الشِّوَاءِ إذا لم يُؤنَسِ القَزَعُ(١) ١٧١٣/١

ثم ترَى الناسَ تأتينا سَرَاتُهُمُ من كلِّ أرضٍ هُوِيًّا ثمَّ نَصْطَنِعُ(٢)

فَنَنْحَرُ الكُومَ عَبْطاً فى أرُومَتِنَا للنَّازِلينَ إذا ما أنزِلوا شَبِعُوا(٣)

فلاَ تَرَانا إلَى حَىٍّ نُفَاخِرُهمْ إلاَّ استَقَادُوا وكادَ الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ

إنا أبَيْنا ولَنْ يأبَى لنا أحَدٌ إنا كَذلِكَ عند الفَخْرِ نَرْتَفِعُ

فَمَنْ يُقَادِرُنَا فى ذاكَ يعرِفُنا فيرجعِ القَوْلُ والأخبارُ تُسْتَمَعُ(٤)

وكان حسّان بن ثابت غائبًا، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلمّا جاءنى رسولُه فأخبرنى أنه إنما دعَانى لأجيبَ شاعر بنى تميم، خرجتُ إلى رسول الله، وأنا أقول:

مَنَعنَا رسولَ اللهِ إذْ حَلَّ وَسْطَنَا على كلِّ باغٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ(٥)

منعْنَاه لمّا حَلَّ بين بُيُوتنا بأسْيافنا من كلِّ عادٍ وظَالِمِ

ببَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّه وثَرَاؤُه بجابِيَةِ الجَوْلانِ وَسْطَ الأعاجِمِ(٦)

هَلِ المَجْد إلا السُّؤْدُد العَوْد والنَّدَى وَجَاهُ الملوكِ وَاحتمالُ العَظَائِمِ!

قال: فلما انتهيتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضتُ فى قوله وقلت على نحوٍ مما قال؛ فلما فرغ الزِّبرقان بن ١٧١٤/١

---

(١) القزع: السحاب الرقيق؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجدبت أرضهم.

(٢) هويا: سراعا. قال السهيلى: «وليس السراة جمع سرى» كما ظنوا؛ وإنما هو كما تقول: «ذروتهم وسنامهم، وسراة كل شىء: أعلاه».

(٣) الكوم: جمع كوماء؛ وهى العظيمة السنام من النوق. وعبط: من غير علة. أرومتنا، أى أن هذا الكرم متأصل فينا.

(٤) فى ابن هشام: «فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه»؛ وبعد هذا البيت فى ابن هشام:

إنّا أبيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أحدٌ إنّا كَذَلِكَ عِنْدَ الفَخْرِ نَرْتَفِعُ

(٥) ديوانه ٢٤٦

(٦) البيت الحريد: الفريد.

بدر من قوله قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسّان : قم يا حسّان فأجب الرجل فيما قال ، قال : فقال حسان :

إنّ الذّوائبَ من فِهْرٍ وإخوتِهم ... قد بيّنُوا سُنّةً للنّاسِ تُتّبَعُ (١)

يَرْضَى بها كلُّ مَن كانت سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإلهِ وكلُّ الخير يُصْطَنَعُ

قومٌ إذا حارَبوا ضَرُّوا عَدُوَّهمُ ... أو حاوَلُوا النَّفْعَ فى أشياعهمْ نَفَعُوا

سَجِيّةٌ تلك منهم غير مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائق فاعلم شرُّها الْبِدَعُ

إنْ كانَ فى الناسِ سَبّاقونَ بعْدَهمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدْنَى سَبْقِهمْ تَبَعُ

لا يَرقعُ الناسُ ما أَوْهَتْ أكُفُّهمُ ... عند الدِّفاعِ ولاَ يُوهُونَ ما رَقَعُوا

١٧١٥/١ إنْ سابَقوا الناسَ يَوْماً فازَ سَبْقُهُمُ ... أوْ وَازَنُوا أهْلَ مَجْدٍ بالنّدَى مَتَعُوا (٢)

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ فى الوَحْىِ عِفّتُهمْ ... لا يَطْبَعونَ ولا يُرْدِيهمُ طَمَعُ (٣)

لاَ يبْخَلونَ على جارٍ بِفَضْلِهمُ ... ولا يَمَسُّهم من مَطْمَعٍ طَبَعُ (٤)

إذَا نَصَبْنَا لحىٍّ لم نَدِبّ لهم ... كما يَدِبُّ إلى الوَحْشيّةِ الذّرَعُ (٥)

نَسْمو إذَا الحَرْبُ نالَتْنا مَخالبُها ... إذَا الزّعانفُ من أظْفَارِها خَشَعُوا (٦)

لاَ فخرَ إن هُمْ أصابوا من عَدوِّهِمِ ... وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُعُ (٧)

كأنهمْ فى الوَغَى والموْتُ مُكْتنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيَةَ فى أَرْسَاغِها فَدَعُ (٨)

١٧١٦/١ خذْ منهمُ ما أَتوا عَفْوًا إذا غَضِبُوا ... ولا يكن همَّكَ الأمرُ الذى مَنَعوا (٩)

---

(١) ديوانه ٢٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متعوا : زادوا .

(٣) لا يطبعون : لايد نسون . (٤) الطبع : الدنس .

(٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نسرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .

(٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ؛ وهم الجازعون .

(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمن . والأرساغ : جمع رسغ ؛ وهو موضع القيد من الرجل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .

(٩) عفوا : من غير مشقة .

فإنّ فى حربهم — فاتركْ عداوتَهمْ شرًّا يُخاضُ[1] عليه السمُّ والسلَعُ[2]

أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم إذا تفرّقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

أهدى لهم مِدْحتى قَلْبٌ يُوازرُه فيما أحَبَّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ[3]

فإنهمْ أفضَلُ الأحياء كلّهمُ إنْ جدَّ بالناسِ جِدُّ القوْلِ أوشَمَعُوا[4]

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقْرَعُ بن حابس : وأبِى إنّ هذا الرجلَ لمُؤتّى[5] له ! لخطيبُه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم[6] أعلى من أصواتنا . فلمّا فرغ القوم أسلموا ، وجوّزهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأحْسَنَ جوائزهم — وكان عمرو بن الأهتم قد خلّفه القوم فى ظهرهم — فقال قيس بن عاصم — وكان يُبغِض عمرو بن الأهتم : يا رسولَ الله ؛ إنه قد كان منّا رجلٌ فى رحالنا وهو غلام حَدَثٌ ، وأزرى به ، فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ ما أعطى القوم ؛ فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم ، وهو يهجوه :

١٧١٧/١

ظَلِلْتَ مُفْترِشاً هَلباكَ تشتِمُنى[7] عند الرسولِ فلم تَصدُقْ ولم تُصِبِ

إنْ تُبْغِضُونا فإنّ الرُّومَ أصْلُكُمُ والرُّوم لا تملِكُ البغضاءَ للعَرَبِ

سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكمْ مُؤخَّرٌ عندأصلِ العَجْبِ والذَّنَبِ[8]

---

(١) يخاض يخلط . (٢) السلع : نبات مسموم .

(٣) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٤) شمعوا : هزلوا ؛ وأصل الشمع اللهو والطرب . وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى للزبرقان ، أنشدها فى وفد بنى تميم عند الرسول ، أولها :

أتيناكَ كيما يَعلم الناسُ فضْلَنا إذا احتفلوا عند احتضار المواسمِ

وأجابه حسان بأبيات أخرى أيضا ، أولها :

هل المجْدُ إلا السّودَدُ العوْدُ والندى وجَاهُ الملُوكِ واحتمال العظائمِ !

إلى آخر الأبيات . .

(٥) مؤتى له : موفق .

(٦) ابن هشام : « ولأصواتهم » .

(٧) ابن هشام « مفترش الهلباء » .

(٨) ابن هشام : ٣ : ٣٢٣ — ٣٢٧

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ ﴾ – من بنى تميم – ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١) ؛ قال : وهى القراءة الأولى (٢) .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها مات عبدُالله بن أبىّ بن سَلُول، مرِضَ فى ليال بقِينَ من شوال ، ومات فى ذى القَعْدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

* * *

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوك حِمْيَر فى شهر رمضان مُقرين بالإسلام ؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كُلاَل ونعيم ابن عبد كُلاَل ، والنعمان قَيْل ذى رُعَيْن .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدم علَىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابُ ملوكِ حمْيَر مَقْدَمَهُ من تَبُوك ورسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال ، والنعمان قيْل ذى رُعَين ، وهَمْدان ومَعافِر ؛ وبعث إليه زُرْعة ذو يَزَن مالكَ بن مُرّة الرَّهاوىّ بإسلامه ، ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ١٧١٨/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبىّ رسولِ الله إلى الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كُلال والنعمان(٣) قَيْل ذى رُعَين وهَمْدان ومَعافر ؛ أما بعد ذلكم ؛ فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو . أما بعدُ ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلَنا(٤) من أرض الرّوم ، فلقِينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتم ،

(١) سورة الحجرات ٤ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧

(٣) ابن هشام : « وإلى النعمان » . (٤) ابن هشام : « منقلبنا » .

وخبّر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ؛ وإنّ الله قد هداكم بهدايته[١] ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ؛ وأعطيتم من المغانم خُمس الله ، وسهم نبيّه وصفيّه ؛[٢] وما كُتب على المؤمنين من الصّدقة من العَقار[٣] عُشْرُ ما سَقت العين وما سَقت السماءُ ، وكلّ ما سُقى بالغَرْب[٤] نصف العُشْر ، وفى الإبل فى الأربعين ابنة لَبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكرٌ ، وفى كلّ خمس من الإبل شاة ، وفى كلّ عشر من الإبل شاتان ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرةٌ ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تَبيعٌ ؛ جَذَعٌ أو جَذَعَة ، وفى كلّ أربعين من الغنم سائمة وحدَها ، شاة . وإنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومَنْ أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر[٥] المؤمنين على المشركين ؛ ١٧١٩/١ فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ؛ وله ذمّة الله وذمة رسوله . وإنه مَنْ أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنّ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومَنْ كان على يهوديّته أو نصرانيّته فإنه لا يفتَنُ[٦] عنها ، وعليه الجزية ؛ على كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ؛ دينار وافٍ أو قيمته من المَعافر[٧] أو عرْضُهُ[٨] ثياباً ؛ فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ؛ فإنّ له ذمة الله وذمة رسوله ، ومَنْ منعه فإنه عدوٌّ لله ولرسوله .

أما بعد ؛ فإنّ رسولَ الله محمداً النبيّ أرسلَ إلى زُرْعة ذى يَزَن أن إذا أتتْكم[٩] رُسُلى فأوصيكم بهم[١٠] خيراً : مُعاذ بن جَبَل ، وعبد الله بن زيد ومالك بن عُبادة ، وعُقْبة بن نَمِر ، ومالك بن مُرّة وأصحابهم ؛ وأن اجْمَعُوا ما عندكم من الصدقة والجزْية من مخالِفيكم وبلّغوها[١١] رُسُلى ، وإنّ أميرهم معاذ بن جبل ؛ فلا ينقلبنّ إلاّ راضياً .

---

(١) ابن هشام : « بهداه » .
(٢) الصفى : نصيب الرئيس من الغنيمة .
(٣) العقار : الأرض التى تزرع .
(٤) الغرب : الدلو .
(٥) ظاهر : عاون وآزر .
(٦) ابن هشام : « لا يرد عنها » .
(٧) المعافر : ثياب اليمن .
(٨) ابن هشام : « أو عوضه » .
(٩) ابن هشام : « أتاكم » .
(١٠) كذا فى ابن هشام ، فى ط : « بها » .
(١١) ابن هشام : « أبلغوها » .

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرُّهاوىّ قد حدثنى أنك أسلمت من أوّل حميَر ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيْراً ، ولا تَخُونُوا ولا تخذلوا فإنّ رسولَ الله مولى غنيّكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهله ؛ إنما هى زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكاً قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب ، وآمرُكم به خيراً ، وإنى قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينى [1] ، وأولِى علمهم ؛ فآمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [2] .

١٧٢٠/١

* * *

قال الواقدىّ : وفيها قدمَ وفْدُ بَهْراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بنى البَكّاء .

وفيها قدم وفد بنى فَزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلا ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نَعَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشىَّ ، وأنه مات فى رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة فى ثلثمائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بَدَنَة ، وساق أبو بكر خمسَ بدنَات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب عليه السلام على أثر أبى بكر رضى الله عنه ، فأدركه بالعَرْج ، فقرأ علىّ عليه براءة يوم النحر عند العقبَة . فحدّثنى محمد بن الحُسين ، قال : حدّثنا أحمد بن المُفَضَّل ، قال : حدّثنا أسباط ؛ عن السّدّىّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

---

(١) ابن هشام : « دينهم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٦ .

١ / ١٧٢١ — يعنى من سورة براءة — فبعث بهنّ رسول الله مع أبى بكر ، وأمّره على الحجّ ، فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحُلَيْفة أتبعه بعَلِىّ ، فأخذها منه ؛ فرجع أبو بكر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، بأبى أنت وأمى! أنزِل فى شأنى شىءٌ ؟ قال : لا ؛ ولكن لا يبلّغ عنّى غيرى أو رجل منّى. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنتَ معى فى الغار ، وأنك صاحبى على الحوض ! قال : بلَى يا رسول الله . فسار أبوبكر على الحجّ ،وسار علىٌّ يُؤذِن ببراءة ، فقام يوم الأضْحَى فآذن فقال : لا يقربَنّ المسجد الحرام مشرِك بعد عامه هذا ، ولا يطوفَنّ بالبيت عُريان ، ومَنْ كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده [١] إلى مدّته ، وإنّ هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يُدخِل الجنة إلاّ مَنْ كان مسلمًا . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد[٢] ابن عمّك إلاّ من الطعن والضرب.

فرجع المشركُون فلام بعضهم بعضًا ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسْلَمَتْ قريش ! فأسلموا[٣] .

حدّثنى الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا عبد العزيز بن أبان ، قال : حدّثنا أبو معشَر ، قال : حدّثنا محمد بن كعب القرَظىّ وغيره ، قالوا : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على المَوْسِم سنة تسع ، وبعث علىّ بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من « براءة »، فقرأها على الناس ، يؤجّل المشركين أربعة أشهر يَسيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ، أجّل المشركين عشرين يومًا من ذى الحجّة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، ولا يحجّن بعد عامنا هذا مشرك ، ولا يطوفنّ بالبيت عُريان[٤] .

١ / ١٧٢٢ قال أبو جعفر : وفى هذه السنة فُرِضت الصدقات ، وفَرّقَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عُمّاله على الصدقات .

---

(١) س : « فعهده » . (٢) التفسير : « أو عهد » .
(٣) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٩ (٤) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٠

وفيها نزل قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾[١]؛ وكان السبب الذى نزل ذلك به قصّة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلىّ[٢] .

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة ماتت أمّ كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، وغسلتْها أسماء بنت عُمَيس وصفيّة بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتْها نسوة من الأنصار ، فيهنّ امرأة يقال لها أمّ عطيّة ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

* * *

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد]

وفيها قدم وفد سعد هُذَيم . حدّثنا ابنُ حميد . قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى سلَمة بن كُهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع ، عن كُرَيب مولى ابن عبّاس ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : بعث بنو سَعْد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فقدم عليه ؛ فأناخ بعيرَه على باب المسجد ثم عقَلَه ، ثم دخل المسجد ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضمام بن ثعلبة رجلاً جَلْداً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيّكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسولُ الله : أنا ابن عبد المطلب . قال : محمد[٣] ؟ قال : نعم ، قال : يابن عبد المطلب . إنى سائلك ومُغْلظٌ لك[٤] فى المسألة ، فلا تَجِدَنّ فى نفسك ! قال : لا أجد فى نفسى ، فَسَلْ عمّا بدا لك . قال : أنشدُك بالله[٥] إلهك وإله مَن كان قبلك وإلهِ مَنْ هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان

١٧٢٣/١

(١) سورة التوبة ١٠٣ . (٢) أسباب النزول للواحدى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) ابن هشام : « أمحمد ؟ » . (٤) ابن هشام : « عليك » .

(٥) ابن هشام : « أنشدك الله » .

قبلك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمَرَك أن نأمُرَنا أن نَعْبُدُه وَحْدَه ، ولا نشرك به شيئًا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت آباؤنا تعبد من دونه[1] ؟ قال : اللهمّ نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله مَنْ كان قبْلَك وإله مَنْ هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نُصَلِّيَ هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهمّ نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائضَ الإسلام فريضة فريضة ؛ الزكاة ، والصيام ، والحجّ ، وشرائع الإسلام كلّها ، يناشده عن كلّ فريضة كما ناشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدّى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتَنى عنه ، ثم لا أنقصُ ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً[2] . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى : إن صدق ذو العَقِيصَتَيْن[3] يدخل الجنة . قال : فأتى بعيرَه فأطلق عِقَاله ، ثم خرج حتى قدِم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أوّل ما تكلم به أن قال : باست اللات والعزّى! قالوا : مَهْ يا ضِمام ! اتّق البرصَ ، اتّق الجذام ، اتّق الجنونَ ! قال : وَيْحكم[4] ، إنهما والله لا ينفعان ولا يضرّان ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً ، استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

١/١٧٢٤

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم فى حاضره[5] رجل ولا امرأة إلا مسلما . قال : يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافدِ قومٍ كان أفضلَ من ضِمام بن ثعلبة[6] .

---

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .
(٢) من ابن هشام .
(٣) العقيصة : الضفيرة من الشعر .
(٤) ابن هشام : « ويلكم » .
(٥) الحاضر : الحى .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سريّة خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد فى شهر ربيع الآخر — وقيل فى شهر ربيع الأول ، وقيل فى جُمَادى الأولى — سريّةً فى أربعمائة إلى بنى الحارث بن كعب .

فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد فى شهر ربيع الآخر — أو فى جمادى الأولى — من سنة عشر ، إلى بَلْحارث بن كعب بنجْران ، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابُوا لك فاقبل منهم ، وأقِمْ فيهم ، وعلّمهم كتابَ الله وسنّة نبيِّه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلْهم .

فخرج خالدٌ حتى قدِم عليهم ، فبعث الرّكبان يضربون فى كلّ وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يأيها الناس أسْلِموا تَسْلَموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ؛ يعلّمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيِّه .

ثم كتب خالدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السّلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته ؛ فإنى أحمَد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد يا رسولَ الله صلّى الله عليك ؛ بعثتَنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتُهم ألاّ أقاتلَهم ثلاثةَ أيام ، وأن أدعوَهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلتُ منهم وعلّمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه ، وإن لم يُسْلموا قاتلتهم . وإنى قدمتُ عليهم فدعوتُهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم رُكبانًا [قالوا][1] : يا بنى الحارث ، أسْلِموا

١ / ١٧٢٥

(١) من ابن هشام .

تَسْلَموا، فأسلَموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيمٌ بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه؛ وأعلّمهم معالم الإسلام وسنة النّبيّ صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله، والسلام عليك يا رسولَ الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبيّ رسول الله إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو؛ أما بعد، فإنّ كتابك جاءنى مع رسُلك بخبر أنّ بنى الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتَلوا[1]، وأجابوا إلى ما دعوتَهم إليه من الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه؛ فبشِّرْهم وأنذِرْهم، وأقْبلْ وليُقبلْ معك وفدُهُمْ؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل معه وفدُ بلْحارث بن كعب؛ فيهم قيس بن الحُصين بن يزيد بن قَنَان ذى الغُصّة، ويزيد بن عبد المدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُرَيظ[2] الزيادىّ؛ وشدّاد بن عبد الله القَنانىّ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابىّ. ١/١٧٢٦

فلما قدِمُوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم، فرآهم قال: مَنْ هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟ قيل: يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب؛ فلمّا وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سلّموا عليه، فقالوا: نشهد أنك رسولُ الله، وأن لا إله إلا الله، فقال رسول الله: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أنتم الذين إذا زُجِروا استقدموا! فسكتوا، فلم يراجعْه منهم أحد، ثم أعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها رسول الله الثالثة فلم يراجعْه منهم أحد، ثم أعادها رسولُ الله الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدَان: نعمْ يا رسولَ الله، نحن الذين إذا زُجِرنا استقدمنا، فقالها أربعَ مرات[3]، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لو أنّ خالدَ بن الوليد لم يكتُبْ إلىّ فيكم

(١) ابن هشام: «تقاتلهم». (٢) ابن هشام: «قراد».
(٣) ابن هشام: «قالها أربع مرار».

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمَا والله يا رسول الله ، ما حمِدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله: فمن حَمِدتم؟ قالوا: حَمِدْنا الله الذى هدانا بك[يا رسول الله][١]؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: بمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم فى الجاهليّة ؟ قالوا: لم نكن نغلب أحداً ، فقال رسولُ الله : بلى قد كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم ، قالوا : يا رسولَ الله ، كنا نغلب مَنْ قاتلنا ، أنّا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرّق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمّر رسولُ الله علىَ بلْحارث بن كعب قيسَ بن الحُصين . فرجع وفد بلْحارث ابن كعب إلى قومهم فى بقيّة شوال أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن قدِموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم[٢].

١/١٧٢٧

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر ، قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عَمْرَو بن حزم الأنصاريّ ، ثم أحد بنى النّجار، ليفقّههم فى الدين ويعلّمهم السنّة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٣]؛ عقدٌ من محمد النبيّ لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمر به الله وأنْ يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم فى الدين ، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلاّ وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ؛ وبالذى عليهم ؛ ويلين للناس فى الحقّ ، ويشتدّ عليهم فى الظلم ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[٤] ، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧، ٣٤٨ .
(٣) سورة المائدة ١ (٤) سورة هود ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى ينفقّهوا فى الدّين ، ويعلّم الناس معالمَ الحجّ وسنّته وفريضته ، وما أمر الله به فى الحجّ الأكبر والحجّ الأصغر ؛ وهو العُمْرة ، وينهَى الناس أن يصلّيَ أحدٌ فى ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوبًا واحداً يثنى طرَفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبِيَ أحدٌ فى ثوب واحد يُفْضِى بفرْجه إلى السماء ، وينهى ألاّ يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطّعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحدَه لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ ، وأمره بالصّلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغلّس بالفجر ، ويهجّر بالهاجرة حين تَميل الشمس ، وصلاة العصر والشمسُ فى الأرض مدبرة ، والمغرب حينَ يقبل الليل ؛ لا تؤخّر حتى تبدوَ النجوم فى السماء ، والعشاء أوّلَ الليل . ويأمر بالسّعى إلى الجُمُعة إذا نودى لها ، والغُسل عند الرّواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خُمسَ الله وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عُشْر ما سقى البعل وما سقت السماء وممّا سقى الغرْب نصف العشر ، وفى كلّ عشْر من الإبل شاتان ، وفى كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفى كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفى كلّ ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفى كلّ أربعين من الغنم سائمةٌ شاةٌ ؛ فإنها فريضة الله التى افترض الله عزّ وجلّ على المؤمنين فى الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهودىّ أو نصرانىّ إسلامًا خالصًا من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما لهمْ وعليه مثل ما عليهم ؛ ومَنْ كان على نصرانيّته أو يهوديته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضه[1] ثيابًا ؛ فمن أدّى ذلك ؛ فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَنْ منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا[2] .

(١) ابن هشام : « أو عوضه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

١٧٢٨/١
١٧٢٩/١

* * *

قال الواقدىّ : توفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم عامله بنَجْران .

* * *

قال الواقدىّ : وفى هذه السنة قدم وفد سَلامان فى شوّال على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السَّلامانىّ .

وفيها قدِم وَفْدُ غَسّان فى رمضان .

وفيها قدم وفد غامد فى رمضان .

* * *

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صُرَد بن عبد الله فى بضعة عشر . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكْر ، قال : قدم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صُرَد ابن عبد الله الأزدىّ فأسلم فحسن إسلامه ، فى وفد من الأزد ، فأمّرَه رسولُ الله على مَنْ أسلم من قومه ، وأمَره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله فى جيش حتى نزل بجُرَش ؛ وهى يومئذ مدينة مغلَقة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضَوَتْ إليهم خَثْعم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريبًا من شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال له «كَشَر»[1] ظنّ أهل جُرَش أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا ؛ فخرجوا فى طلبه ؛ حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا ؛ وقد كان أهل جُرَش قد بعثوا رجلين منهم إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينا هما عند رسول الله عشيّةً بعد العصر ، إذْ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بأىّ بلاد الله شَكَر ؟ فقام الجُرَشيّان فقالا : يا رسولَ الله ؛ ببلادنا جبل

١/١٧٣٠

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كَشَر ؛ وكذلك تسمّيه أهلُ جرش ، فقال: إنه ليس بكشرَ ؛ ولكنه « شكر» قالا : فماله يا رسول الله ؟ قال : إنّ بُدْنَ الله لتُنحرَ عنده الآن . قال فجلس الرّجُلان إلى أبي بكر وإلى عثمان ، فقال لهما: ويحَكما ! إنّ رسول الله الآن لينْعَى لكما قومكما[1] ، فقوما إلى رسول الله فاسألاه أن يدعوَ الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهمّ ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعيْن إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرَد بن عبد الله في اليوم الذى قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفدُ جُرَش حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرَس ، وللراحلة ، وللمثيرة تُثير[2] الحرث ؛ فمَنْ رعاها من الناس سوى ذلك فمالُه سُحْتٌ ، فقال رجل من الأزد فى تلك الغزوة — وكانت خثعم تصيب من الأزْد فى الجاهلية وكانوا يغزُون[3] فى الشهر الحرام : ١/١٧٣١

ياغَزْوَةً ما غزَوْنا غيرَ خائبةٍ فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ

حتى أتينا حُمَيْراً فى مَصانعِها وجَمْعَ خَثْعَمَ قَدْ سَاغَتْ لَهَا النُّذُرُ[4]

إذَا وَضَعْتُ غَليلا كنت أحمِلُه فما أبالِى أدَانوا بعدُ أمْ كَفَروا ![5]

* * *

[سريّة على بن أبى طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب فى سرّية إلى اليمن فى رمضان . فحدّثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيّاج ، قالا : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن الأرْحَبىّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق ، عن البَرَاء بن عازب ، قال : بعثَ

(١) أى يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرث » .

(٣) ابن هشام : « يعدون » ، أى يعتدون .

(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .

(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا . والخبرة فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفِل خالداً ومَنْ معه ، فإن أراد أحد ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقّب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البَرَاء : فكنت فيمن عقّب معه ؛ فلمّا انتهينا إلى أوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلّى بنا عليٌّ الفجر ، فلما فرغ صَفّنا صفّاً واحداً ، ثمّ تقدّم بين أيدينا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمَتْ هَمْدان كلُّها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجداً ، ثم جلس ، فقال : السلام على هَمْدان ، السلام على هَمْدان ! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

* * *

[قدوم وفد زُبيد]

قال أبو جعفر : وفيها قدِم وفدُ زُبَيد علَى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمةُ ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدِم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرُو بن معدِ يكرب في أناس من بني زُبَيد ، فأسلم ، وكان عمرو بن معديكرب قد قال لقيس بن مكْشُوح المُرادِيّ حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ؛ إنك سيّد قومِك اليوم ؛ وقد ذُكر لنا أنّ رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول ، إنيّ نبيّ ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم عِلْمَه ؛ فإن كان نبيّاً كما يقول ؛ فإنه لا يخفى [1] عليك . إذا لقيناه اتبعناه [2] ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علَمه ، فأبى عليه ذلك قيسُ بن مكشوح وسفّه رأيه .

---

(١) ابن هشام : « لن يخفى » . (٢) ابن هشام : « وإذا لقيناه اتبعناه »

فركب عمرو بن معد يكربَ حتى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدّقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيسًا أوعد عمرًا، وتحفّظ عليه[1]، وقال : خالفني وترك رأيي ! فقال عمرو في ذلك :

١٧٣٣/١

أمَرْتكَ يومَ ذي صنْعا ءِ أمْراً بادياً رَشَدُهْ

أمَرْتكَ باتقّــاءِ اللـ ـه والمعروف تا تعدُهْ[2]

خَرجتَ مِنَ المُنَى مثْلَ الـ ـحِمارِ أعارَهُ وَتِدُهْ[3]

تَمَنّاني على فرسٍ عليه جالسًا أسَدُهْ

علىّ مُفاضَةٌ كالنّهْـ ـيِ أخْلصَ ماءَهُ جَدَدُهْ[4]

تَرُدُّ الرُّمْح مَثنِيَّ الـ ـسِّنان عَوائراً قِصَدُهْ[5]

فلَوْ لاقَيْتَني لاقَيـ ـتَ لَيْثاً فوقه لِبَدُهْ[6]

تلاقي شَنْبَثاً شَثْنَ الـ ـبَرائنِ ناشزاً كَتَدُهْ[7]

يُسامي القِرْنَ إنْ قِرْنٌ تيمّمَهُ فيَعتَضِدُهْ[8]

فيأخُــذُه فيرْفعه فَيَخفِضُه فيَقتَصِدُهْ[9]

فيَدْمَغــه فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمه فيَزْدَرِدُهْ[10]

ظَلومُ الشِّرْكِ فيما أحـ ـرَزَتْ أنيـابُهُ ويَدُهْ

---

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أي اشتد .

(٢) في ابن هشام : « تتعده » .

(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .

(٤) الدرع المفاضة : الواسعة . والنهي : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٥) عوائر : متطايرة . والقصد : جمع قصدة ؛ وهي ما يكسر من الرمح .

(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهي ما على كتفي الأسد ورأسه من الشعر .

(٧) الشنبث : الذي يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشثن : الغليظ الأصابع ، والبراثن للسباع بمنزلة الأصابع للإنسان . وناشز : مرتفع . والكتد : ما بين الكتفين .

(٨) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٩) يقتصده : يقتله .

(١٠) يدمغه : يذهبه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله .

مَتى ما يغدُ أو يُغْدَى به فَقَبُــــوله برده[١]
فَيخطِر مِثْلَ خَطْرِ الفَحـ ـلِ فَوقَ جِرانِهِ زَبَدُهْ
١/١٧٣٤ فأمسَى يَعتريه مِنَ الـ بَعوضِ ممنَّعًا بلَدُهْ
فـلاَ تَتَمَنَّنى وتَمَـــنَّ غَيْرِى لَيِّنًا كَتَدُهْ
وبَوِّئْنِى له وَطَنًا[٢] كَثيراً حولَه عَدَدُهْ

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زُبَيْد ؛ وعليهم فَرْوة ابن مُسَيْك المُرادىّ ، فلما توفّى رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم ارتدّ عمرو فقال حين ارتدّ :

وَجَدْنا مُلْكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَاراً سَافَ مُنْخُره بِقَذْرِ[٣]
وكُنْتَ إذا رَأَيْتَ أبا عُمَيْرٍ تَرَى الحُوَلاَءَ مِن خُبْثٍ وغَدْرِ[٤]

* * *

[قدوم فَرْوَة بن مسيك المرادىّ]

وقد كان قدم على رسول الله فى هذه السنة ــ أعنى سنة عشر ــ قبل قدوم عمرو ابن معد يكرب ، فَرْوَةُ بن مُسَيك المُرادىّ مفارقًا لملوك كِندة . فحدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدم فَرْوة بن مُسيك المرادىّ علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك كِنْدة ، ومعانداً لهم ؛ وقد كان قُبَيْلَ الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعة أصابت فيها هَمْدان من مُرَاد ما أرادوا ؛ حتى أثخنوهم[٥] فى يوم كان يقال له الرّزْم ؛ وكان الذى قاد هَمْدان إلى مُراد الأجدع بن مالك ، ففضحهم يومئذ ، وفى ذلك يقول فَرْوة بن مُسَيك :

---

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة مما لم يذكر فى سيرة ابن هشام .
(٢) ط : « وثوى» .
(٣) ساف : شم . وفى ابن هشام : « بثفر » . عن أبى عبيدة .
(٤) الحولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمر . والخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .
(٥) أثخنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

١٧٣٥/١

فَإِنْ نَغْلِبْ فغلاّبونَ قِدْماً ... وإنْ نُهْزَمْ فغيْرُ مُهزّمِينا [١]

وإنْ نُقْتَلْ فلاَ جُبْنٌ ولكن ... منايانا وطُعْمَةُ آخَرينا [٢]

كَذَاكَ ٱلدَّهْر دولته سِجَالٌ ... تَكرُّ صُرُوفُه حيناً فحِينا [٣]

فبَينَاهُ يُسَرُّ بِهِ ويرضَى ... ولَو لُبِسَتْ غَضَارَتُه سِنِينَا [٤]

إذ ٱنقَلَبَتْ بِهِ كرّاتُ دَهْرٍ ... فألفَى للأُولى غَبطُوا طَحِينا [٥]

ومَنْ يُغبط برَيْبِ ٱلدّهرِ منهم ... يجدْ رَيْبَ الزّمَانِ له خَؤونا

فلَوْ خَلَدَ الملوكُ إذًا خَلَدْنا ... ولَوْ بَقِيَ الكِرَامُ إذًا بَقِينا

فأفْنَى ذَاكُمُ سَرَوَات قوْمِى ... كما أفْنَى القرونَ الأوّلينا [٦]

ولما توجّه فَروة بن مُسَيك إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مفارقًا لملوك كِنْدة قال :

لما رَأيْتُ ملوكَ كِنْدَةَ أعْرَضَت ... كالرّجْلِ خَانَ ٱلرّجْلَ عِرْقُ نَسَائِها [٧]

يمّمْتُ رَاحلتى أؤُمُّ مُحَمّدًا ... أرْجُو فوَاضِلها وَحُسْنَ ثرَائِها

١٧٣٦/١

قال : فلمّا انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله — فيما بلغنى : يا فرْوة ، هل ساءك ما أصاب قومك يومك يوم الرّزم [٨] ؟ فقال : يا رسول الله ، ومَنْ ذا يصيب قومَه مثل ما أصاب قومى يوم الرّزم لا يسوءه

---

(١) ابن هشام : « وإن نغلب فغير مغلبينا » .

(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طبنا جبن ولكن » ، قال فى اللسان : « طبنا ، يجوز أن يكون معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم فغلبنا فغير مغلبين ، والمغلب : الذى يغلب مرارا ؛ أى لم نغلب إلا مرة واحدة » .

(٣) سجال من المساجلة ؛ وأصله فى البئر يستقى هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة للإنسان وتارة عليه .

(٤) غضارة الشىء : طراوته .

(٥) غبطوا : حسنت حالتهم.

(٦) سروات الناس : أشرافهم .

(٧) النسا : عرق مستبطن فى الفخذ ؛ وهو مقصور ومده للشعر .

(٨) ابن هشام : « الردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إنّ ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْد ومَذْحِج كلّها ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَقة ، وكان معه فى بلاده حتى تُوفِّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [1].

حدّثنا أبو كُرَيب وسفيان بن وكيع ، قالا : حدّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حدّثنا عامر ، عن فَرْوة بن مُسَيك ، قال : قال رسول الله : أكرهت يومك ويوم هَمْدان ؟ فقلت : إى والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خيرٌ لمن بقى .

* * *

[قدوم الجارود فى وفد عبد القيس]

وفيها قَدِم وفْد عبد القيس ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حنَش بن المعلّى ، أخو عبد القيس فى وفد عبد القيس وكان نصرانيًّا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّمه ؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ؛ وإنى تاركٌ دينى لدينك ؛ فتضمن [2] لى دَيْنى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسولَ الله الحُمْلان ؛ فقال : والله ما عندى ما أحْمِلُكم عليه ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالّ من ضوالّ الناس ؛ أفنتبلّغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَق النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعًا إلى قومه — وكان حسنَ الإسلام صُلْبًا على دينه — حتى هلك ؛ وقد أدرك الرِّدةَ ، ١/١٧٣٧

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .
(٢) ابن هشام : « أفتضمن ؟ » .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأوّل مع الغَرور[١]، المنذر ابن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادةَ الحقّ ودعا إلى الإسلام ، فقال : يأيها الناس ؛ إنى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأُنهى مَنْ لم يشهد[٢] .

وقد كان رسول الله بعث العَلاءَ بن الحضرمىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوَى العبدىّ ، فأسلم فحسُن إسلامه ؛ ثم هلك بعد وفاة رسول الله، وقبل رِدّة أهل البَحْرَيْن ، والعَلاءُ أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين[٣] .

* * *

[قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيها قدم وفد بنى حنيفة؛ حدّثنا ابنُ حميد، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق، قال : قدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وفد بنى حَنيفة ؛ فيهم مُسيلمة بن حبيب الكذّاب ، فكان منزلهم فى دار ابنة الحارث؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدّثنى بعضُ علمائنا من أهل المدينة ، أنّ بنى حنيفة أتتْ بمسَيْلمة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله جالس فى أصحابه ، ومعه عَسيبٌ[٤] من سَعف النَّخل ، فى رأسه خُوصات ، فلمّا انتهَى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يستّرونه بالثّياب ، كلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : لو سألتَنى هذا العسيب الذى فى يدى ما أعطيتك ! ١٧٣٨/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة، عن ابن إسحاق؛ عن شيخ من بنى حَنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديثُ مسيلمة على غير هذا ؛

(١) قال السهيلىّ : « إنما سمى الغرور لأنه غر قومه فى تلك الردة ، أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك » .
(٢) ابن هشام : « وأكفر من لم يشهد » . قال : ويروى : « وأكنى من لم يشهد » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ .
(٤) العسيب : جريد النخل .

زعم أن وفدَ بنى حنيفة أتوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وخلّفوا مسيلمة فى رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسولَ الله؛ إنا قد خلّفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشرّكم مكانًا ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذى] [١] يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسولِ الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذّب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتمونى : « أما إنه ليس بشرّكم مكانًا »! ما ذلك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجَع السّجعات [٢] ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [٣] للقرآن : «لقد أنعم الله على الحُبْلى، أخرج منها نسمة تَسْعَى ، من بين صفاق [٤] وحشى» ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحلّ لهم الخمر والزّنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم أنه نبىّ [٥] ، ١٧٣٩/١ فأصفقت [٦] بنو حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أىّ ذلك كان [٧] .

* * *

[قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفدُ كِنْدة ؛ رأسهُم الأشعث بن قيس الكندىّ ؛ فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهرىّ ، قال : قدِم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس فى ستين راكبًا من كِندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدَه ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ابن هشام : « الأساجيع » .
(٣) مضاهاة : مشابهة . (٤) الصفاق : مارق من البطن .
(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى » .
(٦) أصفقوا على ذلك : أجمعوا عليه .
(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَّلوا جُمَمَهُم (١)، وتكحّلوا ، عليهم جُبَبُ الحِبرة؛قد كَفَّفُوها(٢) بالحرير؛ فلمّا دخلُوا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بالُ هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشَقّوه منها فألقوْه ، ثم قال الأشعث : يا رسولَ الله ؛ نحن بنو آكل(٣) المُرار ، وأنت ابن آكل المُرار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال : ناسبوا بهذا النَّسَب العباس ابن عبد المطلب وربيعة بن الحارث . قال: وكان ربيعة والعبّاس تاجرَين؛ فكانا إذا ساحا فى أرض العرب فسئلا مَنْ هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المُرار؛ يتعزّزان بذلك ؛ وذلك أن كِنْدة كانت ملوكًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن بنو النَّضْر بن كنانة لا نَقْفُو أمَّنا (٤)، ولا ننتفى من أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل عرفتم يا معشَر كندة ! والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حَدَّهُ ثمانين (٥) .

* * *

قال الواقدىّ : وفيها قدم وفدُ محارب

وفيها قدم وفدُ الرّهاويّين.

وفيها قدم وفد العاقب والسَّيِّد من نجْران ، فكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح . ١/١٧٤٠

قال : وفيها قدم وفد عَبْس .

وفيها قدم وفد صَدِف ، وافوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجّة الوداع .

---

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا . والجمم : جمع جمة ؛ وهى مجتمع شعر الناصية الذى يصل إلى المنكبين .

(٢) كففوها : جعلوا لها سجفا من حرير.

(٣) قال ابن هشام : « الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندى– ويقال كندة » .

(٤) لا نقفوا أمنا : لا نتبع نسب أمنا،قال السهيلى : « وذلك أن فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم من هى من هذا القبيل ؛ منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ؛ وهى أم كلاب بن مرة » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

قال : وفيها قدم عدىّ بن حاتم الطائىّ ، فى شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هِرَقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاثة فى ميراثه ، فَقُضِىَ به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوَبَر .

* * *

[قدوم رفاعة بن زيد الجذامىّ]

قال : وفيها قدم وفد خَوْلان ، وهم عشرة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى ابن إسحاق ، قال : حدّثنى يزيدُ بن أبى حبيب ، قال : قدِم علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هُدْنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد الجُذامىّ ثم الضُّبَيْبىّ ؛ فأهدى لرسول الله غلامًا ، وأسلم فحسُن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتابًا ، فى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إنّى بعثته إلى قومه عامّةً ومَنْ دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمَنْ أقبل فمِنْ حزب الله وحزب رسوله ، ومَنْ أدبر فله أمان شهريْن . فلمّا قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثمّ ساروا إلى الحَرّة ؛ حَرّة الرّجلاء فنزلوها [1] .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن رجال من جُذام كانوا بها علماءَ ، أنّ رفاعة بن زيد ، لما قدِم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحْيه بن خليفة الكلبىّ مِنْ عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ومعه تجارة له ؛ حتى إذا كان بوادٍ من أوديتها ، يقال له : شَنار ؛ أغار على دِحية الهُنَيْد بن عَوْص وابنه عوص بن الهُنَيد ، الضُّلَيْعيّان — والضُّلَيْع بطن من جُذام — فأصابا كلّ شىء كان معه ؛ ١/١٧٤١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٨ .

فبلغ ذلك نفرًا من بنى الضُّبَيْب قوم رفاعة ممّنْ كان أسلَم وأجاب، فنفروا إلى الهُنَيد وابنه، فيهم من بنى الضُّبيب النّعمان بن أبى جِعال، حتى لقُوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشْقَر الضِّفارىّ ثم الضُّلَيْعىّ، فقال: أنا ابن لُبْنَى؛ ورمى النّعمانَ بن أبى جِعال بسهم فأصاب رُكبتَه، فقال حين أصابه: خُذْها وأنا ابن لُبنى — وكانت له أمٌّ تدعى لُبنى — قال: وقد كان حسّان بن مِلّة الضُّبَيْبِىّ قد صحب دِحيْة بن خليفة الكلبىّ قبل ذلك؛ فعلّمه أمَّ الكتاب؛ فاستنقذوا ما كان فى يد الهُنيد وابنه عوص، فردُّوه على دِحيْة؛ فسار دِحْية حتى قدِم على رسولِ الله، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهُنيد وابنه؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة — وذلك الذى هاج غزوة زيد جُذَامًا، وبعث معه جيشًا — وقد وجّهت غطفان من جُذام كلّها ووائل ومَنْ كان من سَلامان وسعد بن هُذَيم حين جاءهم رفاعة بن زيد بكتاب رسول الله؛ فنزلوا بالحَرّة؛ حرَّة الرجلاء، ورفاعة بن زيد بكُرَاع رَبَّة ولم يعلم، ومعه ناسٌ من بنى الضبيب وسائر بنى الضُّبيب بوادٍ من ناحية الحَرَّة ممّا يسيل مُشَرِّقًا، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج؛ فأغار بالفَضَافِض من قِبَل الحرّة، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس، وقتلوا الهُنَيد وابنه ورجُلَيْن من بنى الأحنف، ورجلاً من بنى خَصيب؛ فلمّا سمعت بذلك بنو الضُّبيب والجيش بفَيْفاء مَدَان، ركب حسّان بن ملّة على فرس لسُويد بن زيد يقال لها العَجّاجة، وأنَيف بن ملّة على فرس لملّة، يقال لها رِغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِر؛ فانطلقوا حتى إذا دنوْا من الجيش، قال أبو زيد لأنَيْف بن مِلّة: كفّ عنا وانصرفْ؛ فإنا نخشى لسانَك، فانصرف فوقف عنهما، فلم يبعدا منه؛ فجعل فرسُه تبحث بيدها وتوثّب؛ فقال: لأنا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسَيْن؛ فأرخى لها حتى أدركهما؛ فقالا له: أمّا إذْ فعلت ما فعلت، فكفّ عنا لسانك ولا تشأمْنا اليوم، وتواطئوا [1] ألاّ يتكلم منهم إلاّ حسان بن مَلّة؛ وكانت

١٧٤٢/١

(١) ابن هشام: «فتواطئوا».

١/١٧٤٣ بينهم كلمة فى الجاهلية؛ قد عرفوها ؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : «ثورى [١]» .

فلمَّا برزوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونَهم ؛ فقال حسان : إنا قوم مسلمون ؛ وكان أوّلَ مَنْ لقيهمَ رجلٌ على فرس أدْهم بائع رمحه [٢] يقول معرِّضُه : كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق [٢] ؛ فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : «ثورى» ،فقال حسان: مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسَّان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقرأ أمّ الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا فى الجيش ، إنّ الله قد حرّمَ علينا ثُغرة[٣]القوم التى جاءوا منها إلا من ختَر [٤]؛ وإذا أختٌ لحسان ابن ملّة — وهى امرأة أبى وبْر بن عدىّ بن أمية بن الضُّبيب— فى الأسارى. فقال له زيد : خذها ، فأخذت بحَقْويْه [٥]، فقالت أمُّ الفَزْر الضُّلَيْعية : أتَنْطلقون ببناتكم ، وتَذَرُون أمّهاتكم ! فقال أحد بنى خصيب : إنها بنوالضّبيب ! وسحرت[٦] ألسنتَهم سائر اليوم ؛ فسمعها بعضُ الجيش ؛ فأخبر بها زيد بن حارثة ؛ فأمر بأخت حسان ؛ ففُكّت يداها من حقْويه ، فقال لها : اجلسى مع بنات عمّك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه ؛ فرجعوا ؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ، فأمسَوْا فى أهليهم ؛ واستعتموا ذَوْداً[٧] لسُويد بن زيد ؛ فلما شربوا عتمتَهُم[٨]ركبوا إلى رفاعة بن زيد؛

١/١٧٤٤ وكان ممن ركب إلى رفاعة تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شمّاس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعْجة بن زيد ، وبرْذع بن زيد ، وثعلبة بن عمرو ، ومَخْرَبة بن عدىّ ، وأنيف بن ملّة ، وحسّان بن ملّة ؛حتى صبّحُوا رفاعة

---

(١) ابن هشام : « أو بورى » . (٢) ساقطة من ابن هشام .

(٣) ثغرة القوم : ناحيتهم التى يحمونها .

(٤) ختر : نقض العهد وخان . (٥) حقو الرجل : خصره .

(٦) ابن هشام : « سحر » .

(٧) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعتموا ذودا : انتظروه إلى عتمة الليل .

(٨) عتمتهم، أى فى وقت العتمة .

ابن زيد بكراع رَبَّةَ بظهر الحرّة على بئر هنالك من حَرّة ليلى ، فقال له حسان بن ملّة : إنك لجالس تحلُبُ المِعزَى ونساء جذام يُجَرّرْنَ أسارى قد غرَّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ؛ فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

* هل أنت حىٌّ أو تُنَادى حيّا *

ثم غدا وهم معه بأميّة بن ضفارة أخى الخصيبىّ المقتول مبكّرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوْا إلى المسجد ، ونظر إليه رجلٌ من الناس ، فقال لهم : لا تُنيخوا إبلكم فتقطع أيديهنّ ، فنزلوا عنها وهن قيامٌ ؛ فلمّا دخلُوا على رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالوْا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق قام رجلٌ من الناس ، فقال : إنّ هؤلاء يا نبىّ الله قومٌ سَحرةٌ ؛ فرددها مرّتين ؛ فقال رفاعة : رحمَ الله من لم يَجْزِنا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعة كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله ١/١٧٤٥ قديمًا كتابُه ، حديثًا غدره . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلمُ ، لا نحرّم عليك حلالاً ، ولا نُحِلّ لك حرامًا ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطْلِقْ لنا يا رسولَ الله مَنْ كان حيًّا ، ومن كان قد قُتِل فهو تحت قدمَيَّ هاتَيْن . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علىُّ ، فقال علىٌّ : يارسولَ الله ؛ إنّ زيداً لن يطيعَنى ، قال : خذ سيفى ، فأعطاه سيفَه ، فقال علىّ : ليس لى راحلة يا رسولَ الله أركبها ، فحمله رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو ، يقال له المكحال ؛ فخرجوا ، فإذا رسولٌ لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبْر ، يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا علىّ ما شأنى ؟ فقال له علىٌّ : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفَحْلَتَيْن ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا ينزعون لبَدَ المرأة من تحت الرّحل[2]

(١) ألاح : أشار .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وفدُ بني عامر بن صَعْصَعَة

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدِم علَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بني عامر ؛ فيهم عامر بن الطفَيل ، وأربَدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجَبّارُ بن سلمَى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رءوس القوم وشياطينهم . ١/١٧٤٦

فقدم عامر بن الطّفيل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغَدْر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إنّ الناس قد أسلموا فأسلِمْ ؛ قال : واللهِ لقد كنتُ آليتُ ألاّ أنتهيَ حتّى تتبع العربُ عَقِبِي ؛ أفأنا أتّبع عقِب هذا الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه ؛ فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسَّيْف ؛ فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالّني[1] ؛ قال : لا والله حتّى تؤمِنَ بالله وحده ، قال : يا محمد خالّني ، قال : وجعل يكلمه فينتظر من أربد ما كان أمرَه به ، فجعل أربد لا يحير شيئًا ، فلمّا رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالّني ، قال : لا والله حتّى تؤمِنَ بالله وحدَه لا شريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنّها عليك خيلاً حُمْرًا ورجالاً ، فلما ولّى قال رسول الله : اللهمّ اكفني عامر بن الطفيْل ، فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي عندي منك ، وايمُ اللهِ لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجلْ عليّ لا أبالك ! والله ما هممت بالذى أمرتَني به من مرة إلاّ دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ! قال عامر بن الطُّفَيل : ١/١٧٤٧

بَعَثَ الرسولُ بمَا ترَى فَكأنَّمَا ... عَمْدًا نَشنّ على المَقَانِب غارَا
وَلَقَدْ وَرَدْنَ بنَا المدينَةَ شُزَّبًا ... ولقد قتَلْنَ بجَوِّهَا الأنْصَارَا

وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عزّ

---

(١) خالني بالتشديد ؛ أى اتخذ نى خليلا ، وبالتخفيف : تفرد لى خاليا .

وجلّ على عامر بن الطُّفيل الطاعون فى عنقه فقتله ؛ وإنّه فى بيت امرأة من بنى سَلول ؛ فجعل يقول : يا بنى عامر ؛ أغُدَّةٌ كغُدَّة البَكْر ؛ وموت فى بيت امرأة من بنى سَلول[1]! ثم خرج أصحابه حين واروْه ؛ حتى قدموا أرضَ بنى عامر ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بنَبْلى هذه حتى أقتلَه ؛ فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومَيْن ، معه جملٌ له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتْهما . وكان أربدُ بن قيس أخا لَبيد بن ربيعة لأمّه[2].

[قدوم زيد الخيل فى وفد طيئ]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ طيّئ ؛ فيهم زيد الخيل ، وهو سيّدهم ، فلما انتهوْا إليه كلّموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ـ كما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن رجال من طيِّئ : « ماذُكر لى رجلٌ من العرب بفضل ثم جاءنى إلاّ رأيته دونَ ما يقال فيه إلاّ ما كان من زيد الخيل ؛ فإنه لم يُبْلَغ فيه كلّ مافيه » . ثم سمّاه زيد الخير ، وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله : إن يَنْجُ زيدٌ من حُمَّى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم] [3] غير الحُمّى وغير أمّ مَلْدَم فلم يُثْبِتْه ـ فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماءٍ من مياهه يقال له فَرْدَة أصابتْه الحمّى ؛ فمات بها ، فلما أحسّ زيد بالموت قال : ١/١٧٤٨

أمُرتَحِلٌ قَوْمِى المَشَارِقَ غُدْوَةً ... وَأُتركُ فِى بَيْتٍ بفَرْدَةَ مُنْجِدِ

ألا رُبَّ يوْمٍ لَوْ مَرِضْتُ لعَادنِى ... عَوَائِدُ مَن لم يُبْرَ مِنهنّ يَجْهَدِ

---

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفتى من الإبل ، والسلولية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ . (٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معها من كتبه التى قطع له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فحرّقتها بالنار[١] .

* * *

[كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه]

وفى هذه السنة كتب مُسيلمة إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم يدّعى أنه أشرِك معه فى النبوّة . حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كان مُسيلمة بن حبيب الكذّاب كتبَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلامٌ عليك ؛ فإنى قد أشرِكت فى الأمر معك ؛ وإن لنا نِصفَ الأرض ولقريش نِصْف الأرض ، ولكنّ قريشًا قوم يعتدون . ١٧٤٩/١

فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب[٢] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن شيخ من أشجع قال ابن حميد : أمّا علىّ بن مجاهد فيقول : عن أبى مالك الأشجعىّ ، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعىّ ، عن أبيه نُعَيم - قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلِمة : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ؛ فقال : أما والله لو لا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ من محمد رسول الله إلى مُسيلِمة الكذّاب . سَلامٌ عَلى من اتَّبَعَ الهدى ؛ أما بعد ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : وكان ذلك فى آخر سنة عشر[٢] .

قال أبو جعفر : وقد قيل : إنّ دعوى مُسيلمة ومَن ادّعى النبوّة من الكذابين فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، إنما كانت بعد انصراف النبىّ من حَجّه المسمىّ حِجّة الوداع ؛ ومرْضته التى مرضَها التى كانت منها وفاته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

حدّثنا عبيد الله بن سعيد الزُّهريّ ، قال : حدّثني عمّي يعقوب بن إبراهيم قال : حدّثني سيف بن عمر – وكتب بذلك إليّ السريُّ يقول : حدّثنا شُعيب ابن إبراهيم التميميّ ، عن سَيْف بن عمر التميميّ الأسيّديّ – قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع الأنصاريّ ، عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله ، قال : لما انصرف النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجّة التّمام ، فتحلّل به السيرُ ، وطارت به الأخبار لتحلّل السير بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قد اشتكى ؛ فوثب الأسود باليمن ومسيلمةُ باليمامة ؛ وجاء الخبر عنهما للنبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبيّ ؛ ثم اشتكى في المحرّم وجعه الذى توفّاه الله فيه . ١٧٥٠/١

* * *

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرّق رسول الله صلى الله عليه وسلّم في جميع البلاد التي دخلها الإسلامُ عُمّالاً على الصدقات . فحدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم قد بعث أمراءَه وعمّاله على الصّدقات ، على كلّ ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبي أميّة بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها ، وبعث زياد بن لَبِيد أخا بني بياضة الأنصاريّ إلى حضْرموت على صدقتها[1] ، وبعث عديّ بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة طيّئ وأسد ، وبعث مالك بن نُوَيْرة على صدقات بني حنظلة ، وفرّق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرميّ على البحرين ، وبعث عليّ بن أبي طالب إلى نَجْران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم[2] . .

* * *

---

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبته من الإصابة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجّة الوداع]

١/١٧٥١ فلمّا دخل ذو القعدة من هذه السنة — أعنى سنة عشر — تجهّز النبىّ إلى الحجّ ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقينَ من ذى القعدة [1]، لا يَذكُر ولا يَذكُر الناس إلاّ الحجّ؛ حتى إذا كان بسَرِف ، وقد ساق رسول الله معه الهدْىَ وأشرافٌ من أشراف الناس ، أمر الناس أن يُحِلّوا بعُمْرة إلاّ من ساق الهدْى ، وحِضْتُ ذلك اليوم؛ فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال: مالك يا عائشة ؟ لعلك نَفِسْتِ ! فقلت: نعم ، لوددت أنّى لم أخرج معكم عامِى هذا فى هذا السفر ، قال: لا تفعلِى ؛ لا تقولِنّ ذلك؛ فإنك تقضين [كلّ][2]ما يقضىّ الحاجّ؛ إلاّ أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحلّ كلّ مَنْ كان لا هدىَ معه ، وحلّ نِساؤه بعمْرة؛ فلمّا كان يوم النحر أتِيتُ بلحم بقر [كثير][3]، فطُرِح فى بيتى ،قلت :ما هذا ؟ قالوا : ذبَح رسول الله عن نسائِه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحَصْبَة ، بعثَنى رسولُ الله مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر ، لأقضىَ عُمْرتى من التّنعيم مكان عُمْرتى التى فاتَتْنى [4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبى نَجيح ، قال : بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم علىّ بن أبى طالب إلى نَجْران ، فلقيَه بمكّة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل علىٌّ علَى فاطمة ابنة رسول الله ،

---

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ، ويقال : سباع بن عرفطة النفارى » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

١٧٥٢/١ فوجدها قد حلّتْ وتهيّأت ، فقال : مالك يابنة رسول الله ؟ قالت : أمرَنا رسولُ الله أن نحلّ بعمرة ؛ فأحللنا ، قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسولُ الله : انطلق فطُفْ بالبيت ، وحلّ كما حلّ أصحابك ، فقال : يا رسولَ الله ، إنى قد أهللتُ بما أهللتَ به ؛ قال : ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك ، قال : قلت : يارسولَ الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهمّ إنى أهللت بما أهلّ به عبدك ورسولك ؛ قال : فهلْ معك من هَدْى ؟ قال : قلت : لا ، قال : فأشركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا من الحجّ ، ونحر رسول الله الهدْىَ عنهما [١].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل علىٌّ بن أبى طالب من اليمن ليلقَى رسول الله بمكّة تعجّل إلى رسولِ الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمَد ذلك الرجل ، فكسا رجالاً من القوم حُلَلاً من البزّ الذى كان مع علىّ بن أبى طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج علىٌّ ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم الحُلل ، فقال : ويْحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا فى الناس ، فقال : ويلك ! انزْعْ من قبل أن تنتهىَ إلى رسول الله . قال : فانتزع الحُلل من الناس ، وردّها فى البزّ ؛ وأظهر الجيشُ شكاية لما صُنع بهم [٢].

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمَر بن حزْم ، عن سليمان بن محمد بن كعب ١٧٥٣/١ ابن عُجْرة ، عن عمّته زينب بنت كعب بن عُجْرة — وكانت عند أبى سعيد الخدرىّ — عن أبى سعيد ، قال : شكا الناس علىّ بن أبى طالب ، فقام رسول الله فينا خطيبًا ، فسمعته يقول : يأيّها الناس ؛ لا تشكُوا عليًّا ، فوالله إنه لأخشى فى ذات الله — أو فى سبيل الله — [من أن يُشكَى] [٢].

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، قال : ثمّ مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على حجّه ؛ فأرى الناس مناسكَهم ، وأعلمهم سنَنَ حجّهم ؛ وخطب الناس خطبته التى بيّن للناس فيها ما بيّن ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيّها الناس ، اسمعوا قولى ؛ فإنّى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ؛ إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقَوْا ربّكم كحرْمة يومكم هذا ، وحرْمة[1] شهركم هذا ؛ وستلقوْن[2] ربّكم ، فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلّغْتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كلّ رِباً موضوع ، ولكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا رِبا . وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كلّه ، وأنّ كلّ دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل دم أضعُ دمَ ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب — وكان مسترضَعًا فى بنى ليث ، فقتلتْه بنو هُذَيْل — فهو أوّل ما أبدأ به من دماء الجاهليّة .

١/١٧٥٤ أيّها الناس ؛ إنّ الشيطان قد يئس من أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه[3] رضِىَ أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم[3] ، فاحذروه على دينكم .

أيّها الناس : ﴿ إنّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فى الكُفْرِ يُضَلّ بِهِ الّذِينَ كَفَرُوا يُحِلّونَهُ عَامًا ويُحَرّمُونَهُ عامًا لِيُوَاطِئُوا عِدّةَ مَا حَرّمَ اللهُ فَيُحِلّوا مَا حَرّمَ الله ﴾[4] ، ويُحرّموا ما أَحلّ اللهُ ؛ وإنّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلَق الله السموات والأرض ؛ و﴿ إنّ عِدّةَ الشّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ

(١) ابن هشام : « وكحرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣ — ٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [١]، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَر الذى بين جمادى وشعبان [٢].

أمّا بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نسائكم حقّا ولهنّ عليكم حقّا ، لكم عليهنّ ألا يُوطِئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهنّ ألا يأتين بفاحشة مُبَيِّنَة ؛ فإن فعلن فإنّ الله أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبَرِّح [٣] ، فإن انتهينَ فلهنّ رزقهنّ وكِسْوَتهن بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهنّ عندكم عَوَان [٤] لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى ؛ فإنّى قد بلّغت وتركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى فإنى قد بلّغت ، واعقلوه . تعلّمُنّ أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهمّ هل بلغتُ ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهمّ نعم ، فقال رسول الله : اللهمّ اشهد [٥].

١٧٥٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله وهو على عَرَفَة ، ربيعة بن أميّة بن خلف، قال: يقول له رسول الله: قل: أُيها [٦] الناس؛ إنّ رسول الله يقول: هل تدرون أىّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرْمة شهركم هذا . ثمّ قال : قلْ: إنّ رسولَ الله ، يقول : أيّها الناس؛ فهل تدرُون أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام، قال : فيقول : قل: إنّ الله حرّم عليكم دماءكم

---

(١) سورة التوبة ٣٦ .
(٢) قال السهيلى : « إنما قال ذلك ؛ لأن ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجب » .
(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهى الأسيرة .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « يأيها » .

وأموالكم إلى أنْ تلقوْا ربّكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل : أيها الناس ، هل تدرون أىّ يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحجّ الأكبر ، فقال : قل : إنّ الله حرّم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوْا ربّكم كحرمة يومكم هذا (١) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نَجيح ، أنّ رسولَ الله حين وقف بعرَفة ، قال : هذا الموقف — للجبل الذى هو عليه — وكلّ عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكلّ المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمَنحر ، قال : هذا المنحر ، وكلّ مِنًى منحرٌ ؛ فقضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحجّ وقد أراهم مناسكَهم ، وعلّمهم ما افترض عليهم فى حجّهم فى المواقف ورمْى الجمار والطواف بالبيت ، وما أحلّ لهم فى حجّهم وما حرّم عليهم ؛ فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحجّ بعدها (٢) .

١/١٧٥٦

* * *

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواتُه بنفسه ستًّا وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : هنّ سبع وعشرون غزوة ؛ فمن قال : هى ستٌّ وعشرون ، جعلَ غزوة النبىّ صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادى القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادى القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هى سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوةً ، وغزوة وادى القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلّم بنفسه ستًّا وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها وَدّان ؛ وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاط إلى ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشيرة من بطن ينبُع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى] [١] التى قتل فيها صناديد قريش وأشرافهم ، وأسَر فيها مَنْ أسر ، ثم غزوة بنى سُليم حتى بلغ الكُدْر ؛ ماء لبنى سُليم ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم غزوة غَطفان إلى نجد ؛ وهى غزوة ذى أمَر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرُع ، ثم غزوة أحُد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النَّضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نخل ، ثم غزوة بدْر الآخرة [٢] ، ثم غزوة دُومة الجنْدل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قُرَيظة ، ثم غزوة بنى لِحْيان من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلِق من خُزاعة ، ثم غزوة الحديبيَة — لا يريد قتالاً ، فصدّه المشركون — ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدْر ، وأحُد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنين ، والطائف [٣] .

١٧٥٧/١

حدّثنا الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد ، عن سَلَمة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمَع عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد فى عددها ؛ وهى سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم فى تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى محمد بن عمر ، قال : حدّثنا مُعاذ بن محمد الأنصاريّ ، عن محمد بن ثابت الأنصاريّ ، قال : سئِل ابن عُمر : كَمْ غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقيل لابن عمر : كم غزوتَ معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أوّلها الخندق ، وفاتنى ستّ غزوات ، وقد كنت حريصاً ، قد عرضت

---

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما فى ابن هشام .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كلّ ذلك يردّنى فلا يجيزنى حتى أجازنى فى الخندق .

١/١٧٥٨ قال الواقدىّ : قاتلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التى ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدّ معها غزوة وادى القرى ، وأنه قاتل فيها فقُتِل غلامه مِدْعَم ، رُمِى بسهم . قال : وقاتل يوم الغابة ، فقتل من المشركين ، وقُتل مُحْرِزُ بن نضلة يومئذ .

* * *

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

واختلف فى عدد سراياه صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كانت سرايا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم و بعوثه — فيما بين أن قدِم المدينة وبين أن قبضه الله — خمسًا وثلاثين بعثًا وسريّة[1] : سريّة عُبَيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنيّة المَرَة ، وهو ماء بالحجاز ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطّلب إلى ساحل البحر من ناحية العِيص — وبعضُ الناس يقدِّم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة — وغزوة سعد بن أبى وقّاص إلى الخَرّار من أرض الحجاز ، وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القَرْدَةَ ؛ ماء من مياه نجد ، وغزوة مَرْثَد بن أبى مَرْثَد الغَنَوىّ الرَّجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر مَعُونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجرّاح إلى ذى القَصّة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُرَبَةَ من أرض بنى عامر ، وغزوة علىّ بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبىّ — كلب ليث — الكَدِيدَ ، وأصاب بلْمُلَوّح ، وغزوة علىّ بن أبى طالب إلى بنى

١/١٧٥٩ عبد الله بن سعد من أهل فَدَك ، وغزوة ابن أبى العَوْجاء السُّلَمىّ أرض

---

(١) ابن هشام من رواية البكائى عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . من بين بعث وسرية » ، وجاء فى الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تفسير أدرج فى النص .

بنى سُلَيم ؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعًا ، وغزوة عُكّاشة بن مِحْصن الغَمْرَةَ ، وغزوة أبى سلَمة بن عبد الأسد قَطَنًا ؛ ماء من مياه بنى أسد من ناحية نجد قُتِل فيها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مسلمة ؛ أخى بنى الحارث إلى القُرَطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد إلى بنى مُرَّة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد أيضًا إلى يُمْن وجِناب ؛ بلد من أرض خيبر — وقيل يُمْن وجَبَار ؛ أرض من أرض خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُومَ ؛ من أرض بنى سليم ، وغزوة زيد بن حارثة أيضًا جُذَام من أرض حِسْمَى — وقد مضى ذكر خبرها قبل — وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القُرَى ، لقِىَ بنى فَزارة .

وغزوة عبد الله بن رواحة خَيْبَرَ مرّتين : إحداهما التى أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام — وكان من حديث يسَير بن رزام اليهودىّ أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسولُ الله عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه ؛ منهم عبد الله بن أُنَيْس حليف بنى سَلِمة ، فلمّا قدموا عليه كلّموه وواعدوه وقرّبوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك ؛ فلم يزالوا به حتّى خرج معهم فى نفر من يهود ؛ فحمله عبد الله بن أُنَيْس على بعيره وردفه حتّى إذا كان بالقَرْقَرة من خيبر على ستّة أميال ندِم يُسير بن رِزام على سيره إلى رسول الله ، فَفَطَن له عبد الله ابن أُنَيس وهو يريد السَّيف ؛ فاقتحم به ؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجْله وضربه يُسَيْر بمِخْرَش[1] فى يده من شَوْحط[2] ، فأمّه[3] فى رأسه ، وقتل الله يُسيرا ؛ ومال كلّ رجل من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته ؛ فلمّا قدم عبد الله ابن أُنَيس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم تفل على شجّتِه فلم تَقِح ولم تؤذِه .

١٧٦٠/١

وغزوة عبد الله بن عَتِيك إلى خيبر ؛ فأصاب بها أبا رافع ؛

(١) الخرش والمخراش : المحجن ؛ وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوحط : شجر النبع .

(٣) أمه : جرحه فى أم رأسه .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه — فيما بين بدر وأحد — إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنَيس إلى خالد بن سُفيان بن نُبَيْح الهُذلىّ — وهو بنخلة أو بعُرَنة — يجمع لرسول الله ليغزوَه، فقتله[١].

* * *

حدّثنا ابنُ حُميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن أنَيْس، قال: دعانِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه بلغنِى أنّ خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذلىّ يجمع لى الناس ليغزوَنى — وهو بنخلة أو بعُرَنة — فأْتِه فاقتلْه، قال: قلت: يا رسولَ الله؛ انعتْه لى حتى أعرفَه، قال: إذا رأيتَه أذكرَك الشيطانَ! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشَعْريرة. قال: فخرجت متوشّحًا سيفِى حتى دفعت إليه وهو فى ظُعُن يرتاد لهنّ منزلاً حيث كان وقت العصر؛ فلمّا رأيته وجدت ما وصف لى رسول الله صلّى الله عليه وسلم من القُشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصّلاة، فصلّيت وأنا أمشى نحوه، أومئ برأسى إيماء؛ فلمّا انتهيتُ إليه قال: مَن الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل؛ فجاءك لذلك، قال: أجلْ، أنا فى ذلك؛ فمشيت معه شيئًا حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف حتى قتلته؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبّات عليه. فلمّا قدِمت على رسول الله وسلّمت عليه ورآنى، قال: أفلح الوجه! قال: قلت: قد قتلته. قال: صدقت! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته، فأعطانى عصا، فقال: أمسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنَيس. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسولُ الله، وأمرنى أن أمسكها عندِى، قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لِمَ ذلك؟ فرجعتُ إلى رسولِ الله، فقلت: يا رسولَ الله، لِمَ أعطيتَنِى هذه العصا؟ قال: آية ما بينى وبينك يوم القيامة؛ إنّ أقلّ الناس المتخصّرون[٢]

١٧٦١/١

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ .

(٢) تخصر الرجل؛ إذا أمسك المخصرة، وهى ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة .

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمّت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعًا .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مُؤْتة من أرض الشام ، وغزوة كعب بن عمير الغِفاريّ بذات أطلاح من أرض الشأم ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بني العنبر من بني تميم ؛ وكان من حديثهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناسًا ، وسبى منهم سبيًا . ١/١٧٦٢

* * *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أنّ عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسولَ الله ؛ إنّ عليّ رقَبَةً من بني إسماعيل ، قال : هذا سبيُ بني العنبر يقدُم الآن فنُعْطيك إنسانًا فتُعْتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدِم سبيهُم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفدٌ من بني تميم ، حتى قدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن رُفيع ، وسَبْرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووَرْدان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممّن سُبِيَ من نسائهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أريّ ، ونَجْوَة بنت نهد وجُمَيعة بنت قيس ، وعمرة بنت مَطر .

* * *

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبيّ ــ كلب ليث ــ أرض بني مُرّة ؛ فأصاب بها مرداس بن نَهيك ؛ حليفًا لهم من الحُرَقة من جُهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذى قال فيه النبيّ صلى الله عليه وسلم لأسامة : مَنْ لك بلا إله إلا الله ! ١/١٧٦٣

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل . وغزوة ابن أبي حَدْرَد وأصحابه إلى بطن إضَم . وغزوة ابن أبي حَدْرد الأسلميّ إلى الغابة ، وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سَرِيّةً إلى سِيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ؛ وهي غزوة الخَبَط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثمانيًا وأربعين سرّية .

* * *

قال الواقديّ : في هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البَجَليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمًا في رمضان . فبعثه رسولُ الله إلى ذي الخَلَصَة فهدمها .

قال : وفيها قدم وَبرُ بن يُحَنّس على الأبناء باليمن . يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بُزُرْج فأسلمْن ، وبعث إلى فيروز الديلميّ فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبِّه ، وكان أوّل مَنْ جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبّه .

قال : وفيها أسلم باذان ، وبعث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر مَن قال : كانت مغازي رسول الله صلّى الله عليه وسلم ستًّا وعشرين غزوة ، مَنْ أنا ذاكره :

حدّثنا أبو كُرَيب محمد بن العَلاء ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : حدّثنا زُهير ؛ عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعتُ منه أنّ رسولَ الله غزا تسع عشرة غزوة ؛ وحجّ بعد ما هاجر حجةً ، لم يحجّ غير حجّة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجّة بمكة . ١٧٦٤/١

قال أبو إسحاق : فسألتُ زيدَ بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شُعبة ، عن أبي إسحاق ، أن عبد الله بن يزيد الأنصاريّ خرج يستسقي بالناس ، قال :

فصلّى ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيتُ يومئذ زيدَ بن أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غيرُ رجل— أو بيني وبينه رجل — قال: فقلت : كم غزَا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوتَ معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أوّلُ غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير — أو العُشير .

وزعم الواقدىّ أن هذا عندهم خطأ ؛ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق الهمْدانىّ ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوتَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدىّ : فحدّثت بهذا الحديث عبدَالله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهلِ العراق ؛ يقولون هكذا ؛ وأوّل غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُرَيْسيع ؛ وهو غلام صغير، وشهد مُؤتة رديف عبد الله بن رَوَاحة ؛ وما غزا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا . ١٧٦٥/١

وروِى عن مكحول فى ذلك ما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابنُ عمر ، قال : حدّثنى سُوَيد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ثمانىَ عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك فى ثمانِ غزوات أوّلهن بدر وأحُد والأحزاب وقريظة .

قال الواقدىّ : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعًا غلَط .

* * *

ذكر الخبر عن حجّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم

حدّثنى عبدُالله بن أبى[1] زياد، قال: حدّثنا زيدُ بن الحارث ، عن سفيان الثورىّ ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أنّ النبىّ صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبته من التصويبات .

عليه وسلم حجّ ثلاث حِجَج : حِجّتين قبل أن يهاجر ، وحِجّة بعد ما هاجر ، معها عُمرة .

حدّثنا عبد الحميد بن بيان[1] ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : اعتمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عُمْرتين قبل أن يحجّ ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسولُ الله أربعَ عُمَر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهن عُمرةٌ مع حجّته .

حدّثنا محمد بن علي بن الحسن بن شَقِيق ، قال : سمعتُ أبي ، قال : حدّثنا أبو حمزة ، عن مُطَرِّف ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابنَ عمر يقول : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمَر . فبلغ عائشة ، فقالت : لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمَر ، منها عمرته التي قرن معها الحجّة .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : دخلتُ أنا وعروة بن الزُّبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعًا ؛ إحداهنّ في رَجب ، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه ، فسمعنا استنان عائشة في الحُجْرة ، فقال عروة بن الزبير : يا أمّهْ ، يا أمّ المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عُمَر : إحداهنّ في رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر النبيّ عمرةً إلاّ وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب . ١٧٦٦/١

* * *

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومَنْ منهنّ عاش بعده ومن منهنّ فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من أجله ، ومن منهنّ مات قبله .

فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خمس

---

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما في التصويبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفّى عن تسع .

تزوّج فى الجاهليّة ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى ؛ وهى أوّل مَنْ تزوّج ، وكانت قبله عند عتيق بن عابد[1] ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمّها فاطمة بنت زائدة بن الأصمّ[2] بن رَواحة بن حَجَر بن مَعِيص بن لؤىّ . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفّى عنها وخلَف عليها أبو هالة بن زُرَارة بن نبّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة بن غُدَىّ بن جُرْوَة بن أسيِّد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصىّ. ١٧٦٧/١ فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثمّ توفّى عنها فخلَف عليها رسول الله ، وعندها ابنُ أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيّب ، والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حياتها على خديجة حتى مضتْ لسبيلها ؛ فلمّا توفِّيت خديجة تزوّج رسول الله بعدها ؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهنّ بعد خديجة ، فقال بعضهم : كانت التى بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر الصديق. وقال بعضهم : بل كانت سوْدة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر . فأما عائشة فكانت يوم تزوّجها صغيرة لا تصلح للجماع ؛ وأما سَوْدة فإنها كانت امرأة ثيّبًا ، قد كان لها قبل النبىّ صلى الله عليه وسلم زوْج ؛ وكان زوجُها قبل النبىّ السّكْران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السّكْران من مهاجرة الحبشة فتنصّر ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنَى بسوْدة قبل عائشة .

* * *

* ذكر السبب الذى كان فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسوْدة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

(١) فى الاستيعاب : « عائذ » . (٢) النويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة » .

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ ، قال: حدّثنى أبى ، قال :

١٧٦٨/١ حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن عائشة ، قالت : لمّا توفّيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أميّة بن الأوقص ، امرأة عثمان بن مَظْعون وذلك بمكّة : أىْ رسولَ الله ، ألا تزوّج ؟ فقال : ومَنْ ؟ فقالت : إن شئت بكراً وإن شئتَ ثيّباً ، قال : فمَن البِكْر ؟ قالت : ابنة أحبّ خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومَن الثيّب ؟ قالت : سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه . قال : فاذهبى فاذكريهما علىّ . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدتْ أمّ رُومان ، أمّ عائشة ، فقالت : أى أمّ رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت : وددتُ ! انتظرى أبا بكر ، فإنه آتٍ ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسولُ الله أخطب عليه عائشة ، قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعتْ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أخى فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لى ؟ فأتت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال : انتظرينى حتى أرجع ، فقالت أم رُومان : إن المطعِم بن عدىّ كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قطّ فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعِم ، وعنده امرأته أمّ ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :

١٧٦٩/١ يابن أبى قُحافة ، لعلنا إن زوّجنا ابننا ابنتك أن تصبئه[1] وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطعِم ، فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : إنها تقول ذاك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العِدّة التى كانت فى نفسه من عِدّته التى وعدها إياه ، وقال لخولة : ادعى لى رسول الله ، فدعتْه فجاء فأنكحه ؛ وهى يومئذ ابنة ستّ سنين . قالت : ثم خرجتُ فدخلت على سَوْدة فقلت : أى سَوْدة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! قالت : وماذاك ؟ قالت : أرسلنى رسولُ الله يخْطبك عليه ، قالت : فقالت :

(١) تصبئه : ترده عن دينه .

وددت ! ادخلى على أبى فاذكرى له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد تخلّف عن الحجّ ، فدخلت عليه ، فحيّيته بتحيّة أهل الجاهليّة ، ثم قلت : إن محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب أرسلنى أخطب عليه سَوْدة ، قال : كفءٌ كريمٌ ؛ فماذا تقول صاحبته ؟ قالت : تحبّ ذلك ، قال : ادعيها إلىّ ؛ فدعيت له ، فقال : أىْ سودة ، زعمتْ هذه أنّ محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب أرسل يخطبك وهو كفءٌ كريم ، أفتحبّين أن أزوّجكه ؟ قالت : نعم ، قال : فادعيه لى ، فدعتْه ، فجاء فزوّجه ، فجاء أخوها من الحجّ ؛ عبد بن زمعة ، فجعل يحثى فى رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إنىّ لسفيهٌ يوم أحثى فى رأسى التراب أن تزوّج رسول الله سودة بنت زمعة ! قال : قالت عائشة : فقدمنا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنْح فى بنى الحارث بن الخزرج ، قالت : فجاء رسولُ الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتنى أمىّ وأنا فى أرجوحة بين عَذْقين يرجّح بى ، فأنزلتنى ثم وفّتْ جُميمة كانت لى ، ومسحت وجهى بشىء من ماء ، ثم أقبلت تقودنى ، حتى إذا كنتُ عند الباب وقفت بى حتى ذهب بعض نفَسى ، ثم أدخلت ورسول الله جالسٌ على سرير فى بيتنا . قالت : فأجلستنى فى حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهنّ وبارك لهنّ فيك! ووثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبنى بى رسول الله فى بيتى ، ما نحرت جَزورٌ ولا ذُبحت علىّ شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجَفْنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٧٧٠/١

حدّثنا علىّ بن نَصْر ، قال : حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث — وحدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدّثنى أبى — قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عروة ، عن عُروة ، أنه كتب إلى عبد الملك ابن مروان : إنك كتبت إلىّ فى خديجة بنت خويلد تسألنى : متى توفّيت ؟ وإنها توفيت قبل مُخرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو قريبًا من ذلك ، ونكح عائشة متوفّى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة مرّتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ستّ سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهى يوم بنى بها ابنة تسع سنين .

* * *

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر — واسمه عتيق بن أبى قُحافة ، وهو عثمان — ويقال عبدالرحمن بن عثمان — بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرّة ، تزوّجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى ابنة سبع سنين ؛ ١٧٧١/١ وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهى ابنة تسع سنين فى شوّال ؛ فتوفّىَ عنها وهى ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكْراً غيرها ، ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نُفيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن كعب — وكانت قبله عند خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عدىّ ابن سعد بن سهم . وكانَ بدريًّا ، شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلم تلد له شيئًا ، ولم يشهد من بنى سهم بدراً غيره .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ سلَمة ، واسمها هند بنت أبى أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبى سلَمة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدراً مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارسَ القوم ، فأصابته جراحة يوم أحُد فمات منها ؛ وكان ابن عمة رسول الله ورضيعه ، وأمّه بَرّة بنت عبد المطلب ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودُرّة ؛ فلمّا مات كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلّم على أبى سلمة تسع تكبيرات ، فلمّا قيل : يا رسول الله ، أسهوتَ أم نسيت ؟ قال : لم أسْهُ ولم أنْسَ ؛ ولو كبّرت على أبى سلمة ألفًا كان أهلاً لذلك ؛ ودعا النبىّ صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة بخَلَفه فى أهله . فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوّج سلمة بن أبى سَلَمة ابنةَ حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عام المرَيْسيع جُوَيرية بنت الحارث ابن أبى ضرار بن حبيب بن مالك بن جَذِيمة — وهو المصطلق بن سعد بن عمرو — سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذى الشُّفر بن أبى سَرْح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئًا ؛ فكانت صفيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المرَيسيع ، فأعتقها وتزوّجها ، وسألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عتق ما فى يده من قومها ، فأعتقهم لها . ١/١٧٧٢

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرةَ بن مرّة بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد — وكانت من مُهاجرات الحبشة هى وزوجها ، فتنصّر زوجُها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانيّة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشىّ فيها ، فقال النجاشىّ لأصحابه : مَنْ أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوِّجْها من نبيّكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خطَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلمّا زوّجه إياها بعث إلى النجاشىّ فيها ، فساق عنه النجاشىّ ، وبعث بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينبَ بنت جحش بن رئاب ابن يعمر بن صبرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئًا ، وفيها أنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ (١) إلى آخر الآية ، فزوّجها الله عزّ وجلّ إياه ، وبعث فى ذلك جبريل ؛ وكانت تَفْخَر على نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمكنّ وليًّا ، وأكرمكنّ سفيرًا . ١/١٧٧٣

ثم تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم صَفيّة بنت حُيَىّ بن أخطب بن سَعْيَة بن ثعلبة بن عُبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النَّضير ؛

(١) سورة الأحزاب ٣٧

وكانت قبله تحت سلاّم بن مِشْكَم بن الحكَم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفّى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفّح النبىّ صلى الله عليه وسلم السَّبْىَ يوم خَيْبر ، ألقى رداءه على صفيّة ، فكانت صَفِيّهُ يوم خيبر ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ستّ .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بُجَير بن الهُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير ابن عمرو ، من بنى عُقْدة بن غِيَرَة بن عوف بن قَسِىّ — وهو ثقيف — لم تلد له شيئًا ، وهى أخت أمّ الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوّجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بسَرِف فى عُمْرة القضاء ؛ زوّجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوّجها رسولُ الله . ١٧٧٤/١

وكلُّ هؤلاء اللواتى ذكرنا أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوّجهن إلى هذا الموضع ، توفّى رسولُ الله وهنّ أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأةً من بنى كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشاة بنت رفاعة ، وكانوا حلفاءَ لبنى رفاعة من قُرَيظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضُهم يسمّى هذه سَنَا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصَّلْت السُّلَمية . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصَّلْت من بنى حرام من بنى سُلَيم . وقالوا : توفّيت قبل أن يدخل بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سَمّال بن عَوْف السُّلَمِىّ .

ثمّ تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشَّنْباء بنت عمرو الغِفاريّة . وكانوا أيضًا حلفاءَ لبنى قُرَيظة ، وبعضُهم يزعم أنها قُرَظيّة ، وقد جهل نسبها لهلاك بنى قُرَيظة ، وقيل أيضًا إنها كنانيّة ، فعَرَكَت[1] حين دخلت

(١) عركت ، أى حاضت .

عليه ؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهُر ، فقالت : لو كان نبيًّا ما مات أحبّ النّاس إليه ؛ فسرّحها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .

ثمّ تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم غَزِيّة بنت جابر من بنى أبى بكر بن كلاب ، بلغ رسول الله عنها جمالٌ وبسطة ، فبعث أبا أسَيْد الأنصاريّ ، ثم الساعديّ ، فخطبها عليه ، فلما قدِمتْ على النبيّ صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بالكفر — فقالت : إنّى لم أستأمرْ فى نفسى ، إنى أعوذ بالله منك ! فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : امتنع عائذُ الله . وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : إنها من كِنْدة . ١٧٧٥/١

ثم تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شَرَاحيل بن الجَوْن بن حُجْر بن معاوية الكنديّ ، فلما دخل بها وجد بها بياضًا فمتّعها وجهّزها وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان النعمان بعثَ بها إلى رسولِ الله فسرّحتْه ، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضًا ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابنتك ؟ قال : بلى ، قال لها : ألست ابنته؟ قالت : بلى ، قال النعمان : عليكها يا رسولَ الله ، فإنها وإنها ... وأطْنَبَ فى الثناء فقال : إنها لم تيجَعْ قطّ ، ففعل بها ما فعل بالعامريّة ، فلا يُدْرَى : ألقولها أم لقول أبيها : « إنها لم تيجعْ قطّ » .

وأفاء الله عزّ وجلّ على رسوله ريحانة بنت زيد ، من بنى قُرَيظة .

وأهدىَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المُقَوقس صاحبُ الإسكندرية ، فولدَتْ له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهنّ ستّ قرَشيّات .

قال أبو جعفر : وممن لم يذكر هشام فى خبره هذا ممّن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوّجه من النساء : زَيْنَب بنت خزيمة — وهى التى يقال لها أمّ المساكين — من بنى عامر بن صعصعة ، وهى زينب بنت خُزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطّفَيل بن الحارث بن المطلب ، أخى عبيدة بن الحارث ، توفّيت عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

١/١٧٧٦ وقيل إنه لمْ يَمُتْ عند رسول الله فى حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشَرَاف بنت خليفة، أخت دِحْية بن خليفة الكلبىّ، والعالية بنت ظَبيان .

حدّثنى ابن عبد الله بن عبد الحكَم ، قال : حدّثنا شُعَيْب بن الليث ، عن عُقَيل، عن ابن شهاب ، قال : تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العالية ؛ امرأة من بنى أبى بكر بن كلاب فمتّعها [1]، ثمّ فارقها، وقُتَيْلة بنت قيس ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس، فتوفّىَ عنها قبل أن يدخل بها ، فارتدّت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شُرَيح .

وذُكِر عن ابن الكلبىّ أنّه قال: غَزِيّة بنت جابر، هى أمّ شريك ، تزوّجَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زوجٍ كان لها قبله؛ وكان لها منه ابنٌ يقال له شريك ، فكُنيت به ، فلمّا دخل بها النبىّ صلى الله عليه وسلم وجدها مُسِنّةً ، فطلّقها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهنّ إلى الإسلام .

وقيل: إنه تزوّج خَوْلة بنت الهُذَيل بن هُبيرة بن قَبيصة بن الحارث ؛ رُوِىَ ذلك عن الكلبىّ ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلى بنت الخَطِيم بن عدىّ بن عمرو بن سَواد بن ظَفَر ابن الحارث بن الخزرج، أقبلت إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو مُوَلّ ظهرَه الشمسَ ، فضربتْ على منكِبه ، فقال : مَنْ هذه ؟ قالت : أنا ابنة مبارِى الريح ، أنا ليلى بنت الخَطِيم ، جئتك أعرض عليك نفسى فتزوّجْنى ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوّجنى رسول الله ،

١/١٧٧٧ فقالوا : بئسما صنعت ! أنت امرأة غَيْرَى ؛ والنبىُّ صاحبُ نساء ، استقيليه نفسك ، فرجعتْ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أقلنى ، قال : قد أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم تزوّج عَمْرة بنت يزيد ، امرأة من بنى رُؤاس بن كلاب .

---

(١) متعة المرأة : ما وصلت به بعد الطلاق .

ذكر مَنْ خطب النبيّ
صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهنّ

منهنّ أم هانئ بنت أبى طالب ، واسمها هِنْد، خطبها رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوّجها ؛ لأنها ذكرتْ أنها ذات ولَد .

وخطب ضُبَاعة بنت عامر بن قُرْط بن سلَمة بن قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلَمة بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى أستأمِرَها ، فأتاها فقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم خطبك ، فقالت : ما قلتَ له ؟ قال : قلت له حتى أستأمِرَها ! قالت : وفى النبيّ يُستأمَرُ ! ارْجِعْ فزَوّجْه ؛ فرجع فسكت عنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أخبر أنها قد كبِرَتْ .

وخطب — فيما ذكر — صَفِيّة بنت بشامة أخت الأعْوَر العنبرىّ ، وكان أصابها سِباء، فخيّرها، فقال : إن شئتِ أنا وإن شئت زوْجك ، قالت : بل زوجى ؛ فأرسلها .

وخطب أمّ حبيب بنت العبّاس بن عبد المطلب ، فوجد العباس أخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثُوَيبة .

وخطب جَمْرة بنت الحارث بن أبى حارثة ، فقال أبوها — فيما ذكر : بها شىء ، ولم يكن بها شىء ، فرجع فوجدها قد بَرِصَتْ .

* * *

ذكر سرارى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهى مارية بنت شمعون القِبْطِيَّة ، وريحانة بنت زيد القُرَظيَّة . وقيل : هى من بنى النَّضِير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل . ١٧٧٨/١

* * *

ذكر موالى رسول الله صلّى الله عليه وسلم

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، وقد ذكرنا خبره فيما مضى .

وثوْبان — مولى رسول الله، فأعتقه، ولم يزل معه حتى قُبض، ثم نزل حِمْص

وله بها دار وقْف ؛ ذكر أنه توفى سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية . وقال بعضُهم : بل كان سكن الرّمْلة ، ولا عقب له .

وشُقْرَان – وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدىّ ؛ اختلف فى أمره . قد ذكر عن عبد الله بن داود الخُرَيْبى أنه قال : شُقْران ورِثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْران من الفرس ، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْران مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول مَن نسبه إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهربوذ بن آذر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستَم بن فيروز بن ماى بن بهرام بن رشتهرى ، وزعم أنهم كانوا من دَهاقين الرّىّ .

وذكر عن مصعب الزبيرىّ أنه قال : كان شُقران لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبا ، رجلٌ كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقيّة .

ورُوَيْفع – وهو أبو رافع مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا فى أمره ؛ فقال بعضُهم : كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله . وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبى أحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثةٌ منهم أنصباءهم منه ، وقُتِلوا يوم بدر جميعًا ؛ وشهد أبو رافع معهم بدراً ، ووهب خالد بن سعيد نصيبَه منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسولُ الله .

١/١٧٧٩

وابنه البهىّ – اسمه رافع .

وأخو البهىّ عُبيدة الله بن أبى رافع – وكان يكتُب لعلىّ بن أبى طالب ، فلما ولِىَ عمرو بن سعيد المدينةَ دعا البهىّ ، فقال : مَنْ مولاك ؟ فقال : رسولُ الله ، فضربه مائةَ سوط ، وقال : مولى مَنْ أنت ! قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلّما سأله : مولَى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مَوْلَى مَنْ أنت ؟ قال : مولاكم ، فلمّا قتل عبدُ الملك عمرَو بن سعيد قال البهىّ بن أبى رافع :

صَحَّتْ ولاَ شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا   يَمِينٌ هَرَاقَتْ مُهْجَةَ أَبْنِ سَعِيدِ
هُوَ ٱبْنُ أَبِى العاصِى مِرَارًا وينْتَمِى   إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ له وجُدُودِ

وسَلْمان الفارسىّ — وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال: إنه من قرية رامَهُرْمُز ؛ فأصابه أسرٌ من بعض كَلْب ، فبيع من بعض اليهود بناحية وادى القُرى ؛ فكاتب اليهودىّ ، فأعانه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى عَتَق . وقال بعضُ نسّابة الفُرس : سلْمان من كورسابوزر ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسَفِينة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لأمّ سلمة فأعتقته ؛ واشترطت عليه خِدْمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياتَه ، قيل: إنه أسوَد ؛ واختلِف فى اسمه ، فقال بعضهم : اسمه مِهران ، وقال بعضهم : اسمه رَبَاح ، وقال بعضهم : هو مِن عجم الفرس ؛ واسمه سبيه بن مارقيه ، وأنسة . يكنى أبا مُسَرَّح ، وقيل : أبا مَسْرُوح . كان من مولّدى السراة ؛ وكان يأذن على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصلُه من عَجَم الفرس ؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى ابن أشرنيده بن أدوهر بن مهرادر بن كحنكان من بنى مهجوار بن يوماست . ١/١٧٨٠

وأبو كَبْشَة — واسمه سُلَيْم ، قيل إنه كان من مولّدى مكة ، وقيل : من مولّدى أرض دَوْس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهد مع رسولِ الله بدْراً وأحُداً والمشاهدَ . تُوُفِّىَ فى أوّل يوم استُخلِف فيه عمر بن الخطاب ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مُوَيْهِبَة — قيل : إنه كان من مولّدى مُزَيْنة ، فاشتراه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

ورَبَاح الأسود — كان يأذن لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وفَضَالة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَزَل — فيما ذكر — الشأم .

ومِدْعَم — مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، كان عبداً لرفاعة

١٧٨١/١ ابن زيد الجُذامىّ، فوهبه لرسول الله، فقتِل بوادى القُرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاه سهم غَرَب[1] فقتله .

وأبو ضُمَيرة — كان بعضُ نسّابة الفرس زعم أنه من عَجم الفرس، من ولَد كشتاسب الملك، وأنّ اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن باكمهير . . وذكر بعضهم أنه كان ممن صار فى قَسْم رسول الله فى بعض وقائعه، فأعتقه، وكتب له كتابًا بالوصيّة؛ وهو جَدّ حسين بن عبد الله بن أبى ضُميرة، وأن ذلك الكِتاب فى أيدى ولد ولده وأهل بيته، وأنّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهدىّ ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهدىّ فوضعه على عينيه، ووصله بثلثمائة دينار .

ويَسَار — وكان فيما ذكر نوبيًّا؛ كان فيما وقع فى سهم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذى قتله العُرَنيُّون الذين أغاروا على لِقاح رسول الله .

ومِهْران — حدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان له خَصِىٌّ يقال له مابور — كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتيْن يقال لإحداهما مارية، وهى التى تَسرّى بها والأخرى سِيرين وهى التى وَهَبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، لما كان من جناية صفوان بن المعطّل عليه، فولدتْ لحسان ابنَه عبد الرحمن بن حسّان . وكان المقوقس بعث بهذا الخصىّ مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تَصلا إليه . وقيل :

١٧٨٢/١ إنه الذى قُذِفت مارية به، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا وأمره بقتله، فلمّا رأى عليًّا وما يريد به تكشّف حتى تبيّن لعلىّ أنه أجبُّ لا شىء معه مما يكون مع الرجال، فكفّ عنه علىٌّ . وخرج إليه من الطائف — وهو محاصِرٌ أهْلها — أعبدٌ لهم أربعة، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، منهم أبو بَكْرة .

* * *

(١) سهم غرب : لا يدرى راميه .

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذُكِر أنّ عثمان بن عفّان كان يكتب له أحيانًا ، وأحيانًا علىّ بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعَلاء بن الحضرمىّ .

قيل : أوّل مَنْ كتب له أبىّ بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبىّ كتب له زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، ثم ارتدّ عن الإسلام ، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة .

وكتب له معاوية بن أبى سفيان ، وحنظلة الأسَيِّدِىّ .

* * *

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة ، عن أبيه ، قال : أوّل فرس ملكه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فرسٌ ابتاعه بالمدينة من رجُلٍ من بنى فَزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابىّ الضَّرِس ، فسمّاه رسول الله السَّكْب ؛ وكان أوّل ما غزا عليه أحُدٌ ، ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبى بُرْدة بن نِيَار ، يقال له مُلاوِح[1] .

حدّثنى الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبى حَثْمة عن المرتجِز ، فقال : هو الفرس الذى اشتراه من الأعرابىّ الذى شهد له فيه خُزَيْمَة بن ثابت ؛ وكان الأعرابىّ من بنى مرّة[2] . ١/١٧٨٣

حدّثنى الحارث قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا أبىّ بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ثلاثة أفراس : لِزاز ، والظَّرِب ، واللَّخيف[3] ؛

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٣) فى الفائق : «اللحيف» ، بالحاء ، ورجحها ابن الأثير

فأما لِزَاز فأهداه له المقوقس، وأما اللُّخَيْف فأهداه له ربيعة بن أبى البَرَاء؛ فأثابه عليه فرائضَ من نَعَم بنى كلاب ، وأمّا الظَّرِب فأهداه له فَرْوة ابن عمرو الجُذامىّ . وأهدى تميم الدارىّ لرسول الله فرسًا يقال له : الوَرْد ، فأعْطاه عمر ؛ فحمل عليه عمر فى سبيل الله ، فوجده يُبَاع [١].

وقد زعم بعضُهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له اليَعْسُوب .

* * *

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت دُلْدُل بغلة النبىّ صلى الله عليه وسلم أوّل بغلة رُئِيت فى الإسلام ، أهداها له المقوقس وأهدى له معها حماراً يقال له عُفَيْر ؛ فكانت البغلة قد بقيَتْ حتى كان زمن معاوية [٢] .

حدّثنى الحارث، قال: حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمد بن عمر، قال: أخبرنا معمَر، عن الزهرىّ ، قال : دُلْدُل أهداها له فَرْوة بن عمرو الجذامىّ.

١٧٨٤/١ حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن زامل بن عمرو ، قال : أهدى فَرْوة بن عمرو إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضّة ؛ فوهبها لأبى بكر ، وحمارَه يعفُور ؛ فنفق منصرفَه من حجة الوداع [٣] .

* * *

ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى بن محمد بن إبراهيم التيمىّ ، عن أبيه ، قال : كانت

---

(١) ينباع : يسير بخطا فسيحة . طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١

القَصْواء من نَعَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ؛ وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة رَبَاعية ، وكان اسمها القصواء والجَدْعاء والعَضْباء[١] .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى ابن أبى ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن ابن المسيّب ، قال : كان اسمها العَضْباء ؛ وكان فى طرف أذنها جَدْع [١] .

* * *

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لِقاح ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لَقْحة[٢] ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كلّ ليلة بقِرْبتَيْن عظيمتين من لبن فيها لِقَاحٌ غِزَار[٣] : الحناء ، والسَّمْراء ، والعريس ، والسَّعْدية ، والبَغوم ، واليَسيرة ، والرَّيّا[٤] . ١/١٧٨٥

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نَبْهان ؛ مولَى أمّ سلَمة ، قال : سمعتُ أمّ سلمَة ، تقول : كان عيشُنا مع رسول الله اللبن — أو قالت أكثر عيشنا — كانت لرسول الله لِقاح بالغابَة كان قد فرّقها على نسائه ، فكانت فيها لقحة تُدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللبن ، وكانت لعائشة لِقحة تدعى السمراء غزيرة ، لم تكن كلقحتى ، فقرّب راعيهنّ اللقَاحَ إلى مَرعًى بناحية الجوّانيّة ، فكانت تروح على أبياتنا فنؤتَى بهما فتحلبان ، فتوجَدُ لقحته أغزر منهما بمثل لبنهما أو أكثر[٥] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة واللقوح : الناقة الحلوب .

(٣) ابن سعد : « لقائح غزر » ، أى كثيرات اللبن

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : «والدباء» . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد السلام بن جُبَيْر ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدْر ، وتكون بالجمَّاء ، فكان لبنُها يؤوب إلينا ؛ لِقحة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عُبادة من نَعَم بنى عُقَيل وكانت غزيرة ؛ وكانت الرَّيّا والشقراء ابتاعهما بسوق النَّبَط من بنى عامر ، وكانت بردة ، والسمراء ، والعريس ، واليسيرة ، والحناء ، يُحْلَبْنَ ويُراح إليه بلبنهن كلّ ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبيّ صلى الله عليه وسلم اسمه يَسَار ، فقتلوه [١] .

* * *

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

١٧٨٦/١ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني زكرياء بن يحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عُتْبة بن غَزْوَان ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعًا : عجوَة ، وزَمْزم ، وسُقْيا ، وبَرَكة ، ووَرَسة ، وأطلال ، وأطراف [١] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدّثني أبو إسحاق ، عن عبّاد بن منصور ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبع أعْنُز منائح ، يرعاهنّ ابنُ أمّ أيْمَن [١] .

* * *

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٥

أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقاع ثلاثة أسياف : سيفًا قَلَعيًّا[١] ، وسيفًا يُدعى بَتَّارًا ، وسيفًا يدعى الحَتْف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْذَم ورَسُوب ، أصابهما من الفِلْس[٢]. وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القضيب[٣] ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفَقَار غَنِمه يوم بدر ، كان لمنبّه بن الحجّاج[٤] . ١٧٨٧/١

* * *

ذكر أسماء قِسِيّه ورماحه صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصابَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قِسيّ : قَوْس الرّوحاء ، وقوس شَوْحَط ، تدعى البيْضَاءَ ، وقوس صَفْرَاء تدعَى الصّفراء من نَبْع[٥] .

* * *

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكْر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقاع درعيْن ؛ درع يقال لها السعْدية ، ودرع يقال لها فضّة[٦] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثني ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ أُحُد دِرْعيْن :

---

(١) سيف قلعي : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .

(٢) الفلس : صنم كان لطيء ، أرسل الرسول في هدمه سنة تسع ، وأصاب منه ثلاثة سيوف ، ياقوت ٦ : ٣٩٤ .

(٣) ط : « العضب » ، والتصويب من الفائق .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٩

(٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

درعَه ذاتُ الفُضول ودرعَه فضّة ، ورأيت عليه يوم خَيْبر درعين : ذات الفضول والسّعدية[١] .

* * *

ذكر تُرسه صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتّاب بن زياد ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبدُ الرّحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولا يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم تُرْس فيه تمثال رأس كبش ، فكره رسولُ الله مكانَه ، فأصبح يومًا وقد أذهبه الله عزّ وجلّ .

١/١٧٨٨

* * *

ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنى محمد بن المثنّى ، قال : حدّثنا ابنُ أبى عدىّ ، عن عبدالرحمن — يعنى المسعودىّ — عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن أبى موسى ، قال : سمّى لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسَه أسماء ، منها ما حفظنا . قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقفّى ، والحاشر ، ونبىّ التوبة والمَلْحَمَة .

حدّثنى ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرَنا إبراهيم — يعنى ابن سعد — عن الزهرىّ ، قال : أخبرنى محمد بن جبير بن مطعِم ، عن أبيه ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لى أسماء ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والماحى . قال الزهرىّ : العاقب : الذى ليس بعده أحد ، والماحِى : الذى يمحو الله به الكفر .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدّثنى الزهرىّ ، عن محمد بن جُبير بن مطعِم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأحمد ، والماحى ،

---

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

والعاقب ، والحاشر ؛ الذى يحشر الناس على قدمىّ . قال يزيد : فسألت سفيانَ : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

* * *

١/١٧٨٩

ذكر صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم

حدّثنى ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنى ابن أبى عدىّ ، عن المسعودىّ ، عن عثمان بن عبد الله بن هُرمز ، قال : حدّثنى نافع بن جُبير ، عن علىّ ابن أبى طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ، ضَخْم الرأس واللحية ، شَثْن الكفّيْن [١] والقدمَيْن ، ضَخْم الكراديس [٢] ، مُشْرَباً وجهه الُحمْرَةَ ، طويل المَسْرُبَة [٣] إذا مشى تكفّأ تَكَفُّؤا [٤] كأنما ينحطُّ من صَبَب [٥] ، لم أر قبله ولا بعده مثلَه ؛ صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيرىّ ، قال : حدّثنا مجمّع بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار — لم يسمّه — أنه سأل علىّ بن أبى طالب وهو فى مسجد الكوفة مُحْتَبٍ بحِمالة سيفه ، فقال : انعتْ لى نعتَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له علىّ : كان رسولُ الله أبيضَ اللون مُشْرَبًا حُمْرَةً ، أدعج سَبْط الشعر ، دقيق المَسْرُبة ، سَهْل الخدّيْن ، كثّ اللحية ، ذا وفْرَةٍ [٦] ؛ كأن عنقه إبريقُ فِضّة ؛ كان له شعر من لَبّته إلى سُرّته يجرى كالقضيب ؛ لم يكن فى إبطه ولا صدره شعر غيره ، شَثْن الكفّ والقدم ؛ إذا مشى كأنما ينحدِر من صَبَب ؛ وإذا مشى كأنما ينقلع من صَخْر ، وإذا التفت التفت جميعًا ؛ ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللئيم ؛ كأنّ العَرَق فى وجهه

(١) شثن الكفين : يميلان إلى الغلظ . (٢) الكراديس : ملتقى كل عظمين .
(٣) المسربة : الشعر ما بين وسط الصدر إلى البطن .
(٤) تكفأ : يميل إلى الأمام فى مشيه .
(٥) الصبب ، محركة : طريق يكون فى حدور .
(٦) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه .

اللؤلؤ ؛ ولَريحُ عَرَقه أطيب من المسك ؛ لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا ابنُ المقدمىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن محمد بن قيس الذى يقال له أبو زُكَيْر . قال : سمعتُ ربيعة بن أبى عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشراً ، وتوفِّىَ على رأسِ ستين ؛ ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمْهَق[1] ، ولا الآدم ، ولم يكن بالجَعْد القَطَط ولا السَّبط[2] . ١٧٩٠/١

حدثنى ابن المثنّى قال : حدّثنا يزيد بن هارون ، عن الجُرَيرىّ ، قال : كنت مع أبى الطُّفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقىَ أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرى ؛ قال : وقلت : أرأيتَه ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفتُه ؟ قال : كان أبيضَ مليحًا مقَصَّداً[3] .

* * *

ذكر خاتم النبوة التى كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا الضّحاك بن مَخلد ، قال : حدّثنا عَزْرَة بن ثابت ، قال : حدّثنا عِلباء ، قال : حدّثنا أبو زيد ، قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، ادْنُ منى امسَحْ ظهرى — وكشف عن ظهره — قال : فمسَسْتُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعى على الخاتم[4] فغَمَزْتُها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ مجمعٌ كان على كتفيْه . ١٧٩١/١

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا بشر بن الوضّاح أبو الهيثم ، قال : حدّثنا أبو عقيل الدَّوْرَقىّ عن أبى نَضْرة ، قال : سألت أبا سعيد الخدرىّ عن الخاتم التى كانت للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بَضعةً ناشزة .

* * *

(١) الأمهق : الشديد البياض. (٢) السبط : المسترسل ، والجعد : القصير ، والقطط : شعر الزنج . (٣) المقصد : الذى ليس بالجسيم ولا الضئيل .
(٤) أنث كلمة « الخاتم » ، لأنه ضمنها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا حمّاد بن واقد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلّم من أحسن الناس ، وأسمح الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقّوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرس عُرْى[1] لأبى طلحة ، ما عليه سَرْج ، وعليه السّيْف. قال : وقد كان سبقهم إلى الصّوْت ، قال : فجعل يقول : يأيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرّتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً ؛ وقد كان الفرس يبطّأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك.

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبدُالرحمن بن مهدىّ ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبَل الصوت ، فاستبرأ الفزعَ على فرس لأبى طلحة عُرْى ، ما عليه سَرْج ، فى عنقه السيف . قال : وجدناه بحْرًا — أو قال : وإنه لبَحْرٌ .

* * *

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا

١٧٩٢/١

حدّثنى ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حَرِيز بن عثمان ، قال أبو موسى : قال مُعاذ : وما رأيتُ من رجل قطّ من أهل الشأم أفضّلُه عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسْر ، فقلت له من بين أصحابى : أرأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أشَيْخا كان ؟ قال : فوضع يده على عَنْفَقته ، وقال : كان فى عَنْفقته شعر أبيض .

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا أبو داود ، قال : حدثنا زُهير ، عن أبى إسحاق ، عن أبى جُحَيفة ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنفقتُه بيضاء ، قيل : مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحيفة ؟ قال : أبرِى النَّبل وأريشها .

حدّثني ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا خالد بن الحارث ، قال : حدّثنا حُمَيد ، قال : سئِل أنس : أخَضَب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتدّ برسول الله الشَّيْب ، ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم [1] ، وخضب عمر بالحنّاء .

حدّثنا ابن المثنى ، قال : حدّثنا ابن أبي عديّ ، عن حُميد ، قال : سئِل أنسٌ : هل خَضَب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يُرَ من الشّيب إلاّ نحوٌ من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدّم لحيته . قال : إنه لم يُشَنْ بالشَّيْب ، فقيل لأنس : وشَيْنٌ هو ! قال : كلُّكم يكرهه ؛ ولكن خضب أبو بكر بالحنّاء والكَتَم ، وخضَب عمر بالحناء .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا مُعاذ بن معاذ ، قال : حدّثنا حُميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيبُ الذى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم عشرين شعـــرة . ١٧٩٣/١

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال: حدّثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدّثنا حمّاد ابن سلَمة ، عن سِمَاك ، عن جابر بن سَمُرة ، قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيْب إلاّ شعرات فى مفرِق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غطّاهنّ .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُالرحمن بن مهديّ ، قال : حدّثنا سلاّم بن أبى مَطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب، قال : دخلتْ زوجُ النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخرجتْ إلينا شعرًا من شعر رسول الله مخضوبًا بالحنّاء والكتَم .

حدّثنا ابنُ جابر بن الكرديّ الواسطيّ ، قال : حدّثنا أبو سفيان ، قال : حدّثنا الضّحاك بن حُمْرَة ، عن غَيْلان بن جامع ، عن إياد بن لَقيط ، عن أبى رِمْثَة ، قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخضِب بالحنّاء والكَتَم ؛ وكان يبلغ شعره كَتِفيْه أو منكبيْه ــ الشكّ من أبى سفيان .

---

(١) الكتم محركة : نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه .

حدّثنا ابنُ المثنى ، قال : حدّثنا عبدُ الرحمن بن مهديّ ، عن إبراهيم – يعنى ابن نافع – عن ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن أمّ هانئ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله ضفائر أربع .

* * *

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذى توفى فيه وما كان منه قبيل ذلك لما نعيت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [1]. قد مضى ذكرُنا قبلُ ما كان من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه – فى حجته التى حجّها المسمّاة حجّة الوداع ، وحجّة التمام ، وحجة البلاغ – مناسكَهم ووصيّته إياهم ، بما قد ذكرت قبل فى خطبته التى خَطَبها بهم فيها . ١/١٧٩٤

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من سَفَره ذلك بعد فراغه من حجّه إلى منزله بالمدينة فى بقيّة ذى الحجّة ، فأقام بها ما بقىَ من ذى الحجّة والمحرّم والصّفَر .

---

(١) سورة النصر ١ – ٣

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التى كانت فيها

قال أبو جعفر : ثم ضرب فى المحرّم من سنة إحدى عشرة على النّاس بَعْثًا إلى الشأم ، وأمّر عليهم مولاه وابن مولاه أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمَره — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيّاش بن أبى ربيعة — أن يوطئ الخيل تُخوم البلقاء والدّاروم من أرض فلسطين ، فتجهّز الناس ، وأوعب[1] مع أسامة المهاجرون الأولون[2].

فبينا الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكْواه التى قبضه الله عزّ وجلّ فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته فى ليالٍ بقينَ من صَفَر، أو فى أول شهر ربيع الأول .

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد[3] الزُّهرىّ، قال: حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت ابن الجزع الأنصارىّ ، عن عبيد بن حنين مولَى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، عن أبى مُوَيْهبة مولَى رسول الله ، قال : رجعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التّمام ، فتحلّل به السيرُ، وضرب على الناس بعثًا ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، وأمَره أن يوطِئ من آبل الزيت من مشارف الشأم الأرض بالأردنّ، فقال المنافقون فى ذلك ، وردّ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم: «إنه لخليق لها — أى حقيق بالإمارة — وإن قلتم فيه لقد قلتم فى أبيه من قبل؛ وإن كان لخليقًا لها » . فطارت الأخبار بتحلّل السير بالنبىّ صلى الله عليه وسلم أنّ النبىّ قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيلِمة باليمامة ؛ ١٧٩٥/١

---

(١) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من العدة .

(٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

(٣) ط : « سعيد » ، وأثبت ما فى التصويبات .

وجاء الخبر عنهما للنبيّ صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة فى بلاد أسَد بعد ما أفاق النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى فى المحرّم وجعَه الذى قبضه الله تعالى فيه .

حدّثنا ابنُ سعد ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف ، قال : حدّثنا هِشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : اشتكى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وجعَه الذى توفّاه الله به فى عقِب المحرّم .

وقال الواقدىّ : بُدِئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

* * *

حدّثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيف ابن عمر ، قال : حدّثنا المُستَنير بن يزيد النَّخَعىّ ، عن عروة بن غَزِيّة الدَّثِنىّ ، عن الضحاك بن فيْرُوز بن الديلمىّ ، عن أبيه ، قال : إنّ أوّل رِدّة كانت فى الإسلام باليمن كانت على عهد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الخِمار عَبْهلة بن كعب — وهو الأسود — فى عامّة مذحِج. خرج بعد الوداع ؛ كان الأسود كاهنًا شعْباذا[1] ، وكان يريهم الأعاجيب ، ١/١٧٩٦ ويسبِى قلوب مَن سمع منطقه ، وكان أوّل ما خرج أن خرجَ من كهف خُبّان ؛ وهى كانت داره ، وبها ولد ونشأ ؛ فكاتبته مذحِج ، وواعدته نَجْران ؛ فوثبوا بها وأخرجوا عَمْرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فَرْوة بن مُسَيك وهو على مُراد ، فأجلاه ونزل منزله ؛ فلم يَنْشَب عَبْهلة بنجْران أن سارَ إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ؛ وكان أوّل خبر وقع به عنه من قِبَل فَرْوة بن مُسَيك ، ولحق بفروة من تمّ على الإسلام من مذْحِج ، فكانوا بالأحْسِيَة ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه ، وصفا له مُلْك اليمن .

---

(١) شعباذا : مشعبذا ، والشعبذة والشعوذة : أخذ كالسحر يرى الشىء بغير ما عليه أصله فى رأى العين .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمّي يعقوب ، قال : حدّثني سيف ، قال: حدّثنا طلحة بن الأعلم ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قد ضرب بَعْثَ أسامة فلم يستتبّ لوجع رسول الله ولخلع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون فى تأمير أسامة ، حتى بلغه ؛ فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم علىَ الناس عاصباً رأسه من الصُّداع لذلك الشأن وانتشارِه ، لرؤيا رآها فى بيتِ عائشة : فقال: إنّى رأيتُ البارحةَ — فيما يرى النائم — أن فى عضديّ سوارين من ذهب ؛ فكرهتُهما فنفختهما ، فطارا ، فأوّلتهما هذين الكذّابين — صاحب اليمامة وصاحب اليمن — وقد بلغنى أنّ أقواماً يقولون فى إمارة أسامة ! ولعمرى لئنْ قالوا فى إمارته ، لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه لخليقاً للإمارة ، وإنه لخليق لها ؛ فأنفِذوا بعثَ أسامة . وقال : لعن الله الذين يتّخذون قبور أنبيائهم مساجدَ !

١/١٧٩٧

فخرج أسامة فضربَ بالجُرْف ؛ وأنشأ الناس فى العسكر ، ونجمَ طليحة وتمهّل الناس ، وثقُل(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فلم يستتمّ الأمر ؛ ينظرون أوّلهم آخرَهم ، حتى توفّى الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، يقول : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم التّميمىّ ، عن سيف بن عمر ، قال : حدّثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبى ماجد الأسدىّ ، عن الحضرمىّ بن عامر الأسدىّ ، قال : سألته عن أمر طُلَيحة ابن خُوَيلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجعِ النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم بلغَنا أن مسيلمة قد غلَب على اليمامة ، وأنّ الأسود قد غلَب على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادّعى طُليحة النبوّة ، وعسكر بسَميراء ، واتّبعه العوامّ ؛ واستكثف أمره ؛ وبعث حِبال ابنَ أخيه إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الموادعة ، ويخبره خبرَه . وقال حِبال : إنّ الذى يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد سمّى ملَكاً ، فقال حِبال : أنا ابن خُوَيلد ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : قتلك الله وحرمك الشهادة !

---

(١) ثقل : اشتد عليه المرض .

وحدّثني عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمّي يعقوب ، قال : أخبرنا سَيْف ، قال : وحدّثنا سعيد بن عبيد ، عن حُرَيْث بن المعلّى : أنّ أوّل مَنْ كتب إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بخبر طُليحة سِنانُ بن أبى سنان ، وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضاعىّ بن عمرو على بنى الحارث . ١٧٩٨/١

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرنا هِشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : حاربهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرسل ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولاً ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً - قد سمّاهم - من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَر أن ينجدوهم ، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سُبل المرتدّة ، وطعنوا فى نقصان وأغلقهم ، واشتغلوا فى أنفسهم ، فأصيب الأسود فى حياة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم وقبل وفاته بيوم أو بليلة ، ولظّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرّسل ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجَع عن أمر الله عزّ وجلّ والذبّ عن دينه ، فبعث وبَر بن يُحنَّس إلى فيروز وجُشيْش الديلمىّ وداذويه الإصطخرىّ ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَلاَع وذى ظُلَيم ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميرىّ إلى ذى زُود وذى مُرّان ، وبعث فرات بن حيّان العجلىّ إلى ثُمامة بن أثال ، وبعث زياد بن حنظلة التميمىّ ثم العمرى إلى قيس بن عاصم والزِّبْرِقان بن بدر ، وبعث صلصل بن شُرَحبيل إلى سَبْرة العنبرىّ ووكيع الدارمىّ وإلى عمرو بن المحجوب العامرىّ ، وإلى عمرو بن الخَفَاجىّ من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزْور الأسدىّ إلى عَوْف الزرقانىّ من بنى الصَّيْداء وسنان الأسدىّ ثم الغنمىّ ، وقضاعىّ الدُّئلىّ ، وبعث نعيم بن مسعود الأشْجَعى إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجبيرىّ . ١٧٩٩/١

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مخْنف ، قال : حدّثنا الصقْعَب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَجِع وجعه الذى قبض فيه فى آخر صفر فى أيام بقين منه ؛ وهو فى بيت زينب بنت جحش .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة وعليّ بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جُبَيْر ، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : يا أبا مويهبة ، إني قد أُمِرْتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلمّا وقف بين أظهرهم ، قال : السّلام عليكم أهلَ المقابر ؛ ليَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفِتَن كقِطَع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى . ثم أقبل عليّ فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنة ، خيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترت لقاء ربّي والجنّة . قال : قلت : بأبي أنت وأمّي ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلْد فيها ، ثم الجنّة . فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجعه الذي قُبِض فيه[1] .

١/١٨٠٠

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد ابن إسحاق .

وحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا عليّ بن مجاهد ، قال : حدّثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة ، عن عائشة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! ثمّ قال : ما ضرّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنْتك ، وصلّيت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأنّي بك لو فعلت ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعرستَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

ببعض نسائك ، قالت : فتبسّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. وتتامّ به وجعه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استُعِزّ به[١] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ١٨٠١/١ فاستأذنهنّ أن يُمرّض فى بيتى ، فأذِنّ له[٢] .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين رجُلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخطّ قَدماه الأرض . عاصبًا رأسه حتى دخل بيتى .

— قال عبيد الله : فحدّثت هذا الحديث عنها عبدَ الله بن عباس، فقال : هل تدرى من الرجل؟ قلت : لا ، قال : علىّ بن أبى طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهى تستطيع —

ثم غُمِر[٣] رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتدّ به الوجع ؛ فقال : أهريقوا علىّ من سبع قِرَب من آبار شتّى ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم ، قالت : فأقْعَدْناه فى مِخضَب[٤] لحفصة بنت عمر ، ثم صبَبْنا عليه الماء حتى طَفِق يقول : حَسْبُكم ، حسبكم ![٥] .

فحدّثنى حُميد بن الرّبيع الخراز ، قال : حدّثنا معن بن عيسى ، قال : حدّثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثىّ، ثم الأشجعىّ، عن القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قُسَيْط ، عن أبيه، عن عطاء ، عن ابن عبّاس ، عن أخيه الفضْل بن عبّاس، قال : جاءنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكًا قد عصَب رأسه ، فقال : خذ بيدِى يا فَضْل ، فأخذتُ بيده ؛ حتى جلَس على المنبر ، ثم قال : نادِ فى الناس . فاجتمعوا إليه ، فقال : أمّا بعدُ أيّها الناس، فإنى أحمَد إليكم الله الذى لا إله ١٨٠٢/١ إلا هو ؛ وإنه قد دنا منّى حقوق من بين أظهركم ، فمن كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهرى فليستقِدْ منه ، ومنْ كنتُ شتمتُ له عِرْضًا فهذا عِرْضى فليستقِدْ منه ؛ ألاَ وإنّ الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى ، ؛ ألا وإنّ

---

(١) استعزبه : اشتد به وجعه وغلبه على نفسه . (٢) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٦ .

(٣) غمر : أصابته غمرة المرض؛ وهى شدته . (٤) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

أحبَّكم إليّ مَنْ أخذ منّي حقًّا إن كان له ، أو حلّلني فلقيت الله وأنا أطيبُ النفس ؛ وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عنّي حتى أقوم فيكم مراراً .

قال الفضل : ثمّ نزل فصلّى الظهر ، ثم رجع فجلس على المِنْبر ، فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها . فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إنّ لى عندك ثلاثة دراهم ، قال : أعطِه يا فضل ، فأمرته فجلس . ثم قال : أيّها الناس ، مَنْ كان عنده شىء فليؤدّه ولا يقل فُضوح الدنيا ، ألاَ وإن فضوحَ الدنيا أيسرُ من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله عندى ثلاثة دراهم غللتُها فى سبيل الله ، قال : ولِمَ غللتَها ؟ قال : كنت إليها محتاجًا ، قال : خُذْها منه يا فضل . ثم قال : يأيها النّاس ، مَنْ خَشِيَ من نفسه شيئًا فليقم أدعُ له . فقام رجل فقال : يا رسولَ الله ، إنّى لكذّاب ، إنّى لفاحش ، وإنى لنؤوم ؛ فقال : اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا ، وأذهِبْ عنه النوم إذا أراد . ثم قام رجل فقال : والله يا رسولَ الله ، إنّى لكذّاب وإنى لمنافق ، وما شىء — أو إن شىء — إلاّ قد جنيتُه . فقام عمر بن الخطاب ، فقال : فضحتَ نفسك أيها الرجل ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : يابنَ الخطاب ، فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة ، اللهمّ ارزقه صدقًا وإيمانًا وصيِّرْ أمرَه إلى خير .

١/١٨٠٣

فقال عمر كلمة . فضحك رسول الله ، ثمّ قال : عمر معى وأنا مع عمر ، والحقّ بعدى مع عمر حيث كان .

حدّثنا ابنُ حُميد قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزّهرىّ ، عن أيوب بن بشير ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خرجَ عاصبًا رأسه ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم كان أوّل ما تكلّم به أنْ صلّى على أصحاب أحُد ، واستغفر لهم ؛ وأكثر الصلاة عليهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم[1] أنّ نفسه يُريد ؛ فبكى ، وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رِسْلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب الشوارع اللافظة(١) فى المسجد فسُدُّوها ؛ إلاّ ما كان من بيت أبى بكر(٢) ؛ فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل عندى فى الصحبة يداً منه(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المُعلّى ، أنّ رسولَ الله قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنّى لو كنت متّخذاً من العباد خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن صحبة وإخاءُ إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده(٤) . ١٨٠٤/١

وحدّثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثنى عمّى عبد الله ابن وهب ، قال : حدّثنا مالك ، عن أبى النّضْر ، عن عُبيد بن حنين ، عن أبى سعيد الخُدرىّ أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً على المنبر ، فقال : إنّ عبداً خيّره الله بين أن يؤتيَه من زَهْرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! قال : فتعجّبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسولَ الله عن عبد يخيّر ، ويقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو المخيّر ، وكان أبو بكر أعلمنا به ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إنّ أمَنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن أخوّة الإسلام ؛ لا تبق خوْخة فى المسجد إلاّ خوْخة أبى بكر .

حدّثنى محمد بن عمر بن الصبّاح الهمْدانىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا مسلم بن جعفر البَجَلىّ ، قال : سمعتُ عبد الملك ابن الأصبهانىّ عن خلاّد الأسدىّ ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبيُّنا وحبيبُنا نفسَه قبل موته بشهر ؛ فلمّا دنا الفراق جمَعنا فى بيت أمنا عائشة ، فنظر إلينا وشدّد ، فدمعتْ عينُه ، وقال : مرحباً بكم ! رحمكم الله ! ١٨٠٥/١

---

(١) اللافظة فى المسجد : النافذة إليه .
(٢) سيرة ابن هشام : « إلا بيت أبى بكر » . قال ابن هشام : ويروى : « إلاباب أبى بكر » .
(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ .

آواكم الله ! حفظكم الله ! رفعكم الله ! نفعكم الله ! وفّقكم الله ! نصركم الله ! سلّمكم الله ! رحمكم الله ! قبلكم الله ! أوصيكم بتقوى الله ، وأوصى الله بكم ، وأستخلفه عليكم ، وأؤديكم إليه ؛ إنى لكم نذير وبشير ، لا تعلّوا علىَ الله فى عباده وبلاده ؛ فإنه قال لى ولكم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمتَّقِينَ ﴾[1] .وقال:﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[2] . فقلنا : متى أجلك ؟ قال : قد دنا الفراق ، والمنقلبُ إلى الله، وإلى سِدْرَة المُنْتَهَى . قلنا : فمن يغسلك يا نبىّ الله ؟ قال : أهلى الأدْنى فالأدنى، قلنا: ففيم نكفّنك يا نبىّ الله ؟ قال : فى ثيابى هذه إن شئتم ؛ أو فى بياض مصر ، أو حلّة يمانيّة ، قلنا : فمن يصلّى عليك يا نبىّ الله ؟ قال: مهلاً غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيّكم خيراً ! فبكينا وبكَى النبىّ صلى الله عليه وسلم،وقال : إذا غسّلتمونى وكفّنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا ، على شفير قبرى، ثم اخرجوا عنّى ساعة ، فإنّ أوّل منْ يصلّى علىّ جليسى وخليلى جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملَك الموت مع جنودٍ كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا علىّ فَوْجًا فَوْجًا ، فصلوا علىّ وسلموا تسليماً ، ولا تؤذونى بتزكية ولا برنّة ولا صيْحة ، وليبدأ بالصّلاة علىّ رجالُ أهل بيتى ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد . أقرئوا أنفسكم منّى السلام ؛ فإنّى أشهدكم أنّى قد سلّمت علَى مَنْ بايعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة . قلنا : فمن يُدْخلك فى قبرك يا نبىّ الله ؟ قال : أهلى مع ملائكة كثيرين يروْنكم من حيث لا ترونهم . ١/١٨٠٦

حدّثنا أحمد بن حمّاد الدُّولابىّ . قال : حدّثنا سُفيانُ ، عن سليمان ابن أبى مسلم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعُه ، فقال : ائتونى أكتب كتابًا لا تضلّوا بعدى أبداً.فتنازعوا — ولا ينبغى عند نبىّ أن يُتنازع —

---

(١) سورة القصص ٨٣ . (٢) سورة الزمر ٦٠ .

فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ[1] ! استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعونى فما أنا فيه خيرٌ مما تدعوننى إليه، وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفدَ بنحوٍ مما كنت أجيزهم، وسكت عن الثالثة عمداً — أو قال: فنسيتها[2].

حدّثنا أبو كُريب، قال: حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا ابنُ عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغى عند نبىّ أن ينازَع.

حدّثنا أبو كُريب وصالح بن سِمَال، قال: حدّثنا وكيع، عن مالك ابن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرِّف، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خدّيْه كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ائتونى باللّوح والدّواة — أو بالكَتِف والدّواة — أكتب لكم كتاباً لا تَضِلّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يَهْجُر. ١/١٨٠٧

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدّثنى عمى عبد الله ابن وهب، قال: أخبرَنى يونس، عن الزّهرىّ، قال: أخبرَنى عبد الله ابن كعب بن مالك، أنّ ابنَ عباس أخبره أنّ علىّ بن أبى طالب خرَج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى تُوُفّىَ فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبَحَ رسولُ الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عبّاس بن عبد المطلب، فقال: ألا ترَى أنك بعد ثلاث عَبْدُ العصا! وإنى أرَى رسول الله سيُتَوفّى فى وجعه هذا، وإنّى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت، فاذهب إلى رسول الله فسلْه فيمَنْ يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علِمْنَا ذلك، وإن كان فى غيرنا أمر به فأوصَى بنا. قال علىّ: والله لئن

(١) أهجر، أى اختلف كلامه بسبب المرض، وانظر نهاية ابن الأثير.

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧، وروايته: «فأنسيتها».

سألناها رسولَ الله فمنعَناها لا يعطيناها النّاس أبداً ؛ والله لا أسألها رسولَ الله أبداً .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمدُ بن إسحاق ، عن الزُّهريّ ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : خرج يومئذ علىّ بن أبى طالب علَى الناس من عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال فى حديثه : أحلِف بالله لقد عرفت الموتَ فى وجه رسول الله كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ؛ فانطلقْ بنا إلى رسول الله ؛ فإنْ كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان فى غيرنا أمرْنا[1] فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضًا : فتوفّى رسولُ الله حين اشتدّ الضُّحَى من ذلك اليوم[2] .

١/١٨٠٨

حدّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال : حدّثنا أبى ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا علىّ من سبع قِرَب من سبع آبار شتّى ، لعلّى أخرج إلى الناس فأعهدَ إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصببنا عليه من سبع قرَب ، فوجد راحةً ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطَبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحُد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم ، والأنصار عيْبَتى[3] التى أويت إليها ، فأكرِموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خُيِّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختار ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلاّ أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسَه ، فبكى ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِك يا أبا بكر ! سدُّوا هذه الأبوابَ الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر ؛ فإنى لا أعلم امرأً أفضلَ يداً فى الصحابة من أبى بكر .

---

(١) ابن هشام : « أمرناه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .
(٣) عيبتى : موضع ثقتى وسرّى . والعيبة فى الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

حدّثنا عمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد القطّان ، قال : حدّثنا سُفيان ، قال : حدّثنا موسى بن أبى عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا[1] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، فقال : لا تلُدّونى! فقلنا : كراهيَةُ المريض الدواء . فلمّا أفاق قال : لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدّ ؛ غير العبّاس فإنه لم يشهدْكم . ١٨٠٩/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق فى حديثه الذى ذكرناه عنه ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : ثم نزلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتامّ به وجعُه حتى غُمِر ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أمّ سلَمة، وميمونة ، ونساء من نساء المؤمنين ؛ منهنّ أسماء بنت عُميس ،وعنده عمّه العباس بن عبد المطلب ، وأجمعوا على أن يلُدّوه ، فقال العباس : لألُدّنه ، قال : فلُدّ ، فلما أفاقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صنع بى هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمّك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض — وأشار نحو أرض الحبشة — قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذات الجَنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله ليعذّبَنى به ، لا يبقى فى البيت أحدٌ إلا لُدّ إلاّ عمّى . قال : فلقد لدّت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أنّ عائشة حدّثته أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكونَ بك ذات الجَنْب ، قال : إنّها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلّطها علىّ . ١٨١٠/١

حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبى مِخنف ، قال : حدّثنى الصّقْعب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَقُل فى وجعه الذى تُوُفّىَ فيه حتى أغْمِىَ عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ

---

(١) اللد : أن يجعل الدواء فى شق الفم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعلىّ بن أبى طالب وجميعهم ؛ وإنّ أسماءَ بنت عُميس قالت : ما وجعه هذا إلاّ ذات الجنْب ، فلُدّوه ، فلددناه ، فلما أفاق، قال : مَنْ فعل بى هذا ؟ قالوا : لَدّتْك أسماء بنت عُميس ؛ ظنّتْ أنّ بك ذات الجنْب . قال : أعوذ بالله أن يُبليَني بذات الجنْب ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عُبَيد بن السبّاق، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقُل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم هبطتُ وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلنا علَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصْمِت فلا يتكلّم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ ، فعرفتُ أنه يدعو لى[١] .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيًّا حتى يخيّره[٢] .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن شُرَحبيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسول الله : ابعثوا إلى علىّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثتَ إلى أبى بكر ! وقالت حفصة : لو بعثتَ إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعًا ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فإن تك لى حاجة أبعثْ إليكم ؛ فانصرفوا، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمروا أبا بكر ليُصلّىَ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، فمُرْ عمر ، فقال : مُرُوا عمر ، فقال عمر : ما كنت لأتقدّم وأبو بكر

١/١٨١١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ وبقية الخبر هناك : « قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة . قالت : فقلت : إذاً والله لا يختارنا ! وعرفت أنه الذى كان يقول لنا . إن نبيا لم يقبض حتى يخير » .

شاهد ، فتقدّم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خِفَّة ، فخرج ، فلمّا سمع أبو بكر حركَتَه تأخّر ، فجذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا أبى ، عن الأعمش ، قال : [و] حدّثنا أبو هشام الرفاعىّ ، قال : حدّثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدّثنا الأعمش ، وحدّثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرضَ الذى مات فيه ، أذّنَ بالصلاة ، فقال : مُرُوا أبا بكر أنْ يصلِّىَ بالناس ، فقلت : إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق ، وإنه متى يقوم مقامَك لا يطيق ! قال : فقال : مروا أبا بكر يصلِّى بالناس ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال : إنكنّ صواحبُ يوسف — وقال ابن وكيع : « صواحبات يوسف » — مُروا أبا بكر يصلّى بالناس ، قال : فخرج يُهادَى بين رجلين وقدماه تخُطّان فى الأرض ؛ فلما دنا من أبى بكر ، تأخّر أبو بكر ؛ فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قُمْ فى مقامك ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى إلى جنب أبى بكر جالسًا . قالت : فكان أبو بكر يصلّى بصلاة النبىّ ، وكان الناس يصلّون بصلاة أبى بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان . ١٨١٢/١

حُدّثت عن الواقدىّ ، قال : سألت ابن أبى سَبْرة : كم صلّى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة ، قلت : مَنْ أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة ، عن رجلٍ من أصحابِ النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال : وحدّثنا ابنُ أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهَيل ، عن عِكْرمة ، قال : صلّى بهم أبو بكر ثلاثةَ أيام .

حدّثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدّثنا شُعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول : اللهم أعنّى على سَكْرة الموت !

حدّثني محمد بن خلَف العسقلانيّ ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدّثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سَرْجِس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر مثله ؛ إلا أنه قال : أعِنّي على سَكَرات الموت .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، قال : حدّثنا أنَس بن مالك ، قال : لما كانَ يوم الاثنين ، اليوم الذى قُبِض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرجَ إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فرَفَعَ السِّتْرَ ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتتِنُوا فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ؛ فَرَحا به ، وتفرَّجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسّم رسولُ الله فرحًا لمّا رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنّون أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح(١) . ١/١٨١٣

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيْكة ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبًا رأسه إلى الصُّبح ؛ وأبو بكر يصلّى بالناس ؛ فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرّج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلاّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاّه ، فدفع رسول الله فى ظهره ، وقال : صلِّ بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛ فصلّى قاعداً عن يمين أبى بكر ؛ فلمّا فرغ من الصّلاة ، أقبل على الناس وكلّمهم رافعًا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يأيّها الناس ، سُعِّرت النار ، وأقبلت الفتن كقِطَع الليل المظلم ! وإنّى والله لا تمْسِكون علىّ شيئًا ؛ إنّى لم أحِلّ لكم إلا ما أحَلّ لكم القرآن ، ولم أحرّم عليكم إلا ما حرّم عليكم القرآن . فلما فرغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

يا نبيّ الله ؛ إنى أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحبّ ، واليوم يوم ١٨١٤/١ ابنة خارجة ، فآتيها . ثم دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وخرجَ أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عُتْبة ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حِجْرى ، فدخل علىّ رجل من آل بكر فى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى يده نظراً عرفتُ أنه يريده ، فأخذته فمضغتُه حتى ألنْتُه ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل فى حِجْرى . قالت : فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا نظره قد شَخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنّة ! قالت : قلت : خُيِّرتَ فاخترتَ والذى بعثك بالحق ! قالت : وقُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : سمعتُ عائشةَ تقول : مات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين سَحْرى ونَحْرى وفى دوْرى ؛ ولم أظلِم فيه أحداً ، فمن سَفَهى وحداثة سنّى أنّ رسول الله قُبِض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمت ألتَدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهى [1] .

* * *

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته ١٨١٥/١

قال أبو جعفر : أما اليوم الذى مات فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنّه كان يومَ الاثنين من شهر ربيع الأوّل ، غير أنه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

اختُلِف فى أىّ الأثانين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم فى ذلك ما حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبى مِخنَف ، قال : حدّثنا الصَّقْعَب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار يوم الاثنين ، لليلتَيْن مَضَتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين فى اليوم الذى قُبِض فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدىّ : تُوُفِّىَ يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خَلَتْ من شهر ربيع الأوّل ، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء .

قال أبو جعفر : تُوفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسُّنْح وعمر حاضِرٌ . فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبى هريرة ، قال : لما تُوُفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله تُوُفِّىَ وأنّ رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعَنّ رسولُ الله فليقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنّ رسول الله مات . ١٨١٦/١

قال : وأقبلَ أبو بكر حتّى نزلَ على باب المسجد حين بلَغه الخبر ، وعمَر يكلّم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شىء حتى دخلَ علىَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ؛ ورسول الله مُسَجًّى[1] فى ناحية البيت ، عليه بُرْد حِبَرَة[2] ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبّله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ! أما المَوْتة التى كتب الله عليك فقد ذُقْتَها ، ثم لن يصيبَك بعدها موتةٌ أبداً . ثم رَدّ الثَّوْب على وجهه ، ثم خرج وعمرُ يكلّم الناس ، فقال : على رِسْلك يا عمر ! فأنصت ، فأبى إلاّ أن يتكلّم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنْصِت أقبل على الناس ، فلمّا سمع الناسُ كلامَه أقبلوا عليه ،

---

(١) مسجى : مغطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ؛ إنه مَن كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومَن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية :﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل....﴾[(١)] إلى آخر الآية . قال : فوالله لكأنّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتّى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم .

١٨١٧/١ قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلاّ أن سمعتُ أبا بكر يتلوها فعقِرتُ [(٢)] حتّى وقعتُ إلى الأرض ؛ ما تحملني رِجْلاى ، وعرفتُ أنّ رسولَ الله قد مات [(٣)] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا جَرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كُلَيْب ، عن أبي أيّوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قُبِض النبيّ صلّى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبًا ، فجاءَ بعد ثلاث ، ولم يجترئ أحدٌ أن يكشفَ عن وجهه ؛ حتى اربدّ بطنُه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبّل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمّي ! طبْت حيًّا وطبت ميّتًا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مَنْ كان يعبدُ الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت ، ومَنْ كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [(١)]. وكان عمر يقول : لم يمُت ؛ وكان يتوعّد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعدَ بن عُبادة ، فبلَغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم ومعه عُمر وأبو عبيدة بن الجرّاح ، فقال : ما هذا ؟

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) عقرت : دهشت .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ ، ٣٧٢ .

فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومِنْكم الوزراء .

ثم قال أبو بكر : إنّي قد رضيتُ لكم أحدَ هذيْن الرجُلين : عمر أو أبا عبيدة ، إنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم جاءَه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أمينًا فقال : لأبعثنّ معكم أمينًا حقَّ أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضَى لكم أبا عُبيدة . فقام عمر ، فقال : أيّكُم تطيب نفسه أن يخلُف قَدَمَيْن قدّمهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت الأنصار — أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلاّ عليًّا . ١/١٨١٨

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرُجُنّ إلى البَيْعة . فخرج عليه الزبيرُ مُصْلِتًا بالسيف ، فعثر فسقط السَّيْف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه .

حدّثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا أبو عَوانة ، قال : حدّثنا داود بن عبد الله الأوْدِيّ ، عن حُمَيد بن عبد الرحمن الحميريّ ، قال : تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف الثوبَ عن وجْهه فقبّله ، وقال : فداك أبي وأمي ! ما أطْيَبَكَ حيًّا وميتًا ! مات محمدٌ وربِّ الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر ابن الخطاب قائمًا يُوعِد الناس ، ويقول : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيٌّ لم يمت ؛ وإنه خارج إلى من أرْجَفَ به ، وقاطع أيدِيَهم ، وضارب أعناقَهم ، وصالبهم . قال : فتكلّم أبو بكر ، وقال : أنصتْ . قال : فأبى عمر أن يُنصت ، فتكلّم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنكَ مَيِّت وَإنَّهُمْ مَيِّتُون * ثُمَّ إنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُون ﴾ (١) . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أعْقَابِكُمْ . . . ﴾ (٢) ؛ حتى ختم الآية ، فمن ١/١٨١٩

(١) سورة الزمر ٣٠ ، ٣١ . (٢) سورة آل عمران ١٤٤ .

كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذى كان يعبُده ، ومَنْ كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حيٌّ لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أنّ هاتين الآيتين نزلتَا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعَى فقال : هاتيكَ الأنصار قد اجتمعتْ فى ظُلّة بنى ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاوَدان حتى أتياهم ؛ فأرادعمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم فى يوم مرّتيْن .

قال : فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئًا نزل فى الأنصار ، ولا ذكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلاّ وذكره . وقال : لقد علمتم أنّ رسولَ الله قال : لوسلك النّاس واديًا وسلكتِ الأنصارُ واديًا سلكتُ واديَ الأنصار ، ولقد علمتَ يا سعد أنّ رسول الله قال وأنت قاعدٌ : قريش ولاةُ هذا الأمر ، فبَرُّ الناس تبَعٌ لبرّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقتَ ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : ابسُطْ يدك يا أبا بكر فلأبايعك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنتَ أقوَى لها منّى . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال : وكان كلٌّ واحد منهما يريد صاحبَه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبى بكر وقال : إن لك قوّتى مع قوّتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيْعة ، وتخلّف علىّ والزّبير ، واخترط الزُّبير سيفَه ، وقال : لا أغمده حتى يُبايَع علىٌّ ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خُذُوا سيفَ الزُّبير ، فاضربوا به الحجَر . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعبًا ، وقال : لتبايعانِ وأنتما طائعان ، أو لتبايعان وأنتما كارهان ! فبايعا . ١/١٨٢٠

* * *

حديث السقيفة

حدثنى علىّ بن مسلم ، قال : حدّثنا عبّاد بن عبّاد ، قال : حدّثنا عباد بن راشد ، قال : حُدّثنا عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، عن ابن عبّاس ، قال : كنت أقرئُ عبدَ الرحمن بنَ عوْف القرآن ، قال :

فحجّ عمر وحججنا معه ، قال : فإنى لفى منزل بمنًى إذ جاءنى عبدُ الرحمن ابن عوف ، فقال : شهدتُ أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجلٌ فقال : إنى سمعت فلانًا يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعتُ فلانًا[1] . قال: فقال أمير المؤمنين : إنى لقائم العشيّةَ فى الناس فمحذّرهم هؤلاء الرّهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرَهم . قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إنّ الموسم يجمع رِعاع الناس وغوغاءَهم ؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإنى لخائف إن قلت اليوم مقالة ألاّ يَعُوها ولا يحفظوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، وأن يطيروا بها كلّ مطير ؛ ولكن أمهل حتى تقدَم المدينة ، تقدم دار الهجرة والسنّة ، وتخلُص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكّنًا فيعُوا مقالتَك ، ويضعوها على مواضعها . فقال : والله لأقومنّ بها فى أوّل مقام أقومُه بالمدينة .

١٨٢١/١

قال : فلمّا قدمْنا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هجّرت للحديث الذى حدثنيه عبد الرحمن ؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبَقنى بالتّهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتى إلى ركبته ؛ فلمّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرَج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقولنّ أميرُ المؤمنين اليومَ على هذا المنْبر مقالةً لم تُقلْ قبلَه . فغضب وقال : فأىّ مقالة يقول لم تُقَل قبله ! فلمّا جلس عمر على المنبر أذّن المؤذنون ، فلمّا قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد ، فإنّى أريد أن أقول مقالة قد قُدّر أن أقولها ، مَنْ وعاها وعقَلها وحفظها ، فليحدّث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومَنْ لم يعِها فإنى لا أحلّ لأحد أن يكذِب علىّ . إن الله عزّ وجلّ بعثَ محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْم ، فرجم رسولُ الله ورجمنا بعده ، وإنى قد خشيتُ أن يطولَ بالناس زمان ، فيقول قائل : والله ما نجد الرَّجْم فى كتاب الله ، فيَضلّوا بترْك فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول : لا ترْغبوا عن آبائكم ؛ فإنه كفرٌ

---

(١) بعدها فى ابن هشام : « والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة ، فتمت ، قال : فغضب عمر فقال : إنى لم إن شاء الله لقائم العشية . . . » .

بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثم إنه بلغنى أنّ قائلاً منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانًا ! فلا يغرّنّ امرأً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة ؛ فقد كانت كذلك ؛ غيرَ أنّ الله وَقى شرّها ؛ وليس منكم من تُقطَعُ إليه الأعناق مثل أبى بكر[1] ! وإنه كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أنّ عليًّا والزّبير ومَن معهما تخلّفوا عنا فى بيت فاطمة ، وتخلّفت عنا الأنصار بأسْرِها ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمّهم ؛ فلقِينا رجلان صالحان قد شهدا بدرًا ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم . فقلنا : والله لنأتينّهم ، قال : فأتيناهم وهم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزمّلٌ[2] ، قال : قلتُ : مَنْ هذا ؟ قالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وَجِعٌ ، فقام رجلٌ منهم ، فحمِد الله ، وقال : أمّا بعد ، فنحنُ الأنصار وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشرَ قريش رهطُ نبيّنا ؛ وقد دفّت إلينا من قومكم دافّةٌ[3] قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزِلُونا من أصلِنا ، ويغصِبونا الأمر . وقد كنت زوّرت[4] فى نفسى مقالةً أقدمها بين يدى أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحدّ[5] ، وكان هو أوقرَ منّى وأحلم ؛ فلمّا أردت أن أتكلم ، قال : على رِسْلِكَ ! فكرهت أن أعصيَه ؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئًا كنتُ زوّرت فى نفسى أن أتكلّم به لو تكلمت ؛ إلا قد جاء به أو بأحسنَ منه . وقال : أما بعدُ يا معشرَ الأنصار ؛ فإنكم لا تذكُرون منكم فضلاً إلاّ وأنتم له أهلٌ ؛ وإنّ العربَ لا تعرف هذا الأمرَ إلاّ لهذا الحىّ من قريش ؛ وهم

١٨٢٢/١

١٨٢٣/١

---

(١) بعدها فى ابن هشام : « فن بايع رجلا عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا » .

(٢) مزمل : ملتف فى كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيراً ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : هيأتها وأعددتها .

(٥) الحد ؛ أى الحدة .

أوسط [العرب][1] دارًا ونسبًا ، ولكن قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيّهما شئتم . فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح . وإنّى والله ما كرهتُ من كلامه شيئًا غيرَ هذه الكلمة ؛ إن كنت لأقدَّم فتُضْرَب عنقى فيما لا يقرّبنى إلى إثم أحبُّ إلىّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر . فلمّا قضى أبو بكر كلامَه ، قام منهم[2] رجلٌ ، فقال : أنا جُذَيْلُها[3] المُحكَّك ، وعُذَيْقُها[4] المُرَجَّب ؛ منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ يا معشر قريش .

قال : فارتفعت الأصوات ، وكثر اللَّغَط[5] ، فلمّا أشفقت الاختلاف ، قلت لأبى بكر : ابسُطْ يدك أبايعْك . فبسط يده فبايعتُه وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار . ثم نزونا[6] على سعد ، حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن عبادة ! فقلت : قتل الله سعداً ! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبى بكر ؛ خشينا إنْ فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يحدِثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نتابعهم على ما نرضَى ، أو نخالفهم فيكون فساد[7] .

١/١٨٢٤ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة بن الزبير ، قال : إن أحدَ الرجُلين اللذيْن لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة ، عُوَيْم بن ساعدة والآخر معْنُ بن عدىّ ؛ أخو بنى العجلان ، فأما عُويم بن ساعدة فهو الذى بلَغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله

---

(١) من ابن هشام ، وأوسط العرب : أشرفهم . ودارًا ؛ أى بلدا ؛ يريد مكة .

(٢) ابن هشام : « من الأنصار » .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون فى وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه ، فيضرب به المثل فى الرجل يشتفى برأيه .

(٤) العذيق : تصغير عذق ؛ وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذى تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ؛ فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه .

(٥) اللغط : اختلاط الأصوات .

(٦) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

(٧) الخبر فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ برواية ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكير ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، عن عبد الرحمن بن عوف .

عليه وسلم : مَن الذين قال الله لهم : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1]؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عُويم بن ساعدة ! وأما معن فبلَغنا أنّ الناس بكَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفّاه الله ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبلَه ؛ إنا نخشى أن نفتتن بعده . فقال معن بن عدىّ : والله ما أحبُّ أنى متُّ قبله حتى أصدّقه ميتاً كما صدّقته حيًّا . فقتل مَعْنٌ يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر يوم مُسَيْلمة الكذّاب[2].

حدّثنا عُبيد الله بن سعيد الزهرىّ ، قال : أخبرنا عمى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنى سَيْفُ بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن أبى ظَبْية البَجَلىّ ، قال : حدّثنا الوليد بن جُمَيْع الزُّهرىّ ، قال : قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد : أشهدت وفاةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوْا بعض يوم وليسوا فى جماعة . قال : فخالف عليه أحدٌ ؟ قال : لا إلا مرتدٌّ أو مَنْ قد كاد أن يرتدّ ، لولا أنّ الله عزّ وجلّ ينقذهم من الأنصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته ، من غير أن يدعوَهم . ١٨٢٥/١

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : كان علىٌّ فى بيته إذْ أُتِىَ فقيل له : قد جلس أبو بكر للبيْعة ، فخرج فى قميص ما عليه إزارٌ ولا رداءٌ ، عجلاً ، كراهيَةَ أن يُبْطئ عنها ، حتى بايعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأتاه فتجلله ، ولزم مجلسه .

حدّثنا أبو صالح الضِّرارىّ ، قال : حدّثنا عبد الرزاق بن همّام ، عن معمَر ، عن الزهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، أنّ فاطمةَ والعباس أتيا

---

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

أبا بكر يطلُبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضَه من فَدَك ، وسهمَه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما إنّى سمعتُ رسولَ الله يقول : لا نورَثُ ، ما تركْنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المالِ . وإنى والله لا أدَعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاّ صنعته . قال : فهجرتْه فاطمة فلم تكلّمْه فى ذلك حتى ماتت ، فدفنها علىٌّ ليلاً ، ولم يؤذِنْ بها أبا بكر . وكان لعلىّ وَجْهٌ من الناس حياةَ فاطمة ، فلمّا توفِّيَتْ فاطمة انصرفتْ وجوه الناس عن علىّ ؛ فمكثتْ فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفِّيت .

قال معمر : فقال رجلٌ للزهرىّ : أفلم يبايعه علىٌّ ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحدٌ من بنى هاشم ؛ حتى بايعه علىّ . فلما رأى علىٌّ انصرافَ وجوه الناس عنه ضَرَع إلى مصالحة أبى بكر ، فأرسل إلى أبى بكر : أن ائتنا ولا يأتِنا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيَه عمر لما علم من شدّة عمر ، فقال عمر : لا تأتِهم وحدَك ، قال أبو بكر : والله لآتينّهم وحدِى ، وما عسى أن يصنعوا بى ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على علىّ ، وقد جَمَع بنى هاشم عنده ، فقام علىٌّ فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أنْ نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نَفاسَةٌ عليك بخيْرٍ ساقه الله إليك ، ولكنا كنّا نرى أنّ لنا فى هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقّهم . فلم يزل علىٌّ يقول ذلك حتى بكى أبو بكر . ١٨٢٦/١

فلما صمت علىٌّ تشهّد أبو بكر . فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعدُ ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إلىّ أن أصلَ من قرابتى ؛ وإنى والله ما ألوتُ فى هذه الأموال التى كانت بينى وبينكم غيرَ الخير ؛ ولكنّى سمعت رسول الله يقول : « لا نورّث ؛ ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال » ؛ وإنى أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاّ صنعتُه فيه إن شاء الله .

ثم قال علىٌّ : موعدك العشيّة للبيْعة ، فلمّا صلى أبو بكر الظّهْرَ أقبلَ

على النّاس ، ثم عذر عليًّا ببعض ما اعتذر، ثم قام علىٌّ فعظّم من حقّ أبى بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبى بكر فبايعه . قالت: فأقبل الناس إلى علىّ فقالوا : أصبت وأحسنت ، قالت : فكان الناس قريبًا إلى علىّ حين قاربَ الحق والمعروف . ١٨٢٧/١

حدّثنى محمد بن عثمان بن صفوان الثقفىّ ، قال : حدّثنا أبو قُتيبة ، قال : حدّثنا مالك — يعنى ابن مِغْوَل — عن ابن الحرّ ، قال : قال أبوسفيان لعلىّ: ما بالُ هذا الأمر فى أقلّ حىّ من قريش ! والله لئنْ شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً ! قال : فقال علىٌّ : يا أبا سفيان ، طالما عاديتَ الإسلام وأهلَه فلم تضرّه بذاك شيئًا ! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

حدّثنى محمد بن عثمان الثّقَفِىّ ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد ، قال : حدثنا حمّاد بن سلَمة ، عن ثابت ، قال : لما استخلف أبو بكر قال أبو سُفيان : ما لَنا ولأبى فَصِيل ؟ إنما هى بنو عبد مناف ! قال : فقيل له : إنه قد ولّى ابنَك ، قال : وصلَتْه رَحِم !

حُدّثت عن هِشام ، قال : حدّثنى عوانَة ، قال : لما اجتمعَ الناسُ على بيعة أبى بكر ، أقبل أبو سفيان ؟ وهو يقول : والله إنىّ لأرَى عجاجةً لايطفئها إلاّ دم! يا آل عبد مناف فيم أبوبكر من أموركم! أين المستضعَفان ! أين الأذلان علىّ والعباس ! وقال : أبا حسنٍ ! ابسُط يدك حتى أبايعَك . فأبى علىٌّ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمّس :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرادُ بِهِ ... إلَّا الأذَلّانِ عَيْرُ الحَىِّ وَالوَتِدُ
هٰذَا عَلَى الخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمّتِهِ(١) ... وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبكِى لَهُ أَحَدُ

قال : فزجره علىّ ، وقال : إنك والله ما أردتَ بهذا إلا الفتنة ، وإنك والله طالما بغيتَ الإسلامَ شرًّا ! لا حاجة لنا فى نصيحتك . ١٨٢٨/١

---

(١) الرمة : الحبل ، والعكس : شد عنق الدابة إلى إحدى يديها .

قال هشام بن محمّد : وأخبرنى أبو محمد القرشىّ ، قال : لما بويع أبو بكر ، قال أبو سفيان لعلىّ والعباس : أنتما الأذلاّن ! ثم أنشد يتمثّل :

إنَّ الهوَانَ حِمَارُ الأهلِ يعرِفُه   وَالحُرُّ يَنكَرُهُ والرَّسْلَةُ الأُجُد

ولاَيُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ   إلا الأَذَلاَّنِ عَيْرُ الحَىِّ وَالوتِدُ

هٰذَا عَلَى الخَسْفِ معكوسٌ برُمَّتِه   وذَا يُشَجُّ فَلا يَبكى لَه أحد

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهرىّ ، قال : حدّثنا أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكْر فى السقيفة ؛ وكان الغدُ ، جلَس أبو بكر على المِنْبَر ، فقام عُمر فتكلّم قبل أبى بكر ؛ فحمد اللهَ وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنى قد كنتُ قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيى ؛ وما وجدتُها فى كتاب الله ؛ ولا كانت عهداً عَهِده إلىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولكنى قد كنت أرى أنّ رسول الله سيدبّر أمرنا ؛ حتى يكون آخرَنا ؛ وإنّ الله قد أبقَى فيكم كتابه الذى هَدَى به رسول الله ؛ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هَدَاه له ؛ وإنّ الله قد جمع أمرَكم على خيرِكم ؛ صاحِب رسول الله ، وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ؛ فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة بعد بيعة السقيفة . ١٨٢٩/١

ثم تكلّم أبو بكر ، فحمِد الله وأثنى عليه بالذى هو أهلُه ، ثم قال : أما بعدُ أيها الناس ؛ فإنى قد وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيرِكم ؛ فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقَوّمونى . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوىٌّ عندى حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله ، والقوىُّ منكم الضعيف عندى حتى آخذَ الحقّ منه إن شاء الله . لا يَدَع أحدٌ منكم الجهاد فى سبيل الله ؛ فإنه لا يَدعُه قوم إلاّ ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم إلاّ عمَّهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعتُ الله ورسوله ؛ فإذا عصيتُ اللهَ ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ![1]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق؛ عن حسين بن عبد الله، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، قال: والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته؛ وهو عامد إلى حاجة له، وفى يده الدِّرّة، وما معه غيرى. قال وهو يحدّث نفسه، ويضرب وَحْشِيَّ[1] قدمه بدِرّته، قال إذ التفت إلىّ فقال: يابنَ عباس، هلْ تدرى ما حملنى على مقالتى هذه التى قلت حين توفّى الله رسوله؟ قال: قلت: لا أدرى يا أميرَ المؤمنين؛ أنت أعلم، قال: والله إنْ حمَلنى على ذلك إلاّ أنّى كنتُ أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]؛ فوالله إنّى كنت لأظنّ أنّ رسولَ الله سيبقَى فى أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها؛ فإنه لَلّذى حملنى على أن قلتُ ما قلت[3]. ١٨٣٠/١

* * *

[ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه]

قال أبو جعفر: فلما بويع أبو بكر أقبلَ الناسُ على جهازِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء؛ وذلك الغدُ من وفاته صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: إنما دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام، وقد مضى ذكرُ بعض قائلى ذلك.

حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدّثنا سلَمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبدِ الله بن أبى بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه، عمّن يحدثه؛ عن عبد الله بن عباس، أنّ عليًّ بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل ابن العباس وقُثَم بن العباس وأسامة بن زيد وشُقْران مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هُم الذين وَلُوا غَسْلَه، وإنّ أوسَ بن خَوْلِىّ أحد بنى عوف ابن الخزرج؛ قال لعلىّ بن أبى طالب: أنشُدك الله يا علىُّ؛ وحَظّنا من رسول

---

(١) الوحشى من أعضاء الإنسان: ما كان إلى خارج. (٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٣٧٤.

الله ! وكان أوْس من أصحاب بدر[١] ؛ وقال : ادخل ؛ فدخل فحضر غُسْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسنده علىٌّ بن أبى طالب إلى صدره ، وكان العبّاس والفضل وقُثَم هم الذين يقلّبونه معه ؛ وكان أُسامة بن زيد وشُقْران مولياه هُمَا اللذان يصبّان الماء ، وعلىّ يغسله قدأسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يَدْلُكه مِنْ ورائه ، لا يفْضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىٌّ يقول : بأبى أنت وأمّى ! ما أطيبك حيًّا وميّتا ! ولم يُرَ من رسول الله شىءٌ مما يُرَى من الميت[٢] .

١٨٣١/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبّاد ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا أن يَغْسِلوا النبىّ صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندرى أنُجرّد رسولَ الله من ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ! فلما اختلفوا ألقىَ عليهم السِّنَةُ حتى ما منهم رجل إلا وَذَقْنُه فى صدره ، ثم كلّمهم متكلّمٌ من ناحية البيت لا يُدْرى مَنْ هو : أن اغسلوا النبىّ وعليه ثيابُه ؛ قالت : فقاموا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فغسّلوه وعليه قميصه يصبّون عليه الماء فوق القميص ، ويدلُكونه والقميص دون أيديهم[٣] .

قال : فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسّله إلا نِساؤه .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر ابن محمد بن على بن حسين ، عن أبيه ، عن جدّه علىّ بن حسين . قال ابن إسحاق : وحدّثنى الزّهرىّ ، عن علىّ بن حسين ، قال : فلما فُرِغ من غُسْل رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كُفِّن فى ثلاثة أثواب : ثوبين صُحَارِيَّيْن[٤] وبُرد حِبَرَة ؛ أدرج فيها إدراجا[٥] .

(١) فى ابن هشام : « وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر »
(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
(٣) الخبر إلى هنا فى سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .
(٤) ثوب صحارىّ : منسوب إلى صحار ؛ وهى مدينة باليمن .
(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عِكْرِمة مولى ابنِ عبّاس ، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : لما أرادوا أن يحفِروا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وكان أبو عبيدة بن الجرّاح يَضْرَح[1] كحفر أهل مكّة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يحفِر لأهل المدينة ، وكان يَلْحَد — فدعا العباسُ رجلين . فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة ، وللآخر : اذهب إلى أبى طلحة ؛ اللهمّ خِرْ لرسولك ؛ قال : فوجد صاحبُ أبى طلحة أبا طلحة فجاء به فلحَد لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا فرِغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريره فى بيته ؛ وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه ؛ فقال قائل : ندفنه فى مسجده ، وقال قائل : يدفَن مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : إنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما قبِض نبىٌّ إلاّ يدفن حيث قُبِض» ؛ فرُفع فراش رسولِ الله الذى توفِّىَ عليه ؛ فحُفِرَ له تحته ؛ ودخل الناس على رسول الله يصلّون عليه أرْسالا[2] ؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخِل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخِل الصبيان ؛ ثم أدخِل العبيد ؛ ولم يَؤُمّ الناسَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ . ثم دفن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وسَط الليل ليلة الأربعاء[3] . ١/١٨٣٢

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت محمد بن عُمارة ، امرأة عبد الله — يعنى ابن أبى بكر — عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة أمّ المؤمنين . قالت : ما علمنا بدفن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى سمِعنا صوتَ المَسَاحِى من جوف الليل ليلة الأربعاء . ١/١٨٣٣

قال ابن إسحاق : وكان الذى نزل قبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب والفضل بن العبّاس وقُثَم بن العباس وشُقران مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال أوس بن خَوْلىّ : أنشُدك الله يا علىّ وحظّنا

(١) يضرح : يشق الأرض للقبر . (٢) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

من رسول الله ! فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ؛ وقد كان شُقْران مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُضِع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته، وبُنِىَ عليه؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله يلبسها ويفترشها ؛ فقذفها فى القبر ، وقال : والله لا يلبَسها أحدٌ بعدَك أبداً . قال : فدفِنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبة يدّعى أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أخذت خاتمى فألقيتُه فى القبر ، وقلت : إنّ خاتمى قد سقط ، وإنما طرحته عمدًا لأمسّ رسول الله ، فأكون آخرَ الناس به عهداً[1] .

حدّثنى ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يَسار ، عن مِقْسَم أبى القاسم ، مولَى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرتُ مع علىّ بن أبى طالب فى زمان عمر — أو زمان عثمان — فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عُمرته رجع وسكبتُ له غسلا فاغتسل ؛ فلمّا فرغ من غُسْله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق ؛ فقالوا ، يا أبا الحسن ؛ جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به ! فقال : أظنّ المغيرة يحدّثكم أنه كان أحدثَ الناس عهداً برسول الله صلّى الله عليه وسلم ! قالوا : أجل ، عن ذا جئنا نسألك ! قال : كذب ؛ كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله قُثَمَ بن العبّاس[2] . ١٨٣٤/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح ابن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة[3] سوداء حين اشتدّ به وجعُه ، قالت : فهو يَضَعُها مرّة على وجهه ، ومرّة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قومًا اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ ! يحذّر ذلك على أمته[4] .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ .
(٣) خميصة سوداء : ثوب خز أو صوف معلم . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

ابن كيسان ، عن الزهرىّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُتْرَك بجزيرة العرب دينان[1] .

قالت : وتوفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، فى اليوم الذى قدم فيه المدينة مهاجراً فاستكمل فى هجرته عشر سنين كوامل .

* * *

واختلف فى مبلغ سنّه يوم توفى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان له يومئذ ثلاث وستون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد — يعنى ابنَ سلَمة — عن أبى جمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكّة ثلاث عشرة سنة يُوحَى إليه ، وبالمدينة عشرا ؛ ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة . ١٨٣٥/١

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا حجّاج بن المنهال ، قال : حدّثنا حمّاد ، عن أبى جمرة ، عن أبيه ، قال : عاش رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثًا وستين سنة .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا عبد الوهاب ، قال : حدّثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكّة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفِّىَ وهو ابن ثلاث وستين .

حدّثنا محمد بن خلَف العسقلانىّ ، قال : حدّثنا آدم ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال : حدّثنا أبو جمرة الضُّبَعىّ ، عن ابن عباس ، قال :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

بُعِث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة يوحىَ إليه ، وبالمدينة عشرًا ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

حدّثني أحمدُ بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدّثني عمى عبد الله ، قال : حدّثنا يونس ، عن الزُّهريّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قالت : توفّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين .

* * *

وقال آخرون : كان له يومئذ خمس وستون .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني زياد بن أيوّب ، قال : حدّثنا هُشَيم ، قال : أخبرنا علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عبّاس ، قال : قبِض النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس وستين .

حدّثنا ابنُ المثنّى ، قال : حدّثنا معاذ بن هشام ، قال : حدّثني أبى ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن د غْفل — يعنى ابن حنظلة — أن النبيّ صلى الله عليه وسلم توفّيَ وهو ابن خمس وستين سنة .

* * *

١ /١٨٣٦ وقال آخرون : بل كان له يومئذ ستون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنّى ، قال : حدّثنا حجاج ، قال : حدّثنا حمّاد ، قال : حدّثنا عمرو بن دينار ، عن عُرْوة بن الزبير ، قال : بُعِث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين ، ومات وهو ابن ستين .

حدّثنا الحسينُ بن نصر ، قال : أخبرَنا عبيدُ الله ، قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى بن أبى كَثِير ، عن أبى سلَمة ، قال : حدثتْنِى عائشة وابنُ عبّاس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً .

* * *

ذكر الخبر عن اليوم والشهر
اللذَيْن توفّى فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : حدّثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجانىّ ، قال : حدّثنا أحمد بن أبى طَيْبَة ؛ قال : حدّثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحجّ سنة تسع ، فأراهم مناسكَهم ، فلمّا كان العام المقبل حجّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّةَ الوداع سنة عشر ؛ وصدر إلى المدينة ، وقُبِض فى ربيع الأول .

حدّثنى إبراهيم بن سعيد الجوهرىّ ، قال : حدّثنا موسى بن داود ، عن ابن لَهيعة ، عن خالد بن أبى عمران ، عن حَنَش الصنعانىّ ، عن ابن عباس ، قال : وُلد النبىّ صلى الله عليه وسلم يومَ الاثنين ، واستُنْبِئ يوم الاثنين ، ورفع الحجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدِم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

١٨٣٧/١ حدّثنى أحمدُ بن عثمان بن حكيم ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن شريك ، قال : حدّثنى أبى ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : توفِّىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأوّل فى اثنتى عشرة ليلة مضتْ من شهر ربيع الأوّل يوم الاثنين ودفن ليلةَ الأربعاء .

حدّثنى أحمدُ بن عثمان ، قال : حدّثنا عبد الرحمن ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا محمد بنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه دخل عليه فقال لامرأته فاطمة : حدّثِى محمداً ما سمعت من عَمْرة بنت عبد الرحمن . فقالت : سمعت عَمْرة تقول : سمعت عائشة تقول : دُفِن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوتَ المَساحِى .

* * *

ذكر الخبر عما جرى
بين المهاجرين والأنصار فى أمر الإمارة فى سقيفه بنى ساعدة

حدّثنا هِشام بن محمد ، عن أبى مِخْنف ، قال : حدّثنى عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارىّ، أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم لما قُبِض اجتمعت الأنصارُ فى سقيفة بنى ساعدة ، فقالوا : نُولِّى هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعدَ بن عبادة، وأخرجوا سعدًا إليهم وهو مريض؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بنى عمّه : إنّى لا أقدِر لشكواىَ أن أسمِع القوم كلّهم كلامى ؛ ولكن تلَقّ منّى قولى فأسْمِعْهموه ؛ فكان يتكلّم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوتَه فيسمِع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقةٌ فى الدين وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إنّ محمّداً عليه السلام لَبِث بضع عشرة سنة فى قومِه يدعوهم إلى عبادة الرّحمن وخلْع الأنداد والأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا رجالٌ قليل؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعُوا رسولَ الله ؛ ولا أن يُعِزّوا دينَه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيْمًا عُمّوا به ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلةَ ، ساق إليكم الكرامةَ وخصّكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنعَ له ولأصحابه ، والإعزازَ له ولدينه ؛ والجهادَ لأعدائه ؛ فكنتم أشدَّ الناس على عدوّه منكم ، وأثقلَه على عدوّه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعًا وكرهًا ؛ وأعطى البعيدُ المقادةَ صاغراً داخراً؛ حتى أثخن الله عز وجلّ لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ؛ وتوفّاه الله وهو عنكم راض ؛ وبكم قرير عين . استبدّوا بهذا الأمر فإنّه لكم دون الناس .

١٨٣٨/١

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وُفِّقتَ فى الرأى وأصبت فى القول ، ولن نعدُوَ ما رأيت ، ونولِّيك هذا الأمر ، فإنك فينا مَقْنَعٌ ولصالح المؤمنين رضا . ثم إنهم ترادّوا الكلامَ بينهم ، فقالوا : فإن أبَتْ مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأوّلون ؛ ونحن عشيرته وأولياؤه ؛ فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده ! فقالت طائفة منهم : فإنّا نقولُ إذاً : منّا أميرٌ

ومنكم أميرٌ ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعدُ بن عبادة حين ١٨٣٩/١
سمعها : هذا أول الوهَن !

وأتى عمرَ الخبرُ ، فأقبل إلى منزل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دائب في جهاز رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إليّ ، فأرسل إليه : إنّي مشتغل ؛ فأرسل إليه أنه قد حدَث أمرٌ لا بدّ لك من حضوره ؛ فخرج إليه ، فقال : أمَا علمتَ أنّ الأنصار قد اجتمعت في سَقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعدَ بن عبادة ؛ وأحسنهم مقالةً مَن يقول : منّا أمير ومِنْ قريش أمير ! فمضيا مسرعين نحوهم ؛ فلقيا أبا عُبيدة بن الجراح ؛ فتماشَوْا إليهم ثلاثتهم ، فلقيهم عاصم بن عديّ وعُوَيم بن ساعدة ، فقالا لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون ، فقالوا: لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيناهم — وقد كنتُ زوّرت كلاماً[1] أردت أن أقوم به فيهم — فلما أن دفعتُ إليهم ذهبتُ لأبتدئ المنطق ، فقال لي أبو بكر : رُوَيداً حتى أتكلّم ثم انطِقْ بعد بما أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنتُ أردت أن أقوله إلاّ وقد أتى به أو زاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن[2] : فبدأ أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال : إنّ الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أمته، ليعبُدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى ؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعةٌ ، ولهم ١٨٤٠/١
نافعة ؛ وإنما هي من حَجَر منحوت ، وخشب منجور ، ثم قرأ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ ولاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ ٱللَّهِ ﴾[3] ، وقالوا : ﴿ مَانَعْبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَى ﴾[4] ؛ فعظُم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصّ الله المهاجرين الأولين من

---

(١) زورت كلاماً : هيأته ، وفى ز : « رويت » . (٢) هو راوى الخبر.
(٣) سورة يونس ١٨ . (٤) سورة الزمر ٣ .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه على شدّة أذى قومهم لهم ، وتكذيبهم إياهم ؛ وكلُّ الناس لهم مخالف ؛ زارٍ عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددِهم وشَنَفِ الناس لهم ، وإجماع قومهم عليهم ؛ فهم أوّل مَنْ عَبَد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشرَ الأنصار ، مَنْ لا ينكَر فضلُهم في الدينِ ، ولا سابقتُهم العظيمة في الإسلام ، رضيَكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جِلّةُ أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحدٌ][1] بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفْتاتون بمشورة ، ولا نقضى دونكم الأمور.

قال : فقام الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح ، فقال : يامعشرَ الأنصار ، املِكوا عليكم أمركم ؛ فإنّ الناس في فيئكم وفي ظلّكم ، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم ؛ ولن يُصدِر الناس إلاّ عن رأيكم ، أنتم أهل العزّ والثروَة ، وأولو العَدَد والمَنَعة والتجربة ، ذوو البأس والنجْدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيُكم ؛ وينتقض عليكم أمركم ؛ [فإن] أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم ؛ فمنّا أمير ومنهم أمير .

١٨٤١/١

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قَرن ! والله لا ترضى العرب أن يؤمّروكم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا تمتنع أن تولّى أمرَها مَنْ كانت النبوّة فيهم ووَلى أمورهم منهم ، ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مُدْلٍ بباطل ، أو مُتَجَانِف لإثم ، و متورِّط في هَلَكَة !

فقام الحُباب بن المنذر فقال : يامعشرَ الأنصار ، املكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ؛ فإن أبوْا عليكم ما سألتموه ، فاجلُوهم عن هذه البلاد ، وتولَّوْا عليهم هذه الأمور ؛ فأنتم والله أحقُّ بهذا الأمر منهم ؛ فإنه بأسيافكم دانَ لهذا الدين مَنْ دانَ ممّن لم يكن يدين ؛ أنا جُذَيْلُها

---

(١) من ب .

المُحَكَّك ، وعُذَيقُها المُرَجَّب ! أمَا والله لئن شئتم لنعيدنّها جَذَعَة[1] ؛ فقال عمر : إذاً يقتلك الله ! قال : بل إياك يقتل !

فقال أبو عبيدة : يا معشرَ الأنصار ؛ إنكم أوّل مَنْ نصر وآزرَ ؛ فلا تكونوا أوّل مَنْ بدّل وغيّر . ١/١٨٤٢

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير فقال : يا معشرَ الأنصار ؛ إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهادِ المشركين ، وسابقةٍ فى هذا الدّين ؛ ما أردنا به إلاّ رضا ربنا وطاعة نبينا ؛ والكَدْحَ لأنفسنا ؛ فما ينبغى لنا أن نستطيل على النّاس بذلك ، ولا نبتغى به من الدنيا عرَضا ؛ فإن الله ولىّ المنة علينا بذلك ؛ ألا إنّ محمداً صلى الله عليه وسلم من قريش ، وقومُه أحقّ به وأولى . وايم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم !

فقال أبو بكر : هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة ، فأيّهما شئتم فبايعوا . فقالا : لا والله لا نتولّى هذا الأمر عليك ؛ فإنك أفضلُ المهاجرين وثانى اثنين إذْ هما فى الغار ، وخليفةُ رسول الله على الصّلاة ؛ والصَّلاةُ أفضلُ دين المسلمين ؛ فمن ذا ينبغى له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك ! ابسُط يدك نبايعْك .

فلما ذهبا ليبايعاه ، سبقهما إليه بشير بن سعد ، فبايعه ، فناداه الحُباب ابن المنذر : يا بشير بن سعد : عَقَقْتك[2] عَقاقِ ؛ ما أحوجَك إلى ما صنعت ، أنَفِسْتَ على ابن عمّك الإمارة ! فقال : لا والله ؛ ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقّاً جعله الله لهم .

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد ، وما تدعُو إليه قريش ، وما تطلبُ الخزرجُ من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم أسَيْد ابن حُضير — وكان أحدَ النقباء : والله لئن وليَتْها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً ، فقوموا فبايعوا ١/١٨٤٣

(١) جذعة : فتية . (٢) ط : « عققت » ، والتصويب من اللسان .

أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو بكر بن محمد الخُزاعىّ ، أن أسلمَ أقبلتْ بجماعتها حتى تضايَقَ بهم السكك، فبايعوا أبا بكر ؛ فكان عمر يقول : ما هو إلاّ أن رأيتُ أسلم ، فأيقنتُ بالنّصر .

قال هشام ، عن أبى مخنف : قال عبدُ الله بن عبد الرحمن : فأقبَل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطئوه، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تُنْدَرَ عَضُدُك[1] ، فأخذ سعد بلحية عمر ، فقال : والله لو حصصتَ منه شعره ما رجعت وفى فيك واضحة[2] ؛ فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر! الرِّفْقُ ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . وقال سعد : أما والله لو أنّ بى قوّة مّا ، أقوى على النهوض ، لسمعتَ منّى فى أقطارها وسككها زَئيراً يُجْحِرك[3] وأصحابك ؛ أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنتَ فيهم تابعًا غير متبوع ! احملونى مِنْ هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه فى داره ، وتركاً ياماً ثم بعث إليه أن أقْبِل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومُك ؛ فقال : أما والله حتى أرميَكم بما فى كنانتى من نَبْلى ، وأخْضِب سنان رمْحى ، وأضربكم بسيفى ما ملكته يدى ، وأقاتلكم بأهل بيتى ومَنْ أطاعنى من قومى ؛ فلا أفعل ، وايْمُ الله لو أنّ الجنّ اجتمعتْ لكم مع الإنس ما بايعتُكم ، حتى أعرَض على ربّى ، وأعلَم ما حسابى . ١/١٨٨٤

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لاتَدَعْه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إنه قد لجّ وأبى ؛ وليس بمبايعكم حتى يُقتل ، وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولدُه وأهل بيته وطائفة من عشيرته ؛ فاتركوه فليس تركُه بضارّكم ؛ إنما هو رجلٌ واحد. فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه ؛

(١) تندر عضدك : تزال عن موضعها ، وفى ط : « عضوك » .

(٢) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك .

(٣) يجحرك وأصحابك ، أى يدخلكم المضايق .

فكان سعْد لا يصلّى بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحجّ ولا يُفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : حدّثنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيْف ابن عمر ، عن سهل وأبى عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : لما قام الحُبابُ ابن المنذر انتضَى سيفه ؛ وقال : أنا جُذَيلُها المحكَّك وعُذَيقها المرجَّب ؛ أنا أبو شبل فى عِرِّيسة الأسد ، يعزَى إلىّ الأسْد . فحامله عمر فضرب يده ، فندَر السيفُ ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ وبايع سعد ؛ وكانت فلتةً كفَلَتات الجاهليّة ؛ قام أبو بكر دونها . وقال قائل حين أوطىء سعد : قتلتم سعداً ، فقال عمر : قتله الله ! إنه منافق ، واعترض عمرَ بالسيف صخرةٌ فقطعه . ١٨٤٥/١

حدّثنا عُبيد الله بن سعيد ، قال : حدّثنى عمّى يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشّر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عبادة يومئذ لأبى بكر : إنكم يا معشرَ المهاجرين حسدتمونى على الإمارة ؛ وإنك وقومى أجبرتمونى على البَيْعة ، فقالوا : إنا لو أجْبَرْناك على الفُرقة فصرت إلى الجماعة كنت فى سَعة ؛ ولكنا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ؛ لئن نزعت يداً من طاعة ، أو فرّقت جماعة ، لنَضرِ بنّ الذى فيه عيناك .

* * *

[ذكر أمر أبى بكر فى أول خلافته]

حدّثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : حدّثنا سيف — وحدّثنى السرىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر — عن أبى ضَمْرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدىّ ، قال : نادَى منادى أبى بكر ، من بعد الغدِ مِنْ متوفَّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : ليُتَمّ بعث أسامة ؛ ألا لا يبقينّ بالمدينة أحدٌ من جُنْد أسامة إلاّ خرج إلى عسكره بالجُرف . وقام فى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يأيها الناس ، إنما أنا مثلكم ؛ وإنى لا أدرى لعكم ستكلفونني ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ؛ وإنما أنا متبعٌ ولست بمبتدع ؛ فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقوموني ؛ وإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ؛ ألا وإنَّ لى شيطاناً يعتريني ؛ فإذا أتانى ١/١٨٤٦

فاجتنبونى ؛ لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ؛ وأنتم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غيِّب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم ألا يمضىَ هذا الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مَهَل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإياكم أن تكونوا أمثالهم . الجدَّ الجدَّ ! والوحا الوحا ! والنَّجاء النَّجاء ! فإن وراءكم طالباحثيثاً ، أجلاً مَرُّه سريعٌ . احذروا الموت ، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أنَّ ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأٌ ظفرتم به ، وضرائب أدَّيتموها ، وسلَفٌ قدَّمتموه من أيام فانية لأخرى باقية ؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمَن مات منكم ، وتفكَّروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ! أين الجبَّارون ! وأين الذين كان لهم ذِكْر القتال والغلَبة فى مواطن الحروب ! قد تضعضع بهم الدَّهر ، وصاروا رميماً ؛ قد تُركت عليهم القالات ؛ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . وأينَ الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؛ قد بعدوا ونُسِىَ ذكرهم ، وصاروا كلا شىء . ألا إنَّ الله قد أبقى عليهم التَّبِعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوْا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلَفاً بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجوْنا ؛ وإن اغتررنا كنَّا مثلهم ! أين الوُضَّاءُ الحسنة وجوهُهم ، المعجبون بشبابهم ! صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حَسْرَةً عليهم ! أين الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ! قد تركوها ١/١٨٤٧

لمن خَلَفَهم ؛ فتلك مساكنهم خاوية ، وهم فى ظلمات القبور ، هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ! أين مَنْ تعرفون من أبنائكم وإخوانكم ؛ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا على ما قدموا فحلّوا عليه وأقاموا للشّقْوة والسعادة فيما بعد الموت . ألاَ إنّ الله لا شريك له ، ليس بينه وبين أحد مِنْ خلقه سببٌ يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه به سوءًا ، إلاّ بطاعته واتباع أمره . واعلموا أنكم عبيدٌ مَدِينُونَ ، وإنّ ما عنده لا يُدْرك إلاّ بطاعته ؛ أما أنه لا خير بخير بَعْدَه النارُ ، ولا شر بشرّ بعده الجنة .

١٨٤٨/١ حدّثنى عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السَّرِىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : أخبرنا سيف — عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، قال : لما بويع أبو بكر رضى الله عنه وجمع الأنصار فى الأمر الذى افترقوا فيه ، قال : ليُتَمّ بعثُ أسامة ؛ وقد ارتدت العرب ؛ إمّا عامة وإمّا خاصّة فى كلّ قبيلة ؛ ونجَم النفاق ، واشرأبّت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغَنَم فى الليلة المطِيرة الشاتية ، لفقد نبيّهم صلى الله عليه وسلم وقِلّتهم ، وكثرة عدوّهم . فقال له الناس : إن هؤلاء جُلّ المسلمين والعرب — على ما ترى — قد انتقضت بك ؛ فليس ينبغى لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين . فقال أبو بكر : والذى نفس أبى بكر بيده ، لو ظننت أن السِّباع تخطّفنى لأنفذت بعثَ أسامة كما أمَر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبقَ فى القرى غيرى لأنفذته !

حدّثنى عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سيف — عن عطية ، عن أبى أيوب عن علىّ ، وعن الضّحاك عن ابن عباس ، قالا : ثم اجتمعَ من حول المدينة من القبائل التى غابت فى عام الُحدَيبيَة ، وخرجوا وخرج أهلُ المدينة فى جُنْد أسامة ؛ فحبس أبو بكر مَنْ بَقِىَ من تلك القبائل التى كانت لهم الهجرة فى ديارهم ، فصاروا مسالحَ حول قبائلهم وهم قليل .

١٨٤٩/١ حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمى ، قال : أخبرنى سيف — وحدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — عن أبى ضَمْرة

وأبى عمرو وغيرهما ؛ عن الحسن بن أبى الحسن البصرىّ ، قال : ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثًا على أهل المدينة ومَنْ حولهم ؛ وفيهم عمر ابن الخطاب ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد . فلم يجاوز آخرهم الخندقَ ، حتى قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف أسامةُ بالناس ، ثم قال لعمر : ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنْه ؛ يأذن لى أن أرجع بالناس ؛ فإنّ معى وجوهَ الناس وحدَّهم ؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثَقَلِ رسول الله وأثقال المسلمين أن ينخطّفهم المشركون . وقالت الأنصارُ : فإن أبى إلاّ أن نمضىَ فأبلغْه عنّا ، واطلب إليه أن يولِّىَ أمرَنا رجلاً أقدمَ سنًّا من أسامة . فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر ، لو خَطَفَتْنى الكلاب والذئاب لم أردّ قضاء قَضَى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإنّ الأنصار أمرونى أن أبلغك ، وإنهم يطلبون إليك أن تُولِّى أمرَهم رجلاً أقدمَ سنًّا من أسامة ؛ فوثب أبو بكر — وكان جالسًا — فأخذ بلحيةِ عمر ، فقال له : ثكلتك أمُّك وعدمتْك يابن الخطاب! استعملَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعَه ! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ، ثكلتْكم أمّهاتُكم ! ما لقيتُ فى سببكم من خليفة رسول الله !

١٨٥٠/١ ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم ، فأشخصهم وشيّعهم وهو ماش وأسامة راكبٌ ، وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابة أبى بكر ، فقال له أسامة : يا خليفةَ رسول الله ، والله لتركبنّ أو لأنزلنّ ! فقال : والله لاتنزل ووالله لاأركب! وما علىّ أن أغبّرَ قدمىّ فى سبيل الله ساعةً ؛ فإن للغازى بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترتفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ! حتى إذا انتهى قال : إن رأيتَ أن تعينَنى بعمر فافعل ! فأذن له ، ثم قال : يأيها الناس ، قفُوا أوصِكمْ بعشر فاحفظوها عنّى : لاتخُونُوا ولا تُغلّوا ، ولا تغْدِروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ، ولا شيخًا كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقِرُوا[1] نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرةً

---

(١) عقر النخلة : قطع رأسها .

مشمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرّغوا أنفسَهم فى الصوامع ؛ فدَعُوهم وما فرّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدَمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوانُ الطعام؛ فإذا أكلتم منها شيئًا بعد شيء فاذكروا اسمَ الله عليها . وتلقوْن أقوامًا قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ؛ فاخفِقوهم بالسيف خَفْقًا . اندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون[1] .

١٨٥١/١ حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — وأخبرنا عبيد الله ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : حدثنا سيف — عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : خرج أبوبكر إلى الجُرْف ، فاستَقْرى أسامة وبعثَه ، وسأله عمرَ فأذن له ، وقال له : اصنع ما أمرَك به نبىُّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ابدأ ببلاد قُضاعة ثم إيتِ آبِلَ ، ولا تقصّرنّ فى شىء من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا تعجلنّ لما خلّفتَ عن عهده . فمضى أسامة مُغِذًّا على ذي المَرْوَة والوادى ، وانتهى إلى ما أمره به النبىّ صلى الله عليه وسلم من بثّ الخيول فى قبائل قُضاعة والغارة على آبِل ، فسلِم وغنِم ، وكان فراغه فى أربعين يومًا سوى مقامه ومنقلبه راجعًا .

فحدّثنى السرىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — وحدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — عن موسى بن عقبة ، عن المغيرة بن الأخنَس .

وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراسانى مثلَه .

* * *

بقيّة الخبر عن أمر الكذّاب العنسىّ

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جَمَع — فيما بلغنا — لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمَلَ اليمن كلّها ، وأمّرَه على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « أقناكم » ، ولا معنى له ، وما أثبته يتفق مع الحديث : « فناء أمتى بالطعن والطاعون » . وانظر النهاية ٣ : ٣٩ .

صلى الله عليه وسلم أيامَ حياته ، فلم يعزِله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكًا حتى مات باذام ، فلمّا مات فرّق عملها بين جماعة من أصحابه .

فحدّثني عُبيد الله بن سعد الزُّهريّ ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : حدّثنا سيف — وحدّثني السريّ بن يحيى ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف — قال : حدّثنا سَهْل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صَخْر ابن لَوْذان الأنصاريّ السُّلميّ — وكان فيمن بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مع عمّال اليمن في سنة عشر بعد ما حجّ حجّة التّمام : وقد مات باذام ، فلذلك فرّق عملَها بين شَهْر بن باذام ، وعامر بن شهر الهَمْدانيّ ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعريّ ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطّاهر بن أبي هالة ، ويعلَى بن أميّة ، وعمرو بن حَزْم ، وعلى بلاد حَضْرمَوْت زياد بن لَبيد البَيَاضيّ وعُكّاشة بن ثور بن أصغر الغَوْثيّ ؛ على السَّكاسك والسَّكون ومعاوية ابن كندة ، وبعث مُعاذ بن جبل معلّمًا لأهل البلدَيْن : اليمن وحضرموت . ١٨٥٢/١

حدّثني عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمّي ، قال : أخبرني سَيْف — يعني ابن عمر — عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قُرْص بن عبادة ، عن قُرْص الليثيّ ، أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجّة الإسلام ، وقد وجّه إمارة اليمن وفرّقها بين رجال ، وأفرد كلّ رجل بحَيِّزه ، ووجّه إمارة حضرموت وفرّقها بين ثلاثة ، وأفرد كلّ واحد منهم بحيِّزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نَجْران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نَجْران ورِمَع وزَبيد ، وعامر بن شهر على هَمْدان ، وعلى صنعاء ابن باذام ، وعلى عَكّ والأشعريّين الطّاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسى الأشعريّ ، وعلى الجَنَد يعلَى بن أميّة . وكان معاذ معلّمًا يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحضرموت ؛ واستعمل على أعمال حضرموت ؛ على السَّكاسك والسَّكون عُكّاشة بن ثور ، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله[1] — أو المهاجر — فاشتكى فلم يذهب حتى وجّهه أبو بكر . وعلى حضرموت زياد بن لبيد ١٨٥٣/١

(١) هو عبد الله بن قيس ، أبو موسى الأشعري .

البياضىّ ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر ؛ فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عمّاله على اليمن وحضرموت ؛ إلاّ مَنْ قُتِل فى قتال الأسود أو مات ؛ وهو باذام ، مات ففرّق النبىّ صلى الله عليه وسلم العملَ من أجله . وشهر ابنُه — يعنى ابن باذام — فسار إليه الأسود فقاتله فقتله .

وحدّثنى بهذا الحديث السرىّ ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سَيْف . فقال فيه : عن سيف ، عن أبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة . ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزُّهرىّ .

قال : حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال : أوّل من اعترض على العَنْسىّ وكاثَرَه عامرُ بن شَهْر الهمْدانىّ فى ناحيته وفيروز وداذَوَيْه فى ناحيتهما ، ثم تتابع الذين كُتِب إليهم على ما أمِروا به .

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنى سَيْف ، قال . وحدّثنا السرِىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : فبينا نحن بالجَنَد قد أقمناهم على ما ينبغى ، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسْود : أيها المتورّدُون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضِنا ، ووفِّروا ما جمعتم ؛ فنحن أوْلى به وأنتم علَى ما أنتم عليه . فقلنا للرسول : مِنْ أين جئت ؟ قال : من كهف خُبَّان . ثم كان وجّهه إلى نَجْران ؛ حتى أخذها فى عشرٍ لمخرجه ، وطابقه عوامّ مذحج . فبينا نحن ننظر فى أمرنا ، ونجمع جَمعنا ، إذ أتينا فقيل : هذا الأسود بشَعُوب[1] ، وقد خرج إليه شهر بن باذام ؛ وذلك لعشرين ليلة من منجَمه . فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدَّبْرَة ، إذ أتانا أنه قتل شهرًا ، وهزم الأبناء ، وغلب على صَنْعاء لخمس وعشرين ليلة من منجَمه . وخرج معاذ هاربًا ، حتى مرّ بأبى موسى

١٨٥٤/١

(١) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع ، أو بساتين بظاهر صنعاء — ياقوت .

وهو بمأرِب ، فاقتحما حضرموت ؛ فأما معاذ فإنه نزل فى السَّكون ؛ وأما أبو موسى فإنه نزل فى السَّكاسك مما يلى المفَـُّور والمفازة[١] بينهم وبين مأرب ، وانحاز سائر أمراء اليَمن إلى الطَّاهر إلاّ عمرًا وخالدًا ؛ فإنهما رجعا إلى المدينة ؛ والطَّاهر يومئذ فى وسَط بلاد عَكّ بحيال صنعاء . وغلب الأسودُ على ما بين صَهيد — ١/١٨٥٥ مفازة حضرموت — إلى عمل الطائف إلى البحرين قِبَل عَدَن ، وطابقت عليه اليمن ، وعكّ بتهامة معترضون عليه ؛ وجعل يستطير استطارة الحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لَقِىَ شهراً سوى الرُّكبان ؛ وكان قُوَّاده قيس بن عبد يغوث المُرادىّ ومعاوية بن قيس الجَنْبِىّ ويزيد بن محرم ويزيد بن حُصين الحارثىّ ويزيد بن الأَفْكَل الأزدى . وثبت ملكُه واستغلظ أمرُه ، ودانَتْ له سواحل من السواحل ؛ حاز عَثْر[٢] والشَّرْجَة والحَرْدة[٣] وغَلافقة وعَدَن ، والجَنَد ؛ ثم صَنْعاء إلى عَمَل الطائف ، إلى الأحسِيَة وعُلَيْب ؛ وعامله المسلمون بالبَقيّة[٤] ، وعامله أهلُ الرِّدّة بالكفر والرجوع عن الإسلام . وكان خليفته فى مذحِج عمرَو بن معد يكرب ، وأسند أمره إلى نفر ؛ فأما أمرُ جنده فإلى قيس بن عبد يغوث ، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويْه .

فلمّا أثخن فى الأرض استخفّ بقيس وبفيروز وداذوَيه ، وتزوّج امرأة شهر ؛ وهى ابنة عمّ فيروز ؛ فبينا نحن كذلك بحضرموت — ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود ، أو يبعث إلينا جيشًا ، أو يخرج بحضرموت خارجٌ يدّعى بمثل[٥] ما ادّعى به الأسود ، فنحن على ظهر ، تزوّج مُعاذ إلى بنى بكرة ؛[٦] ١/١٨٥٦ حى من السَّكون ، امرأة أخوالها بنوزنكبيل يقال لها رَمْلة ، فحَدِبوا لصهره[٧]

(١) ز : « أظفور وأظفارة » .

(٢) عثر ، ضبطه صاحب مراصد الاطلاع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال : « وهو عثّر ، بالتشديد ؛ إلا أن أهل اليمن لا يقولونه إلا بالتخفيف » .

(٣) كذا ضبطه ياقوت بالفتح ، وقال : « بلد باليمن له ذكر فى حديث العنسى » وفى ط بكسر الحاء .

(٤) س : « بالتقية » .

(٥) س : « مثل » .

(٦) س : « تكره » .

(٧) س : « بصهره » .

علينا[١] ، وكان معاذ بها معجبًا ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به : اللهمّ ابعثنى يوم القيامة مع السّكون ، ويقول أحيانًا : اللهمّ اغفر للسّكون — إذ جاءتْنا كتبُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يأمرُنا فيها أن نبعثَ الرّجالَ لمجاولته أو لمصاولته ؛ ونُبلِغَ[٢] كلّ مَنْ رجا عنده شيئًا من ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم . فقام معاذ فى ذلك بالذى أمِر به ، فعرفنا القوّة ووثقنا بالنصر.[٣]

حدّثنا السرىّ ، قال : أخبرَنا شُعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — وحدّثنى عُبيد الله ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — قال : أخبرَنا المستنير ابن يزيد ، عن عروة بن غزيّة الدّثينىّ ، عن الضّحاك بن فيروز — قال السرىّ : عن جُشَيْش بن الديلمىّ ، وقال عبيد الله : عن جشنس[٤] بن الديلمىّ — قال : قدِم علينا وَبَرُ بن يُحَنّس بكتاب النّبىّ صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض فى الحرب ، والعمل فى الأسود: إمّا غيلة وإما مصادمة ؛ وأن نبلغ عنه مَن رأينا أنّ عنده نجدة ودينًا . فعملنا فى ذلك ، فرأينا أمراً كثيفًا ، ورأيناه قد تغيّر لقيس بن عبد يغوث — وكان على جنده — فقلنا : يُخاف على دمه ؛ فهو لأوّل دعوة ؛ فدعوناه وأنبأناه الشأنَ ، وأبلغناه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء ، وكان فى غمّ وضيق بأمره ؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا[٥] وبر بن يحَنّس ، وكاتبْنا الناسَ ودعوناهم ؛ وأخبره الشيطان بشىء ؛ فأرسل إلى قيس ١/١٨٥٧ وقال : يا قيس ، ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : عَمَدت إلى قيس فأكرمته ؛ حتى إذا دخل منك كلّ مدخل ، وصار فى العزّ مثلك ، مال ميل عدّوك ، وحاول ملكَك وأضمر على الغدر ! إنه يقول : يا أسود يا أسود ! يا سوءة يا سوءة ! اقطف قُنّتَه ، وخذْ من قيس أعلاه ؛ وإلاّ سلبك أو قطف قُنّتَك . فقال قيس — وحلَف به : كذَبَ وذى الخِمار ؛ لأنتَ أعظمُ فى

---

(١) ز : « عليه » .

(٢) س : « أو نبلغ » .

(٣) ز : « بالنصرة » .

(٤) كذا فى المشتبه ١٨٦ ؛ وفى ط : « جشيش » ، تحريف .

(٥) ز : « وجاء » .

نفسي وأجَلّ عندي من أنْ أحدّث بك نفسي ؛ فقال : ما أجفاك ! أتكذّب المَلَك ! قد صدق الملَك ؛ وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطّلع عليه منك .

ثم خرج فأتانا ، فقال : ياجُشَيْش ، ويافَيْروز ، وياداذويه ؛ إنه قد قال وقلت[١] ؛ فما الرأيُ ؟ فقلنا : نحن على حذَر ؛ فإنا في ذلك ؛ إذ أرسل إلينا ، فقال : ألم أشرِّفْكم على قومِكم . ألم يبلغني عنكم ! فقلنا : أَقِلْنا مرّتَنا هذه ، فقال : لا يبلغني عنكم فأقتلكم[٢] ؛ فنجوْنا ولم نكدْ ، وهو في ارتياب من أمرنا وأمر قيس ، ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر ابن شَهْر وذي زود وذي مُرّان وذي الكَلاع وذي ظُلَيْم عليه ، وكاتبونا وبذلوا لنا النَّصر ؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاّ يحركوا شيئًا حتى نُبْرم الأمرَ — وإنما اهتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛[٣] وكتب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أهل نَجْران[٣] ؛ إلى عَرَبهم وساكني الأرض من غير العرب ؛ فثبتوا فتَنحّوا وانضمّوا إلى مكان واحد — وبلغه ذلك ، وأحسّ بالهلاك ، وفرّق لنا الرّأيُ . فدخلتُ على آذاد ؛ وهي امرأته ، فقلت : يا ابنةَ عمّ ؛ قد عرفتِ بلاءَ هذا الرجل عند قومك ؛ قَتَل زوجك ، وطأطأ في قومك القتل[٤] ، وسفل بمن بقي منهم ؛ وفضح النساء ؛ فهل عندك من ممالأة عليه ! فقالت : على أيّ أمره[٥] ؟ قلت : إخراجه . قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلَق الله شخصًا أبغضَ إليّ منه ؛ ما يقوم لله على حقّ ، ولا ينتهي له عن حُرْمة[٦] ؛ فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمَأتى هذا الأمر . فأخرجُ فإذا فيروز وداذويه ينتظراني ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا : المَلِك يدعوك . فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمْدان ، فلم يقدر[٧] على قتله معهم — قال السريّ في حديثه : فقال :

١/١٨٥٨

---

(١) س : « وقد قلت » .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « فأقيلكم » .

(٣ – ٣) ساقط من ز .

(٤) طأطأ القتل في قومه : أي أسرع فيهم بالقتل .

(٥) ز : أضاف : « هو » .

(٦) ابن الأثير : « محرم » .

(٧) ز : « فلم يقدم » .

يا عيْهلة بن كعب بن غوث ، وقال عبيدُ الله في حديثه : يا عبهلة بن كعب بن غوث — أمِنِّى تحصَّنُ بالرِّجال ! ألم أخبرك الحقّ وتخبرنى الكذابة[1] ! إنه يقول : ياسوءة ياسوءة ! إلاّ تقطع من قيس يدَه يقطع قُنّتك[2] العُليا ؛ حتى ظنّ أنه قاتله ؛ فقال : إنه ليس من الحق أن ١٨٥٩/١ أقتلك[3] وأنت رسول الله ، فمر [4] بى بما أحببت ؛ فأما الخوف والفزَع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلنى][5] — قال الزّهرىّ : فإمّا قتلتَنى فموتة ، وقال السّرىّ : اقتلنى فموتة أهونُ علىّ من موتات أموتُها كلّ يوم — فرقّ له فأخرجه ، فخرج علينا فأخبرنا وواطأنا[6] ، وقال : اعمَلوا عملكم ؛ وخرج علينا فى جمع ، فقمنا مُثُولا له ، وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخطّ خطًّا فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحرها غير محبَّسة ولا معقَّلة ، ما يقتحم الخطّ منها شىء ، ثم خلاّها فجالتْ إلى أن زَهقت ؛ فما رأيت أمراً كان أفظع منه ، ولا يوماً أوحش منه . ثم قال : أحقٌّ ما بلغنى عنك يا فيروز ؟ وبوّأ له الحربة — لقد هممتُ أن أنحرَك فأتبعَك هذه البهيمة ، فقال : اخترتَنا لصهْرك وفضّلتنا على الأبناء ؛ فلو لم تكن نبيًّا ما بعْنَا نصيبنا منك بشىء ؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخرة ودنيا ؛ لا تقبلنّ علينا أمثال ما يبلغك ؛ فإنّا بحيث تحبّ . فقال : اقسِمْ هذه ؛ فأنت أعلم بمَنْ ها هنا . فاجتمع إلىّ أهلُ صنعاء ، وجعلت آمر للرهط بالجَزور ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحِلّة[7] بعدّة ، حتى أخذ ١٨٦٠/١ أهل كلّ ناحية بقسطهم . فلحق به قبل أن يصل إلى داره — وهو واقف علىّ — رجلٌ يسعى إليه بفيروز ؛ فاستمع له ، واستمع له فيروز وهو يقول : أنا قاتله غداً وأصحابه ؛ فاغدُ علىّ ، ثم التفت فإذا به[8] ، فقال : مَه ! فأخبره بالذى صنع ، فقال : أحسنت ، ثم ضرب دابّته داخلاً ، فرجع إلينا فأخبرنا

---

(١) ابن الأثير : « الكذب » .
(٢) ابن الأثير : « قبتك » .
(٣) ابن الأثير : « أهلك » .
(٤) ابن الأثير : « فرنى » .
(٥) من النويرى .
(٦) ط : « وطوانا » ، وانظر ص ٢٣٢ س ١٤
(٧) ط : « الحلة » ، والصواب ما أثبته من ز .
(٨) ز : « بفيروز » .

الخبر ، فأرسلنا إلى قيس ، فجاءنا ؛ فأجمع ملؤهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر ، فأتيتُ المرأة وقلت : ما عندك ؟ فقالت : هو متحرِّز متحرِّس ؛ وليس من القَصْر شيء إلاّ والحرَسُ محيطون به غير هذا البيت ؛ فإنّ ظهرَه إلى مكان كذا وكذا من الطريق ؛ فإذا أمسيتم فانقُبوا عليه ؛ فإنّكم من دون الحرَس ؛ وليس دون قتاله شيء . وقالت : إنّكم ستجدون فيه سِراجًا وسلاحًا . فخرجتُ فتلقّانى الأسود خارجًا من بعض منازله ، فقال لى : ما أدخلك علىّ ؟ ووجأ رأسى حتى سقطتُ — وكان شديداً — وصاحت المرأة فأدهشتْه عنّى ؛ ولولا ذلك لقتلَنى . وقالت : ابن عمّى جاءنى زائراً ، فقصّرْتَ بى ! فقال : اسكتِى لا أبالك ، فقد وهبته لك ! فتزايلتُ عنّى ؛ فأتيت أصحابى فقلت : النَّجاء ! الهَرب ! وأخبرتُهم الخبر ؛ فإنا على ذلك حَيَارَى إذ جاءنى رسولُها : لا تَدَعنّ ما فارقتُك عليه ؛ فإنى لم أزَلْ به حتى اطمأنّ ؛ فقلنا لفيروز : ائتِها فتثبّتْ منها ؛ فأما أنا فلا سبيلَ لى إلى الدخول بعد النَّهْى . ففعل ، وإذا هو كان أفطنَ منى ؛ فلما أخبرتْه قالتْ : وكيف ينبغى لنا أن ننقّب على بيوت مبطّنة ! ينبغى لنا أن نقلع بِطانَةَ البيت ؛ فدخلا فاقتلعا البطانة ، ثم أغلقاه ؛ وجلس عندها كالزائر ؛ فدخلَ عليها [الأسود][1] فاستخفّتْه غَيْرة[2] ، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده محرم ، فصاح به وأخرجه . وجاءنا بالخبر ؛ فلمّا أمسينا عملنا فى أمرنا ؛ وقد واطَأنا أشياعَنا ، وعجِلْنا عن مراسلة الهمْدانيّين والحميَريّين ؛ فنقبنا البيتَ من خارج ، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جَفْنة ؛ واتّقينا بفَيْروز ؛ وكان أنجدَنا وأشدّنا — فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه فى مقصورة ؛ فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطًا شديداً ، وإذا المرأة جالسة ؛ فلمّا قام[3] على الباب أجلسه الشّيْطان فكلّمه على لسانه — وإنه ليغُطّ جالسًا . وقال أيضاً : مالى ولك يا فيروز ! فخشىَ إن رجع أن يهلِك وتهلك المرأة . فعاجله فخالطه وهو مثل الجمَل ؛ فأخذ برأسه فقتله ، فدقّ

١٨٦١/١

(١) من ابن الأثير . (٢) س : « الغيرة » .

(٣) س : « قدم » .

عنقه ، ووضع ركبته فى ظهره فدقّه ، ثم قام ليخرج ؛ فأخذت المرأة بثوبه وهى ترى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تدَعُنى ! قال : أخبرُ أصحابى بمقتله ؛ فأتانا فقمنا معه ؛ فأردنا حزّ رأسه ؛ فحرّكه الشيطان فاضطرب[1] فلم يضبطه ؛ فقلت : اجلسوا على صدره ؛ فجلس اثنان على صدره . وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بربرة[2] فألجمته بمِئلاة[3] ؛ وأمرّ الشّفْرة على حلْقه فخار كأشدّ خُوار ثور سمعته قطّ ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبىّ يوحَى إليه! فخمد . ثم سمرنا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبرُ أشياعنا ، ليس غيرنا ثلاثتنا : فيروز وداذويه وقيس[4] ؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذى بيننا وبين أشياعنا ، ثم يُنادى بالأذان ، فلما طلع الفجر نادى داذويه بالشعار ، ففزع المسلمون والكافرون ، وتجمّع الحرس فأحاطوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولُهم إلى الحرس ، فناديتهم : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ؛ وأن عَبْهلة كذّاب ! وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبَر الصلاة ، وشنّها القوم غارةً ؛ وونادينا : يا أهلَ صنْعاء ، مَن دخل عليه داخل فتعلّقوا به ، ومَن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به . ونادينا بمَن فى الطريق : تعلّقوا بمَن استطعتم ! فاختطفوا صبياناً كثيرين ؛ وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوْا خارجين ؛ فلمّا برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركبانا ؛ وإذا أهلُ الدّور والطرُق وقد وافوْنا بهم ؛ وفقدنا سبعمائة عيِّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركُوا لنا ما فى أيديهم ، ونترك لهم ما فى أيدينا ؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفرُوا منّا بشىء ؛ فتردّدوا فيما بين صنعاء ونَجْران ، وخلصت صنعاء والجنَد ، وأعزّ الله الإسلام وأهله ؛ وتنافسْنا الإمارة ؛ وتراجع أصحابُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ؛ فاصطلحنا على معاذبن جبل ، فكان يصلّى بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ؛ وذلك فى حياة

١٨٦٢/١

١٨٦٣/١

---

(١) س : « فاضطرب فيه » .

(٢) البربرة : الصياح .

(٣) المئلاة : الخرقة التى تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

(٤) كذا فى ط ، وعبارة ابن الأثير : « وقعدنا نأتمر بيننا : فيروز وداذويه وقيس ؛ كيف نخبر أشياعنا » ، ويلاحظ أن راوى الخبر هنا هو جشنس الديلمى ، وانظر أوله ص ٢٣١ .

النبيّ صلى الله عليه وسلم . فأتاه الخبر مِنْ ليلته ، وقدمَتْ رُسُلُنا ؛ وقد مات النبيّ صلى الله عليه وسلم صبيحةَ تلك الليلة ؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرَنا سيف — وحدّثني السَّريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سَيْف — عن أبي القاسم الشَّنَويّ ، عن العَلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من السماء الليلةَ التي قتل فيها العَنْسيُّ ليبشِّرنا ، فقال : قُتِل العنسيّ البارحةَ ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز !

حدّثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرني سيف — وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — عن المستنير ، عن عُروة ، عن الضّحاك ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلاّ أنا أرسلْنا إلى مُعاذ ، فتراضينا[1] عليه ؛ فكان يصلّي بنا في صَنْعاء ؛ فوالله ما صلّى بنا إلا ثلاثا ونحن راجون مؤمِّلون ، لم يبق شيء نكرهه إلاّ ما كان من تلك الخيول التي تتردّد بيننا وبين نَجْران ؛ حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فانتقضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنّا نعرف ، واضطربت الأرض .

١٨٦٤/١ حدثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زُرعة يحيى بن أبي عمرو السَّيباني[2] ، من جُنْد فلسطين ؛ عن عبد الله بن فيروز الدّيلميّ ؛ أنّ أباه حدّثه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بعث إليهم رسولاً ، يقال له : وَبَر بن يُحنّس الأزديّ ؛ وكان منزله على داذَويه الفارسيّ ، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن ؛ فقتل ملكها ونكح امرأته ومَلَك اليمن ؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على أمره ، فقتله وتزوّجها ، فاجتمعتُ أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المراديّ عند وَبَر بن يُحنّس رسول نبيّ الله صلى الله عليه

---

(١) س : « فتواصينا » .
(٢) ط : « الشيباني » ، وانظر تصويبات ط .

وسلم نأتمر بقتل الأسود . ثمّ إنّ الأسود أمر الناس فاجتمعوا فى رَحَبَة من صنعاء ، ثمّ خرج حتى قام فى وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفرس الملك فأوْجَرَه الحربة ، ثم أرسل فجعل يجرى فى المدينة ودماؤه تسيل حتى مات . وقام وسط الرّحبة ؛ ثمّ دعا بجُزُر [١] من وراء الخطّ فأقامها ، وأعناقُها ورءوسُها فى الخطّ ما يجُزْنه . ثمّ استقبلهنّ بحربته فنحرهنّ فتصدّعْن عنه ؛ حتى فرغ منهنّ ، ثم أمسك حربته فى يده ، ثم أكبّ على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول — يعنى شيطانه الذى معه : إنّ ابنَ المكشُوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قُنّةَ رأسه العليا . ثم أكبّ رأسه أيضًا ينظر ، ثمّ رفع رأسه ، فقال : إنه يقول : إنّ ابن الديلمىّ من الطغاة ؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى ؛ فلمّا سمعتُ قولَه قلت : والله ما آمن أن يدعوَ بى ، فينحرنى بحربته كما نحر هذه الجُزُر ؛ فجعلت أستتر بالناس لئلا يرانى ، ١٨٦٥/١ حتى خرجت ولا أدرى من حذرى [٢] كيف آخذ ! فلما دنوتُ من منزلى لقيَنى رجلٌ من قومه ، فدقّ فى رقبتى ، فقال : إنّ الملك يدعوك وأنت تَرُوغ ! ارجع ؛ فردّنى ، فلمّا رأيتُ ذلك خشيت أن يقتلنى . قال : وكنّا لا يكاد يفارق رجلا منا أبداً خنجرُه ، فأدسّ يدى فى خفّى ، فأخذت خنجرى ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل مَن معه ، فلمّا دنوت منه رأى فى وجهى الشّرّ ، فقال : مكانك! فوقفت ، فقال : إنك أكبرُ مَن هاهنا وأعلمُهم بأشراف أهلها ، فاقسمْ هذه الجُزُرَ بينهم . وركب فانطلق وَعلِقتُ أقسم اللّحم بين أهل صنعاء ، فأتانى ذلك الذى دقّ فى رقبتى ، فقال : أعطِنى منها ، فقلت : لا والله ولا بَضعة واحدة ؛ ألسْتَ الذى دققتَ فى رقبتى ! فانطلق غضبانَ حتى أتى الأسْوَد ؛ فأخبره بما لقِى منّى وقلت له . فلمّا فرغتُ أتيتُ الأسودَ أمشى إليه ، فسمعت الرّجل وهو يشكونى إليه ، فقال له الأسود : أمَا والله لأذبحنّه ذبحًا ! فقت له : إنى قد فرغت

(١) الجزر : جمع جزور ، بالفتح ، وهو ما يذبح من الإبل .

(٢) س : « حذره » .

ممّا أمرتَنى به ، وقسَمْتُه بين الناس . قال : قد أحسنتَ فانصرف . فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك : إنا نريد قتل الأسود ؛ فكيف لنا ! فأرسلتْ إلىّ : أن هلمّ . فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتُؤذِنَنا إذا جاء ؛ ودخلتُ أنا وهى البيتَ الآخر ، فحفرنا حتّى نقبنا نقْباً ، ثم خرجنا[١] إلى البيت ، فأرسلنا السّتر ، فقلت : إنا نقتُله الليلة ، فقالت : فتعالوْا ؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت ؛ وإذا هو معنا ؛ فأخذتْه غيْرة شديدة ، فجعل يدقّ فى رقبتى ، وكفكفْتُه عنّى ، وخرجت فأتيتُ أصحابى بالذى صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنّا فيه ؛ إذ جاءنا رسولُ المرأة ؛ ألاّ يكسِرنّ عليكم أمركم ما رأيتم ؛ فإنّى قد قلت له بعد ما خرجتَ : ألستم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحسابٌ[٢] ! قال : بلى ، فقلت : جاءنى أخى يُسلّم علىّ ويكْرمنى ، فوقعتَ عليه تدقّ فى رقبته ؛ حتى أخرجته ، فكانت هذه كرامتك إيّاه ! فلم أزَلْ ألومه حتى لام نفسه ، وقال : أهو أخوك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما شعرتُ ؛ فأقبلوا الليلة لما أردتم .

١/١٨٦٦

قال الديلمىّ : فاطمأنّتْ أنفسُنا ، واجتمع لنا أمرُنا ؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النّقْب الذى نقبْنا ، فقلت : يا قيس ، أنت فارس العرب ، ادخل فاقْتُل الرّجل ، قال : إنى تأخذنى رِعْدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربةً لا تُغْنى شيئاً ؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنّك أشبُّنا وأقوانا ، قال : فوضعتُ سيفى عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأسُ الرجل ! فإذا السراج يزهر ؛ وإذا هو راقد على فُرُش قد غاب فيها لا أدرى أين رأسه من رجليْه ! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رمّاناً حتى رقَد ، فأشرتُ إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه ، فأقبلتُ أمشى حتى قمتُ عند رأسه لأنظر ، فما أدرى أنظرتُ فى وجهه أم لا ! فإذا هو قد فتَح عينيه ؛ فنظر إلىّ ، فقلت : إن رجعتُ إلى سيفى خفت أن يفوتنى ويأخذ عُدّة يمتنع[٣] بها منّى ؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكانى وقد

١/١٨٦٧

(١) س : « خرجت » . (٢) ز : « حسنات » .
(٣) س : « فيمتنع » .

أيقظه ، فلمّا أبطأ كلّمني على لسانه ؛ وإنه لينظر ويغُطّ ، فأضرب بيديّ إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيدٍ ؛ ثم ألْوِى عنقه فدققتها ؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت : أختكم نصيحتكم ! قلت : قد والله قتلتُه وأرحتُكِ منه . قال : فدخلتُ على صاحبيّ فأخبرتُهما ، قالا : فارجع فاحتزّ رأسَه واتتنابه ، فدخلت فبربَر فألجمته فحززت رأسه ، فأتيتهما[1] به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلَنا ؛ وعندنا وَبَرُ بن يُحنّس الأزديّ ، فقام معنا حتى ارتقينا على حِصْن مرتفع من تلك الحصون ؛ فأذّنَ وَبَر بن يُحنّس بالصلاة ، ثم قلنا : ألا إنّ الله عزّ وجلّ قد قتل الأسود الكذّاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمَيْنا برأسه ، فلمّا رأى القوم الذين كانوا معه أسْرَجوا خيولهم ؛ ثم جعل كلّ واحد منهم يأخذ غلامًا من أبنائنا معه من أهل البيت الذى كان نازلا فيهم ؛ فأبصرتُهم فى الغَلَس مُرْدِفِي الغلمان ، فناديت أخى وهو أسفل منّي مع الناس : أن تعلّقوا بمَن استطعتم منهم ؛ ألا ترَوْن ما يصنعون بالأبناء! فتعلّقوا بهم ؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منّا بثلاثين غلامًا ، فلمّا برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلا حين تفقّدوا أصحابَهم ، فأتوْنا فقالوا : أرسِلوا إلينا أصحابَنا ، فقلنالهم : أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إنّ الله قد قتل الأسوَد الكذّاب العَنْسيّ ، قتله بيَدِ رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدّقوا ؛ فكنّا كأنّا على الأمر الذى كان قبل قدوم الأسود علينا وأمِن الأمراءُ وتراجعوا ، واعتذر الناسُ وكانوا حديثِي[2] عهد بالجاهليّة[3] . ١٨٦٨/١

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف — وحدّثني السرِيّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عُبيد بن صَخْر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر .

---

(١) س : « ثم أتيتهم » .
(٢) ط : « حديث » .
(٣) س : « بجاهلية » .

وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف — وحدّثنا عبيد الله قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرنا سَيْف — عن جابر بن يزيد ، عن عُروة ابن غَزِيّة، عن الضّحّاك بن فيروز، قال : كان ما بين خروجه بكَهْف خُبَّان ومقتله[1] نحواً من أربعة أشهر ؛ وقد كان قبل ذلك مستسرًّا بأمره . حتى بادَى [2]بعد .

حدّثني عمر بن شبّة ، قال :حدّثنا عليّ بن محمد ، عن أبي معْشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبَة وغسّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِيَة بن أسماء ، عن مشيختهم ، قالوا : أمضى أبو بكر جيشَ أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتلُ العنسيّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ؛ وكان ذلك أوّل فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة .

* * *

وقال الواقديّ : في هذه السنة — أعني سنة إحدى عشرة — قدِم وفد النَّخَع في النصف من المحرّم على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، رأسُهم زُرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود . ١٨٦٩/١

وفيها : ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الثلاثاء ؛ لثلاث خلوْن من شهر رَمضان ؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وذكر أنّ أبا بكر بن عبد الله ، حدّثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك . وزعم أنّ ابن جُريج حدّثه عن عمرو بن دينار . عن أبي جعفر ، قال : تُوفِّيتْ فاطمة عليها السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

قال : وحدّثنا ابن جُريج ، عن الزهريّ ، عن عروة ، قال : توفِّيتْ فاطمة بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

قال الواقديّ : وهو أثبت عندنا .

قال : وغسّلها عليّ عليه السلام وأسماء بنت عُمَيس .

---

(١) س : « إلى مقتله » .

(٢) يقال : بادى بالأمر ؛ إذا جاهر به .

قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف ، عن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم ، عن عَمْرة ابنة عبدالرّحمن قالت : صلّى عليها العباس بن عبد المطلب .

وحدّثنا أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن أبى معشر ، قال : دخل قبرَها العباس وعلىّ والفضل بن العباس .

قال : وفيها توفِّىَ عبدُ الله بن أبى بكر بن أبى قُحافة ، وكان أصابه بالطائف سهمٌ مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، رماه أبو محجن ، وَدمِلَ الجرح حتى انتقض به فى شوّال ؛ فمات .

وحدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو معشر ومحمد ابن إسحاق وجُوَيْرِيَة بن أسماء بإسناده الذى ذكرتُ قبل ، قالوا : فى العام الذى بُويع فيه أبو بكر ملَّكَ أهلُ فارس عليهم يَزْدَجِرد .

* * *

١ / ١٨٧٠ قال أبو جعفر : وفيها كان لقاء أبى بكر رحمه الله خارجةَ بن حصْن الفَزارىّ . حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بإسناده الذى ذكرت قبل ، قالوا : أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه أسامة فى جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشأم ؛ وهو الموضع الذى كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم أمره بالمسير إليه ؛ لم يُحْدِثْ شيئًا ، وقد جاءته[1] وفودُ العرب مرتدّين يُقِرّون بالصّلاة ، ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردّهم ، وأقام حتى قَدِم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يومًا من شخوصه — ويقال : بعد سبعين يومًا — فلمّا قدِم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص — ويقال استخلف سنانًا الضَّمْرىّ على المدينة — فسار ونزل بذى القَصّة فى جُمادى الأولَى ؛ ويقال فى جُمادى الآخرة ؛ وكان نوفل بن معاوية الدِّيلىّ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) س : « جاءت » .

فلقيه خارجة بن حصن بالشَّرَبَّة ؛ فأخذ ما فى يديه ؛ فردّه على بنى فزارة ؛ فرجع نوفل إلى أبى بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبى بكر . فأوّل حرب كانتْ فى الرِّدّة بعد وفاة النبىّ صلى الله عليه وسلم حرب العنسىّ ؛ وقد كانت حرب العنسىّ باليمن ؛ ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن زَبَّان بن سيّار فى غَطَفان ، والمسلمون غُزّون ، فانحاز أبو بكر إلى أجَمَة فاستتَر بها ، ثم هزَم الله المشركين .

وحدّثنى عُبيد الله ، قال : حدثنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف — وحدّثنى السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — عن المجالد ابن سعيد ، قال : لما فَصَل أسامة كفرت الأرض وتضرّمت[١] ، وارتدّت من كلّ قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً . ١٨٧١/١

وحدّثنى عُبيد الله ، قال : حدّثنا عمّى ، قال : أخبرَنا سيف — وحدّثنى السّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سيْف — عن هشام بن عُروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وفَصَل أسامة ارتدّت العرب عوامّ أو خواصّ ؛ وتوَحَّى مسيلمة وطُليحة ، فاستغلظ أمرهما ؛ واجتمع على طُليحة عوامُّ طيِّىء وأسد ، وارتدّت غَطَفان إلى ما كان من أشْجع وخواصّ من الأفناء فبايعوه ، وقدّمت هوازن رِجْلاً وأخّرَتْ رِجْلاً[٢] أمسكوا الصّدقة إلاّ ما كان من ثَقيف ولِفّها[٣] ؛ فإنهم اقتدى بهم عوامّ جَدِيلة والأعجاز ؛ وارتدّت خواصّ من بنى سُلَيْم ؛ وكذلك سائر الناس بكلّ مكان .

قال : وقدمت رسُل النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من اليَمن واليمامة وبلاد بنى أسد ووفود مَن كان كاتبه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وأمر أمرُه فى الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبَهم إلى أبى بكر ، وأخبروه

---

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧١ : « وتضرمت الأرض ناراً » .

(٢) س : « أخرى » .

(٣) يقال : جاءوا ومن لف لفهم ، أى ومن عد فيهم وتأشب إليهم .

الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدْهى ممّا وصفتم وأمرّ ؛ وانتقاضِ الأمور . فلم يلبثُوا أن قَدِمتْ كتبُ أمراء النبيّ صلى الله عليه وسلم من كلّ مكان بانتقاضِ عامّة أو خاصّة ، وتبسّطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاربهم بالرّسل . فردّ رسلَهم بأمره ، وأتبعَ الرّسلَ رسلاً ؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة ؛ وكان أول مَنْ صادم عَبْس وذُبْيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة . ١٨٧٢/١

حدثني عُبيد الله ، قال : أخبرَنا عمّي ، قال : أخبرنا سَيْف — وحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، قال : حدّثنا سَيْف — عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال : ماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعُمّاله على قضاعة ، وعلى كلْب امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبيّ من بني عبد الله ، وعلى القَيْن عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هُذَيْم معاوية بن فلان الوائليّ .

وقال السريّ الوالبيّ : فارتدّ وديعة الكلبيّ فيمن آزره من كلْب ، وبقيَ امرؤ القيس على دينه ، وارتدّ زُمَيْل بن قُطْبةَ القَيْنيّ فيمن آزره من بني القَيْن وبقي عمرو ، وارتدّ معاوية فيمن آزره من سعد هُذَيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان — وهو جَدّ سُكَيْنة ابنة حسين — فسار لوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذريّ . فلمّا توسّط أسامة بلاد قضاعة ، بَثّ الخيول فيهم وأمرهم أن يُنهضوا مَن أقام على الإسلام إلى مَن رجع عنه ؛ فخرجوا هُرّابًا ؛ حتى أرَزُوا [١] إلى دُومَة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيولُ أسامة إليه ؛ فمضى فيها أسامه حتى أغار على الحَمْقَتَيْن ، فأصاب في بني الضُّبيب من جُذام ، وفي بني خيليل من لَخْم ولِفّها من القبيلين ؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا غانمًا . ١٨٧٣/١

---

(١) أرزوا إلى دومة الجندل : التجئوا إليها .

فحدّثني السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : ماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ واجتمعت أسَد وغطَفان وطيّئ على طليحة ؛ إلا ما كان من خواصّ أقوام في القبائل الثلاث ؛ فاجتمعت أسد بسَميراء، وفزارة ومَنْ يليهم من غطَفان بجنوب طيبة ، وطيّئ على حدود أرضهم . واجتمعت ثَعلبة بن سعد ومَن يليهم من مُرّة وعَبْس بالأبرق من الرَّبَذة، وتأشّبَ [١] ، إليهم ناسٌ من بني كنانة ؛ فلم تحملهم البلاد ؛ فافترقوا فرقتين ؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذي القَصّة ، وأمدهم طليحة بحِبال [٢] فكان حِبال على أهل ذي القَصّة من بني أسد ومن تأشّب من ليْث والدِّيل ومُدْلِج . وكان على مُرّة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث ابن فلان ؛ أحد بني سَبيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم ما خلاَ عبّاساً فتحمّلوا بهم على أبي بكر ؛ على أن يقيموا الصّلاة ؛ وعلى ألاّ يؤتوا الزّكاة ؛ فعزم الله لأبي بكر على الحقّ ، وقال : لو منعوني عِقالا [٣] لجاهدتهم عليه — وكانت عُقُل [٤] الصدقة على أهل الصّدقة مع الصدقة — فردّهم فرجع وفْدُ من يَلي المدينة من المرتدّة إليهم ، فأخبروا

---

(١) تأشبوا إليهم : انضموا والتفوا .

(٢) حبال ، ضبطه ابن الأثير : « بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام » . وهو أخو طليحة .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٣ : ١١٨ : « وفي حديث أبي بكر : لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه : أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ؛ وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل : أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة . وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل ، قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً . وقيل : أراد بالعقال صدقة العام ؛ يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ؛ أي أخذ منهم صدقته ، وبعث فلان على عقال بني فلان ؛ إذا بعث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيدة ؛ وهو أشبه عندي بالمعنى . وقال الخطابي : إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر في لسانهم ؛ لأن العقال صدقة عام . وفي أكثر الروايات : لو منعوني عناقاً ، وفي أخرى جدياً » .

(٤) العقل ، بضمتين : جمع عقال .

عشائرهم بقلّة من أهل المدينة ، وأطمعوهم فيها ؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً : عليًّا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : إن الأرض كافرة[١] ؛ وقد رأى وفدهم منكم قلّة ؛ وإنكم لا تدرون أليلاً تُؤتَوْن أم نهاراً ! وأدناهم منكم على بريد . وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونوادِعهم ؛ وقد أبينا عليهم ، ونبذنا إليهم عهدهم ، فاستعِدّوا وأعِدّوا . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقوا المدينة غارةً مع الليل ، وخلّفوا بعضهم بذى حُسًى[٢] ، ليكونوا لهم رِدْءاً ، فوافق الغوار[٣] ليلا الأنقاب ، وعليها المقاتلة ، ودونهم أقوام يدرجون ، فنبّهوهم ؛ وأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أما كنكم ، ففعلوا . وخرج فى أهلِ المسجد على النواضح إليهم ، فانفشّ[٤] العدوّ ، فاتّبعهم المسلمون على إبلهم ؛ حتى بلغوا ذا حُسًى ؛ فخرج عليهم الرِّدء بأنحاء قد نفخوها وجعلوا فيها الحبال ، ثم دَهْدهوها[٥] بأرجلهم فى وجوه الإبل ؛ فتدهده كلّ نِحْىٍ[٦] فى طِوَله[٧] ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها — ولا تنفر الإبل من شىء نفارَها من الأنحاء — فعاجت بهم ما يملكونها ؛ حتى دخلت بهم المدينة ؛ فلم يُصْرَعْ مسلمٌ ولم يُصَبْ ؛ فقال فى ذلك الخُطَيل بن أوس أخو الحُطيئة ابن أوس :

١ / ١٨٧٤

١ / ١٨٧٥

فِدًى لِبَنى ذُبْيانَ رَحْلِى وناقتى ... عَشِيّةَ يُحْذَى بالرِّماحِ أبو بَكْرِ

ولكنْ يُدَهْدَى بالرِّجالِ فهِبْنَه ... إلى قَدَرٍ ما إنْ يزيد ولا يَحْرِى[٨]

ولله أجْنادٌ تُذَاقُ مَذَاقَهُ ... لتُحْسَبَ فيما عُدّ من عَجَبِ الدَّهْرِ !

---

(١) كافرة ، أى مظلمة .

(٢) ضبطه ابن الأثير : « بضم الحاء المهملة ، والسين المهملة المفتوحة » .

(٣) كذا فى س ، وفى ط : « فوافوا » .

(٤) انفش العدو انفشاشاً : انهزم وفشل .

(٥) دهدهوها ، أى دفعوها .

(٦) النحى : الزق .

(٧) الطول : الحبل يشد به .

(٨) أى لا يزيد ولا ينقص . وهذه رواية س . وفى ط : « ما إن تقيم ولا تسرى » .

وأنشده الزّهريّ : « من حسب الدهر » .

وقال عبدُ الله الليثيّ ؛ وكانتْ بنو عبد مناة من المرتدّة — وهم بنو ذُبيان — فى ذلك الأمر بذى القَصّة وبذى حُسًى :

أَطَعْنا رسولَ اللهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا … فيَا لَعبادِ اللهِ مَا لأبى بَكْرِ ! (١)

١٨٧٦/١ أَيُورِثُها بَكراً إذا ماتَ بَعْدَه … وتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ (٢)

فهَلاَّ رَدَدْتم وفْدَنَا بزَمَانِهِ … وهلاَّ خَشِيتم حِسَّ رَاغِيَةِ البَكْرِ ! (٣)

وإنَّ التى سالُوكُمُ فمنعْتُمُ … لَكَالتَّمْرِ أَوْ أَحلى إلَىَّ مِنَ التَّمْرِ

فظنّ القومُ بالمسلمين الوهَن ، وبعثوا إلى أهل ذى القَصّة بالخبر ؛ فقدموا عليهم اعتماداً فى الذين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عزّ وجلّ الذى أراده ، وأحبّ أن يبلّغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلَته يتهيّأ ، فعبّى الناس ، ثم خرج على تَعْبِيَة من أعجاز ليلته يمشى ، وعلى ميمنته النُّعمان بن مُقَرِّن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرّن ، وعلى السَّاقة سُويد بن مقرّن معه الرُّكّاب ؛ فما طلَع الفجر إلاّ وهُم والعدوُّ فى صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين هَمْساً ولا حِسّا حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم ؛ فما ذَرّقَرْن الشَّمس حتى ولَّوْهم الأدبارَ ، وغلبوهم على عامّة ظهرهم ؛ وقتل حِبال واتّبعهم أبو بكر ؛ حتى نزل بذى القَصّة — وكان أوّل الفتح — ووضع بها النعمان

١٨٧٧/١ ابن مقرّن فى عدد (٤) ، ورجع إلى المدينة فذلّ (٥) بها المشركون ؛ فوثب بنو ذُبيان وعبس على مَن فيهم من المسلمين ؛ فقتلوهم كلّ قتلة ؛ وفعل مَنْ وراءهم فعلهم . وعزّ المسلمون بوقعة أبى بكر ، وحلَف أبو بكر ليقتلَنّ فى المشركين كلّ قتلة ؛ وليقتلنّ فى كلّ قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ، وفى ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمىّ :

---

(١) أورد صاحب الأغانى (٢ ، ١٥٧ — طبعة دار الكتب) هذا البيت وتاليه ، ونسبهما إلى الحطيئة . (٢) الأغانى : « أيورثها » .

(٣) ط : « راعية البكر » والأجود ما أثبت من س .

(٤) ز : « عدده » . (٥) ابن الأثير : « له » .

غَدَاةَ سَعَى أبو بَكْرٍ إليْهِم كما يَسْعَى لمَوْتَتِه جُلاَلُ[1]
أَرَاحَ عَلَى نَوَاهِقِهَا عَلِيًّا ومَجَّ لَهنَّ مُهْجَتَهُ حِبالُ

وقال أيضًا :

أَقَمْنَا لهم عُرْضَ الشِّمَال فكَبْكَبُوا كَكَبْكَبَةِ الغُزَّى أناخوا على الوَفْرِ
فما صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِها صبيحةَ يَسْمُو بالرجَالِ أبو بَكْرِ
طَرَقْنا بني عَبْسٍ بأَدْنَى نِبَاجِها وذُبْيانَ نَهْنَهْنَا بِقاصِمَةِ الظَّهْرِ

١٨٧٨/١ ثم لم يُصنَعْ إلاّ ذلك ؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتًا على دينهم في كلّ قبيلة ، وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كلّ قبيلة ؛ وطرقت المدينةَ صدقاتُ نفَرٍ : صَفْوان ، الزبرقان ، عديّ ؛ صفوان ، ثم الزبرقان ، ثم عديّ ؛ صفوان في أول الليل ، والثاني في وسطه ، والثالث في آخره . وكان الذى بشّر بصَفْوان سعد بن أبي وقاص ، والذى بشّر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عوف ، والذى بشّر بعديّ عبدُ الله بن مسعود . وقال غيره : أبو قتادة .

قال : وقال الناس لكلّهم حين طلع : نذير ، وقال أبو بكر : هذا بشير ، هذا حامٍ وليس بوانٍ ؛ فإذا نادى بالخير ، قالوا : طالما بشّرت بالخير ! وذلك لتمام ستين يومًا من مَخْرج أسامة . وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له ولجنده : أريحوا وأريحوا ظهركم .

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذى القَصّة والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظّهر ؛ فقال له المسلمون : نَنْشُدُك الله يا خليفة رسول الله أنْ تعرّض نفسك ! فإنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نِظَامٌ ، ومقامُك أشدُّ على العدوّ ؛ فابعث رجلاً ، فإن أصيب أمّرتَ آخر ، فقال : لا والله لا أفعلُ ولأواسينّكم بنفسي ؛ فخرج في تعبيته إلى ذى حُسًى وذى القَصّة ، والنّعمان وعبد الله وسُويد على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الرَّبذَة بالأبرق ؛ فاقتتلوا ، فهزم

(١) كذا في ز ، والجلال : البعير العظيم ، وفي ط : « حلال » .

الله الحارث وعوفًا ، وأُخذ الحطيئةُ أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا ؛ وقد غلّب بنى ذُبيان على البلاد . وقال :

١/١٨٧٩ حرام على بنى ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد إذْ غنّمناها اللهُ ! وأجلاها .
فلما غلب أهل الردّة ؛ ودخلوا فى الباب الذى خرجوا منه ، وسامح[1] الناس جاءت بنو ثعلبة ؛ وهى كانت منازلهم لينزلوها ، فمنعوا منها فأتوْه فى المدينة ، فقالوا : علامَ نُمنَع منْ نزول بلادنا! فقال : كذبتم ، ليست لكم ببلاد ؛ ولكنّها مَوْهبى ونَقَذى[2] ، ولم يُعتِبْهم ، وحَمَى الأبرقَ لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الرَّبذة الناس على بنى ثعلبة ، ثم حَماها كلّها لصدقات المسلمين ؛ لقتالٍ كان وقع بين الناس وأصحاب الصّدقات ، فمنع بذلك بعضهم من بعض .

ولما فُضّتْ عبس وذبيان أرَزوا إلى طُليحة وقد نزل طليحة على بُزَاخة ، وارتحل عن سَميراء إليها ، فأقام عليها ؛ وقال فى يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويومٍ بالأبارق قد شهِدْنا على ذُبيانَ يَلتهب التهابا
أتيْناهمْ بداهيةٍ نَسُوفٍ[3] مَعَ الصّدّيقِ إذ تركَ العِتابا

* * *

حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدِم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتّى انتهى إلى الرَّبَذَة يلقى بنى عبس وذُبيان وجماعة من بنى عبد مناة

١/١٨٨٠ ابن كنانة ، فلقيَهم بالأبْرَق ، فقاتلهم فهزمَهم الله وفَلّهم . ثم رجع إلى المدينة ، فلما جمّ جند أسامة ، وثاب مَن حول المدينة خرج إلى ذى القَصّة فنزل بهم — وهو على بريد من المدينة تلقاء نَجْد — فقطّع فيها الجند ، وعَقَد الألوية . عقد أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً ، وأمّر أمير كلّ

---

(١) ن : « وشاع البأس » . (٢) النفذ : ما استنقذ من العدو .
(٣) داهية نسوف : شاقة ؛ وفى معجم البلدان : « نآد » .

جند باستنفار مَنْ مَرّ به من المسلمين من أهل القوّة ، وتخلّف بعضُ أهل القوّة لمنع بلادهم .

حدّثنا السّريّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما[1] أراح أسامة وجنده ظهرَهم وجَمُّوا ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضُل عنهم[2] ، قطع أبو بكر البعوثَ وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً : عقد لخالد بن الوليد وأمَره بطليحة بن خويلد ؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نُويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولعِكْرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيْلمة ، وللمهاجر بن أبي أميّة وأمَره بجنود العنْسيّ ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومَنْ أعانه من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضى إلى كِنْدة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص — وكان قدم على تفيئة[3] ذلك من اليمن وترك عمله — وبعثه إلى الحَمْقَتَيْن من مشارف الشأم ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعة والحارث ، ولحذيفة بن مِحْصَن الغلفانيّ وأمرَه بأهل دَبا ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهْرة ؛ وأمرهما أن يجتمعا وكلّ واحد منهما فى عمله على صاحبه ، وبعث شُرحْبيل بن حَسَنَة فى أثر عكرمة ابن أبي جهل، وقال : إذا فرغ من اليمامة فالحق بقُضاعة، وأنت على خيلك تقاتلُ أهل الرِّدّة ، ولطُرَيفَة بن حاجز وأمره ببنى سُلَيم ومَن معهم من هَوازن ، ولسُويد بن مقرّن وأمَره بتهامة اليمن ، وللعَلاء بن الحضرميّ وأمرَه بالبَحْرين . ١٨٨١/١

* * *

[كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدّة ووصيّته للأمراء]

ففصلت الأمراء من ذى القَصّة ، ونزلوا على قَصْدهم ، فلحق بكلّ أمير جندُه ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى مَنْ بعث إليه من جميع المرتدّة .

---

(١) س : « فلما » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » . (٣) تفيئة ذلك : حين ذلك .

حدّثنا السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ؛ وشاركه فى العهد والكتاب قَحْذَم ؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابًا واحداً :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى من بلَغه كتابى هذا من عامّة وخاصّة ؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلامٌ علَى مَن اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإنّى أحمَد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نُقرّ بما جاء به ، ونكفّر مَن أبى ونُجاهده . أمّا بعدُ ؛ فإن الله تعالى أرسلَ محمداً بالحقّ من عنده إلى خلقه بشيراً ونَذيراً ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً ، لينذر مَن كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين . فهدَى الله بالحقّ مَن أجاب إليه ، وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإذنه مَنْ أدبر عنه ؛ حتى صار إلى الإسلام طَوْعًا وكَرْهًا . ثمّ توَفّى الله رسولَه صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمّته ؛ وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل ؛ فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[2] ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[3] ؛ فمَن كان إنما يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات ، ومَن كان إنما يعبدُ الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد ؛ حيٌّ قيّومٌ لا يموت ؛ ولا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ ، حافظ لأمره ، منتقمٌ من عدوّه ، يجزيه . وإنّى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله ، وما جاءكم به نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم ، وأن تهتدوا بهُداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإنّ كلّ مَن لم يهده الله ضالٌّ ، وكلّ

١/١٨٨٢

(١) سورة الزمر : ٣٠ (٢) سورة الأنبياء ٣٤ . (٣) سورة آل عمران ١٤٤ .

مَنْ لم يُعافه مبتلًى ، وكلّ مَنْ لم يُعِنْه الله مخذول ، فمن هداه الله كان مُهتديًا ، ومَنْ أضلّه كان ضالاًّ ؛ قال الله تعالى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾[1] ، ولم يُقبَل منه في الدنيا عمَلٌ حتى يقرّ به ؛ ولم يُقبَلْ منه في الآخرة صرْف ولا عدْل .

١/١٨٨٣

وقد بلغني رجوعُ مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقرّ بالإسلام وعمل به ؛ اغتراراً بالله ، وجهالةً بأمره ، وإجابة للشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[2]. وقال : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾[3] ؛ وإني بعثتُ إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرتُه ألاّ يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوَه إلى داعية الله ؛ فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمِل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه ؛ ومَنْ أبى أمَرتُ أن يقاتلَه على ذلك ؛ ثم لا يبقِي على أحد منهم قَدَر عليه ، وأن يُحرقهم بالنار ، ويقتلهم كلّ قِتْلة ، وأن يَسبِيَ النساء والذراريّ ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ؛ فمَن اتّبعه فهو خير له ، ومَنْ تركه فلن يعجِز الله . وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كلّ مجمع لكم ؛ والداعية الأذان ؛ فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كُفُّوا عنهم ؛ وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم ؛ وإن أذّنوا اسألوهم ما عليهم ؛ فإن أبَوْا عاجلوهم ، وإن أقرّوا قبِل منهم ؛ وحملهم على ما ينبغي لهم .

١/١٨٨٤

فنفذت الرُّسل بالكتب أمام الجنود ، وخرجت الأمراء ومعهم العهود :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا عهدٌ من أبي بكر خليفة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال مَن رجع عن الإسلام ، وعهِدَ إليه أن يتّقي الله ما استطاع في أمره كلّه سرّه وعلانيته ، وأمره بالجدّ في أمر الله ،

---

(١) سورة الكهف ١٧ . (٢) سورة الكهف ٥٠ . (٣) سورة فاطر ٦ .

ومجاهدة مَنْ تولّى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانىّ الشيطان بعد أن يُعذر إليهم فيدعوّهم بداعية الإسلام ؛ فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له ؛ ثم ينبئهم بالذى عليهم والّذى لهم ، فيأخذ ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ؛ لا يُنظرهم ، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم ؛ فمن أجاب إلى أمرِ الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبِل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ؛ وإنما يقاتل[1] مَن كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ؛ فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيلٌ ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به ، ومَن لم يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان ؛ وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام ؛ فمَن أجابه وأقرّ قبِل منه وعلّمه ، ومَنْ أبى قاتله ؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم[2] كلّ قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسّم ما أفاء الله عليه ، إلا الخُمس فإنه يبلّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألّا يُدخل فيهم حَشْوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيونًا ، ولئلاّ يؤتى المسلمون مِنْ قبَلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقّدهم ، ولا يعجل بعضَهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حُسْن الصحبة ولين القول .

١٨٨٥/١

(١) س : « نقاتل » . (٢) س : « فيهم » .

ذكر بقية الخبر عن غطفان

حين انضمت إلى طُلَيْحَة وما آل إليه أمْرُ طليحة

حدّثنا عبيد الله بن سعد، قال: حدّثنا عمى، قال: أخبرنا سيف — وحدّثنى السرىّ، قال: حدّثنا شُعيب، قال: حدّثنا سيف — عن سهل بن يوسف، عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة، ١٨٨٦/١ قالوا: لما أرزَتْ عَبْس وذُبيان ولِفُّها إلى البُزَاخة، أرسل طليحة إلى جَدِيلة والغَوْث أن ينضمّوا إليه، فتعجّل إليه أناس من الحيَّيْن، وأمروا قومهم باللحاق بهم، فقدِموا على طُلَيحة، وبعث أبو بكر عَدِيًّا قبل توجيه خالد من ذى القَصّة إلى قومه، وقال: أدرِكْهم لا يُؤكَلُوا. فخرج إليهم ففَتَلهم فى الذِّرْوَة والغارب، وخرج خالد فى أثره، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيِّئ على الأكناف، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة، ثم يثلّث بالبُطاح، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدّث إليه، ويأمره بذلك. وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خَيْبر ومنصبّ عليه منها حتى يلاقيَه بالأكناف، أكناف سَلْمَى؛ فخرج خالد فازوارّ عن البُزاخة، وجَنَح إلى أجأ، وأظهر أنه خارج إلى خَيْبر، ثم منصبّ عليهم. فقعّد ذلك طيِّئاً وبطّأهم عن طليحة؛ وقدم عليهم عدىٌّ؛ فدعاهم فقالوا: لا نبايعْ أبا الفَصِيل أبداً، فقال: لقد أتاكم قوم ليُبيحُنّ حريمكم، ولتُكَنُّنّه بالفَحْل الأكبر؛ فشأنَكم به. فقالوا له: فاستقبِل الجيش فنهنهْه[1] عنّا حتى نستخرج من لحق بالبُزاخة منّا، فإنا إن خالفنا طُلَيحة وهم فى يديه قتَلهم أو ارتهنهم. فاستقبل عدىٌّ خالداً ١٨٨٧/١ وهو بالسُّنْح، فقال: يا خالد، أمسِكْ عنّى ثلاثا يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوّك؛ وذلك خيرٌ من أن تُعْجِلَهم إلى النار؛ وتشاغلُ بهم؛ ففعل. فعاد عدىّ إليهم وقد أرسلوا إخوانهم؛ فأتوْهم من بُزاخة كالمَدَدِ لهم؛ ولولا ذلك لم يُترَكوا؛ فعاد عدىّ بإسلامهم إلى خالد، وارتحل خالد نحو الأنسُر يريد جَدِيلة، فقال له عدىّ: إن طيِّئاً كالطائر، وإن جَدِيلة

(١) نهنهه عنا؛ أى ادفعه وكفه

أحدُ جناحَىْ طيّئ ؛ فأجّلْنى أيامًا لعلّ الله أن ينتقذ جَديلة كما انتقذ الغوْث ؛ ففعل ، فأتاهم عدىّ فلم يزل بهم حتى بايعوه ؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ؛ فكان خير مولود وُلِد فى أرض طيّئ وأعظمه عليهم بركة .

وأما هشام بن الكلبىّ ؛ فإنه زعم أنّ أبا بكر لما رَجع إليه أسامة ومَن كان معه من الجيش ؛ جَدّ فى حرب أهل الرّدة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذى القَصّة ؛ منزلا من المدينة على بريد من نحو نجد ، فعَبّى هنالك جنودَه ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمْرُه إلى خالد ، وأمره أن يصمُد لطُلَيحة وعُيينة بن حصن ، وهما على بُزَاخة ؛ ماء من مياه بنى أسد ؛ وأظهر أنّى ألاقيك[1] بمَن معى من نحو خيبر ، مكيدة ؛ وقد أوعب[2] مع خالد النّاس ؛ ولكنّه أراد أن يبلغ ذلك عدوّه فيرعبهم . ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ؛ حتى إذا دنَا من القوم بعث عُكّاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم – أحد بنى العَجْلان حليفًا للأنصار – طليعة ؛ حتى إذا دنَوا من القوم خرج طُليحة وأخوه سلَمة ، ينظران ويسألان : فأمّا سلمَة فلم يمهل ثابتًا أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعنّى على الرجل ؛ فإنه آكلى ؛ فاعتوَنا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مرّوا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفطُنوا له حتى وطئته المطِىّ بأخفافها ، فكبُر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعُكّاشة بن محصن صريعًا ؛ فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا : قتل سيّدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طيّئ .

١٨٨٨/١

قال هشام : قال أبو مِخْنف : فحدّثنى سَعْد بن مجاهد ، عن المُحِلّ ابن خليفة ، عن عدىّ بن حاتم ، قال : بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سِرْ إلىّ فأقم عندى أيامًا حتى أبعث إلى قبائل طيّئ ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوّك . قال : فسار إلىّ .

قال هشام : قال أبو مِخْنف : حدّثنا عبد السلام بن سُويد أنّ بعض

(١) س : « لاقيك » .
(٢) أوعب الناس : خرجوا للغزو .

الأنصار حدّثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعُكّاشة ، قال لهم : هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب ؛ كثير عددهم ، شديدة شوْكتهم ، لم يرتدّ[١] منهم عن الإسلام أحد! فقال له الناس: ومَنْ هذا الحيّ الذى تعنى؟ فنعم والله الحىّ هو! قال لهم: طيّئ؛ فقالوا: وفّقك الله ، نعم الرأى رأيت ! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش فى طيّئ . ١/١٨٨٩

قال هشام : حدّثنى جديل بن خبّاب النّبهانىّ من بنى عمرو بن أبىّ ، أن خالداً جاء حتى نزل على أرُك ؛ مدينة سَلْمى .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثنى إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تعبّى لحربه ، ثمّ سار حتى التقيا على بُزَاخة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويتربّصون على من تكون الدّبْرَة .

قال هشام عن أبى مِخْنف : حدّثنى سعد بن مجاهد ، أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون : سألْنا خالداً أن نكفيَه قيساً فإنّ بنى أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيسٌ بأوهن الشوْكتين ، اصمُدُوا إلى أىّ القبلتين أحببتم ؛ فقال عدىٌّ : لو ترك هذا الدين أسْرَتى الأدنى فالأدنى من قَوْمى لجاهدتُهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بنى أسَد لحلْفهم ! لا لعمرُ الله لا أفعل ! فقال له خالد : إنّ جهاد الفريقين جميعاً جهادٌ ؛ لا تخالف رأىَ أصحابك ، امضِ[٢] إلى أحدِ الفريقين ، وامضِ بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط[٣] . ١/١٨٩٠

قال هشام ، عن أبى مخنف : فحدّثنى عبد السلام بن سُويد ، أن خيلَ طيّئ كانت تلقى خيل بنى أسد وفزارة قبل قُدوم خالد عليهم فيتشامّون[٤] ولا يقتتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لانبايع[٥] أبا الفَصيل أبداً . فتقول لهم خيل[٦] طيئ : أشهد ليقاتلنّكم حتى تكنوه أبا الفحل الأكبر !

فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،

---

(١) ز : « يرجع » . (٢) ابن الأثير : « وامض » .
(٣) س : « نشاط » .
(٤) يتشامون ، أى يدنو بعضهم من بعض ، وفى س : « ينشاتمون »
(٥) ب « نتابع » . (٦) ساقطة من ز .

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، قال : حُدِّثت أنّ الناس لما اقتتلوا ، قاتل عُيينة مع طليحة فى سبعمائة من بنى فزارة قتالا شديداً ، وطُلَيحة متلفّف فى كساء له بفناء بيت له من شَعَر ، يتنبّأ لهم ، والناس يقتتلون، فلما هزّتْ عُيَينة الحرب ، وضرَس القتال ، كرّ على طليحة ، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : لا ، قال : فرجع فقاتل حتى إذا ضرَس القتال وهزّته الحرب كرّ عليه فقال : لا أبا لك ! أجاءك جبريل بعد ؟ قال : لا والله ، قال : يقول عُيينة حلفاً : حتى متى ! قد والله بلَغ منّا ! قال : ثم رجع فقاتل ، حتى إذا بلغ كرّ عليه، فقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال : نعم، قال : فماذا قال لك ؟

١٨٩١/١ قال : قال لى : « إنّ لك رحًا كرَحاه ، وحديثاً لا تنساه » ، قال : يقول عيينة : أظنّ أن قد علم الله أنه سيكون حديث[1] لا تنساه ؛ يا بنى فزارة هكذا ؛ فانصرفوا ؛ فهذا والله كذّاب . فانصرفوا وانهزم الناس فغَشُوا طليحة يقولون : ماذا تأمرنا ؟ وقد كان أعدّ فرسه عنده ، وهيّأ بعيراً لامرأته النَّوار ، فلما أن غَشُوه يقولون : ماذا تأمرنا ؟ قام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ثم نجا بها ، وقال : مَن استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله فلْيفعل ؛ ثم سلك الحوشيّة حتى لحق بالشأم وارفضّ جمعه ؛ وقتل الله مَن قتل منهم ، وبنو عامر قريبًا منهم على قادتهم وسادتهم ؛ وتلك القبائل من سُلَيم وهوازن على تِلك الحال ؛ فلما أوقع الله بطُلَيحة وفَزَارة ما أوقع ، أقبل أولئك[2] يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ، ونؤمن بالله ورسوله ، ونُسلّم لحُكْمه فى أموالنا وأنفسنا .

قال أبو جعفر : وكان سبب ارتداد عُيينة وغطَفان ومَن ارتدّ من طيئ ماحدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمّى ، قال : أخبرنى سيف — وحدثنى السرىّ قال : حدثنا شعيب عن سيف — عن طلحة بن الأعلم عن حبيب

١٨٩٢/١ ابن ربيعة الأسَدىّ ، عن عُمارة بن فلان الأسدىّ ، قال : ارتدّ طُلَيحة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فادّعى النبوّة ، فوجّه النبىّ

(١) س : « حديثاً » (٢) س : « أولئك النفر » .

صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزْوَر إلى عمّاله على بنى أسد فى ذلك ؛ وأمرهم بالقيام فى ذلك على كلّ مَن ارتدّ ، فأشجَوْا [١] طليحة وأخافوه . ونزل المسلمون بوَارِدَات ، ونزل المشركون بسَمِيراء ؛ فما زال المسلمون فى نماء والمشركون فى نقصان ؛ حتى همّ ضِرار بالمسير [٢] إلى طُليحة . فلم يَبْقَ [أحد] [٣] إلاّ أخذه سلَمًا [٤] ، إلاّ ضربة كان ضربها بالجُراز [٥] ؛ فنبا عنه ؛ فشاعت فى النّاس . فأتى المسلمونَ وهم على ذلك بخبر موتِ نبيّهم صلى الله عليه وسلم ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة : إنّ السلاح لا يُحيك [٦] فى طليحة ؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ؛ وارفضّ الناس إلى طُليحة واستطار أمرُه ، وأقبل ذو الخِماريْن عوفُ الجَذَمِىّ حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثُمامة بن أوْس بن لأم الطائىّ : إنّ معى من جَدِيلة خمسمائة ؛ فإنْ دَهِمَكم أمر فنحن بالقُرْدُودة والأنسُر دُوَيْنَ الرمل . وأرسل إليه مُهَلْهِلُ بن زيد : إنّ معى حدّ الغوث ؛ فإنْ دهِمكم أمرٌ فنحن بالأكناف بحيال فَيْد . وإنما تحدَّبتْ طيّئ على ذى الخِمارين عوف ؛ أنه كان بين أسَد وغَطَفان وطيّئ حِلْفٌ فى الجاهليّة ؛ فلما كان قبل مبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم اجتمعتْ غَطَفان وأسَد على طيّئ ، فأزاحوها عن دارها فى الجاهليّة : غَوْثها وجَدِيلتها ، فكره ذلك عَوْف ؛ فقطع ما بينه وبين غَطَفان ، وتتابع الحيَّان على الجَلاء ، وأرسل عوف إلى الحيّيْن من طيّئ ، فأعاد حِلْفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دُورهم ، واشتدّ ذلك على غَطَفان ؛ فلما مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عُيَينة بن حِصْن فى غَطَفان ، فقال : ما أعرف حدودَ غَطَفان منذ انقطع ما بيننا وبين بنى أسَد ؛ وإنى لمجدِّد الحلْف الذى كان بيننا فى القديم ومتابعٌ طليحة ؛ والله [٧] لأنْ نتّبع نبيًّا من الحليفيْن أحبُّ إلينا من أن نتّبع نبيًّا [٨] من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبَقِىَ طليْحة . فطابَقُوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

١٨٩٣/١

(١) أشجوه : أوقعوه فى الهم والخوف .
(٢) ب : « بالسير » .
(٣) تكملة من ز .
(٤) سلما بالتحريك ، أى صلحا .
(٥) الجراز : السيف القطاع .
(٦) لا يحيك فيه السيف ؛ أى لا يؤثر .
(٧) ب : « ووالله » .
(٨) ب : « بيتا » .

فلمّا اجتمعت غطفان على المطابَقة[1] لطليحة هرَب ضرار وقُضاعىّ وسنان ومَن كان قام بشيء من أمر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى بنى أسد إلى أبى بكر ، وارفضّ مَن كان معهم ، فأخبروا أبا بكر الخبر ، وأمروه بالحذَر ، فقال ضرار بن الأزور : فما رأيتُ أحداً — ليس رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم — أملأَ بحرب شعْواء من أبى بكر ؛ فجعلنا نخبره ، ولكأنما نخبره بما له ولا عليه . وقدمتْ عليه وفودُ بنى أسد وغَطَفان وهَوازِن وطيّئ ، وتلقتْ وفودُ قضاعة أسامة بن زيد ، فحوَّزها[2] إلى أبى بكْر ؛ فاجتمعُوا بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين ؛ لعاشر من متَوَفّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرضوا الصلاةَ على أن يُعْفَوْا من الزّكاة ، واجتمع مَلأ مَن أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون ؛ فلم يبق من وجوه المسلمين أحد إلا أنزل منهم نازلا إلا العبّاس . ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما أجمع عليه ملؤُهم ، إلاّ ما كان من أبى بكر ، فإنه أبى إلاّ ما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يأخذ ، وأبوْا ، فردّهم وأجّلهم يومًا وليلة ؛ فتطايروا إلى عشائرهم .

١/١٨٩٤

حدّثنى السّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن الحجاج ، عن عمرو بن شعيب ، قال : كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعثَ عمرو ابن العاص إلى جَيْفر ، منصرَفَه من حجّة الوداع ، فماتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعُمَان ، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحْرين وجَد المنذر بن ساوى فى الموت . فقال له المنذر : أشِرْ علىّ فى مالِى بأمرٍ لى ولا علىّ ، قال : صَدِّقْ بعَقار صَدَقَةً تجرى مِن بعدك ، ففعل . ثم خرج من عنده ، فسار فى بنى تميم ، ثم خرج منها إلى بلاد بنى عامرٍ ، فنزل على قُرَّة بن هبيرة ، وقرّة يقدّم رِجْلا ويؤخّر رِجلاً ؛ وعلى ذلك بنوعامر كلّهم إلاّ خواصّ ، ثم سار حتى قدِم المدينة ، فأطافت به قريش ، وسألوه فأخبرهم أنّ العساكر مُعَسْكرة من دَبًا إلى حيث انتهيت إليكم ، فتفرّقوا وتَحلّقوا حلَقًا ، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو ،

١/١٨٩٥

---

(١) ب : « المقاتلة » . (٢) س : « فجوزها » .

فمرّ بحلْقة ، وهم فى شىء مِنَ الذى سمعوا من عمرو فى تلك الحلْقة : عثمان وعلىّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا ، فقال : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال : ما أعلمنى بالذى خلوتم عليه ! فغضب طلحة ، وقال : تالله يابن الخطاب لتُخبرنا بالغيب ! قال : لا يعلم الغيبَ إلا الله ؛ ولكن أظنّ قلتم : ما أخوفَنا على قريش من العرب وأخلقهم[1] ألاّ يقرّوا بهذا الأمر ! قالوا : صدقت ، قال : فلا تخافوا هذه المنزلة ، أنا والله منكم على العرب أخوفُ منّى من العرب عليكم ؛ والله لو تدخلون معاشرَ قريش جُحْرًا لدخلتْه العرب فى آثاركم ؛ فاتقوا الله فيهم . ومضى إلى عمرو فسلّم عليه ، ثم انصرف إلى أبى بكر .

حدّثنا السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : نزل عَمرو بن العاص منصرفَه من عُمَان - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - بقُرَّة بن هُبيرة بن سلَمة بن قُشير ، وحولَه عسكر من بنى عامر من أفنائهم ، فذبح له وأكرمَ مثواه ، فلمّا أراد الرحلة خلا به قرّة ، فقال : يا هذا ، إنّ العرب لا تطيبُ لكم نفسًا بالإتاوة ، فإن أنتم أعفيتموها من أخذِ أموالها فستسمع[2] لكم وتطيع ؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع[3] عليكم . فقال عمرو : أكفرت[4] يا قرّة ! وحوله بنو عامر ؛ فكرِه أن يبوح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته ، فينفر[5] فى شرّ ، فقال : لنردّنكم إلى فيئتكم - وكان من أمره الإسلام - اجعلوا بيننا وبينكم موعداً . فقال عمرو : أتوعدنا[6] بالعرب وتخوّفنا بها ! موعدك حَفْشُ[7] أمك ؛ فوالله لأوطِئنّ عليك الخيل . وقدم على أبى بكر والمسلمين فأخبرهم .

١٨٩٦/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا فرغ خالد من أمر بنى عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه ، أوثق عُيينة بن

---

(١) كذا فى ب ، س ، وفى ط : « أحلفهم » . (٢) ز : « فتسمع »
(٣) ب : « تجمع » . (٤) ب : « كفرت » .
(٥) ز « وينفر » . (٦) كذا فى ب ، وفى ط : « أتواعدنا » .
(٧) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيه زينتها ، يريد تحقيره .

حصن وقُرّة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبى بكر . فلمّا قدما عليه قال له قرّة : يا خليفةَ رسولِ الله ، إنّى قد كنت مسلمًا ، ولى من ذلك على إسلامى عند عمرو بن العاص شهادة ؛ قد مرّ بى فأكرمته وقرّبته ومنعته . قال : فدعا أبو بكر عمرَو بن العاص ، فقال : ما تعلم من أمر هذا ؟ فقصّ عليه الخبر ، حتّى انتهى إلى ما قال له من أمر الصّدقة . قال له قرّة : حسبك رحمك الله ! قال : لا والله ؛ حتّى أبلّغ له كلّ ما قلت . فبلّغ له ، فتجاوز عنه أبو بكر ، وحقَن دمه[1] .

١٨٩٧/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن محمّد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عُتْبة ، قال : أخبرنِى مَنْ نظر إلى عُيَيْنة بن حصن مجموعةً يداه إلى عُنقه بحبل ، يَنْخُسه غلمان المدينة بالجريد[2] ، يقولون : أىْ عدوّ الله ، أكفرت بعد إيمانك ! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قطّ . فتجاوز عنه أبو بكر وحقَن له دمه .

حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سَهْل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بنى أسَد ، فأتِىَ به خالد بالغَمْر — وكان عالمًا بأمر طُليحة — فقال له خالد : حدّثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتى به : « والحمام واليمام ، والصُّرَد الصوّام ؛ قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغنّ مُلْكُنا العراق والشام » .

حدّثنى السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن أبى يعقوب سعيد بن عبيد ، قال : لما أرْزَى أهل الغَمْر إلى البُزاخة[3] ، قام فيهم طليحة ، ثم قال : « أمرت أن تصنعوا رحًا ذات عُرًا ، يرمى الله بها مَنْ رَمى ، يهوى عليها من هوى » . ثم عبّى جنوده . ثم قال : « ابعثوا فارسيْن ، على فرسين

(١) يقال : حقن دمه : إذا حل به القتل فأنقذه .
(٢) الجريد : قضبان النخل ، واحدته جريدة .
(٣) أرزى أهل الغمر إلى البزاخة : التجئوا إليها .

أدهمَيْن ، من بنى نَصْر بن قُعَيْن ، يأتيانكم بعيْن». فبعثوا فارسين[١] من بنى قُعَيْن ، فخرج هو وسلَمة طليعتين .

حدثنا السرىّ، قال : حدثنا شعيب، عن سيف ، عن عبدالله بن سعيد بن ثابت بن الجِذْع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عمّن شهد بُزاخة من الأنصار ، قال : لم يُصبْ خالد على البُزاخة عيِّلا[٢] واحداً، كانت عيالات بنى أسد مُحْرَزة — وقال أبو يعقوب : بين مِشْقَب وفَلْج ، وكانت عيالات قيس بين فلْج وَواسط — فلم يَعْدُ أن انهزموا ، فأقرُّوا جميعاً بالإسلام خشية على الذرارىّ ، واتقوا خالداً بطلبته ، واستحقوا الأمان ؛ ومضى طُلَيحة ؛ حتى نزل[٣] كلْب على النَّقْع ، فأسلم ، ولم يزل مقيماً فى كلْب حتى مات أبو بكر ؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامرا قد أسلموا ؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً فى إمارة أبى بكر ، ومرّ بجَنَبات المدينة ، فقيل لأبى بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به ! خلّوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . ومضى طليحة نحو مكة فقضى عمرته ، ثم أتى عمر إلى البَيعة حين استخْلِف ، فقال له عمر : أنت قاتل عُكّاشة وثابت ! والله لا أحبُّك أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تهمّ من رجلين أكرمهما الله بيدى ، ولم يُهِنّى بأيديهما ! فبايعه عمر ثم قال له : يا خُدَع ، ما بقى من كهانتك ؟ قال : نفخة أو نفختان بالكير . ثم رجع إلى دار قومه ؛ فأقام بها حتى خرج إلى العراق . ١٨٩٨/١

* * *

ذكر رِدّة هوازن وسليم وعامر

حدّثنا السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالا : أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رِجْلا وأخّروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغَطَفان ؛ فلما أحيطَ بهم وبنو عامر على قادتِهم وسادتِهم ، كان قُرّة بن ١٨٩٩/١

(١) ب : « بفارسين » .
(٢) العيل والعيال : من تتكفل بهم وتقوم بأمرهم .
(٣) ب : « ينزل » .

هُبيرة فى كعب ومن لافّها[١] ، وعلقمة بن عُلاثة فى كلاب ومَن لافّها ؛ وقد كان علقمة أسلمَ ثم ارتدّ فى أزمان النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشأم ؛ فلما تُوُفِّىَ النبىّ صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعًا حتى عسكر فى بنى كَعْب ، مقدّمًا رجلاً ومؤخرًا أخرى ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريّة ، وأمّر عليها القَعْقاع بن عمرو ، وقال : ياقعقاع ، سِرْ حتى تُغير على عَلْقمة بن عُلاثة ، لعلك أن تأخذه لى أو تقتله ؛ واعلم أنّ شفاء الشّقّ الحوْص[٢] ، فاصنع ما عندك . فخرج فى تلك السرّية ؛ حتى أغار على الماء الذى عليه عَلْقمة ؛ وكان لا يبرح أن يكون على رِجْل[٣] ؛ فسابقهم على فرسه ؛ فسبقهم مراكضةً ، وأسلم أهلَه وولده ، فانتسف[٤] امرأتَه وبناتِه ونساءَه ، ومَن أقام من الرجال ؛ فاتّقوْه بالإسلام ، فقدِم بهم على أبى بكر ، فجحد ولده وزوجته أن يكونوا مالئوا علقمة ، وكانوا مقيمين فى الدار ، فلم يبلغه إلاّ ذلك ، وقالوا : ماذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك ! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه[٥] . ١٩٠٠/١

حدّثنا السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو وأبى ضَمْرة ، عن ابن سيرين مثل[٦] معانيه .

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بُزاخة يقولون : ندخلُ فيما خرجنا منه ؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البُزاخة من أسَد وغَطَفان وطيِّئ قبلَهم ، وأعطوْه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطَفَان ولا هوازن ولا سُليم ولا طيِّئْ إلاّ أن يأتوه بالذين حرّقوا ومثّلوا وعدوْا على أهل الإسلام فى حال ردّتهم . فأتوْه بهم ، فقبل منهم إلاّ قرة بن هُبيرة ونفراً معه أوثقهم ، ومثّل بالذين عَدَوْا على الإسلام ؛ فأحرقهم بالنيران ورضَخهم بالحجارة ، ورمى بهم من الجبال ، ونكسهم فى الآبار ، وخزّق بالنّبال[٧] . وبعث بقرّة وبالأسارى ، وكتب

---

(١) لافها ، أى اجتمع إليها واختلط بها .
(٢) الحوص : الخياطة .
(٣) ز : « رحل » .
(٤) انتسفهم : اختلعهم .
(٥) س : « منهم » .
(٦) س : « بمثل » .
(٧) خزق بالنبال : رمى فأصاب .

إلى أبى بكر : إنّ بنى عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت فى الإسلام بعد تربّص[١] ؛ وإنّى لم أقبل من أحد قاتلنى أو سالمنى شيئًا حتى يجيئونى بمَن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كلّ قتلة ، وبعثتُ إليك بقرّة وأصحابه .

حدّثنا السَّرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن نافع ، قال : كتب أبو بكر إلى خالد: ليَزِدْك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتّق الله فى أمرك ؛ فإنّ الله مع الذين اتّقَوْا والذين هُمْ محسنون ١/١٩٠١ جدّ فى أمر الله ولا تَنِيَنّ ، ولا تظفرنّ بأحد قتَل[٢] المسلمين إلا قتلتَه ونكّلتَ به غيره ؛ ومَن أحببتَ ممن حادّ الله أو ضادّه[٣] ؛ ممّن ترى أن فى ذلك صلاحًا فاقتله .فأقام على البُزاخة شهراً يُصَعِّد عنها ويُصوِّب ، ويرجع إليها فى طلب أولئك ؛ فنهم مَنْ أحرق ، ومنهم من قمطه ورضَخَه بالحجارة ؛ ومنهم مَنْ رمى به من رءوس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم ينزلوا ولم يُقَل لهم كما قيل لعُيَيْنة وأصحابه ؛ لأنهم لم يكونوا فى مثل حالهم ؛ ولم يفعلوا فعلهم

قال السرىّ : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ، قالا : واجتمعت فُلاّل غَطَفان إلى ظَفَر ، وبها أم زِمْل سلمى ابنة مالك بن حُذيفَة بن بَدْر ؛ وهى تشبّه بأمّها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر ؛ وكانت أمّ قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قِرفة ، وحكَمة ، وجُراشة ، وزِمْلاً ، وحصينًا ، وشريكًا ، وعبداً ، وزُفَر ، ومعاوية ، وحَمَلة ، وقيسًا ، ولأيًا ؛ فأما حَكَمة فقتله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أغار عُيينة بن حِصْن على سَرْح المدينة ، قتله أبو قتادة ؛ فاجتمعت تلك الفُلاّل إلى سلْمى ؛ وكانت فى مثل عزّ[٤] أمها ، وعندها جَمل أم قرفة ؛ ١/١٩٠٢ فنزلوا إليها فذمرتْهُم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعّدتْ سائرة فيهم وصوّبتْ ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها[٥] ، وتشجّعوا على ذلك ، وتأشّب[٦] إليهم الشُّرَداءُ من كلّ جانب — وكانت قد سبيَت أيّام

---

(١) بعد تربص ؛ أى بعد توقف وتلبث .
(٢) ز : « من المسلمين »
(٣) ب : « صاده » .
(٤) س : « عزم » .
(٥) س : « إليها » .
(٦) تأشب إليهم الشرداء : التجئوا .

أم قِرْفة، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومِها ؛ وقد كان النبيّ صلى الله عليه وسلم دخل عليهنّ يومًا ، فقال إنّ إحداكنّ تستنبح كلاب الحوءب ؛ ففعلت سَلْمى ذلك حين ارتدّت ؛ وطلبت بذلك الثأر ، فسيّرت فيما بين ظفَر والحوْءب؛ لتجمع إليها ، فتجمّع إليها كلُّ فَلّ[١] ومُضيَّق عليه من تلك الأحياء من غَطفان وهَوازِن وسُلَيم وأسد وطيّئ ، فلما بلغ ذلك خالداً — وهو فيما هو فيه من تتبع الثأر ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم — سار إلى المرأة وقد استكثف أمرُها ، وغلُظ شأنها ؛ فنزل عليها وعلى جُمّاعها[٢] ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وهى واقفة على جَمَل أمّها ،وفى مثل عزّها ، وكان يقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزّها ، وأبيرتْ يومئذ بيوتات من جاس[٣] — قال أبو جعفر : جاس حيّ من غَنْم — وهاربة ، وغَنْم ، وأصيب فى أناس من كاهِل ، وكان قتالهم شديداً ؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فعقروه وقتلوها . وقتِل حول جملها مائة رجل؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قُرّة بنحو من عشرين ليلة .

١٩٠٣/١

قال السرىّ : قال شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ، قالا : كانَ من حديث الجِوَاء وناعِر ، أنّ الفجاءة إياس بن عبدياليل قدِم على أبى بكر ، فقال: أعنّى بسلاح ، ومُرْنى بمن شئت من أهل الرِّدّة ؛ فأعطاه سلاحًا ، وأمَره أمرَه ، فخالف أمره إلى المسلمين.؛ فخرج حتى ينزل بالجِواء، وبعث نجبة[٤] بن أبى المَيْثاء من بنى الشَّرِيد ، وأمره بالمسلمين ؛ فشنَّها غارةً على كلّ مسلم فى سُلَيم وعامر وهوازن ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طُرَيْفة بن حاجز يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ؛ وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسىّ عوناً ؛ ففعل ، ثمّ نهضا إليه وطلباه ؛ فجعل يلوذ منهما حتى لقِيَاه على الجِواء ؛ فاقتتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طُرَيفة فأسره . ثم بعث به إلى أبى بكر ، فقدم به على أبى بكر ، فأمر فأوقد له ناراً فى مصلّى المدينة على حطب كثير ، ثمّ رمِى به فيها مقموطًا .

---

(١) الفل : الجماعة المنهزمون . (٢) س : « جماعتها » .

(٣) ط : « خاسىء » ، وانظر تصويبات ط . (٤) ابن الأثير : « نخبة ».

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ؛ فإنه حدّثنا فى شأن الفُجاءة عن سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : قدِم على أبى بكر رجلٌ من بنى سُلَيم ، يقال له الفجاءة ؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفاف ، فقال لأبى بكر : إنى مسلم ؛ وقد أردت جهاد مَن ارتدّ من الكُفّار ، فاحملنى وأعنّى ؛ فحمله أبو بكر على ظَهْر ، ١/١٩٠٤ وأعطاه سلاحًا ، فخرج يستعرِض الناس : المسلِم والمرتدّ ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَن امتنع منهم ؛ ومعه رجلٌ من بنى الشَّريد ، يقال له : نجبة بن أبى الميْثاء ، فلمّا بلغ أبا بكر خبرُه ، كتب إلى طريفة بن حاجز : إنّ عدو الله الفجاءة أتانى يزعُم أنه مسلم ، ويسألنى أنْ أقوّيَه علَى من ارتدّ عن الإسلام ، فحملته وسلّحتُه ، ثم انتهى إلىّ من يقين الخبر أنّ عدوّ الله قد استعرَض الناس : المسلم والمرتدّ يأخذ أموالهم ، ويقتل مَن خالفه منهم ؛ فسرْ إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتلَه ، أو تأخذه فتأتيَنى به . فسار طُريفة بن حاجز ، فلمّا التقى الناس كانت بينهم الرِّمِّيَّا بالنّبل ، فقُتل نجبة بن أبى الميثاء بسهم رُمى به ، فلما رأى الفجاءة من المسلمين الجِدّ قال لطُريفة : والله ما أنت بأوْلى بالأمر منّى ، أنت أميرٌ لأبى بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقًا فضع السلاح ، وانطلق معى إلى أبى بكر . فخرج معه ، فلما قدما عليه أمر أبو بكر طُريفةَ بن حاجز ، فقال : اخرج به إلى هذا البَقيع فحرِّقْه فيه بالنار ؛ فخرج به طُريفة إلى المصلّى فأوقد له نارًا ، فقذفه فيها ، فقال خُفاف بن نُدْبَة — وهو خُفاف بن عمير — يذكر الفُجاءة ، فيما صنع :

١/١٩٠٥

لِمَ يأخذون سلاحَه لقتاله ولذاكُمُ عند الإلهِ أثامُ[1]
لا دينُهمْ دينى ولا أنا منهم[2] حتى يسيرَ إلى الصَّراةِ شَمامُ

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : كانت سُليم بن منصور قد انتقض بعضُهم ، فرجعوا كُفّارًا ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبى بكر عليهم ،

(١) الأصمعيات ٢١ . (٢) كذا فى س ، وفى ط : « ولا أنا فاتن » وفى الأصمعيات «كافر».

يقال له معن بن حاجز ، أحد بنى حارثة ، فلمّا سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بنى سُلَيم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طُرَيفة ابن حاجز ، وقد كان لحقَ فيمن لحق من بنى سُلَيم بأهل الردّة أبو شجرة ابن عبد العُزّى ، وهو ابن الخنساء ، فقال :

فلو سألَتْ عنّا غداةَ مُرامرٍ[1] كما كنتُ عنها سائلا لو نَأيْتُها[2]

لقاء بنى فِهْرٍ وكان لقاؤهم غداةَ الجِواء حَاجَةً فقضيتُها

صبَرْتُ لهم نفسى وعرّجْتُ مُهْرَتى على الطّعْن حتى صار وَرْدًا كُمَيْتُها

إذا هىَ صَدّتْ عن كَمِىٍّ أريده عَدَلْتُ إليه صَدْرَها فهدَيْتُها

فقال أبو شجرة حين ارتدّ عن الإسلام :

١٩٠٦/١

صَحَا القلبُ عن مَىّ هواه وأقْصرا وطاوَعَ فيها العاذلين فأبْصَرا

وأصبح أدنَى رَائدِ الجَهْل والصِّبا كما وُدُّها عنّا كذاكَ تَغَــيَّرَا

وأصبح أدنى رائدِ الوصل منهمُ كما حبْلُها من حبلنا قد تبتّرا

ألا أيّها المُدْلِى بكثرة قومه وحظُّك منهم أن تُضَامَ وتُقْهَرَا

سَلِ الناس عنّا كلَّ يوم كَرِيهَةٍ إذا ما التقينا : دارِعِينَ وحُسَّرا

ألَسْنا نُعاطى ذا الطِّمَاح لجامَهُ ونَطْعن فى الهيجا إذا الموتُ أقْفَرَا !

وعاضِرَةٍ شهباءَ تَخْطِرُ بالقَنا ترى البُلْقَ فى حافاتها والسَّنَوّرا[3]

فرَوَّيْتُ رُمْحِى من كَتيبَةِ خَالدٍ وإنى لأرْجو بعدها أن أعمَّرا

ثم إنّ أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة . فحدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السُّلمىّ ، عن رجال من قومه . وحدثنا السَّرى قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبى يعقوب ومحمد بن مرزوق ،

(١) ياقوت ٣ : ١٥٥ ، وروايته : « غداة لقائنا » . وانظر الإصابة : ٤ : ١٠١ .

(٢) ب : « إذ نأيتها » .

(٣) السنور : كل سلاح من حديد .

وعن هشام، عن أبى مِخْنف ، عن عبدالرحمن بن قيس السُّلمىّ ، قالوا: فأناخ ناقته بصعيد بنى قريظة . قال : ثمّ أتى عمر وهو يعطى المساكين من الصّدقة ويقسّمها بين فقراء العرب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعطنى فإنى ذو حاجة ، قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أبو شجرة بن عبد العزّى السُّلمىّ ، قال : أبو شجرة ! أىْ عدوّ الله ، ألستَ الذى تقول : ١/١٩٠٧

فروّيتُ رمحى من كتيبة خالدٍ ... وإنى لأرجُو بعدها أن أعمّرا

قال : ثم جعل يعلوه بالدِّرّة فى رأسه حتى سبقه عَدْواً ، فرجع إلى ناقته فارتحلها ، ثم أسندها فى حَرّة شَوْران راجعًا إلى أرض بنى سليم ، فقال :

ضَنّ علينا أبو حفصٍ بنائله ... وكلُّ مُختبطٍ يَوماً له وَرَقُ (١)
ما زال يُرْهقنى حتى خَذِيتُ له (٢) ... وحال من دون بعض الرَّغْبَة الشَّفَقُ
لمَّا رهبتُ أبا حفصٍ وشُرْطَتَهُ ... والشَّيْخُ يفزع أحياناً فَيَنْحمِقُ
ثُمَّ ارْعويتُ إليها وَهْىَ جانحَةٌ ... مِثل الطَّريدة لم ينبت لها ورقُ (٣)
أوردتها الخَلَّ من شَوْران صادِرَةً ... إنى لأزْرِى عليها وَهْىَ تنطلقُ (٤) ١/١٩٠٨
تَطِيرُ مَرْوُ أبان عن مناسمها ... كما تُنُوقِد عند الجِهْبِذ الورقُ
إذا يعارضها خَرْقٌ تعارضه ... وَرْهَاء فيها إذا استعجلتها خُرُقُ
ينوء آخرها منها بأوّلها ... سُرُحُ اليدين بها نَهَّاضَة العُنُقِ (٥)

* * *

ذكر خبر
بنى تميم وأمر سَجَاح بنت الحارث بن سُوَيد

وكان من أمر بنى تميم ، أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوُفِّىَ وقد فرّق فيهم عماله ؛ فكان الزِّبْرِقان بن بدر على الرِّباب وعوف والأبناء — فيما

(١) الخبط : ضرب ورق الشجر حتى ينحّى عنه ؛ ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل الشجرة وأغصانها . وفى الإصابة : « قد ضنّ عنا » . (٢) س : « رهبت » .
(٣) أرعويت إليها : راقبتها ونظرت اليها . والطريدة : أصل العذق .
(٤) حرة شوران ، من حرار الحجاز ، معروفة . (٥) فى البيت إقواء .

ذكر السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه وسهم بن مِنجاب — وقيس بن عاصم على مُقَاعِس والبُطُون ، وصفوان ابن صفوان وسَبْرَةُ بن عمرو على بنى عمرو ؛ هذا على بَهْدَى وهذا على خَضَمّ — قبيلتين[1] من بنى تميم — ووكيع بن مالك ومالك بن نُوَيْرة على بنى حنظلة ؛ هذا على بنى مالك ، وهذا على بنى يربوع . فضرب صفوان إلى أبى بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبىّ صلى الله عليه وسلم بصدقات بنى عمرو ، وما ولى منها وبما ولى سبرة . وأقام سبرة فى قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانعٌ . وكان الزّبرقان متعتّبًا[2] عليه ، وقلّما جامله إلاّ مزّقه الزّبرقان بحظوته وجَدّه . وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه : واويلنا[3] من ابن العُكْلِيّة ! والله لقد مزّقنى فما أدرى ما أصنع ! لئن أنا تابعتُ أبا بكر وأتيته بالصّدقة لينحرنّها فى بنى سعد فليسودُنّى فيهم ، ولئن نحرتها فى بنى سعد ليأتينّ أبا بكر فليسوّدنّى عنده . فعزم قيس على قسمها فى المقاعس والبطون ، ففعل . وعزم الزّبرقان على الوَفاء ، فاتّبع صَفوانَ بصدقات الرّباب وعوف والأبناء حتى قدم بها المدينة ، وهو يقول ويُعرّض بقيس :

وفيتُ بأذْوادِ الرّسول وقد أبَتْ سُعَاة فلم يَرْدُدْ بعيرًا مُجيرُها[4]

وتحلّل الأحياء ونشب الشرّ ، وتشاغلوا وشَغَل بعضُهم بعضًا . ثم ندم قيس بعد ذلك ، فلما أظلّه العَلاء بن الحَضْرَمِيّ أخرج صدقتها ؛ فتلقّاه بها ؛ ثم خرج معه . وقال فى ذلك :

ألاَ أبْلِغَا عَنّى قريشًا رسالةً إذا ما أتَتْها بيّناتُ الودائع[5]

فتشاغلت فى تلك الحال عَوْف والأبناء بالبُطون ، والرّباب بمقاعس ، وتشاغلت خَضَمّ بمالك وبَهْدَى بيربوع ؛ وعلى خَضَمّ سَبْرة بن عمرو . وذلك الذى حلّفه عن صفوان والحصين بن نِيَار على بَهْدَى ، والرّباب ؛ عبد الله بن صَفْوان

(١) ب والنويرى : « قبيلتان » . (٢) س : « معيباً » .
(٣) ب ، س : « ياويلتاه » . (٤) الإصابة ١ : ٥٤٢ برواية مخالفة .
(٥) الأغانى ١٤ : ٧٥ (طبعة دار الكتب) .

على ضبّة . وعصمة بن أبَيْر على عبد مناة . وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد ابن خالد من بنى غَنْم الجُشمىّ ، وعلى البطون سعْر بن خُفاف ؛ وقد كان ثمامة ابن أثال تأتيه أمدادٌ من بنى تميم ؛ فلمّا حدث هذا الحدث[١] فيما بينهم ١٩١١/١ تراجعوا إلى عشائرهم ، فأضرّ ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنهضه ؛ فلم يصنع شيئًا ؛ فبينا الناس فى بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضًا ؛ فُسْلِمُهم بإزاء من قدّم رجْلا وأخّر أخرى وتربّص . وبإزاء من ارتاب ، فجئْتَهم سَجَاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة . وكانت ورهطها فى بنى تغلب تقود أفناءَ ربيعة . معها الهُذَيل بن عمران فى بنى تغلب . وعقّة ابن هلال فى النّمر . وتاد[٢] بن فلان فى إياد . والسّليل بن قيس فى شيْبان ؛ فأتاهم أمرٌ دهىّ ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سَجاح عليهم . ولما هم فيه من اختلاف الكلمة . والتشاغل بما بينهم . وقال عُفَيف بن المنذر فى ذلك :

ألم يأتيك والأنباء تَسْرِى بما لاقَتْ سَرَاة بنى تَميم
تَدَاعَى مِنْ سراتهمُ رِجَالٌ وكانوا فى الذّوائب والصَّميم
وألجَوْهم وكان لهم جِنابٌ إلى أحياء خاليةٍ وخِيمِ

وكانت سَجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقْفان — هى وبنو أبيها عُقْفان — فى بنى تغلب ، فتنبّتْ بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة فى بنى تغلب . فاستجاب لها الهُذيل . وترك التنصّر ؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزوَ بهم أبا بكر . فلما انتهتْ إلى الحزْن راسلتْ مالك بن نُويرة ١٩١٢/١ ودعَتْه إلى الموادعة ، فأجابها . وفثأها[٣] عن غزوها . وحمّلتها على أحياء من بنى تميم . قالت : نعم ، فشأنَك بمن رأيت ، فإنى إنما أنا امرأة من بنى يربوع ، وإن كان مُلك فالمُلك مُلْككم . فأرسلت إلى بنى مالك بن حنظلة تدعُوهم إلى الموادعة . فخرج عطارد بن حاجب وسرَوات بنى مالك حتى نزلوا فى بنى العنبر على سَبْرة بن عمرو هرّابًا قد كرهوا ما صنع وكيع ،

(١) ب : « الحديث » .
(٢) ط : « زياد » . وهو أبو عدى بن وتاد الايادى ، وانظر تاريخ الطبرى . ٩٤٤ ، ٩٩٦ — طبع أوربا .
(٣) فثأها : كفها .

وخرج أشباههم من بنى يربوع ؛ حتى نزلوا على الحصين بن نِيَار فى بنى مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك ؛ فلمّا جاءت رسلُها إلى بنى مالك تطلب الموادعة ، أجابها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضًا ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخَضّم ، أم ببَهدى ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرِّباب ؟ وكفّوا عن قيس لما رأوا من تردّده وطمعوا فيه ، فقالت : «أعِدّوا الرّكاب ، واستعدّوا للنّهاب ؛ ثمّ أغيروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب » .

قال : وصمدتْ[1] سجاح للأحفار حتى تنزل بها ، وقالت لهم : إنّ الدّهْناء حجاز بنى تميم ؛ ولن تعدوَ الرّباب ؛ إذا شدّها المصاب ، أن تلوذ بالدجانى والدهانى ؛ فلينزلها بعضكم . فتوجّه الجفول — يعنى مالك بن نُوَيرة — إلى الدّجانى فنزلها ؛ وسمعتْ بهذا الرّباب فاجتمعوا لها ؛ ضَبّتها وعبد مناتها ، فولِيَ وَكيع وبِشْر بنى بكْر من بنى ضَبّة ، ووَلِىَ ثعلبة بن سَعْد بن ضَبّة عقّة ، ووليَ عبدَ مناة الهذيلُ . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بنى ضَبّة ، فهُزما ، وأُسِرَ سماعة ووكيع وقَعْقاع ، وقتلتْ قتلى كثيرة ؛ فقال فى ذلك قَيْس بن عاصم ؛ وذلك أوّلَ ما استبانَ فيه الندم[2] :

١٩١٣/١

كأنّك لم تَشْهَدْ سَمَاعةَ إذْ غَزَا[3] ... وما سُرَّ قَعْقاعٌ وخابَ وَكِيعُ[4]

رأيتُك قد صاحَبْتَ ضَبّةَ كارهًا ... على نَدَبٍ فى الصَّفْحَتَيْن وَجِيع[5]

ومُطْلَقُ أَسْرَى كان حمقًا مَسِيرُها[6] ... إلى صَخَراتٍ أَمْرُهُنَّ جَمِيعِ

فصرفَتْ سجاح والهذيل[7] وعقّة بنى بكر ، للموادعة التى بينها وبين وكيع — وكان عقّة خالَ بشر — وقالت : اقتلوا الرّباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون[8] لهم دماءهم ؛ وتحمَد غبَّ رأيهم أخراهم . فأطلقتْ

١٩١٤/١

---

(١) صمدت : قصدت .

(٢) بعدها فى س : « إسعادًا لضبّة » .

(٣) س : « غزوا » .

(٤) س : « سرّ قعقاعا » .

(٥) س : « للصفحتين » .

(٦) ز : « مبيرها » .

(٧) س : « الهذيل » بدون واو .

(٨) س : « ويحملون » .

لهم ضبّة الأسْرَى ؛ وودَوُا القتلَى ، وخرجوا عنهم . فقال فى ذلك قيس يُعَيِّرهم صلْحَ ضبّة ، إسعاداً لضبّة وتأنيباً لهم . ولم يدخل فى أمر سجاح عمرىّ ولا سعدىّ ولا ربّىّ ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا فى قيس ؛ حتّى بدا منه إسعاد ضبّة ؛ وظهر منه الندم . ولم يُمَالِئْهُم من حنظلة إلاّ وكيع ومالك ؛ فكانت ممالأتهما موادَعةً على أن ينصر بعضهم بعضا ، ويحتاز بعضهم إلى بعضهم ؛ وقال أصَمُّ التّيمىّ فى ذلك :

أَتَتْنا أختُ تغلب فَاستهدّتْ ... جلائبَ من سَرَاةِ بنى أبينا

وأرْسَتْ دعوةً فينَا سَفَاهاً ... وكانت من عمائر آخرينـــا

فما كُنَّا لنَرْزِيهم زِبالاً ... وما كانت لتُسْلم إذ أُتينا

ألاَ سَفِهَتْ حلومُكُمُ وضلّتْ ... عَشِيّةَ تَحْشُدونَ لها ثُبِينَا

قال : ثمّ إنّ سَجَاح خرجت فى جُنود الجزيرة[1] ، حتى بلغت النِّبَاج ؛ ١٩١٥/١ فأغار عليهم أوْس بن خُزيمة الهُجَيْمىّ فيمن تأشّبَ إليه من بنى عمرو ، فأسِرَ الهذيل ؛ أسره رجلٌ من بنى مازن ثم أحد بنى وَبَر ، يُدْعى ناشرة . وأسِرَ عَقّة ؛ أسره عبدة الهجيمىّ ؛ وتحاجزوا على أن يترادّوا الأسرى ، وينصرفوا عنهم ، ولا يجتازوا عليهم ؛ ففعلوا ، فردّوها وتوثّقوا عليها وعليهما ؛ أن يرجعوا عنهم ، ولا يتّخذوهم طريقًا إلا من ورائهم . فوفوا[2] لهم ؛ ولم يزل فى نفس الهذيل على المازنىّ ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفّان ، جمع جمعًا فأغار على سَفَار ، وعليه بنو مازن ؛ فقتلتْه بنو مازن ورَمَوا به فى سَفَار .

ولمّا رجع الهُذيل وعقّة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمريننا ؟ فقد صالَح مالك ووكيع قومَهما ؛ فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز فى أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة أهل اليمامة شديدة ؛ وقد غلُظَ أمر مسيْلمة ؛ فقالت : « عليكم باليمامة ؛

---

(١) بعدها فى س : « تريد المدينة » .

(٢) ب : « فوقفوا » .

ودفُّوا دَفيفَ الحمامة ؛ فإنها غزوة صَرّامة ؛ لا يلحقكم بعدها ملامة » .

١٩١٦/١ فتَنَهَّدَتْ لبنى حنيفة ؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها ؛ وخاف إن هو شغل بها أن يغلبه ثُمامة على حَجْر أو شرحبيل[١] بن حَسَنَة ، أو القبائل التى حولَهم ، فأهدى لها ؛ ثم أرسل إليها يستأمِنها على نفسه حتى يأتيَها . فنزلت الجنود على الأمواه ، وأذِنَتْ له وآمَنَتْه ؛ فجاءها وافداً فى أربعين من بنى حَنِيفة — وكانت راسخةً فى النَّصرانيّة ، قد علمت من علم نصارى تغلِب — فقال مُسيلِمة : لنا نصف الأرض ؛ وكان لقريش نصفها لو عدلَتْ ؛ وقد ردّ الله عليكِ النّصف الذى رَدّتْ قريش ؛ فَحَبَاك[٢] به ، وكان لها لو قبلتْ . فقالت : « لا يردّ النّصف إلاّ مَنْ حَنَف[٣] ، فاحمل النّصف إلى خيل تراها كالسَّهَف[٤] » . فقال مسيلمة : « سمع الله لمن سمع ، وأطمعه بالخير إذ طمع ؛ ولا زال أمره فى كلّ ما سرّ نفسه يجتمع . رآكم ربُّكم فحيّاكم ، ومن وحشة خلاّكم ؛ ويوم دينه أنجاكم . فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار ، لا أشقياء ولا فجّار ، يقومون الليل ويصومون النهار ، لربّكم الكُبّار ، ربّ الغيوم والأمطار » .

وقال أيضاً : « لمّا رأيت وجوههم حَسُنَت ، وأبشارهم[٥] صفت ، وأيديهم

١٩١٧/١ طَفُلَت[٦] ، قلت لهم : لا النساء تأتون ، ولا الخمر تشربُون ؛ ولكنّكم معشر أبرار ، تصومون يوماً ، وتكلفون يوماً ؛ فسبحان الله! إذا جاءت الحياة كيف تحيَوْن ، وإلى ملك السماء ترقَوْن ! فلو أنها حبّة خرْدَلة[٧] ، لقام عليها شهيد يعلم ما فى الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثُّبور » .

وكان ممّا شرَع لهم مسيلمة أنّ من أصاب ولداً واحدا عقِباً[٨] لا يأتى

---

(١) ابن الأثير : « وشرحبيل » . (٢) ز س : « فحياك » .

(٣) حنف : مال .

(٤) السهف : فلوس السمك الصغار ، أرادت أنها هزيلة .

(٥) س : « وأبصارهم » .

(٦) طفلت : صارت طفلة ؛ أى ناعمة .

(٧) س : « خردل » .

(٨) ابن الأثير : « ذكراً » .

امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ؛ حتى يصيب ابنا ثم يُمْسِك ؛ فكان قد حرَّم النِّساء على من له ولد ذَكر .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا غير سيف ومنْ ذكرنا عنه هذا الخبر ؛ فإنه ذكر أنّ مسيْلمة لما نزلتْ به سجاح ، أغلق الحِصْن دُونها ، فقالت له سجاح : انزل ، قال : فنحِّى عنكِ أصحابَكِ . ففعلت . فقال مسيلمة : اضربوا لها قُبَّةً وجَمِّروها لعلّها تذكر الباه ؛ ففعلوا ، فلمّا دخلت القُبَّة نزل مسيلمة فقال : ليقِفْ ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ؛ ثم دارَسَها ، فقال : ما أوحِيَ إليكِ ؟فقالت[1] : هل تكون النساءُ يبتدئن ! ولكن أنت قُلْ ما أوحى إليك ؟ قال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبْلى ، أخرج منها نسمة تسْعى ، من بين صِفاق[2] وحشى[3] » . قالت : وماذا أيضًا ؟ قال : أوحى إلىّ : « أنّ الله خلق النساء أفراجا ، وجعل الرجال لهنّ أزواجا ؛ فنولج فيهن قُعْسًا[4] إيلاجا ، ثم نُخْرِجُها إذا نشاء إخراجا ، فيُنْتِجْن لنا سِخَالا إنتاجًا » . قالت : أشهد أنك نبيّ ، قال : هل لكِ أن أتزوّجك فآكل بقومى وقومك العرب ! قالت : نعم ، قال : ١٩١٨/١

ألاَ قُومى إلى النَّيْك فقد هُيِّى لكَ المَضْجَعْ
وإن شئتِ ففى البيت وإن شئتِ ففى المخدَعْ
وإن شئتِ سلقناكِ وإن شئتِ على أربعْ
وإن شئتِ بثلثيْه وإن شئتِ به أجْمَعْ

---

(١) ط : « وقالت » : وأثبت ما فى ب ، س .

(٢) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(٣) بعدها فى الأغانى : « من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

(٤) فى الأغانى : « الغراميل » ؛ وهو بمعناها . وفى ط : « فعسا » ، بالفاء ؛ تصحيف .

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك [١] أوحِى إلىّ [٢]. فأقامت عنده ثلاثًا ثمّ انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك؟ قالت : كان على الحقّ فاتّبعتُه فتزوّجته ، قالوا : فهل أصدَقَك شيئًا ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعى [٣] إليه ، فقبيحٌ بمثلك أن ترجع بغير صَدَاق ! فرجعت ، فلمّا رآها مسيلمة أغلق الحِصْن ، وقال : مالك ؟ قالت : أصدِقْنى صداقًا ، قال : من مؤذِّنُك [٤] ؟

١٩١٩/١ قالت : شَبَث بن ربْعِىّ الرِّيَاحىّ ، قال : علىّ به ، فجاء فقال : نادِ فى أصحابك أنّ مسيلمة بن حبيب رسولُ الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا أتاكم به محمّد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر .

قال : وكان من أصحابها الزِّبرقان بن بدْر وعُطارد بن حاجب ونُظَراؤهم .

— وذكر الكلبىّ أن مشيخة بنى تميم حدّثوه أن عامّة بنى تميم بالرّمل لا يصلونهما — فانصرفت ومعها أصحابها ، فيهم الزِّبرقان ، وعُطارد بن حاجب ، وعَمْرو بن الأهْتَم ، وغيلان بن خَرَشَة ، وشَبَث ابن ربعىّ ، فقال عُطارد بن حاجب :

أمْسَتْ نَبِيَّتُنا أُنْثَى نُطيفُ بها ... وأصْبَحَتْ أنبياءُ النّاسِ ذُكْرَانا [٥]

وقال حكيم بن عيّاش الأعور الكلبىّ ، وهو يعيِّر مُضَر بسَجاح ، ويذكر ربيعة :

أتوْكُمْ بدِينٍ قائمٍ وأتيتُمُ ... بِمُنْتَسِخ الآيات فى مُصْحَفٍ طَبِّ [٦]

* * *

(١) ب : « بذاك » .

(٢) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٨ : ١٦٥ ، ١٦٦ (ساسى) ، وفيه : « فواقعها فلما قام عنها قالت : إن مثلى لا يجرى أمرها هكذا فيكون وصمة على قومى ؛ ولكنى مسلمة النبوة إليك ، فاخطبنى إلى أوليائى يزوجوك ، ثم أقود تميما معك ، فخرج وخرجت معه ؛ فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم ، فقالت لهم سجاح : إنه قرأ علىّ ما أنزل عليه فوجدته حقاً ، فاتبعته. ثم خطبها فزوجوه إياها ، وسألوه عن المهر . فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر ؛ فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ، ويقولون : هذا حق لنا ؛ ومهر كريمة منا لا نردّه » .

(٣) س : « فارجعى » . (٤) س : « دونك » .

(٥) الأغانى : « أضحت نبيتنا » .

(٦) س : « بمنسلخ » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . فصالحها على أن يحمل إليها النّصف من غَلاّت اليمامة ، وأبت إلاّ السنة المقْبلة يُسْلِفها[١] ؛ فباح لها بذلك ؛ ١٩٢٠/١ وقال : خَلّفِى على السلف مَنْ يجمعه لك ، وانصرفى أنتِ بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النّصف ، فاحتملتْه وانصرفتْ به إلى الجزيرة ، وخَلّفَتِ الهُذيل وعُقّة وزيادًا لينجز النّصف الباقى ؛ فلم يفجأهم إلا دُنُوّ خالد بن الوليد منهم ؛ فارفضّوا . فلم تزل سَجاح فى بنى تَغْلِب ؛ حتى نقلهم[٢] معاوية عامَ الجماعة فى زمانه ؛ وكان معاوية حين أجمع[٣] عليه أهلُ العراق بعد علىّ عليه السلام يُخرِج من الكوفة المستغربَ فى أمر علىّ ، ويُنْزِل داره المستغربَ فى أمر نفسه من أهل الشأم وأهل البصرة وأهل الجزيرة ؛ وهم الذين يقال لهم النواقل[٤] فى الأمصار ؛ فأخرج من الكوفة قَعقاعَ بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازلَ بنى أبيه بنى عُقْفان ، وينقلهم إلى بنى تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القَعْقاع وبنى أبيه[٥] ؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها[٦] ؛ وخرج الزّبرقان والأقرع إلى أبى بكر ؛ وقالا : اجعل لنا خَراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ ؛ ففعل وكتب الكتاب . وكان الذى يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهودًا منهم عمر . فلما أُتِىَ عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم ١٩٢١/١ قال : لا والله ولا كَرَامة ! ثم مزّق الكتاب ومحَاه ، فغضب طلحة ، فأتى أبا بكر ، فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ؛ غير أنّ الطاعة لى . فسكت .

وشهدا مع خالد المشاهدَ كلّها حتّى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شُرَحبيل إلى دُومة[٧] .

* * *

(١) ز : « يسلفها » .

(٢) ب : « قفلهم » . (٣) ز : « اجتمع » .

(٤) ب : « النوافل » . (٥) ب : « أمية »

(٦) ز : « إسلامهم » . (٧) ز : « دومة الجندل » .

ذكر البُطَاح وخبره

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْب بن عطية بن بلال ، قال : لما انصرفتْ سَجاح إلى الجزيرة ، ارعَوَى مالك بن نُوَيرة ، وندِم وتحيّر فى أمره ، وعرف وكيع وسماعة قُبْحَ ما أتيا ، فرجعا رجوعًا حسنًا ، ولم يتجبّرا ، وأخرجا الصدقات فاستقبلا بها خالدًا ؛ فقال خالد : ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأرٌ كنّا نطلبه فى بنى ضَبّة ؛ وكانت أيام تشاغُل وفرص ، وقال وكيع فى ذلك :

فلا تَحْسَبا أنّى رجعتُ وأننى مُنِعْتُ وقد تُحْنَى إلىَّ الأصابعُ[1]

١٩٢٢/١ ولكنّنى حامَيْتُ عن جُلِّ مالكٍ ولاحَظْتُ حتى أكْحَلَتْنى الأخادِعُ[2]

فلمّا أتَانا خالدٌ بلِوائه تخَطَّتْ إليه بالبُطَاح الوَدَائعُ

ولم يبق فى بلاد بنى حنظلة شىء يكره إلا ما كان من مالك بن نُويرة ومَن تأشّب إليه بالبُطاح ؛ فهو على حاله متحيِّرٌ شَجٍ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وعمرو بن شعيب ، قالا : لما أراد خالد السَّيْر خرج من ظَفَر ، وقد استبرأ أسدًا وغَطَفان وطيِّئًا وهوازن ؛ فسار يريدُ البُطاح دون الحَزْن ؛ وعليها مالك بن نُوَيرة ، وقد تردّد عليه أمره ، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إنّ الخليفة عَهِد إلينا إنْ نحن فرغنا من البُزاخة ، واستبرأنا بلادَ القوم أن نقيمَ حتّى يكتب إلينا . فقال خالد : إن يكُ عهد إليكم هذا فقد عهد إلىّ أن أمضىَ ، وأنا الأمير ١٩٢٣/١ وإلىّ تنتهى الأخبار . ولو أنّه لم يأتِنى له كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصةً ؛ فكنت إن أعلمته فاتتنى لم أعْلِمْه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتُلينا بأمر ليس منه[3]

---

(١) ياقوت ٢ : ٢١٥ .

(٢) ياقوت : « أكلحتنى » .

(٣) ب : « فيه » .

عهد إلينا فيه لم [١] نَدَعْ أن نرى أفضلَ ما بحضرتنا [٢] ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نُوَيرة بحيالنا ، وأنا قاصد إليه ومَن معى من المهاجرين والتابعين بإحسان ؛ ولست أكرهكم [٣]. ومضى خالد ،وندمت الأنصار ،وتَذَامروا [٤] ، وقالوا : إن أصاب القوم خيرًا إنه لَخَيْرٌ حَرِمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجْتَنِبنّكُم الناس . فأجمعوا اللَّحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولا ؛ فأقام عليهم حتى لحِقوا به ؛ ثم سار حتى قدم البُطاح فلم يجد به أحدًا [٥] .

قال أبو جعفر : فيما كتب به إلىّ السرىّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب ابن إبراهيم أنّه حدّثه عن سيف بن عمر ، عن خزيمة بن شَجرة العُقْفانىّ ، عن عثمان بن سويد ، عن سُويد بن المثعبة [٦] الرِّيَاحىّ ؛ قال : قدم خالد ابن الوليد البُطاح فلم يجدْ عليه أحدًا ، ووجد مالكًا [٧] قد فرّقهم فى أموالهم ، ونهاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره ، وقال : يا بنى يَرْبوع ؛ إنّا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعوْنا إلى هذا الدين ، وبَطَّأنا الناس عنه فلم نُفْلح ولم نُنْجِح ، وإنّى قد نظرتُ فى هذا الأمر ، فوجدتُ الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ؛ فإيّاكم ومناوأة قوم صُنع لهم ؛ فتفرّقوا إلى دياركم وادخلوا فى هذا الأمر . فتفرّقوا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله . ولما قدم خالد البطاح بثّ السَّرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتُوه بكلّ مَن لم يُجِب ، وإن امتنع أن يقتلوه ؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر : إذا نزلتُم منزلا فأذّنُوا وأقيموا ؛ فإن أذّن القوم وأقاموا فكفُّوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شىءَ إلاّ الغارة ؛ ثم اقتلوهم كلّ قِتْلة ؛ الحرْق فما سواه ؛ وإن [٨]

١/١٩٢٤

---

(١) س : « فلم » . (٢) ابن الأثير : « ما يحضرنا » .

(٣) الأغانى : « أكرههم » .

(٤) تذامروا : حض بعضهم بعضاً .

(٥) الخبر فى الأغانى ١٥ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ (طبعة دار الكتب) .

(٦) الأغانى : « المنعبة » .

(٧) الأغانى : « مالك بن نويرة » .

(٨) الأغانى : « فإن » .

أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقرّوا بالزكاة فاقبلوا[١] منهم ؛ وإن أبَوْها فلا شيءَ إلاّ الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيل بمالك بن نُويرة فى نفر معه من بنى ثعلبة بن يربوع ، من[٢] عاصم وعبيد وعرين وجعفر ، فاختلفت[٣] السريّة فيهم ، وفيهم أبو قتادة ؛ فكان فيمَن شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحُبِسوا[٤] فى ليلة باردة لا يقوم لها شىء ؛ وجعلت تزداد بَرْدًا ، فأمر خالدٌ مناديًا فنادى : « أدفئوا أسراكم » ، وكانت فى لغة كنانة إذا قالوا[٥] : دثّروا الرجل فأدفئوه ، دفئه قتله وفى لغة غيرهم : أدْفِه فاقتله ، فظنّ القوم — وهى فى لغتهم القتل — أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بن الأزور مالكًا ، وسمع خالد الواعية[٦] ؛ فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمرًا أصابه .

١/١٩٢٥

١/١٩٢٦

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملُك ، فزَبَره خالد فغضب ومضى ، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر ؛ حتى كلّمه عمر فيه ، فلم يرضَ إلاّ أن يرجع إليه ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج[٧] خالدٌ أمّ تميم ابنة المنهال[٨] ، وتركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساء فى الحرب وتعايَرُه ، وقال[٩] عمر لأبى بكر . إنّ فى سيف خالد رَهَقًا ، فإن لم يكن هذا حقًّا ، حقّ[١٠] عليه أن تُقيدَه ؛ وأكثر عليه فى ذلك — وكان أبو بكر لا يُقيد من عماله ولا وَزَعَته[١١] — فقال : هيه يا عمر ! تأوّلَ فأخطأ ، فارفَعْ لسانك عن خالد . وودى مالكًا وكتب إلى خالد أن يقدُم عليه ، ففعل ، فأخبره خبَرَه ،

(١) الأغانى : « قبلتم » . (٢) الأغانى : « ومن بنى عاصم » .
(٣) الأغانى : « واختلفت » .
(٤) الأغانى : « أمر بحبسهم » .
(٥ — ٥) الأغانى : « دافئوا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، من الدفء » .
(٦) الواعية : الجلبة والصراخ على الميت ونعيه .
(٧) الأغانى : « وكان قد تزوج » .
(٨) المنهال بن عصمة الرياحى ؛ وهو الذى كفن مالكاً فى ثوبيه .
(٩) الأغانى : « فقال » .
(١٠) الأغانى : « وحق عليه أن تقيده » .
(١١) الوزعة : أصحاب السلطان .

فعذره وقبل منه ، وعنّفه فى التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب من ذلك[١]

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : شهد قومٌ من السرّية أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، ففعلوا مثل ذلك . وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء ، فقُتلوا . وقدم أخوه متمّم بن نُوَيْرة يَنْشُد أبا بكر دَمه ، ويطلب إليه فى سَبْيِهم ؛ فكتب له بردّ السَّبْى ، وألحّ عليه عمر فى خالد أن يعزله ، وقال : إنّ فى سيفه رَهَقًا . فقال : لا يا عمر ؛ لم أكُنْ لأشيمَ سيفًا سلّه الله على الكافرين[٢] .

كتب إلىّ السَّرِىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن خُزيمة ، عن عثمان ، عن سُوَيد ، قال : كان مالك بن نُوَيرة من أكثر الناس شعرًا ؛ وإن أهل العسكر أثّفوا برءوسهم[٣] القُدور ، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بَشَرته ما خلا مالكًا ، فإنّ القِدْر نَضِجتْ وما نضج رأسه من كثرة شَعره ، وقَى[٤] الشَّعَرُ البَشَرَةَ حرَّها[٥] أن يبلغ منه ذلك . ١٩٢٧/١

وأنشده متمّم ؛ وذكر خَمَصَه[٦] ؛ وقد كان عمر رآه مقَدمَه على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : أكذاك يا متمّم كان ! قال : أمّا ما أعنى فنعم[٧] .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ؛ أنّ أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غشيتم دارًا من دُور النّاس فسمعتم فيها أذانا للصلاة ، فأمسكُوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذى نقموا ! وإن لم تسمعوا أذانا ، فشُنّوا الغارة ، فاقتلوا[٨] ، وحرّقوا .

---

(١) الأغانى ١٥ : ٣٠٠ – ٣٠٢ (٢) الأغانى ١٥ : ٣٠٢ .

(٣) أثف القدر تأثيفاً : وضعها على الأثافى ، يريد أنهم جعلوا رءوسهم أثافى للقدور .

(٤) الأغانى : « ووق » . (٥) الأغانى : « من حر النار » .

(٦) فى الأغانى : « يعنى قوله :

لقدْ كفّن المنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ ... فَتًى غيرَ مِبْطانِ العشيّات أرْوَعَا

فقال : أكذاك كان يا متمم ؟ قال : أما ما أعنى فنعم » .

(٧) الأغانى ١٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ . (٨) الأغانى : « واقتلوا » .

وكان ممّن شهد لمالك بالإسلام أبو قَتادة الحارث بن رِبْعِيّ أخو بنى سَلِمة ، وقد كان عاهد الله ألاّ يشهد مع خالد بن الوليد حربًا أبدًا بعدها ؛ ١٩٢٨/١ وكان يحدّث أنّهم لما غَشُوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : فقلنا : إنّا المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ؛ ثم صلّينا وصلّوا . وكان خالد يعتذر فى قتله أنه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم[1] إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أوَ ما تعدّه لك صاحباً ! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلُهم عمرَ بن الخطاب ، تكلّم فيه عند أبى بكر فأكثر ، وقال : عدوُّ الله عدا على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته !

وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قَباءٌ له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز فى عمامته أسْهُمًا ؛ فلمّا أنْ دخلَ المسجد قام إليه عُمَرُ فانتزع الأسْهُمَ من رأسه فحطّمها ، ثم قال : أرِئاء ! قتلتَ امرأً مسلما ، ثم نزوت على امرأته ! والله لأرْجمنّك بأحجارك — ولا يكلّمه خالد بن الوليد، ولا يظنّ إلا أنّ رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه — حتى دخل على أبى بكر ، فلمّا أنْ دخلَ عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه ١٩٢٩/١ فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان فى حربه تلك . قال : فخرَج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعُمَرُ جالسٌ فى المسجد ، فقال : هلم إلىّ يا بن أمّ شَمْلة ! قال : فعرف عمر أن أبا بكر قد رضىَ عنه فلم يكلّمه ، ودخل بيته .

وكان الذى قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدى[2] . وقال ابن الكلبىّ : الّذى قتل مالك بن نُويرة ضرار بن الأزور .

* * *

(١) بعدها فى الأغانى : « يعنى النبى صلى الله عليه وسلم » .
(٢) الأغانى ١٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

ذكر بقيّة خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر حين بعث عكْرمة بن أبى جهل إلى مُسيْلمة وأتْبعه شُرَحْبِيلَ عجّل عكرمة ، فبادر شرحْبيل ليذهب بصوتها[1] فواقعهم ، فنكبوه ، وأقام شُرحْبيل بالطريق حيث أدركه الخبر ؛ وكتب عكرمة إلى أبى بكر بالذى كان[2] من أمره ، فكتب إليه أبو بكر : يابن أمّ عكرمة ، لا أرينّك ولا تراني على حالها ! لا ترجع فتوهِن الناسَ ؛ امض على وجهك حتى تساند حُذَيْفةَ وعَرْفجة فقاتِلْ معهما أهلَ عُمان ومَهْرة ، وإن شغلا فامضِ أنت ، ثم تسير وتسيِّر جندك تستبرئون[3] مَنْ مررتم به ؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبى أميّة باليمن وحضرموت . ١٩٣٠/١

وكتب إلى شُرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيَه أمرُه ، ثم كتب إليه قبل أن يوجّه خالداً بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالدٌ ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقُضاعة ؛ حتى تكونَ أنت وعمرو بن العاص على مَنْ أبَى منهم وخالف . فلمّا قدِم خالدٌ على أبى بكر من البُطاح رضىَ أبو بكر عن خالد ، وسَمِع عذْره وقَبِل منه وصدّقه ورضى عنه ، ووجّهه إلى مُسَيلمة وأوعب معه الناس . وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبَرَاء بن فلان ، وعلى المهاجرين أبو حذَيفة وزيد ، وعلى القبائل ؛ علَى كلّ قبيلة رجلٌ . وتعجّل خالد حتى قدِم على أهلِ العسكر بالبُطاح ، وانتظر البعث الذى ضرِب بالمدينة ؛ فلمّا قدِم عليه نهض حتّى أتى اليَمَامة وبنو حَنيفة يومئذ كثير .

كتب إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو بن العلاء ، عن رجال ، قالوا : كان عددُ بنى حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ، فى قُراها

---

(١) س : « بصوبها » . (٢) ابن الأثير : « بالخبر » .

(٣) ب : « تستثيرون » .

وحُجَرها ، فسار خالد حتى إذا أظلّ عليهم أسندَ خيولاً لعقّة والهُذيل وزياد ؛ وقد كانوا أقاموا على خَرْج أخرجه لهم مُسيلمة ليلحقوا به سجاح . وكتب إلى القبائل من تميم فيهم ؛ فنفروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب ، وعجّل شُرحبيل بن حسنة ، وفعل فِعْل عِكْرمة ، وبادر خالداً بقتال ١/١٩٣١ مُسيْلمة قبل قدوم خالد عليه ؛ فنُكِب ، فحاجَز[1] ؛ فلمّا قدم عليه خالد لامَه ؛ وإنّما أسنَد خالد تلك الخيول مخافةَ أن يأتُوه من خَلْفه ؛ وكانوا بأفْنِيَةِ اليمامة .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن جابر بن فلان ، قال : وأمدّ أبو بكر خالداً بسَليط ؛ ليكون رِدْءاً له مِن أن يأتيَه أحدٌ من خَلْفه ؛ فخرج ؛ فلمّا دنا من خالد وجد تلك الخيول الّتي انتابت تلك البلاد قد فرّقوا ؛ فهربوا ، وكان منهم قريباً رِدْءاً لهم ؛ وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل بدر ؛ أدَعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم ؛ فإنّ الله يدفع بهم وبالصّالحاء من الأمم أكثرَ وأفضلَ ممّا ينتصر[2] بهم ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول : والله لأشرِكنّهم وليُواسُنّني .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عُبيد بن عُمير ، عن أثال الحنفيّ — وكان مع ثُمامة بن أثال — قال : وكان مُسَيلمة يصانع كلّ أحد ويتألّفه[3] ولا يبالي أن يطّلع الناس منه على قبيح ؛ ١/١٩٣٢ وكان معه نهار الرَّجّال بن عُنْفُوَة ، وكان قد هاجر إلى[4] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقرأ القرآن ، وفُقّه في الدّين ، فبعثه مُعَلّماً لأهل اليمامة وليشْغَب على مُسَيلمة ، وليَشْدُد[5] مِنْ أمر المسلمين ؛ فكان أعظم فتنةً على بني حَنيفةَ مِنْ مُسيلمة ؛ شهد له أنّه سمع محمّداً صلّى الله عليه وسلّم يقول : إنه قد أشرِك معه ؛ فصدّقوه واستجابوا له ، وأمروه بمكاتبة النبيّ صلّى الله

(١) حاجز عدوه محاجزة : منعه .

(٢) ب : « مما ينتظر » . (٣) ب : « يتابعه » .

(٤) ز : « مع » . (٥) س : « وليسدد » .

عليه وسلّم ، ووعدُوه إن هو لم يقبل أن يُعينوه عليه ؛ فكان نَهار الرّجّال بن عَنْفوة لا يقول شيئًا إلاّ تابعه عليه ؛ وكان ينتهى إلى أمره ، وكان يؤذّن للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ويشهد فى الأذان أنّ محمدًا رسول الله ؛ وكان الّذى يؤذّن له عبد الله بن النّوّاحة ، وكان الذى يُقيم له حُجَيْر بن عُمَير ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا حُجَيْر من الشهادة ، قال : صَرّح حُجَير ؛ فيزيد فى صوته ، ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نَهار وتضليل مَن كان قد أسلم ؛ فعَظُمَ وَقَارُه فى أنفسهم .

قال : وضرب حَرَمًا باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ النّاس به ، فكان مُحَرّما فوقع فى ذلك الحَرَم قُرَى الأحاليف ؛ أفخاذ من بنى أسَيّد ، كانت دارهم باليمامة ، فصار مكان دارهم فى الحَرَم — والأحاليف : سَيْحان ونُمارة ونمر والحارث بنو جُرْوة — فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتّخذوا الحَرَم دغَلًا[١] ، فإن نَذِرُوا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإن لم ينذروا بهم فذلك ما يريدون . فكثر ذلك منهم حتى استَعْدَوْا عليهم ؛ فقال : أنتظر الّذى يأتى من السماء فيكم وفيهم . ثم قال لهم : « والليل الأطحم[٢] ، والذئب الأدلم[٣] . والجذَع الأزلم[٤] ، ما انتهكت أسَيّدٌ من مَحْرَم » ؛ فقالوا : أما مَحْرم استحلالُ الحَرَم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعُدوى[٥] فقال : أنتظر الذى يأتينى ، فقال : « والليل الدّامس ، والذئب الهامس[٦] ، ما قطعت أسَيّد من رَطْب ولا يابس » ؛ فقالوا : أمّا النخيل مُرْطبة فقد جَدّوها[٧] ، وأمّا الجدران يابسة فقد هَدَموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا فلا حقّ لكم .

١٩٣٢/١

وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إنّ بنى تميم قوم طهر لَقَاحٌ[٨] ، لا مكروه

---

(١) الدغل : ما استترت به .

(٢) الطحمة : سواد الليل .

(٣) الأدلم : الأسود الطويل .

(٤) الجذع الأزلم : الدهر .

(٥) العدوى : العدوان .

(٦) الذئب الهامس : الشديد .

(٧) جدوها : قطعوها .

(٨) قوم لقاح : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سباء .

عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيينا بإحسان ، نمنعهم من كلّ إنسان ؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن » .

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجبُها السود وألبانها . والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب مَحْض ، وقد حرِّم المذق ، فما لكم لا تمجّعون! » .

١٩٣٤/١ وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نُقِّى ما تَنقِّين ، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين » .

وكان يقول : « والمبذّرات زَرْعا ، والحاصدات حَصْدًا ، والذاريات قمحًا ، والطاحنات طحنًا ، والخابزات خُبزًا ، والثاردات ثردًا [1] ، واللاقمات لقمًا ، إهالة وسمنًا ، لقد فضِّلتُم على أهل الوَبر ، وما سبقكم أهل المَدَر ؛ رِيفكم فامنعوه ، والمعترّ [2] فآووه ، والباغى فناوئوه » .

قال : وأتته امرأة من بنى حنيفة تكنى بأمّ الهيثم فقالت : إنّ نخلنا لسُحُق [3] وإن آبارَنا لجُرُز [4] ؛ فادع الله لمائنا ولنخلنا [5] كما دعا محمد لأهل هَزْمان» . فقال : يا نَهار [6] ما تقول هذه ؟ فقال : إنّ أهل هَزْمان أتوْا محمدًا صلّى الله عليه وسلّم فشكَوْا بُعْد مائهم [7] ، وكانت آبارهم جُرُزًا — ونخلهم أنّها سُحُق ، فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانْحَنَتْ كلّ نخلة قد انتهت حتى وضعت جِرانها لانتهائها ، فحكّت [8] به الأرض حتى أنْشَبَتْ عروقًا ثم ١٩٣٥/١ قُطِعت من دون ذلك ، فعَادت فسيلا [9] مكمَّمًا ينمى صاعدًا [10] . قال : وكيف صنع بالآبار ؟ قال : دَعا بسَجْل [11] ، فدعا لهم فيه ،

(١) ثرد الخبز ثردا : فته ثم بله بمرق . (٢) ز : وابن الأثير : « والمعى » .
(٣) سحق : جمع سحوق ؛ وهى الطويلة من النخل .
(٤) ياقوت : « بحرز » ؛ والجرز : الأرض المجدبة .
(٥) ب : « ونخلنا » .
(٦) ياقوت : « فقال لرحال بن عنفوة » .
(٧) ياقوت : « مياههم » .
(٨) ياقوت : « فحكت » .
(٩) الفسيل : صغار النخل ؛ وجمعه فسلان .
(١٠) ياقوت : « صعدا » .
(١١) السجل : الدلو العظيمه إذا كان فيها ماء قل أو كثر ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة

ثم تمضمضَ بفمه [١] منه ، ثم مَجَّهُ فيه ، فانطلقوا به حتى فرّغوه فى تلك الآبار ، ثم سَقَوْه نخلهم ، ففعل النبىّ [٢] ما حدّثتك ، وبقىَ الآخر إلى انتهائه. فدعا مُسَيلمة بدلْوٍ من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض منه ، ثم مجّ فيه فنقلوه فأفرغوه فى آبارهم . فغارت مياه تلك الآبار ، وخَوَى نخلُهم ؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه [٣].

وقال له نهار : بَرِّك على مولودى بنى حنيفة [٤]، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهلُ الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوْا به محمداً صلّى الله عليه وسلّم فحنّكه ومسح رأسه ؛ فلم يؤتَ مسيلمة بصبىّ فحنّكه ومسح رأسه إلاّ قَرِع [٥] ولَثِغ [٦] واستبان ذلك بعد مهلكه .

وقالوا : تَتَبَّعْ حيطانهم كما كان محمد صلّى الله عليه وسلّم يصنع فصلِّ فيها. فدخل حائطاً [٧] من حوائط اليمامة ، فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وَضُوء [٨] الرحمن فتسقىَ به حائطك حتى يَرْوَى ويبتلّ ، كما صنع بنو المهريّة ، أهل بيت من بنى حنيفة — وكان رجل من المهريّة قدم على النبىّ صلى الله عليه وسلم فأخذ وَضُوءَه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه فى بئره ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تَهُوم فَرَويتْ وجَزَأتْ فلم تُلْفَ إلا خضْرَاء مُهْتَزّة — ففعل فعادت يَبَاباً لا ينبت مرعاها .

١٩٣٦/١

وأتاه رجُلٌ فقال : ادْعُ الله لأرضى فإنّها مُسْبِخةٌ ؛ كما دعا محمد صلّى الله عليه وسلّم لسُلمىّ على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال :

---

(١) كذا فى ياقوت ، وفى ط : « بفم » .

(٢) كذا فى ياقوت ، وفى ط : « المنتهى » .

(٣) ياقوت ٨ : ٤٦٤ .

(٤) ابن الأثير : « أمر يدك على أولاد بنى حنيفة » .

(٥) القرع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس ، كالصلع ، أو أشد منه .

(٦) اللثغ : تحول اللسان من السين إلى الثاء ، أو من الراء إلى الغين .

(٧) الحائط هنا : البستان .

(٨) الوضوء ، بالفتح : الماء يتوضأ به .

قدم عليه سلمى ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجْلاً من ماء ، ومجّ له فيه ، فأفرغه فى بئره ، ثم نزع ، فطابت وعَذُبَتْ ؛ ففعل مثل ذلك فانطلق الرّجل ، ففعل بالسَّجْل كما فعل سلمى ، فغرقت أرضه ، فما جفّ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

وأتته امرأة فاستجلبته إلى نخْل لها يدعو لها فيها ، فجزّت كبائسها[1] يوم عَقْرَباء كلّها ؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم ؛ ولكن الشّقاء غلَب عليهم .

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيد بن ذفرة النَّمَرىّ ، عن عمير بن طلحة النَّمرىّ ، عن أبيه ، أنّه جاء اليمامة ، فقال : أين مُسيلمة ؟ قالوا : مه رسول الله ! فقال : لا ، حتّى أراه ؛ فلّما جاءه ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يأتيك ؟ قال : رحمن ، قال : أفى نور أو فى ظلمة ؟ فقال : فى ظلمة ، فقال : أشهد أنّك كذاب[2] وأنّ محمداً صادق ؛ ولكنّ كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مُضَر ، فقتِل معه يوم عقرَباء .

١٩٣٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن الكلبى مثله ؛ إلاّ أنه قال : كذّاب ربيعة أحبّ إلىّ من كذّاب مضر .

وكتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوُّ خالد ، ضرب عسكره بعقرَباء ، واستنفر الناس ، فجعل النّاس يخرجون إليه ، وخرج مَجّاعة بن مُرَارة فى سرّية يطلب ثأرًا له فى بنى عامر وبنى تميم قد خاف فواته ، وبادر به الشغل ، فأمّا ثأره فى بنى عامر فكانت خَوْلة ابنة جعفر فيهم ، فمنعوه منها ، فاختلجها ؛ وأما ثأره فى بنى تميم فنعَمٌ أخذُوا له . واستقبل خالدٌ شُرَحبيل بن حَسَنة ، فقدمه وأمّر على المقدمة خالد بن فلان المخزومىّ ، وجعل على المجنّبتَيْن زيداً وأبا حُذَيفة ، وجعل مُسَيلمة على

---

(١) الكبائس : جمع كباسة ؛ وهى العذق التام بشماريخه وبسره .

(٢) ابن الأثير : « الكذاب » .

مجنّبتيه المحكّم والرّجّال ، فسار خالد ومعه شُرَحبيل ، حتى إذا كان من عسكر مسيلمة على ليلة ، هجم على جُبَيلة[١] هجوم[٢] — المقلّل يقول : أربعين ، والمكثّر يقول : ستين — فإذا هو مجّاعة وأصحابه ، وقد غلبهم الكرَى ، وكانوا راجعين من بلاد بنى عامر ، قد طوَوْا إليهم ؛ واستخرجوا خوْلة ابنة جعفر فهى معهم ، فعرّسوا دون أصل الثنيّة ؛ ثنيّة اليمامة ، فوجدوهم نيامًا وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛ فأنبهوهم ، وقالوا : مَن أنتم ؟ قالوا : هذا مجّاعة وهذه حنيفة ، قالوا : وأنتم فلا حيّاكم الله ! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأتوْه بهم ؛ فظنّ خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتّقوه بحاجته . فقال : متى سمعتم بنا ؟ قالوا : ما شعَرْنا بك ؛ إنّما خرجنا لثأر لنا فيمَن حولنا من بنى عامر وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقّيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا كلّهم بأنفسهم دُون مجّاعة بن مرارة ، وقالوا : إن كنتَ تريد بأهل اليمامة غدًا خيرًا أو شرًّا فاستبق هذا ولا تقتله ؛ فقتلهم خالد وحبس مجّاعة عنده كالرّهينة . ١٩٣٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عِكْرمة ، عن أبى هريرة ، وعبد الله بن سَعيد عن أبى سعيد عن أبى هريرة ، قال : قد كان أبو بكر بعثَ إلى الرجّال فأتاه فأوصاه بوصيّته ؛ ثم أرسله إلى أهل اليمامة ؛ وهو يرى أنّه على الصدق حين أجابه . قالا : قال أبو هريرة : جلستُ مع النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فى رهط معنا الرّجّال ابن عُنْفوة ، فقال : إنّ فيكم لرجلاً ضِرْسه فى النار أعظم من أحُد ؛ فهلك القوم وبقيت أنا والرّجال ، فكنت متخوّفًا لها ؛ حتى خرج الرّجّال مع مُسيلمة . فشهد له بالنبوّة ؛ فكانت فتنة الرّجّال أعظَم من فتنة مُسَيلمة ، فبعث إليهم أبو بكر خالدًا ، فسار حتى إذا بلغ ثنيّة اليَمامة ، استقبل مجّاعة ابن مُرارَة — وكان سيّد بنى حنيفة — فى جِبل[٣] من قومه ، يريد الغارة على ١٩٣٩/١

(١) ب : « حبيلة » . (٢) كذا فى ب . وفى ط : « هجوع » .

(٣) جبل من قومه : أى جماعة منهم .

بنى عامر ، ويطلبُ دمًا ، وهم ثلاثة وعشرون فارسًا ركبانًا قد عرّسوا . فبيّتهم خالد فى معرّسهم ، فقال : متَى سمعتم بنا ؟ فقالوا : ما سمعنا بكم ؛ إنّما خرجنا لنثّئر بدم لنا فى بنى عامر . فأمر بهم خالد فضربتْ أعناقهم ، واستحيا مجّاعة ؛ ثم سار إلى اليمامة ؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين سمعوا بخالد ، فنزلوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم — وهى طرف اليمامة دون الأموال — وريف اليمامة وراء ظهورهم . وقال شُرحبيل بن مُسيلمة : يا بنى حنيفة ، اليومَ يومُ الغَيْرة ، اليوم إن هزمتم تستردَفُ النّساء سبيّات ، ويُنْكحْن غير خطيبات [1] ؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم. فاقتتلوا بعقرباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولَى أبى حذيفة ، فقالوا : تخشى علينا من نفسك شيئًا ! فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً ! وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شمّاس ، وكانت العرب على راياتها ومجّاعة أسيرٌ مع أمّ تميم فى فُسطاطها . فجال المسلمون جَوْلَةً ، ودخل أناس من بنى حنيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلَها ، فمنعها مجّاعة . قال : أنا لها جارٌ ، فنعمَتِ الحرّة هى ! فدفعهم عنها ، وتَرادّ المسلمون ، فكرّوا عليهم ؛ فانهزمت بنو حنيفة ، فقال المحكّم بن الطّفيل : يا بنى حنيفة ، ادخلوا الحديقة ؛ فإنى سأمنع أدباركم ، فقاتلَ دونهم ساعة ثم قتله الله ؛ قتله عبد الرحمن بن أبى بكر . ودخل الكفار الحديقة ، وقتَل وحشىّ مسيلمة ، وضربه رجلٌ من الأنصار فشاركه فيه .

١/١٩٤٠

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، بنحو حديث سيف هذا ؛ غير أنه قال : دعا خالد بمجّاعة ومَنْ أخذ معه حين أصبح ، فقال : يا بنى حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : منّا نبىٌّ ومنكم نبىٌّ ؛ فعرضَهم على السيف ؛ حتى إذا بقىَ منهم رجلٌ يقال له سارية بن عامر ومجّاعة بن مُرارة ، قال له سارية : أيّها الرّجل ؛ إن كنتَ تريد بهذه القرية غدًا خيرًا أو شرًّا ، فاستبقِ هذا الرجل — يعنى مجّاعة — فأمر به خالد فأوثقه فى الحديد ؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته ، فقال : استوصِى به

١/١٩٤١

(١) ط : « حظيات » ، وانظر تصويبات ط وابن الأثير .

خيرًا ، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كثيب مشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم فى مقدمته الرّحّال — قال أبوجعفر ، هكذا قال ابن حميد بالحاء — بن عُنْفوة بن نهشل ؛ وكان الرّحّال رجلاً من بنى حنيفة قد كان أسلم ، وقرأ سورة البقرة ، فلمّا قدم اليمامة شهد لمسيلمة أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد كان أشركه فى الأمر ؛ فكان أعظمَ على أهل اليمامة فتنةً من مسيلمة ؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يثلم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه ؛ فلقيهم فى أوائل النّاس متكتّبًا[1] . وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره ، وعنده أشراف الناس والنّاس على مصافّهم ؛ وقد رأى بارقة فى بنى حنيفة : أبشروا يا معشرَ المسلمين ؛ فقد كفاكم الله أمر عدوّكم . واختلف القوم إن شاء الله ؛ فنظر مجّاعة وهو خلفه موثقًا فى الحديد ، فقال : كلاّ والله ، ولكنها الهُنْدُوانية خشوا عليها من تحطّمها ، فأبرزوها للشمس لتلين لهم ؛ فكان كما قال . فلما التقى المسلمون كان أوّل من لقيهم الرّحال بن عُنْفُوة ، فقتله الله .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيخ من بنى حنيفة ، عن أبى هريرة ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال يومًا — وأبو هريرة ورحّال بن عُنْفوة فى مجلس عنده : « لضِرْسُ[2] أحدكم أيّها المجلس فى النار يوم القيامة أعظم من أحُد » . قال أبو هريرة : فمضى القوم لسبيلهم ، وبقيتُ أنا ورحّال بن عنفوة ، فما زلت لها متخوّفًا ؛ حتى سمعت بمخرَج رحّال ، فأمنت وعرفت أنّ ما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حقّ . ١٩٤٢/١

ثم التقى الناس ولم يلقهم حَرْبٌ قطّ مثلها من حرب العرب ؛ فاقتتل النّاس قتالا شديدًا ؛ حتى انهزمَ المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى مجّاعة وإلى خالد ، فزال خالد عن فُسطاطه ودخل أناسٌ الفسطاطَ وفيه مجّاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجّاعة : مهْ ،

---

(١) س : « متنكبًا » . (٢) ز : « ضرس » .

أنا لها جارٌ ، فنعمَت الحُرَّة ! عليكم بالرجال ، فرعبلوا[1] الفُسطاط بالسيوف . ثم إنّ المسلمين تداعَوْا ، فقال ثابت بن قيس : بئسما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهمّ إنّى أبرأ إليك ممّا يَعْبُد هؤلاء — يعنى أهل اليمامة — وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء — يعنى المسلمين — ثم جالد بسيفه حتى قُتِل . وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم : لا تحوّزٌ بعد الرّحال ، ثم قاتل حتى قتِل . ثم قام البرَاءُ بن مالك أخو أنس[2] بن مالك — وكان إذا حضر الحرب أخذته العُرَوَاء[3] حتى يقعد عليه الرجال ؛ ثم ينتفض تحتهم حتى يبولَ فى سراويله ؛ فإذا بال يثورُ كما يثور الأسد — فلمّا رأى ما صنع الناس أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال ، فلمّا بال وثَب ، فقال : أين يا معشر المسلمين ! أنا البراءُ بن مالك ، هلمّ إلىّ ! وفاءَتْ فئة من النّاس ، فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله ، وخلَصوا إلى مُحكَّم اليمامة — وهو مُحكَّم بن الطُّفيل — فقال حين بلغه القتال : يا معشَر بنى حنيفة ، الآنَ والله تُستحقَب الكرائم غيرَ رضيّات ، ويُنكحن غير خطيبات ؛ فما عندكم من حسَب فأخرجوه . فقاتل قتالا شديداً ؛ ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر الصّدّيق بسهم فوضعه فى نحره فقتله . ثم زحف المسلمون حتى ألْجئوهم إلى الحديقة ؛ حديقة الموت ؛ وفيها عدوّ الله مُسيلمة الكذاب ، فقال البرَاء : يامعشَر المسلمين ، ألقونى عليهم فى الحديقة . فقال الناس : لا تفعل يا برَاء ، فقال : والله لتطرَحنّى عليهم فيها ؛ فاحتمِل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة ، حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ؛ فاقتتلوا حتى قتل الله مسيلمة عدوّ الله ؛ واشترك فى قتله وَحْشىٌّ مولى جُبيْر بن مطعِم ورجل من الأنصار ، كلاهما قد أصابه ؛ أمّا وحشىٌّ فدفع عليه حربَته ، وأمّا الأنصارىُّ فضربَه بسيفه ، فكان وحشىّ يقول : ربّك أعلم أيّنا قتله !

١/١٩٤٣

(١) رعبلوا الفسطاط ، أى مزقوه

(٢) س : « أخ لأنس » .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ؛ وهى فى الأصل برد الحمى .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : وحدّثنى محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عُمَر ، قال : سمعتُ رجلاً يومئذ يصرُخ يقول ، قتله العبد الأسود ! ١/١٩٤٤

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلْحة ، عن عبيد بن عُميْر ، قال : كان الرّجالُ بحيال زيد بن الخطاب ؛ فلمّا دنا صَفّاهما ، قال زيد : يا رجّال ، الله الله ! فوالله لقد تركت الدّين . وإن الذى أدعوك إليه لأشرفُ لك ، وأكثرُ لدنياك[1] . فأبى ، فاجتلدا فقُتِل الرجّال وأهل البصائر من بنى حنيفة فى أمر مسيلمة ، فتذامروا وحمل كلُّ قوم فى ناحيتهم ؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرَهم ، ثم أعْرَوْه لهم ، فقطعُوا أطناب البيوت ، وهتكُوها ، وتشاغلوا بالعسكر ، وعالجوا مجّاعة ؛ وهمّوا بأمّ تميم ، فأجارها ؛ وقال : نِعْمَ أمُّ المَثْوَى ! وتذامر زيْدٌ وخالد وأبو حذيفة ، وتكلّم النّاس — و[كان][2] يوم جَنوب له غبار — فقال زيد : لا والله لا أتكلّم اليوم حتى نهزمهم أو ألقَى الله فأكلّمه بحُجّتى ! عضُّوا على أضراسكم أيّها الناس ، واضربوا فى عدوّكم ، وامضوا قدُمًا . ففعلوا ، فردّوهم إلى مصافّهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التى حيزوا إليها من عسكرهم ، وقُتل زيد رحمه الله . وتكلّم ثابت فقال : يا معشَر المسلمين ، أنتم حزْبُ الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزّة لله ولرسوله ولأحزابه ، أرُونى كما أريكم[3] ، ثم جلد فيهم حتى حازهم[4] . ١/١٩٤٥ وقال أبو حذيفة : يا أهلَ القرآن ، زيّنوا القرآن بالفِعال . وحمل فحازهم حتى أنفذهم ، واصيب رحمه الله ، وحمل خالد بن الوليد ، وقال لحُماته : لا أوتيَنّ من خلفى . حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفُرْصة ويرْقُب مسيلمة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبَشّر بن الفُضَيْل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لمّا أعْطِىَ سالم الراية يومئذ ، قال : ما أعلمَنى لأىّ شىء أعطيتمونيها ! قلتم : صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها

(١) ز « وأكبر لك » .
(٢) من ز .
(٣) ز : « أراكم » .
(٤) س : « جاوزهم أبعد مما جاوزهم » .

قبله حتى مات ! قالوا : أجل . وقالوا : فانظر كيف تكون ؟ فقال : بئس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ! وكان صاحبُ الراية قبله عبدَ الله بن حفص بن غانم .

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق : فلمّا قال مجّاعة لبني حنيفة : ولكن عليكم بالرِّجال ، إذا فئة من المسلمين قد تذامروا بينهم فتفانَوْا وتفانَى المسلمون كلّهم . وتكلّم رجالٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال زيد بن الخطاب : والله لا أتكلّم أو أظفر أو أقتل ، واصنعوا كما أصنعُ أنا ؛ فحمل وحمل أصحابه . وقال ثابت بن قيس : بئسما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! هكذا عنِّي حتى أريكم الجلاد . وقُتِل زيد بن الخطاب رحمه الله .

كتب إليّ السريّ ، قال : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن مبشّر ، عن سالم ، قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألاّ هلكت قبل زيد ! هلك زيد وأنت حيّ ! فقال : قد حرَصتُ على ذلك أن يكون ، ولكنّ نفسي تأخّرَتْ ، فأكرمه الله بالشّهادة . وقال سهل : قال : ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألاّ واريتَ وجهك عنّي ! فقال : سأل الله الشهادة فأعطيها ، وجهدتُ أن تُساقَ إليّ فلم أعطَها . ١٩٤٦/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ، عن عُبيد بن عمير : إنّ المهاجرين والأنصار جبّنوا أهل البوادي وجبّنهم أهلُ البوادي ، فقال بعضهم لبعض : امتازوا كي نستحيا من الفرار اليوم ، ونعرف اليوم من أين نؤتى ! ففعلوا . وقال أهلُ القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشرَ أهل البادية منكم ، فقال لهم أهل البادية : إنّ أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فستَرَوْنَ إذا امتزنا[1] من أين يجيء الخلل ! فامتازوا ، فما رُئي يوم كان أحدّ ولا أعظم نكايةً مما رُئِيَ يومئذ ؛ ولم يُدْرَ أيّ الفريقين كان أشدّ فيهم نكاية ! إلاّ أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثرَ منها في أهل البادية ، وأنّ البقيّة أبداً في الشدّة .

ورَمى عبدُ الرّحمن بن أبي بكر المحكّمَ بسهم فقتله وهو يخطب ، فنحره ١٩٤٧/١

(١) كذا في ب ، وفي ط : « امتزتحا » .

وقَتَل زيدُ بن الخطاب الرجَّال بن عُنْفوة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضَّحاك بن يربوع ، عن أبيه ، عن رجل من بنى سُحَيْم قد شهدها مع خالد ، قال : لمَّا اشتدّ القتال — وكانت يومئذ سِجَالا إنَّما تكون مرة على المسلمين ومرّة على الكافرين — فقال خالد : أيُّها الناس امتازوا [١] لنعلَم بلاء كلّ حىّ ، ولنعلم من أين نؤتَى ! فامتاز أهلُ القُرى والبوادى ، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ؛ فوقف بنو كلّ أب على رايتهم ، فقاتلوا جميعًا . فقال أهل البَوادى يؤمئذ : الآن يستحرّ القتل فى الأجزع الأضعف . فاستحرّ القتل فى أهل القرى ، وثبت مسيلمة ، ودارت رحاهم عليه . فعرف خالدٌ أنَّها لا تركُد إلاّ بقتل مسيلمة ؛ ولم تحفْل بنو حنيفة بقتل مَن قتل منهم . ثم برز خالد ، حتى إذا كان أمام الصفّ دعا إلى البِراز وانتمى ، وقال : أنا ابنُ الوليد العوْد ، أنا ابن عامر وزيد ! . ونادى بشعارهم يومئذ . وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ! فجعل لا يبرز له أحدٌ إلا قتله ، وهو يرتجز :

أنَا ابنُ أَشياخٍ وَسَيْفِى السَّخْتْ أعظمُ شىء حين يأتيك النَّفْتْ

ولا يبرُز له شىء إلا أكله . ودارت رحا المسلمى وطحنت . ثم نادى خالد حين دنا من مُسَيلِمة — وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالَ : إنّ مع مسيلمة شيطانًا لا يعصيه . فإذا اعتَراه أزْبَدَ كأنّ شِدْقيه زَبيبتَان لايهمّ بخير أبدًا إلا صَرفه عنه . فإذا رأيتم منه عَوْرة ، فلا تُقيلوه العَثْرةَ — فلمَّا دنا خالدٌ منه طلب تلك ، ورآه ثابتًا ورحاهم تَدور عليه ؛ وعرف أنَّها لا تزول إلا بزواله . فدعا مسيلمة طلبًا لعورته ، فأجابه ، فعرض عليه أشياءَ ممَّا يشتهى مسيلمة ، وقال : إن قبِلنا النّصف ، فأىّ الأنصاف تعطينا ؟ فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه مستشيرًا [٢] ، فينهاه [٣] شيطانه أن

١٩٤٨/٤

---

(١) امتازوا ، أى تفرقوا وانفصلوا .

(٢) ب : « مستنيراً » . ابن الأثير : « يستشير شيطانه » .

(٣) ر : « فيها » .

يقبلَ ، فأعرضَ[١] بوجهه مرّة من ذلك ؛ وركبه خالدٌ فأرهقه فأدبر ، وزالوا فذمَّرَ خالد النّاس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم ! وركبوهم فكانت هزيمتهم ؛ فقال مسيلمةَ حين قام ، وقد تطاير النّاس عنه ، وقال قائلون : فأين ما كنتَ تَعِدُنا ؟ فقال : قاتِلُوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكّم : يا بنِي حنيفة ؛ الحديقةَالحديقة ! ويأتى وحشىٌّ على مسيلمة وهو مُزْبِدٌ متساندٌ لا يعقل من الغيظ ، فخرَط عليه حربتَه فقتله ، واقتحم النّاس عليهم حديقةَ الموت من حيطانها وأبوابها ، فقُتِل فى المعركة ، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة ، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفة تبِعهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى بلَغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلفوا فى قتل مُسيلمةَ عندها ، فقال قائلون : فيها قُتل . فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البَراء بن مالك ، فقال : يا معشَر المسلمين ، احملونى على الجِدار حتى تطرحونى عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجِدار نظر وأرْعِد فنادى : أنزلونى ، ثم قال : احملونى ؛ ففعل ذلك مرارًا ثم قال : أفّ لهذا خَشَعا ! ثم قال : احملونى ، فلمّا وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتّى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمَى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتتلوا قتالا شديدًا لم يروْا مثله ، وأبِيرَ[٢] مَن فى الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله مسيلمة ؛ وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا ! قال : قاتلوا عن أحسابكم !

١٩٤٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن هاوون وطلحة وابن إسحاق ، قالوا : لمّا صرخ الصارخ أنّ العبد الأسود قتل مسيلمة ؛ خرج

(١) ب : « فاعترض » .
(٢) أبير : أهلك .

خالد بمجّاعة يرسُفُ فى الحديد ليُرِيَه مُسيْلمة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجّال فقال : هذا الرجّال !

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمَّا فرَغ المسلمون من مُسيلِمة أتِى خالد فأخبِر ، فخرج بمجّاعة يرسفُ معه فى الحديد ليَدلّه على مُسَيلِمة ، فجعل يكشِف له القتلى حتّى مرّ بمحكّم بن الطُّفَيل — وكان رجلا جسيمًا وَسيمًا — فلمَّا رآه خالد، قال : هذا صاحبكم . قال : لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا محكّم اليمامة . قال : ثمّ مضى خالد يكشف له القتلى حتّى دخَل الحديقة ، فقلّب له القتلى ؛ فإذا رُوَيْجل أصيفر أخَيْنس[1] . فقال مجّاعة : هذا صاحبكم ، قد فرَغتم منه ، فقال خالد لمجّاعة : هذا صاحبكم الّذى فعل بكم ما فعل ، قال : قد كان ذلك يا خالد ، وإنّه والله ما جاءك إلاّ سرَعان[2] الناس ؛ وإنّ جماهير النّاس لَفِى الحصون[3] . فقال : ويلك ما تقول ! قال : هو والله الحقّ ؛ فهلمّ لأصالحك[4] على قومى. ١/١٩٥٠

كتبَ إلىّ السَّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضّحاك ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بنى عامر بن حنيفة يُدْعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ، وكان أغلظَ أهلِ زمانه عُنُقًا ؛ فلمَّا انهزم المشركون يومئذ ، وأحاط المسلمون بهم ، تَماوَتَ ، فلمَّا أثبتَ المسلمون فى القتلى أتى رجلٌ من الأنصار يكنى أبا بَصيرة ومعه نفرٌ عليه ، فلمَّا رأوه مُجدّلا فى القتلَى وهم يحسبونه قتيلا ، قالوا : يا أبا بصيرة ، إنّك تزعم — ولم تزل تزعم — أنّ سيفك قاطع ، فاضرب عنُق هذا الأغلب الميّت ،فإنْ قطعته فكلّ شىء كان يبلغنا حقّ ، فاخترطه ثمّ مشى إليه ولا يروْنه إلاّ ميتًا ، فلمَّا دنا منه ثار ،

(١) الأخينس : تصغير الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة .
(٢) سرعان الناس ، بالتحريك ويخفف : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .
(٣) ز : « فى الحصون » .
(٤) ز : « فلأصالحك » .

فحاضره[١] ، واتّبعه أبو بصيرة ، وجعل يقول : أنا أبو بصيرة الأنصاريّ ! وجعل الأغلب يتمطّر[٢] ولا يزداد منه إلا بُعْدًا ؛ فكلّما قال ذلك أبو بصيرة ، قال الأغلب : كيف ترى عَدْوَ أخيك الكافر ! حتى أفلت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لمّا فرغ خالد من مُسيلمة والجند ، قال له عبد الله ابن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر : ارتحِلْ بنا وبالنّاس فانزل على الحصون ، فقال : دعانى أبُثّ الخيولَ فألقط[٣] مَن ليس فى الحصون ، ثم أرى رأيى . فبثّ الخيول فحَوَوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان ، فضمّوا هذا إلى العسكر ، ونادى بالرّحيل لينزل على الحصون ، فقال له مجّاعة : إنّه والله ما جاءك إلاّ سَرَعان الناس ، وإنّ الحصون لمملوءة رجالاً ، فهلمّ لك إلى الصّلح على ما ورائى ، فصالحه على كلّ شىء دون النفوس . ثم قال[٤] : أنطلقُ إليهم فأشاورهم وننظر فى هذا الأمر ؛ ثمّ أرجع إليك . فدخل مجّاعة الحصون ، وليس فيها إلاّ النساء والصبيان ومشيخة فانية ، ورجال ضَعْفَى[٥] فظاهَرَ الحديد على النساء وأمرهنّ أن ينشرن[٦] شعورهنّ ، وأن يُشْرِفْن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهنّ ؛ ثم رجع فأتى خالدًا فقال : قد أبوْا أن يُجيزوا ما صنعتُ ، وقد أشرف لك[٧] بعضهم نقضًا علىّ وهم منّى بُرَآء . فنظر خالد إلى رءوس الحصون وقد اسودّت ، وقد نَهَكَتَ المسلمين الحرب ، وطال اللقاء ؛ وأحبّوا أن يرجعوا على الظَّفَر ، ولم يدروا ما كان كائنًا لو كان فيها رجال وقتال[٨] ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصَبة المدينة يومئذ ثلثمائة وستون . قال سهل : ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلثمائة

١٩٥١/١

---

(١) حاضره : جالده .
(٢) تمطر : أسرع فى عدوه ؛ وأصله فى الخيل .
(٣) ز : « فألتقط » .
(٤) النويرى : « ثم قال مجاعة » .
(٥) س : « ضعفاء » .
(٦) النويرى : « بنشر » .
(٧) ن : « لكم » .
(٨) ب ، س : « أو قتال » .

من هؤلاء وثلثمائة من هؤلاء ؛ ستمائة أو يزيدون . وقتل ثابت بن قيس يومئذ ؛ قتله رجل من المشركين قُطعت رجلُه ، فرمى بها قاتله فقتله . وقتِل من بنى حنيفة فى الفضاء بعَقْرَباء سبعة آلاف ، وفى حديقة الموت سبعة آلاف ؛ وفى الطلب نحوٌ منها[1] .

١ / ١٩٥٢

وقال ضِرارُ بن الأزْوَر فى يوم اليمامة :

ولو سُئِلتْ عنّا جَنُوبُ لأخْبَرَتْ عشيّةَ سالَتْ عَقْرَباء ومَلْهَم[2]

وسال بفَرْع الوادِ حتى تَرَقْرَقَتْ حجارتُه فيها من القوم بالدَّمِ[3]

عشيّةَ لا تُغنى الرِّماحُ مكانَها ولا النّبْلُ إلّا المَشْرَفىُّ المُصَمِّمُ[4]

فإن تَبْتَغى الكفّارَ غير مُليمَةٍ جَنُوب ، فإنّى تابعُ الدين مُسْلِمُ

أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمةً ولَلّهُ بالمَرْء المجاهدِ أعلمُ

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال مجّاعة لخالد ما قال إذ قال له : فهلمّ لأصالحك عن قومى لرجل قد نهكتْه الحرب ، وأصيب معه من أشراف الناس مَنْ أصيب ؛ فقد رقّ وأحبّ الدَّعَةَ والصُّلْح . فقال : هلمّ لأصالحك[5] ، فصالحه على الصّفْراء والبَيْضاء والحَلْقة ونصف السَّبْى . ثم قال : إنّى آتِى القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت . قال : فانطلق إليهم[6] ، فقال للنساء : البَسْنَ الحديد ثم أشْرِفنَ على الحصون ، ففعلن . ثم رجع إلى خالد ، وقد رأى خالدٌ الرِّجال فيما يرى على الحُصُون عليهم الحديد . فلمّا انتهى إلى خالد ، قال : أبَوْا ما صالحتُك

١ / ١٩٥٣

---

(١) س : « مثلها » .

(٢) معجم البلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) فى البيت إقواء .

(٤) المصمم من السيوف : الذى يمر فى العظام .

(٥) ز : « أصالحك » .

(٦) ز : « قال القوم » .

عليه ، ولكنْ إن شئتَ صنعت [لك][1] شيئًا ، فعزمتُ على القوم . قال : ما هو ؟ قال : تأخذُ منّى رُبْعَ السَّبْى وتَدَعُ ربعًا . قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتُك ، فلمّا فرغا فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلاّ النّساء والصّبْيان ، فقال خالد لمجّاعة : ويحك خدعتَنى ! قال : قومى ، ولم أستطع إلاّ ما صنعت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، قال : قال مجّاعة يومئذ ثانية : إن شِئت أن تقبل منى نِصْفَ السَّبْى والصَّفْراء والبيضاء والحلْقة والكُراع عزمت وكتبت الصُّلْحَ بينى وبينك . ففعل خالد ذلك ، فصالحه على الصَّفْراء والبَيْضاء والحلْقة والكُراع ِ وعلى نصف السبْى وحائط من كلّ قرية يختاره خالد ، ومزرعة يختارها خالد . فتقاضَوْا على ذلك ، ثم سرّحه ، وقال : أنتم بالخيار ثلاثًا ؛ والله لئن تُتمُّوا وتقبلوا لأنهدَنّ إليكم ، ثم لا أقبل منكم خَصْلةأبدًا إلاّ القتل .فأتاهم مجّاعة فقال : أمّا الآن فاقبلوا ، فقال سلَمة بن عمير الحنفىّ : لا والله لا نقبل ؛ نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل ولا نقاضى خالدًا ، فإنّ الحصون حصينة والطعام كثير ، والشتاء قد حَضَر . فقال مجّاعة : إنّك امرؤٌ مشئوم ، وغرّك أنّى خدعت القوم حتى أجابونى إلى الصلح ، وهل بقِىَ منكم[2] أحد فيه خيرٌ ، أو به دَفْع !وإنّما أنا بادَرتكم[3] قبل أن يصيبَكم ما قال شرحبيل بن مسيلمة ، فخرج مجّاعة سابع سبعة حتى أتى خالدا ، فقال : بعد شدّ[4] مارضوا ؛ اكتب كتابك ، فكتب : ١٩٥٤/١

هذا[5] ما قاضى عليه خالد بن الوليد بن مجّاعة بن مرارة وسلَمة بن عمير وفلانا وفلانا ؛ قاضاهم على الصَّفْراء والبَيْضاء ونصف السَّبْى والحلْقة والكُراع وحائط من كلّ قرية ؛ ومزرعة ؛ على أن يُسْلموا[6] . ثمّ أنتم آمنون بأمان الله ِ؛ ولكم ذمّة خالد بن الوليد وذمّة أبى بكر خليفة رسول ِ الله

---

(١) من ز . (٢) ب : « فيكم » .
(٣) س : « أبادر بكم » . (٤) ط : « شر » ، وانظر التصويبات .
(٥) قبلها فى النويرى : « بسم الله الرحمن الرحيم » .
(٦) س : « تسلموا » .

صلّى الله عليه وسلّم ، وذمّة[1] المسلمين على الوفاء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة ، عن أبى هريرة ، قال : لمّا صالح خالد مجّاعة ؛ صالحه على الصّفْراء والبيضاء والحلْقة وكلّ حائط رضانا فى كلّ ناحية ونصف المملوكين . فأبوْا ذلك ، فقال خالد : أنتَ بالخيار ثلاثةَ أيام ، فقال سلَمة بن عُمَير : يا بنى حنيفة ، قاتلوا عن أحسابكم ، ولا تصالحوا على شىء ، فإنّ الحصْنَ حصين ، والطعام كثير وقد حضر الشّتاء . فقال مجّاعة : يا بنى حنيفة ، أطيعونى واعصوا سلَمة ، فإنّه رجلٌ مشئوم ، قبل أن يصيبكم ما قال شُرَحبيل بن مسيلمة « قَبْل أن تُستَرْدف النساء غَير رضيّات ، وينكَحْن غير خطيبات » . فأطاعوه وعَصَوْا سلَمة ، وقبلوا قضيّته . وقد بعث أبو بكر رضى الله عنه بكتاب إلى خالد مع سلَمة بن سَلامة بن وقْش ، يأمره إن ظفّره الله عزّ وجلّ أن يقتل مَنْ جرَت عليه المواسِى من بنى حنيفة ، فقدِم فوجده قد صالحهم ، فوفَى لهم ، وتمّ على ما كان منه ، وحُشرت بنو حنيفة إلى البَيْعة والبَراءة ممّا كانوا عليه إلى خالد ، وخالد فى عسكره ؛ فلمّا اجتمعوا قال سلَمة بن عمير لمجّاعة : استأذِن لى على خالد أكلّمْه فى حاجة له عندى ونصيحة — وقد أجمع أن يفتك به — فكلّمه فأذن له ، فأقبل سلَمة بن عُمَير ، مشتملاً على السيف يريد ما يريد ، فقال : مَن هذا المقبل ؟ قال مجّاعة : هذا الّذى كلّمتك فيه ، وقد أذنت له ، قال : أخرِجوه عنّى ؛ فأخرجوه عنه ، ففتشوه فوجدوا معه السيف ، فلعنوه وشتموه وأوثقوه ، وقالوا : لقد أردت أن تهلك قومك ، وايم الله ما أردت إلا أن تُستَأصَلَ بنو حنيفة ، وتسبى الذريّة والنساء ؛ وايم الله لو أن خالداً علم أنك حملت السلاح لقتلك ، وما نأمنه إن بلغه [ذلك أن يقتلك و][2] أن يقتُل الرجال ويسبى النّساء بما فعلت ؛ ويحسب أنّ ذلك عن مَلإٍ منّا . فأوثقوه وجعلوه فى الحِصْن ؛ وتتابع بنو حنيفة على البَرَاء ممّا كانوا عليه ، وعلى الإسلام ، وعاهدهم سلَمة على ألاّ يُحدث حدثًا ويعفوه ، فأبوْا ولم يثقوا بحُمْقه أن يقبلوا منه عهدًا ، فأفلت

١٩٥٥/١

١٩٥٦/١

---

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « ذمم » . (٢) من ز .

ليلاً ؛ فعمَد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرَس (١) ، وفزعتْ بنُو حنيفة ، فاتّبعوه فأدركوه فى بعض الحوائط ، فشدّ عليهم بالسيف ؛ فاكتنفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلْقه فقطع أوداجَه ، فسقط فى بئر فمات .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال : صالح خالدٌ بنى حنيفة جميعاً إلاّ ما كان بالعرْض والقريّة فإنهم سُبُوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبى بكر ممّن جرَى عليه القسمُ بالعرْض والقُريَّة من بنى حَنيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكُر ، خمسمائة رأس .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالداً قال لمجّاعة : زَوّجْنِى ابنتَك ، فقال له مجّاعة : مهلاً ، إنّك قاطع ظهرى وظهرك معى عند صاحبك . قال : أيها الرّجل ، زَوّجْنِى ؛ فزوّجه ؛ فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم : لَعمرى يا بنَ أمّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النّساء وبفناء بيتك دَمُ ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجْففْ بعد ! قال : فلمّا نظر خالد فى الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيْسر — يعنى عمر بن الخطاب — وقد بعث خالد بن الوليد وفداً من بنى حَنيفة إلى أبى بكر ، فقدِموا عليه . فقال لهم أبو بكر : وَيْحكم ! ما هذا الذى استزلّ منكم ما استزّل ! قالوا : يا خليفةَ رسول الله ؛ قد كان الّذى بلغك ممّا أصابنا كان أمرًا لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال : على ذلك (٢) ، ما الّذى دعاكم به ! قالوا : كان يقول : « يا ضِفْدَع نقّى نِقّى ، لا الشارِبَ تمنعين ، ولا الماء تكدّرين ؛ لنا نصف الأرض ، ولقريش (٣) نصف الأرض ؛ ولكنّ قريشاً قوم يَعْتدون » .

قال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ! إنّ هذا لكلام (٤) ما خرج من إلّ (٥) ولا برّ ، فأين يُذهب بكم ! فلمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة — وكان منزله الذى به التقى الناس أباض : واد من

(١) ز : « الحراس » .
(٢) ز : « ذاك » .
(٣) ز : « ولكم » .
(٤) ز : « كلام » ، النويرى : « الكلام » .
(٥) الإل : العهد والقرابة .

أودية اليمامة . ثم تحوّل إلى وادٍ من أوديتها يقال له الوَبَر – كان[١] منزله بها .

* * *

ذكر خبر
أهل البَحْرَيْن وردّة الحُطَم ومَنْ تجمّع معه بالبحرين

قال أبو جعفر : وكان فيما بلَغنا من خَبَر أهل البحرين وارتداد مَن ارتدّ منهم ما حدّثنا عبيد الله بن سعد[٢] ، قال : أخبرَنا عمّى يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سَيْف ، قال : خرج العَلاء بن الحضرمىّ نحو البحرين ؛ وكان من حديث البحريْن أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم والمنذر بن ساوى اشتكيا فى شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد النبىّ صلى الله عليه وسلّم بقليل ، وارتدّ بعده أهلُ البحرين ، فأمّا عبد القيس ففاءت . وأمّا بكر فتمّت على رِدّتها ؛ وكان الّذى ثنَى عبدَ القيس الجارودُ حتى فاءوا[٣] . ١٩٥٨/١

حدّثنا عُبيد الله ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرَنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : قَدِم الجارود بن المُعَلَّى عَلَى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم مرتدّا ، فقال : أسلِم يا جارود ، فقال : إنّ لى دينًا ، قال له النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّ دينَك يا جارود ليس بشىء ، وليس بدين ؛ فقال له الجارود : فإنْ أنا أسلمت فما كان من تبِعة فى الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم ومكث بالمدينة حتى فُقّه[٤] . فلما أرادَ الخروج ، قال : يا رسولَ الله ، هل نجدُ[٥] عند أحد منكم ظهرًا نتبلّغ[٦] عليه ؟ قال : ما أصبح عندنا ظهر ، قال : يا رسول الله ؛ إنّا

(١) كذا فى س ، وفى ط : « وكان » .
(٢) كذا فى الأغانى ؛ وفى ط : « عبيد الله بن سعيد » ؛ وانظر تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد.
(٣) الخبر فى الأغانى ١٥ : ٢٥٥ (دار الكتب) . وروايته : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ، ففاءت عبد القيس منهم ، وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذى ثنى عبد القيس الجارود بن على » .
(٤) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٥ : ٢٥٦ .
(٥) ب : « ما نجد » .
(٦) ب : « يتبلغ عليه » .

نَجِد بالطريق ضَوالّ من هذه الضوالّ ، قال : تلك حَرَقُ النار ، فإيّاك وإيّاها . فلمّا قدم على قومه دعاهم إلى الإسلام فأجابوه كلُّهم ، فلم يلبث إلاّ يسيرًا حتى مات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فقالت عبد القيس : لو كان محمدٌ نبيًّا لما مات؛ وارتدوا، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم ، ثم قام فخَطَبهم ، فقال : يا معشرَ عبد القيس ؛ إنى سائلُكم عن أمر فأخبرونى به إن علمتموه ولا تجيبونى إن لم تَعْلموا[١]. قالوا: سلْ عمَّا بدا لك، قال: تعلمون[٢] أنَّه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونه[٣] أو ترونه ؟ قالوا : لا بل نعلمه، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال: فإن محمدًا صلّى الله عليه وسلّم مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله ، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله؛ وأنّك[٤] سيِّدنا وأفضلُنا . وثبتوا على إسلامهم ، ولم يبسطوا ولم يُبْسَط إليهم وخلَّوْا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين ، فكان المنذر مشتغلاً بهم حياته ، فلمّا مات المنذر حُصِر أصحاب المنذر فى مكانين حتى تنقّذهم[٥] العلاء . ١٩٥٩/١

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال فى ذلك ما حدّثنا به ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة عنه ، قال : لمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة بعث أبو بكر رضى الله عنه العلاء بن الحضرمىّ . وكان العلاء هو الّذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدىّ، فأسلم المنذر، فأقام بها العلاء أميرًا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفَّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمرو بن العاص بعُمان ، فتوفّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمرو بها فأقبل عمرو ، فمرّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت[٦] فدخل عليه فقال المنذر له :

---

(١) ز : « تعلموه » .
(٢) س : « أتعلمون » .
(٣) س : « أتعلمونه » .
(٤) ز : « وأنت » .
(٥) النويرى : « أنقذهم » .
(٦) ز : « فى الموت » .

١/١٩٦٠ كم كان رسُول الله صلى الله عليه وسلم يجعل للميّت من المسلمين من ماله عند وفاته ؟ قال عمرو : فقلت له : كان يجعل له الثّلُث ؛ قال : فما ترى لي أن أصنع فى ثلُث مالى ؟ قال عمرو : فقلت له : إن شئت قسمتَه فى أهل قرابتك ، وجعلتَه فى سبيل الخير ؛ وإن شئت تصدّقت به فجعلته صدقةً مُحرَّمة تجرى من بعدك على مَنْ تصدّقت به عليه . قال : ما أحبّ أن أجعل من مالى شيئاً محرّماً كالبَحيرة والسّائبة والوَصيلة والحامِى[1] ولكن أقسمه ، فأنفذه على مَنْ أوصيتُ به له يصنع به ما يشاء .

قال : : فكان عمرو يعجب لها[2] من قوله . وارتدّت ربيعة بالبحرين فيمَن ارتدّ من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حَنَش بن مُعَلّى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومَن معه من قومه ، وقامَ حين بلغته وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ، وأكفّر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدّت ، فقالوا : نردُّ الملكَ[3] فى آل المنذر ، فملّكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمّى الغَرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لستُ بالغَرُور ؛ ولكنّى المغرور[4]

حدّثنا عُبيد الله بن سعد ، قال : أخبرَنا عمّى ، قال : أخبرنا سَيفٌ ،

---

(١) هو ما تضمنته الآية الكريمة : ﴿ مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ ولا حَامٍ ﴾ قال الزمخشرى : « كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها ، أى شقوها وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعيى لم يركبها ، واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقتى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة ، فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم ؛ فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى » .

(٢) س : « بها » .

(٣) الأغانى : « ردوا » .

(٤) الأغانى ١٥ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) .

١/١٩٦١ عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَيْر بن فلان العَبْدِيّ ، قال : لمّا مات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خرج الحُطَمُ بن ضُبَيْعة أخو بنى قيس بن ثعلبة فيمَن[١] اتّبعه من بكر بن وائل على الرّدّة ، ومَنْ تأشّب[٢] إليه من غير المرتدّين ممّن لم يزل كافرًا ، حتى نزل القَطيف وهَجَر ؛ واستغوى الخطّ ومن فيها من الزُّطّ والسّيابجة ، وبَعث بعثًا إلى دارين ، فأقاموا له ليجعلَ عبدَ القَيْس بينه وبينهم ، وكانوا مخالفين لهم ، يمدّون المنذر والمسلمين ؛ وأرسل إلى الغَرور بن سُوَيد ، أخي النعمان بن المنذر ؛ فبعثه إلى جؤاثى ، وقال : اثبت ، فإنّى إن ظفرت ملّكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة[٣]. وبعث إلى جؤاثى ، فحصرهم وألحّوا عليهم[٣] فاشتدّ على المحصورين الحصر[٤]. وفى المسلمين المحصورين رَجُل من صالح المسلمين يقال له

١/١٩٦٢ عبد الله بن حذَف ؛ أحد بنى أبى بكر بن كلاب ، وقد اشتدّ عليه وعليهم الجوع حتى كادوا أن يهلكوا . وقال فى ذلك عبد الله بن حذَف :

ألا أبْلغْ أبا بَكْر رسولاً   وفتْيانَ المدينة أجمَعينا
فهل لكُمُ إلى قومٍ كِرَامٍ   قُعُود فى جُؤاثَى مُحْصَرينا!
كأنّ دِمَاءَهُمْ فى كلّ فَجّ   شُعَاعُ الشّمس يغشَى الناظرينا
توكّلْنا على الرّحمن إنّا   وَجَدْنا الصّبْرَ للمتوكّلينا[٥]

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب[٦] بن عطيّة ابن بلال ، عن سَهْم بن مِنْجاب ، عن مِنْجاب بن راشد ، قال : بعث أبو بكر العَلاء بن الحضرمىّ على قتال أهل الرّدّة بالبحرين ؛ فلمّا أقبل إليها ، فكان بحيال اليمامة ، لحِقَ به ثُمامة بن أثال فى مُسْلِمة بنى حنيفة

(١) الأغانى : « ومن اتبعه » .
(٢) تأشب إليه : تجمع من هاهنا وها هنا
(٣ – ٣) الأغانى : « وبعث إلى رواتا ، وقيل ، جؤاثى فحاصرهم ، وألح عليهم » .
(٤) الأغانى : « فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين » .
(٥) الأغانى ١٥ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (٦) الأغانى : « الصقعب » .

من بنى سُحَيْم ومن أهل القرى من سائر بنى حنيفه ، وكان متلدّداً ؛ وقد ألحق[1] عكرمة بعُمان ثم مَهْرة ، وأمَر شُرحبيل بالمقام حيث انتهى إلى أن يأتيه أمرُ أبى بكر ، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الرّدّة من قُضَاعة . فأمّا عمرو بن العاص فكان يُغاور سعداً وَبليًّا وأمَر هذا بكلْب ولِفّها ، فلمّا دنا منّا ونحن فى عَلْيا البلادِ لم يكن أحدٌ له فرس من الرِّباب وعمرو بن تميم إلاّ جنَبَه ، ثم استقبله ؛ فأمّا بنو حنظلة فإنّهم قدّموا رِجْلا وأخّروا أخرى . وكان مالك بن نُوَيرة فى البُطاح ومعه جُموع يساجلنا ونساجله. وكان وكيع بن مالك فى القَرْعاء معه جموع يُساجل عمرا وعمرو يساجلُه ، وأمّا سعد بن زيد مناة فإنّهم كانوا فِرْقتين ؛ فأمّا عوف والأبناء فإنّهم أطاعوا الزِّبْرقان بن بدر ، فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذَبُّوا عنه ؛ وأمّا المُقاعس والبُطون فإنّهما أصاخا ولم يتابعا ؛ إلاّ ما كان من قَيْس بن عاصم ؛ فإنّه قسّم الصدقات التى كانت اجتمعت إليه فى المقاعس والبطون حين شخص الزِّبْرقان بصَدقات عَوْفٍ والأبناء ؛ فكانت عوف والأبْناء مشاغيل بالمُقاعس والبطون . فلمّا رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرِّباب وعمرو من تلقّى العلاء نَدِم على ما كان فَرَط منه ، فتلقّى العَلاءَ بإعداد ما كان قسم من الصدقات ، ونزع عن أمره الّذى كان همّ به ، واستاق حتى أبلغها إياه ، وخرج معه إلى قتال أهل البحرين ؛ وقال فى ذلك شعرًا كما قال الزبرقان فى صَدقته حين أبلغها أبا بكر ؛ وكان الذى قال الزبرقان فى ذلك :

١/١٩٦٣
١/١٩٦٤

وَفَيْتُ بأذْواد الرَّسُول وقد أبَتْ ... سُعاةٌ فلمْ يَردُد بعيراً مُجيرُها

معاً ومَنَعْناها منَ النَّاسِ كلِّهمُ ... تَرَامِى الأعادى عِندَنا ما يضيرُها[2]

فأدّيْتُها كَىْ لا أخُونَ بذِمَّتى ... مَحَانيق لم تُدرَسْ لركبٍ ظهورُها

أردتُ بها التَّقْوَى ومَجْد حديثِها ... إذا عُصْبَة سامَى قَبيلى فَخُورُها

وإنى لَمِنْ حَىّ إذا عَدَّ سَعْيُهم[3] ... يرى الفَخر منهـا حَيُّها وقُبورها

(١) ز : « لحق » . (٢) ب : « ترامى » .
(٣) ز : « شعبهم » .

أصاغِرُهم لم يَضْرَعُوا وكِبارُهم[١] رِزَانٌ مَرَاسيها ، عِفَافٌ صُدُورُها

ومن رَهْطِ كنَّادٍ توفَّيتُ ذِمَّتى[٢] ولم يَثْنِ سيفى نَبْحُها وهَرِيرُها[٣]

ولله مُلْك قد دخلتُ وفارس[٤] طعنتُ إذا ما الخَيْلُ شَدَّ مُغِيرُها

١٩٦٥/١

فَفَرَّجْتُ أُولَاهَا بِنَجْــلاءَ ثَرَّةٍ بحيث الذى يَرْجو الحياةَ يَضِيرُها[٥]

ومَشْهَدِ صِدْقٍ قد شهدتُ فلم أكُنْ به خاملاً واليومَ يُثْنِى مَصِيرُها

أرَى رَهْبَةَ الأعداء منّى جَرَاءةً ويبكى إذا ما النفسُ يُوحَى ضميرُها[٦]

وقال قيس عند استقبال[٧] العلاء بالصدقة :

ألاَ أبْلِغا عنّى قريشاً رســالةً إذا ما أتَتها بيِّناتُ الودائع[٨]

حَبَوْتُ بهافى الدَّهرِ أعراضَ مِنْقَرٍ[٩] وأيْأَسْتُ منها كلَّ أطْلَسَ طامعِ[١٠]

وَجَدْتُ أبى والخالَ كانا بنجوة بقاعٍ فلم يَحْلُلْ بها مَنْ أدافِــعُ[١١]

فأكرمه العلاءُ ، وخرج مع العَلاء بن عمرو وسعد الرّباب مثل عسكره ، وسلك بنا الدَّهْناء ؛ حتى إذا كنا فى بُحْبُوحتها والحَنَّانات والعزَّافاتُ[١٢] عن يمينه وشماله ، وأراد الله عزّ وجلّ أن يرينا آياته نزَل وأمر الناس بالنّزول ، فنفَرت الإبل فى جَوْف الليل ؛ فما بَقِىَ عندنا بعير ولا زادٌ ولا مزاد

١٩٦٦/١

---

(١) ب : « يصغروا » ، س : « يصرعوا » .

(٢) ب : « كنان » ، ز : « كناز » .

(٣) ز : « نفخها » .

(٤) س : « وقبة ملك » .

(٥) ب : « بصيرها » ، ز : « نصيرها » .

(٦) ب : « ونبكى » .

(٧) ب ، ز : « استقلال » .

(٨) البيتان : الأول والثانى فى الأغانى ١٤ : ٧٥ (طبع دار الكتب) ، وفى س : « إذا ما أتتهم » . وفى الأغانى : « إذا ما أتتهم مهديات الودائع » .

(٩) الأغانى : « حبوت بما صدقت فى العام منقرا » .

(١٠) يريد بالأطلس هنا اللص الخبيث ؛ على التشبيه بالذئب .

(١١) كانا بنجوة ، أى كانا بمنحى . وفى البيت إقواء .

(١٢) العزافات : الضاربات بالدفوف .

ولا بناء إلا ذهب عليها فى عرض الرمل ، وذلك حين نزل الناس ، وقبل أن يحطّوا ؛ فما علمت جمعًا هجم عليهم من الغَمّ ما هجم علينا وأوصى بعضُنا إلى بعض ، ونادى منادى العلاء : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذى ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلامُ ونحن إن بلغنا غدًا لم تحمَ شمسُه حتى نصير حديثًا ! فقال : أيها الناس ؛ لا تُراعوا ، ألستم مسلمين ! ألستم فى سبيل الله ! ألستم أنصار الله ! قالوا : بلى ، قال : فأبشروا ؛ فوالله لا يخذُل الله من كان فى مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلّى بنا ، ومنّا المتيمّم ، ومنّا من لم يزل على طَهُوره ؛ فلمّا قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا النّاس ، فنصب[1] فى الدّعاء ونصبوا معه ؛ فلمع لهم سرابُ الشمس ؛ فالتفت إلى الصّفّ ، فقال : رائد ينظر ما هذا ؟ ففعل ثم رجع ، فقال : سراب ، فأقبل على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر ، فقال : ماء ، فقام وقام الناس ، فمشينا إليه حتى نزلْنا عليه ، فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النّهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَد[2] من كلّ وجه ، فأناخت إلينا ، فقام كلّ رجل إلى ظهره ، فأخذه ، فما فقدنا سلْكًا[3] . فأرويناها وأسقيناها العَلَل بعد النَّهَل ؛ وتَرَوّينا ثم تروّحنا — وكان أبو هريرة رفيقى — فلمّا غبْنا عن ذلك المكان ، قال لى : كيف علمُك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا من أهدَى العرب[4] بهذه البلاد قال : فكن[5] معى حتى تقيمَنى عليه ، فكررتُ به ، فأتيت به[6] على ذلك المكان بعينه ؛ فإذا هو لا غديرَ به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أننى لا أرى الغدير لأخبرتك أنّ هذا هو المكان ؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعًا قبل[7] اليوم ؛ وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم[8] ، هذا والله المكان ؛

١ / ١٩٦٧

---

(١) نصب فى الدعاء ينصب ؛ إذا تعب فيه واجتهد . (٢) الكرد : الطرد .

(٣) السلك : جمع سلكة ؛ وهو الخيط الذى يخاط به الثوب .

(٤) الأغانى : « أنا أهدى الناس » .

(٥) الأغانى : « فكر معى » .

(٦) الأغانى : « فأنخت على ذلك المكان » .

(٧) الأغانى : « وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك » .

(٨) الأغانى : « يا سهم » .

ولهذا رجعت ورجعت بك . وملأت[١] إداوتى ثم وضعتها على شفيره[٢] ، فقلت : إن كانَ مَنًّا من المنّ وكانتْ آية عرفتها ؛ وإن كان غياثًا عرفته ؛ فإذا منّ من المَنّ ، فحَمِد الله ، ثم سِرْنا حتى ننزل هَجَر . قال : فأرسل العَلاء إلى الجارود ورجل آخر أن انضمّا فى عبد القيس حتّى تنزلا على الحطَم ممَّا يليكما ؛ وخرج هو فيمَن جاء معه وفيمَن قدم عليه ؛ حتّى ينزل عليه ممَّا يلى هَجَر ، وتجمَّع المشركون كلُّهم إلى الحُطَم إلاّ أهل دارين ، وتجمَّع المسلمون كلّهم إلى العَلاء بن الحضرمىّ ، وخندق المسلمون والمشركون ، وكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خَنْدقهم ؛ فكانوا كذلك شهراً ؛ فبينَا الناس ليلةً إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاء شديدة ؛ كأنها ضوضاءُ هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله ابن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمّه عِجْليّة — فخرج حتى إذا دنا من خَندقهم أخذوه ، فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم ، وجعل ينادى : يا أبْجَراه ! فجاء أبجر بن بُجَير ، فعرفه فقال : ما شأنُك ؟ فقال : لا أضيعنّ [الليلة][٣] بين اللَّهَازم ! عَلامَ أقتَل وحولى عساكر من عِجْل وتَيْم اللّات وقيس وعَنَزَة ! أيتلاعب بى الحُطم ونُزَّاع القبائل وأنتم شهود ! فتخلّصه ، وقال : والله إنّى لأظنّك بئس ابن الأخت لأخوالك الليلة ! فقال : دَعْنى من هذا وأطعمْنى ؛ فإنى قد متُّ جوعًا . فقرّب له طعامًا ؛ فأكل ثمّ قال : زوّدنى واحمِلْنى وجَوّزنى أنطلِق إلى طِيَّتى . ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ، ففعل وحَمَله على بعير ، وزوّده وجَوّزه ؛ وخرج عبد الله بن حَذَف حتى دخل عسكرَ المسلمين ، فأخبرهم أنّ القوم سُكارى ، فخرج المسلمون عليهم حتّى اقتحموا عليهم عسكَرهم ، فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا ، واقتحموا الخندق هُرّابا ، فمُتردٍّ ، وناجٍ ودهِشٍ ، ومقتول أو مأسور ، واستولَى المسلمون على ما فى العسكر ؛ لم يفلِت

١٩٦٨/١ — ١٩٦٩/١

---

(١) كذا فى ز والأغانى وابن الأثير ، وفى ط : « ملأت » بدون الواو .

(٢) الأغانى : « شفير الوادى » .

(٣) من الأغانى .

رجلٌ إلاّ بما عليه ؛ فأما أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحُطَم فإنّه بَعِل[1] ودُهِش ، وطار فؤاده ؛ فقام إلى فرسه — والمسلمون خلالهم يجُوسُونهم — ليركَبه ؛ فلمّا وضع رجلَه في الرّكاب انقطَع به ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحد بنى عمرو بن تميم ، والحُطَم يستغيث ويقول : ألا رجلٌ مِنْ بنى قيس بن ثعلبة يَعْقِلنى ! فرفع صوته ، فعرف صوته ، فقال : أبو ضُبَيعة ! قال : نعم ، قال : أعطنى رِجْلك أعقِلْك ، فأعطاه رِجْله يعقلُه ، فنفَحَها فأطنّها[2] من الفَخِذ ، وتركه ، فقال : أجهز علىّ ، فقال : إنى أحبّ ألا تموت حتى أمِضّك .

١ / ١٩٧٠ — وكان مع عَفيف عدّة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلتئذ — وجعل الحطم لا يمرّ به فى الليل أحدٌ من المسلمين إلاّ قال : هل لك فى الحُطَم أن تقتله ؟ ويقول : ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، فمال عليه فقتله ، فلمّا رأى فخِذَه نادرةً[3] ، قال : واسوأتاه ! لو علمت الّذى به لم أحرّكه ؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر — وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس — فلمّا خشِىَ أن يفوتَه طعنه فى العُرقوب فقطع العَصَب ، وسَلِم النَّسَا ؛ فكانت رادّة ، وقال عُفَيف بن المنذر :

فإنْ يرقَأ العرقوبُ لا يرْقأ النّسَا ... وما كُلُّ مَنْ يهوَى بذلك عالِمُ[4]

ألم ترَ أنّا قد فَلَلْنا حُمَاتَهمْ ... بأسْرَةِ عمرو والرِّبابِ الأكارِمِ[5]

وأسرَ عفيف بن المنذر الغَرور بن سويد[6] ، فكلّمته الرِّباب فيه ، وكان أبوه ابن أخت التَّيْم[7] ، وسألوه أن يُجيره ، فقال للعلاء : إنى قد أجَرْت هذا ، قال : ومَنْ هذا ؟ قال : الغَرُور ، قال : أنت غررت هؤلاء ، قال : أيّها الملك ، إنى لستُ بالغَرور ؛ ولكنى المغرور ، قال :

---

(١) بعل : دهش وخاف فلم يدر ما يصنع .

(٢) نفحه بالسيف : تناوله به . أطنها : قطعها .

(٣) نادرة : ساقطة .

(٤) الأغانى : « وما كل من تلقى بذلك عالم » .

(٥) فى البيت إقواء .

(٦) بعدها فى الأغانى : «ابن أخى النعمان بن المنذر». (٧) الأغانى : « وكان ابن أختهم » .

أسْلِمْ . فأسلم وبقى بهجَر ، وكان اسمه الغَرور ، وليس بلَقب ؛ وقتل عفيف
١/١٩٧١ المنذر بن سويد بن المنذر ، [أخا الغرور لأمّه[1]] ، وأصبح العَلاء فقسّم الأنفال . ونفّل رجالاً من أهل البلاء ثيابا ، فكان فيمن نفّل عفيف بن المنذروقيس بن عاصم وثمامة بن أثال ؛ فأمّا ثمامة فنُفّل ثيابًا فيهاخميصة[2] ذات أعلام ، كان الحُطَم يُباهي فيها ، وباع الثياب. وقصد عُظْمُ الفُلاّل لدارين[3] ، فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم ؛ فكتب العلاء بن الحضرمىّ إلى مَن أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم ، وأرسل إلى عُتَيبة بن النَّهّاس وإلى عامر بن عبد الأسود بلزوم ما هم عليه والقعود لأهل الردّة بكلّ سبيل ، وأمر مِسْمَعًا بمبادرتهم ، وأرسل إلى خَصَفة التميمىّ والمثنّى بن حارثة الشيبانىّ ، فأقاموا لأولئك بالطريق ، فمنهم مَنْ أناب ، فقبلوا منه واشتملوا عليه ؛ ومنهم مَنْ أبى ولَجّ فمنع من الرجوع ، فرجعوا عَوْدَهم على بدئهم ؛ حتى عَبَروا إلى دارين ، فجمعهم الله بها ، وقال فى ذلك رجل مِن بنى ضُبيعة بن عجل ، يدْعَى وهبا ، يعيّر مَن ارتدّ من بكر بن وائل :

أَلم ترَ أَنّ الله يَسْبِكُ خَلْقَه فيَخْبُثَ أقوامٌ ويَصْفُوَ مَعْشَرُ
لَحَى اللهُ أقواماً أُصيبوا بخَنْعَةٍ[4] أصابَهُمُ زيدُ الضَّلالِ ومَعْمَرُ !

١/١٩٧٢ ولم يزل العَلاءُ مقيمًا فى عسكر المشركين حتى رجعت إليه الكتب من عند مَنْ كان كتب إليه من بكْر بن وائل ، وبلَغه عنهم القيام بأمر الله ، والغضبُ لدينه ، فلمّا جاءه عنهم من ذلك ما كان يشتهى ، أيقن أنه لن يؤتَى من خلفه بشىء يكرهه على أحد من أهل البحرين ، وندَب النّاس إلى دارين . ثم جمعهم فخطبهم ، وقال : إنّ الله قد جمع لكم أحزابَ الشياطين وشُرّدَ الحرب[5] فى هذا البحر[6] ؛ وقد أراكم من آياته فى البرّ لتعتبروا بها

(١) من الأغانى .
(٢) الخميصة : كساء أسود له علمان .
(٣) الأغانى : « وهرب الفل إلى دارين » .
(٤) ب : « بجمعة » .
(٥) الأغانى : « وشذاذ الحرب » .
(٦) الأغانى : « فى هذا اليوم » .

فى البحر ، فانهضوا إلى عدوّكم ، ثم استعرِضوا البحر إليهم ، فإنّ الله قد جَمعهم ، فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعدَ الدَّهناء هَوْلاً ما بقينا .

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصَّاهل[١] ، والجامل[٢] ، والشاحج[٣] والنَّاهق ، والراكبُ والراجل[٤] ، ودعا ودعوْا ؛ وكان دعاؤه ودعاؤهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحَد ، يا صَمَد يا حىّ يا مُحيي الموتى ، يا حىّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت يا ربّنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعًا يمشون على مثل رَمْلة ميْثاءَ ، فوقها ماء يغمُر أخفاف الإبل ؛ وإنّ ما بين الساحل ودَارين مسيرة يوم وليلة لسُفُن البحر فى بعض الحالات ، فالتقوْا بها ، واقتتلوا قتالا شديدًا ، فما تركوا بها مُخْبِرًا[٥] وسبوا الذَّرارىّ ، واستاقوا الأموالَ ؛ فبلغ نَفَل الفارس ستّة آلاف ، والراجل ألفَيْن ، قطعوا ليلهم وساروا يومَهم ؛ فلمّا فرغوا رجعوا عَوْدَهم على بدئهم حتى عَبَروا ، وفى ذلك يقول عفيف بن المنذر :

١/١٩٧٣

أَلم ترَ أَنّ الله ذَلَّلَ بَحْرَهُ ... وأنزل بالكُفّار إحدَى الجلائلِ !

دَعَوْنا الّذى شقّ البحارَ فجاءنا ... بأعجبِ من فَلْقِ البحارِ الأوائلِ[٦]

ولمّا رجع العلاء إلى البحْرين ، وضرب الإسلام فيها بجِرانه ، وعزّ الإسلامُ وأهله ، وذلّ الشرْك وأهلُه ؛ أقبل الّذين فى قلوبهم ما فيها على الإرجاف ، فأرجف مُرْجِفُون ، وقالوا : هاذاك مَفْرُوق ، قد جمع رهطه . شيبان وتغلب والنّمر ، فقال لهم أقوام من المسلمين : إذًا تشغَلهم عنا اللّهَازِم — واللّهَازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا . وقال عبد الله

---

(١) الصاهل : الفرس ؛ والصهيل صوته .

(٢) الجامل : القطيع من الإبل .

(٣) الشاحج : البغل ، والشحيج : صوته .

(٤) عبارة الأغانى : « فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ؛ فاقتحموا على الخيل ، هم والحمولة والإبل والبغال ، الراكب والراجل » .

(٥) مخبراً ، أى أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .

(٦) الأغانى : « من شق البحار »

ابن حذف فى ذلك :

لا تُوعِدونا بمَفرُوق وأسْرَتِهِ ... إنْ يأتِنا يَلْقَ فينا سنّة الحُطَمِ

وإنّ ذا الحىّ من بكرٍ وإنْ كثروا ... لأُمّةٌ داخلون النارَ فى أمَمِ

فالنّخلُ ظاهره خَيْلٌ وباطنه ... خيلٌ تَكَدّسُ بالفِتيان فى النّعمِ ١٩٧٤/١

وأقفل[1] العلاء بن الحضرمىّ الناس ، فرجع النّاس إلاّ مَن أحبّ المقام ، فقفلنا وقفل ثُمامة بن أثال ؛ حتى إذا كنّا على ماء لبنى قَيْس بن ثعلبة ، فرأوا ثمامة ، ورأوا خَميصة الحُطَم عليه دسّوا[2] له رجلاً ، وقالوا : سله عنها كيف صارت له ؟ وعن الحطم : أهو قتله أو غيره ؟ فأتاه ، فسأله عنها . فقال : نُفِّلْتُها . قال : أأنت قتلت الحُطَم ؟ قال : لا ، ولوددت أنى كنت قتلته . قال : فما بال هذه الخميصة معك ؟ قال : ألم أخبرك ! فرجع إليهم فأخبرهم ، فتجمّعوا له ، ثم أتوه فاحتَوَشُوه ؛ فقال : مالكم ؟ قالوا : أنت قاتل الحُطَم ؟ قال : كذبتم ، لستُ بقاتله ولكنى نفِّلتها ، قالوا : هل ينفّل إلاّ القاتل ! قال : إنها لم تكن عليه . إنما وُجِدَتْ فى رَحْله ، قالوا : كذبت . فأصابوه .

قال : وكان مع المسلمين راهبٌ فى هَجَر ؛ فأسلم يومئذ فقيل : ما دعاك إلى الإسلام ؟ قال : ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخنى الله بعدَها إن أنا لم أفعل : فَيْضٌ فى الرمال ، وتمهيد أثباج البحار[3] ، ودعاءٌ سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السَّحَر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنتَ الرّحمن الرّحيم ؛ لا إله غيرُك ، والبديع ليس قبلك شىء . والدائم غير الغافل . والحىّ الذى لا يموت ، وخالق ما يُرَى وما لا يُرَى ، وكلّ يوم أنت فى شأن ، وعَلِمتَ اللهمّ كلّ شىء بغير تَعَلّم[4] ؛ فعلمت أنّ القوم لم يُعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله[5] . ١٩٧٥/١

فلقد كان أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم يسمعون من ذلك الهَجَرِىّ[6] بعد .

---

(١) أقفل الناس : أرجعهم .

(٢) الأغانى : « بعثوا إليه » .

(٣) الأغانى : « البحور » .

(٤) الأغانى : « تعليم » .

(٥) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٥ : ٢٥٧ — ٢٦٢ ، مع تصرف واختصار .

(٦) ابن الأثير : « هذا منه بعد » .

وكتب العلاء إلى أبى بكر : أما بعدُ ؛ فإنّ الله تبارك وتعالى فجّر لنا الدَّهْناءَ فيضًا لا تُرَى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصرْه لجنوده وأعوان دينه .

فحمد أبو بكر الله ودعاه ، وقال : ما زالت العرب فيما تحدّث عن بلدانها يقولون : إنّ لقمان حين سُئل عن الدّهناء : أيحتفرونها أو يدَعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأرْشِيَة ، ولم تقرّ العيون ؛ وإنّ شأن هذا الفَيْض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به فى أمّة قبلها . اللهمّ أخلف محمدًا صلى الله عليه وسلم فينا .

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتْل الحطم ـ قتله زيد ومعمر[١] : أمّا بعد، فإنّ الله تبارك اسمه سلَب عدوّنا عقولهم، وأذهب رِيحَهم بشراب أصابوه من النّهار ، فاقتحمنا عليهم خندقَهم ، فوجدناهم سُكارى ، فقتلناهم إلاّ الشريد ، وقد قتل الله الحُطَم .

فكتب إليه أبو بكر : أمّا بعد ، فإنْ بلغك عن بنى شيبان بن ثعلبة تمامٌ على ما بلغك ، وخاض فيه المُرْجفون ، فابعث إليهم جندًا فأوطِئهم وشَرِّد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ؛ ولم يصرْ ذلك من إرجافهم إلى شىء . ١٩٧٦/١

ذكر الخبر عن ردّة أهل عُمان ومَهْرة واليمن

قال أبو جعفر : وقد اختُلف فى تاريخ حَرْب المسلمين ، فقال محمد ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابنُ حميد، عن سلَمة عنه : كان فتحُ اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشّأم فى سنة اثنتىْ عشرة .

وأمّا أبو زيد فحدّثنى عن أبى الحسن المدائنى فى خبر ذكره : عن أبى معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدُبَة وأبى عبيدة بن محمد بن أبى

(١) ط : « مسمع » ، وانظر ص ٣١٠ س ١٥ .

عُبَيدة وغسَّان بن عبد الحميد وجُوَيْرِيَة بن أسماء، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من عُلماء أهل الشأم وأهل العِرَاق ؛ أنّ الفتوح فى أهل الرّدّة كلّها كانت لخالد بن الوليد وغيره فى سنة إحدى عشرة ، إلاّ أمر ربيعة بن بُجَيْر ؛ فإنّه كان فى سنة ثلاث عشرة .

وقصّة ربيعة بن بجير التغلبىّ أنّ خالد بن الوليد — فيما ذكر فى خبره هذا الذى ذكرت عنه — بالمُصَيَّخ والحَصِيد ، قام وهو فى جَمْع من المرتدّين فقاتله ، وغَنِم وسَبَى، وأصاب ابنةً لربيعة بن بُجَيْر ، فسباها وبعث بالسَّبْى إلى أبى بكر رحمه الله ، فصارت ابنة ربيعة إلى علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

١٩٧٧/١

* * *

فأمّا[١] أمر عُمان فإنّه كان — فيما كتب إلىّ السرىّ بن يحيى يخبرنى عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم وموسى الجليوسىّ [٢] عن ابن مُحَيْرِيز ، قال : نبغ بعمان ذو التّاج لَقِيط[٣] بن مالك الأزدىّ ، وكان يسامى[٤] فى الجاهليّة الجُلَنْدَى ؛ وادّعى بمثل ما ادّعى به مَنْ كان نبيًّا ، وغلب على عُمَان مرتدًّا ، وألجأ جَيْفَرًا وعبّادًا إلى الأجبال والبحر ، فبعث جَيْفر إلى أبى بكر يخبره بذلك ، ويستجيشه عليه . فبعث أبو بكر الصّدّيق حُذَيفة بن محصن الغَلْفانىّ من حِمْير ، وعَرْفجةَ البارقىّ من الأزد ؛ حذيفة إلى عُمَان وعرفجة إلى مَهْرة . وأمرهما إذا اتّفقا أن يجتمعا على مَن بُعثا إليه ، وأن يبتدئا بعُمان ، وحُذيفة على عَرْفجة فى وجْهه ، وعَرْفَجة على حذيفة فى وجهه . فخرجا متساندين ، وأمرهما أن يُجِدّا السَّيْرَ حتى يقدَما عُمان ؛ فإذا كانا منها قريباً كاتَبا جَيْفَرًا وعبّادًا ، وعملا برأيهما . فمضيا لما أمرا به ؛ وقد كان أبو بكر بعث عِكْرمة إلى مُسَيْلمة باليمامة ، وأتبعه شُرَحبيل بن حَسَنة ،

---

(١) ب ، س : « قال أبو جعفر فأما »

(٢) كذا فى ز وفى ب : « الحليوسى » .

(٣) س : « ابن لقيط » .

(٤) كذا فى ط ، وفى س : « يسمى » .

وسمّى لهما اليَمامة ؛ وأمرهما بما أمر به حُذيفة وعَرْفجة . فبادر عِكْرمة ١٩٧٨/١
شُرَحْبيل ، وطلب حُظْوَةَ الظَّفَر ، فنكبه مُسَيْلمة ؛ فأحجم عن
مُسيلمة ، وكتب إلى أبى بكر بالخبَر ، وأقام شُرَحبيل عليه حيث بلغه
الخبَر ، وكتب أبو بكر إلى شُرَحْبيل بن حَسَنة ؛ أن أقم بأدنى اليَمامة
حتى يأتيَك أمرِى ، وتَرَك أن يُمْضيَه لوجهه الذى وجّهه له ؛ وكتب إلى
عِكْرِمة يُعنِّفه لتسرُّعه ، ويقول : لاأرَيَنَّك ولاأسمعنّ بك إلاّ بعد بلاء ،
والحقْ بعُمَان حتى تقاتل أهلَ عُمان ، وتُعين حُذَيفة وعَرْفجة ، وكلّ
واحد منكم على خَيْله ، وحذيفة ما دُمتم فى عمله على النّاس ، فإذا فرغتم
فامضِ إلى مَهْرة ، ثم ليكُنْ وجهُك منها إلى اليَمَن ؛ حتى تُلاقىَ المهاجر
ابن أبى أميّة باليمن وبحضْرَموت ، وأوطِئْ مَنْ بين عمان واليمن ممنْ ارتدّ ؛
ولْيَبْلُغنى بلاؤك .

فمضى عِكْرمة فى أثَرِ عَرْفجة وحُذيفة فيمَن كان معه حتّى لحق
بهما قبل أن ينتهيَا إلى عُمان ، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأى عِكرِمة
بعد الفراغ فى السَّيْر معه أو المقام بعُمان ، فلمّا تلاحقوا — وكانوا قريبًا من
عُمَان بمكان يُدعى رِجَامًا[١] — راسلوا جَيْفَرًا وعَبّادًا . وبلغ لَقيطا مجىء
الجيش ، فجمع جموعه وعسكر بدَبَا ، وخرج جَيْفر وعبّاد من موضعهما
الّذى كانا فيه ، فعسكرا بصُحَار ، وبعثا إلى حُذَيفة وعَرْفجة وعِكْرِمة
فى القدوم عليهما ، فقدموا عليهما بصُحَار ، فاستبرءُوا ما يليهم حتى رضُوا
ممّن يليهم ؛ وكاتبوا رؤساءَ مع لقيط وبدءوابسيد بنى جُدَيْد ، فكاتبهم وكاتبوه ١٩٧٩/١
حتى ارفضُّوا عنه ؛ ونهَدوا إلى لَقيط ، فالتقوْا على دَبَا ، وقد جمع لقيط
العيَالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجَرّبهم ؛ وليحافظوا على حُرَمِهم —
— ودَبَا هى المِصْر والسوق العظمى — فاقتتلوا بِدَبَا قتالا شديدًا ؛ وكاد
لَقيط يستعلِى النّاس ؛ فبيناهم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخَلَل ورأى
المشركون الظَّفَر ، جاءت المسلمين موادُّهم العُظْمى من بنى ناجية ، وعليهم
الخِرّيتُ بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهمسَيْحان بن صُوحان ، وشواذب[٢]

---

(١) س : « رخاما » . (٢) الشواذب : جمع شاذب ، وهو المتنحى عن وطنه .

عُمان من بنى ناجية وعبد القيس ، فقوّى الله بهم أهلَ الإسلام ، ووهّن الله بهم أهلَ الشِّرْك ؛ فولّى المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم فى المعركة عشرة آلاف، وركبوهم حتى أثخنوا فيهم، وسَبَوُا الذّرارىّ ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمس إلى أبى بكر مع عَرْفجة ، ورأى عِكْرمة وحذيفة أن يقيم حُذَيفة بعُمان حتى يوطّئ الأمور ، ويُسكّن الناس ؛ وكان الخمس ثمانمائة رأس ، وغنموا السوق بحذافيرها . فسار عرفجة إلى أبى بكر بخُمس السَّبْى والمغانم ، وأقام حُذَيفة لتسكين النّاس ، ودعا القبائل حَوْلَ عُمان إلى سكون[1] ما أفاء الله على المسلمين ، وشواذب عُمان ، ومضى عِكْرمة فى الناس ، وبدأ بمهْرة ، وقال فى ذلك عَبّاد الناجىّ :

١٩٨٠/١

لَعَمْرى لقد لاقَى لَقِيطَ بنَ مالكٍ ... من الشَّرِّ ما أخزى وجوهَ الثّعالِبِ
وبادَى أبا بكرٍ ومن هَلَّ فارْتمَى ... خَليجَانِ مِنْ تيّارِهِ المُتَرَاكِبِ
ولم تَنْهَهُ الأولى ولم يُنْكَأَ العِدَا ... فألْوَتْ عليه خَيْلُهُ بالجَنائبِ[2]

* * *

ذكر خبر مَهْرَة بالنّجد

ولمّا فرغ عِكْرِمة وعَرْفجة وحُذَيفة من رِدّة عُمان ، خرج عِكْرمة فى جنده نحو مَهْرة ، واستنصر مَن حول عُمان وأهل عُمان ، وسار حتى يأتى مَهْرة ، ومعه ممّن استنصره من ناجية والأزْد وعبد القيس وراسب وسَعْد من بنى تميم[3] بشرٌ[4] ؛ حتى اقتحم على مَهْرة بلادَها ، فوافق بها جمعَيْن من مَهْرة : أمّا أحدُهما فبمكان من أرض مَهْرة يقال له : جَيْرُوت ، وقد امتلأ ذلك الحيّز إلى نَضَدُون — قاعَيْن من قيعان مَهْرة — عليهم شخريت، رجل من بنى شخراة؛ وأمّا الآخر فبالنّجد ؛ وقد انقادت

(١) سكون ، بمعنى السكنى ، وهو الإقامة
(٢) ب : « بالحبائب » .
(٣) وهو سعد بن زيد ، وانظر ص ٣٢٧ س ١٤ .
(٤) ز : « يسير » .

مَهْرة جميعًا لصاحب هذا الجمع ؛ عليهم المُصَبِّح ، ؛ أحد بنى مُحَارِب والنَّاس كلُّهم معه ؛ إلاّ ما كان من شخريت ، فكانا مختلفين ؛ كلّ واحد من الرئيسين يدعو الآخر إلى نفسه ، وكلٌّ واحد من الجُنْدَيْن يشتهى أن يكون الفَلْج[1] لرئيسهم ؛ وكان ذلك ممَّا أعان الله به المسلمين وقوَّاهم على عدوّهم ؛ ووهَّنهم . ١/١٩٨١

ولما رأى عِكْرِمة قلةَ مَنْ مع شخريت دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ؛ فكان لأوّل الدعاء ، فأجابه ووهَّنَ الله بذلك المصبَّح. ثم أرسل إلى المصبَّح يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر ؛ فاغترَّ بكثْرة مَن معه ، وازداد مباعدةً لمكان شخريت ، فسار إليه عِكْرِمة ، وسار معه شخريت ، فالتقوْا هم والمصبِّح بالنَّجد ؛ فاقتتلوا أشدّ من قتال دَبَا .

ثمّ إنّ الله كشفَ جنودَ المرتدِّين ، وقتل رئيسَهم ، وركبهم المسلمون فقتلوا منهم ما شاءوا ، وأصابوا ما شاءوا ، وأصابوا فيما أصابوا ألْفَيْ نَجِيبة ، فخمَّس عِكْرمة الفىء ، فبعثَ بالأخماس مع شخريت إلى أبى بكر ، وقسّم الأربعة الأخماس على المسلمين ، وازداد عِكْرِمة وجنده قوّةً بالظَّهر والمتَاع والأداة ، وأقام عِكْرِمة حتَّى جمعهم على الذى يحبّ ، وجمع أهل النَّجد ؛ أهل رياض[2] الروضة ، وأهل الساحل ؛ وأهل الجزائر ؛ وأهل المُرّ واللّبان وأهل جيْروت ، وظهور الشَّحْر والصَّبرات ، وينعب ، وذات الخيم ؛ فبايعوا على الإسلام ، فكتب بذلك مع البشير — وهو السائب أحد بنى عابد من مخزوم — فقدم على أبى بكر بالفَتْح ، وقدم شخريت بعده بالأخماس ، وقال فى ذلك عُلْجُوم المحاربىّ : ١/١٩٨٢

جزى الله شخريتاً وأفناء هَيْثَمٍ ... وفِرْضِمَ إذْ سارت إلينا الحلائبُ[3]

جزَاء مُسِىءٍ لَمْ يرَاقِب لذِمَّة[4] ... ولم يَرْجُها فيما يُرَجّى الأقاربُ

أعِكْرِمَ لولا جَمْع قومى وفِعلُهم ... لضاقَتْ عليك بالفضَاء المذاهب

---

(١) الفلج : الفوز والنصر .

(٢) ط : « رياضة » ، ورياض الروضة : موضع ذكره ياقوت وقال : إنه بأرض مهرة من أقصى اليمن ، له ذكر فى الردة . وانظر ص ٣٣٢ س ٤ ، ١٤ (٣) الحلائب : الجماعات .

(٤) ط « ذمة » ، وما أثبته من ز ، وفى ابن كثير : « لدينه » .

وكنّا كمن إقتاد كفًّا بأخْتها   وحلّتْ علينا فى الدُّهورِ النوائبُ

* * *

ذكر خبر المرتدّين باليمن

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة وسهل ، عن القاسم بن محمّد ، قال : توُفِّىَ رَسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى مكّة وأرضها عتّاب بن أسيد والطّاهر بن أبى هالة ؛ عتّاب على بنى كنانة ، والطّاهر على علكّ ؛ وذلك أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلم قال : اجعلوا عمالة علكّ فى بنى أبيها معَدّ بن عدنان ، وعلى الطّائف وأرضها عُثمان بن أبى العاص ومالك بن عوف النّصرىّ ؛ عثمان على أهل المدَر ومالك على أهل الوَبر أعجازِ هوازن ، وعلى نجران وأرضها عمْرو بن حزم وأبو سفيان ابن حرْب ، عمرو بن حزم على الصّلاة وأبو سفيان بن حرب على الصَّدَقات ، وعلى ما بين رِمَع وزَبيد إلى حدّ نَجْران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى هَمْدان كلّها عامر بن شَهْر ، وعلى صنعاء فيروز الدّيلمىّ يسانده[1] داذَوَيْه وقيس بن المكشُوح ، وعلى الجنَد يعلَى بن أميّة ، وعلى مأرِب أبو موسى الأشعرىّ ، وعلى الأشعرّيين مع علكّ الطّاهر بن أبى هالة ، ومُعاذ بن جبل يعلّم القوم ، يتنقّل[2] فى عمَل كلّ عامل ، فنَزابهم[3] الأسْود فى حياة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحارَبَه النبىّ عليه السّلام بالرُّسل والكتب حتى قتله الله ، وعاد أمر النبىّ عليه السلام كما كان قبل وفاة النبىّ عليه السّلام بليلة ؛ إلاّ أنّ مجيئهم لم يحرّك النّاس ، والنّاس مستعدّون[4] له . ١٩٨٣/١

فلمّا بلغهم موتُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم انتقضت اليمن والبلدان ؛ وقد كانت تذبذبَتْ خيولُ العَنْسِىّ — فيما بين نَجْران إلى صَنْعاء فى

(١) ط : « مساندة » وأثبت ما فى ر .
(٢) ب : « ينتقل » .
(٣) نزابهم ، أى وثب .
(٤) س : « مستعدون » .

عرض ذلك البحر — لا تأوى إلى أحد ، ولا يأوى إليها أحدٌ ؛ فعمرو بن معد يكرب بحيال فَرْوة بن مُسَيك ، ومعاوية بن أنس فى فَالَّة العَنْسىّ يتردّد ؛ ولم يرجع من عمال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاة النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلاّ عمرو بن حَزْم وخالد بن سعيد ، ولجأ سائر العمّال إلى المسلمين ؛ واعترض عمرو بن معديكرب خالدَ بن سعيد ، فسلبه الصَّمصامة. ١/١٩٨٤

ورجعت الرُّسل مع مَن رجع بالخبر ، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووَبَر بن يُحَنَّس ، فحارب أبو بكر المرتدّة جميعًا بالرسل والكتب ، كما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حاربهم ؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشأم ، وحزْر ذلك ثلاثة أشهر ، إلاّ ما كان من أهل ذى حُسًى وذى القَصّة. ثم كان أوّل مصادم عند رجوع أسامة هم[1]. فخرَج إلى الأبرَق فلم يصمُد لقوم فيَفلّهم[1] إلا استنفر مَنْ لم يرتدّ منهم إلى آخرين ، فيفلّ بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يرتدّ إلى التى تليهم ؛ حتى فرَغ من آخر أمور النّاس ، ولا يستعين بالمرتدّين.

فكان أوّل مَنْ كتب إليه عتّاب بن أسيد ، كتب إليه بركوب مَن ارتدّ من أهل عمله بمَن[2] ثبت على الإسلام ، وعثمان بن أبى العاص بركوب من ارتدّ من أهل عمَله بمن ثبتَ على الإسلام ، فأما عتّاب فإنّه بعث خالد ابن أسيد إلى أهل تِهامة ، وقد تجمّعت بها جُمّاعٌ من مُدْلج ، وتأشّب إليهم شُذّاذٌ من خُزاعة وأفناء كنانة ، عليهم جُندَب بن سُلْمَى ، أحد بنى شَنوق[3] ، من بنى مُدْلج ، ولم يكن فى عملِ عتّاب جمعٌ غيره ، فالتقوْا بالأبارق ، ففرّقهم وقتلهم ، واستحرّ القتل فى بنى شَنُوق ، فما زالوا أذلاّء قليلاً ، وبرئت عمالةُ عتّاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب فى ذلك : ١/١٩٨٥

ندمتُ وأيقنتُ الغَداة بأنّنِى ... أتيتُ الّتى يَبقى على المَرْء عارُها

شهدتُ بأنَّ اللهَ لا شىءَ غيرُه ... بنى مُدْلج فاللهُ ربّى وجارُها

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « هو » . (٢) س : « ممن » . (٣) س : « شبوق »

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا إلى شَنوءة ، وقد تجمَّعت بها جُمَّاع من الأزْد وبَجيلة وخَثْعَم ؛ عليهم حُمَيْضة بن النُّعمان، وعلى أهل الطّائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوْا بشنوءة . فهزموا تلك الجُمَّاعَ ، وتفرّقوا عن حُمَيضة وهرب حُمَيضة فى البلاد ، فقال فى ذلك عثمان بن ربيعة :

فضضنا جَمْعهم والنَّقْعُ كابٍ وقد تُعْدِى على الغَدْرِ الفُتُوقُ
وأَبْرَقَ بارقٌ لمّا التقينـــــا فعادت خُلَّباً تلك البروقُ

* * *

خبر الأخابث من عكّ

قال أبو جعفر : وكان أول منتقض بعد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بتهامة عكّ والأشعُرون، وذلك أنّهم حين[١] بلغهم موتُ[١] النبىّ صلّى الله عليه وسلّم تجمّع منهم طَخارير[٢] ، فأقبل إليهم طَخاريرُ من الأشعرين وخَضَم فانضمّوا إليهم ، فأقاموا على الأعلاب طريق الساحل ، وتأشّب إليهم أوزاعٌ على غير رئيس ؛ فكتب بذلك الطاهر بن أبى هالة إلى أبى بكر ؛ وسار إليهم ، وكتب أيضاً بمسيره إليهم ،ومعه مَسْرُوق العكّىّ حتى انتهى[٣] إلى تلك الأوزاع ، على الأعلاب ، فالتقوْا فاقتتلوا ، فهزمهم الله ، وقتلوهم كلّ قِتْلة ؛ وأنْتَنَتِ السُّبل لقتلِهم ؛وكان مقتلُهم فتحاً عظيماً . وأجاب أبو بكر الطّاهر قبل أن يأتيَه كتابه بالفتح :

١/١٩٨٦

بلغنى كتابك تخبرُنى فيه مسيرَك واستنفارَك مسروقاً وقومَه إلى الأخابث بالأعلاب ، فقد أصبْتَ ، فعاجلوا هذا الضَّرْب ولا تُرَفِّهوا عنهم ، وأقيموا بالأعلاب حتى يأمَن طريق الأخابث ، ويأتيَكم أمرى . فسمِّيَتْ تلك

(١ - ١) س : « حين مات » .
(٢) يقال : جاء فى طخارير ؛ أى فى أشابة من الناس متفرقين .
(٣) ز . « انتهيا » .

الجموع من علكّ ومَنْ تأشّب إليهم إلى اليوم الأخابث ، وسُمّى ذلك الطريقَ طريقَ الأخابث ؛ وقال فى ذلك الطاهر بن أبى هالة :

ووالله لولا أللهُ لاشىء غيرُه لَمَا فُضَّ بالأجراع جَمْعُ العثاعث[1]
فلم تَرَ عينى مِثْلَ يومٍ رأيتُه بجَنْب صُحَارٍ فى جموع الأخَابث[2]
قَتَلْنَاهُمُ ما بين قُنَّـــةِ خَامِرٍ إلى القِيعَة الحمْراء ذات النبائث[3] ١٩٨٧/١
وفِئْنَا بأموالِ الأخابث عَنْوَةً جِهارًا ولم نَحْفِلْ بتلك الهناهث[4]

وعسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق فى علكّ ينتظر أمرَ أبى بكر رحمه الله .

* * *

قال أبو جعفر : ولما بلغ أهلَ نَجْران وفاةُ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بنى الأفْعى ؛ الأمّةِ الّتى كانوا بها قبل بنى الحارث ؛ بعثوا وفدًا ليجدّدوا عهدًا ، فقدموا إليه[5] فكتب لهم كتابًا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله أبى بكر خليفةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم لأهل نَجْران ، أجارهم من جُنْده ونفسه ، وأجاز لهم ذمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم إلاّ ما رجع عنه محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأمر الله عزّ وجلّ فى أرضهم وأرض العرب ؛ ألاّ يسكن بها دينان ؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم[6] وعاديتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأسقُفّهم ورهبانهم وبِيَعِهم[7] حيثما وقعت ؛ وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدّوْه فلا

---

(١) ياقوت ١ : ١٤٦ .
(٢) ياقوت : « بجمع مجاز » .
(٣) ياقوت : « إلى القيعة البيضاء » .
(٤) الهنهثة : التخليط فى الأمر .
(٥) س : « عليه » .
(٦) س : « وحاشيتهم » .
(٧) ب : « وبيعتهم » .

١٩٨٨/١ يُحْشرون ولا يُعَشَّرُون(١) . ولا يغيَّر أسقفٌ من أسقفيَّته ، ولا راهبٌ من رَهْبانيَّته ؛ ووفَّى لهم بكلِّ ما كتَب لهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى ما فى هذا الكتاب من ذمَّة محمد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وجوار المسلمين . وعليهم النُّصْح والإصلاح فيما عليهم من الحقّ . شهد المِسْوَر بن عمرو ، وعمرو مولى أبى بكر .

وردّ أبو بكر جريرَ بن عبد الله ، وأمَره أن يدعوَ من قومه مَن ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مُقْوِيَهم(٢) ، فيقاتل بهم مَن ولَّى عن أمر الله ، وأمره أن يأتى خَثْعَم ؛ فيقاتل مَن خرج غَضَبًا لذى الخَلَصة ؛ ومَن أراد إعادته(٣) حتى يقتلَهم الله ، ويقتلَ مَن شاركهم فيه ؛ ثم يكون وجهه إلى نجْران ، فيقيم بها(٤) حتى يأتيَه أمرُه .

فخرج جريرٌ فنفذ(٥) لما أمره به أبو بكر ، فلم يقرّ له أحدٌ إلا رجالٌ فى عدّةٍ قليلة ، فقتلهم وتتبَّعهم ؛ ثمّ كان وجهه إلى نَجْران ، فأقام بها انتظارًا أمرَ أبى بكر رحمه الله .

وكتب إلى عثمان بن أبى العاص أن يضرِب بعثًا على أهل الطَّائف على كلِّ مخْلاف بقدْره ، ويولِّىَ عليهم رجلا يأمنه ويثِق بناحيته ؛ فضرب على كلِّ مخلاف عشرين رجلا ، وأمّر عليهم أخاه .

وكتب إلى عتَّاب بن أسِيد ؛ أن اضرب على أهلِ مكَّة وعملها ١٩٨٩/١ خمسمائة مُقْوٍ ؛ وابعث عليهم رَجُلاً تأمَنُه ، فسمَّى مَن يبعث ، وأمّر عليهم خالد بن أسِيد ؛ وأقام أميرُ كلِّ قوم ، وقاموا على رِجْلٍ(٦) ليأتيَهم أمر أبى بكر ، وليمرّ عليهم المهاجر .

* * *

(١) ز : « يعسرون » .
(٢) ز : « مقوّيهم » ومقويهم : القوى بنفسه ودابته .
(٣) ز : « إعادتهم » .
(٤) ب : « به » .
(٥) ز : « فنفر » .
(٦) قاموا على رجل كما يقال : قاموا على قدم وساق .

رِدّة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر : فممّن ارتدّ ثانية منهم ، قيس بن عبد يغوث المكْشوح[١] ؛ كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، قال : كان من حديث قيس فى رِدّته الثانية ، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول ِ الله صلّى الله عليه وسلّم انتكث ، وعمل فى قتل فيروز وداذويه وجُشَيْش ، وكتبَ أبو بكر إلى عُمير ذى مُرّان وإلى سعيد ذى زود وإلى سَمَيْفَع ذى الكَلاع ، وإلى حَوْشب ذى ظُلَيْم ، وإلى شَهْر ذى يناف ؛ يأمرهم بالتمسك بالذى هم عليه ، والقيام بأمرِ الله والنّاس ، ويعدهم الجنود :

من أبى بكر خليفة رسول ِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عُمَير بن أفْلَح ذى مُرّان ، وسعيد بن العاقب ذى زُود ؛ وسَمَيْفَع بن ناكُور ذى الكَلاع وحَوْشب ذِى ظُلَيم ، وشهر ذى يناف . أمّا بعد ، فأعينوا الأبناء على مَنْ ناوَأهم وحُوطوهم واسمعوا مِنْ فيروز ، وجِدّوا معه ، فإنى قد ولّيْتُه .

كتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن عُروة بن غزيّة الدّثينِىّ ، قال : لمّا ولِىَ أبُو بكرٍ أمّر فيْروز ؛ ١٩٩٠/١ وهم قبل ذلك متساندون ؛ هو وداذويه وجُشَيْش وقيس ؛ وكتب إلى وجوه مِن وجوه أهل اليمن ؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذى الكَلاع وأصحابه : إنّ الأبناء نُزّاع فى بلادكم ، ونُقَلاء فيكم [٢] ؛ وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم ؛ وقد أرَى من الرأى أن أقتُل رءوسهم ، وأخرجهم من بلادنا . فتبرّءوا ، فلم يمالِئوه ولم ينصروا الأبناء ، واعتزلوا وقالوا : لسنا ممّا ها هنا فى شىء ، أنت صاحبُهم وهم أصحابك .

فتربّص لهم قيس ، واستعدّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامّتهم ؛ فكاتب قيس تلك الفالّة السيّارة اللّحْجيّة ؛ وهم يصعّدون فى البلاد ويصوّبون ،

---

(١) المكشوح لقب عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر المرادى . وانظر التاج (كشح) .

(٢) النزاع : جمع نازع ؛ وهو الغريب . والنقلاء : جمع نقيل ؛ وهو الغريب أيضاً .

محاربين لجميع مَن خالفهم ؛ فكاتبهم قيس فى السرّ ؛ وأمرهم أن يتعجّلوا إليه ؛ وليكون أمره وأمرهم واحدًا ؛ وليجتمعوا[١] على نفى الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا[٢] إليه بالاستجابة له ، وأخبروه أنهم إليه سِراعٌ ؛ فلم يَفْجأ أهلَ صنعاء إلا الخبر بدنوّهم منها ، فأتى قيس فيروزَ فى ذلك كالفَرِق من هذا الخبر وأتى داذويه ؛ فاستشارهما لَيلْبِس عليهما ، ولئلاّ يَتّهماه ، فنظروا فى ذلك واطمأنّوا إليه .

ثم إن قيسًا دعاهم من الغد إلى طَعام ، فبدأ بداذويه ، وثنّى بفيروز ، وثلّث بجشيش ؛ فخرج داذويه حتى دخلَ عليه ؛ فلمّا دخل عليه عاجله فقتله ، ١٩٩١/١ وخرج فيروز يسير حتى إذادنَا سمع امرأتيْن على سطحين تتحدّثان ، فقالت إحداهما : هذا مقتول كما قُتِل داذويه ؛ فلقيهما ، فعاج حتى يرى أوِىَّ القوم الذى أرْبَئوا[٣] ، فأخْبِر برجوع فيروز ؛ فخرجوا يركُضون ، وركض فيروز ، وتلقّاه جُشَيْش ، فخرج معه متوجّهًا نحو جبل خَوْلان — وهم أخوال فيروز — فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقّلا وعليهما خِفافٌ ساذجة ، فما وصَلا حتى تقطّعت أقدامُهما ، فانتهيا إلى خَوْلان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألاّ ينتعل ساذجًا ، ورجعتْ الخيول إلى قيس ؛ فثار بصنعاء فأخذها ، وجَبَى ما حولها ، مقدّمًا رِجْلاً ومؤخّرًا أخرى ، وأتته خيول الأسود . ولمّا أوى فيروز إلى أخواله خَوْلان فمنعوه وتأشّب إليه الناس ، كتب إلى أبى بكر بالخَبَر . فقال قيس : وما خولان! وما فيروز ! وما قَرَار أوَوْا إليه ! وطابق على قيس عوامُّ قبائل مَن كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقى الرؤساء معتزلين ، وعمَد قيسٌ إلى الأبناء ففرّقهم ثلاث فرق : أقرّ مَنْ أقام وأقرّ عياله ، وفرّق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقتَيْن ؛ فوجّه إحداهما إلى عَدَن ؛ ليُحمَلوا فى البحر ، وحمل الأخرى فى البرّ ، وقال لهم جميعًا : الحقوا بأرضكم ؛ وبعث معهم مَنْ يسيّرهم ؛ فكان عيال الديلمىّ ممّن سُيّر فى البرّ

(١) س : « وأن يجتمعوا » . (٢) ز : « فقاموا » .
(٣) أربئوا : أشرفوا علوا .

وعيال داذويه ممن سُيِّرَ فى البحر ؛ فلمّا رأى فيروز أن قد اجتمع عوامّ ١/١٩٩٢
أهلِ اليمن على قيس ؛ وأنّ العيال قد سيّروا وعرّضهم للنّهب ، ولم يجد إلى
فراق عسكره فى تنقّذهم سبيلا ؛ وبلغه ما قال قيس فى استصغاره الأخوال
والأبناء ، فقال فيروز منتميًا ومفاخرًا وذكر الظّعْن :

ألا ناديا ظُعْنًا إلى الرّمْل ذى النَّخْلِ ... وقولاَ لهـا ألاَّ يُقَالَ ولا عَذْلِ
وما ضَرَّهم قولُ العُدَاةِ لو انّه[1] ... أتى قَوْمه عن غير فحش ولا بَخْلِ
فَدَعْ عنك ظُعنا بالطريق التى هَوَتْ ... لطِيَّتِها صَمْدَ الرِّمَالِ إلى الرَّمْلِ[2]
وإنّا وإن كانت بصَنْعَاءَ دارُنا[3] ... لنا نَسْلُ قوم مِنْ عَرَانينهم نَسْلى
والَدَّيْلَمُ ألرّزّامُ من بعد باسِلٍ[4] ... أَبَى الخفْضَ وَاختَارَ الحَرورعلى الظِّلّ
وكانت مَنَابِيتُ العراق جِسَامُها ... لرَهْطى إذا كسرى مَرَاجِلُهُ تَغْلِى
وباسِلُ أَصْلِى إن نَمَيْتُ ومَنْصِبِى ... كما كلُّ عود مُنْتهاه إلى الأصل
هُمُ تَرَكُوا مَجْرَاىَ سَهْلا وحَصّنوا ... فجاءجى بحسن القَوْلِ والحَسَبِ الجَزْلِ ١/١٩٩٣
فما عزّنا فى الجَهْل من ذى عَدَاوة ... أبى الله إلا أنْ يعزّ على الجَهْلِ
ولا عاقنا فى السِّلْم عن آل أَحْمَدٍ ... ولا خسَّ فى الإسلام إذ أسْلَمُوا قَبْلِى
وإنْ كان سَجْلٌ من قَبيلى أرَشَّنى ... فإنى لَرَاجٍ أن يُغرِّقَهمْ سَجْلِى

وقام فيروز فى حربه ، وتجرّد لها . وأرسل إلى بنى عُقَيْلِ بن ربيعة بن
عامر بن صعصعة رسولاً بأنه متخفّر بهم . يستمدّهم ويستنصرهم فى
ثَقَله على الّذين يزعجون أثقال الأبناء . وأرسل إلى علكّ رسولا يستمدّهم
ويستنصرهم على الّذين يزعجون أثقال الأبناء . فركبت عُقَيل وعليهم
رجل من الحُلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيل قَيْس فتنقّذوا أولئكَ
العيال ، وقتلوا الذين سيّروهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى

(١) ط : « أثرى » ، وأثبت ما فى ب .
(٢) س : « صم الرمال »
(٣) ط « فإن كانت بصنعاء » وما أثبته من س .
(٤) ب ، س : « والديلم » .

صَنْعاء ، ووثبت علكٌ ؛ وعليهم مسروق ، فساروا حتى تنقّذوا عيالات الأبناء . وقصروا عليهم القرى ، إلى أن رجع فَيْروز إلى صَنْعاء ، وأمدّت عُقَيل وعكّ فيروز بالرّجال ، فلما أتته أمدادُهم — فيمن كان اجتمع إليه — خرج فيمن كان تأشّب إليه ومن أمَدّه من عكّ وعُقيل ، فناهد قيسًا فالتقوْا دون صَنْعاء ، فاقتتلوا فهزَم الله قيسًا فى قومه ومَن أنهضوا ، فخرج هاربًا فى جنده حتى عاد معهم ، وعادوا إلى المكان الذى كانوا به[1] مبادِرين حين هربوا بعد مقتل العنسىّ . وعليهم قيس ، وتَذَبْذَبَتْ[2] رافضة العنسىّ وقيس معهم فيما بين صنعاء ونَجْران ، وكان عمرو بن معديكرب بإزاء فَرْوة بن مُسَيْك فى طاعة العَنْسِىّ .

١٩٩٤/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عطيّة ، عن عمرو بن سلَمة ، قال : وكان من أمر فَرْوة بن مُسَيك أنه كان قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُسْلِمًا ، وقال فى ذلك :

لمّا رأيتُ ملوكَ حِمْيَر أعرَضَتْ كالرِّجْلِ خان الرِّجْلَ عِرْقُ نَسائها
يمّمتُ راحلتى أمام محمّدٍ أرْجُو فواضلَها وحُسْنَ ثَنَائها

وقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما قال له : هل ساءك ما لقىَ قومُك يوم الرَّزْم يا فروة أو سرّك ؟ قال : ومن يُصَبْ فى قومه بمثل الذى أصبْتُ به فى قومى يوم الرَّزْم إلا ساءه ذلك[3] !

وكان يوم الرَّزْم بينهم وبين هَمْدان على يغوث ؛ وثَنٍ كان يكون فى هؤلاء مرّة وفى هؤلاء مرّة . فأرادت مراد أن تغلبهم عليه فى مرّتهم ، فقتلتهم هَمْدان ، ورئيسهم الأجدع أبو مسروق ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أما إن ذلك لم يزدهم فى الإسلام إلا خيرًا ؛ فقال : قد سرّنى إذ كان ذلك . فاستعمله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علَى صدقات مُراد ومَن نازلهم أو نزل دارهم . وكان عمرو بن معديكرب قد فارق قَومه سعد العشيرة فى بنى زُبيد وأحلافها ، وانحاز

١٩٩٥/١

---

(١) ب : « فيه » . (٢) ز : « وتذبذب » .
(٣) انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ من هذا الجزء .

إليهم ، وأسلم معهم ؛ فكان فيهم ، فلمّا ارتدّ العنسيّ واتّبعه عوامّ مذحِج ، اعتزل فَرْوة فيمَن أقام معه على الإسلام ، وارتدّ عمرو فيمن ارتدّ ، فخلّفه العنسيّ ، فجعله بإزاء فَرْوة ، فكان بحياله ، ويمتنع كلّ واحد منهما لِمكان صاحبه من البَرَاح ، فكانا يتهاديان الشعر . فقال عمرو يذكر إمارة فَرْوةَ ويعيبها :

وَجَدْنَا مُلكَ فَرْوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سافَ مَنْخِرُهُ بقَذْرِ
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عُمَيْر ترى الحُوَلاء من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فأجابه فَرْوة :

أتاني عَنْ أبي ثَوْر كلامٌ وقِدْماً كان في الأبغال يَجْرِي
وكان اللهُ يُبْغِضُـــــهُ قَدِيمًا عَلَى ما كان من خُبْثٍ وَغَدْرِ

فبيناهم كذلك قدم عكرمة أبْيَن .

* * *

وكتب إليّ السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وموسى بن الغصن ، عن ابن مُحَيْرِيز ، قال : فخرَج عكرمة من مَهْرة سائرًا نحو اليمن حتى وَرَد أبْيَن ، ومعه بشَرٌ كثير من مَهْرة ، وسعد بن زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبد القيس ، وحُدْبان من بني مالك بن كنانة ، وعمرو بن جندب من العَنْبَر ، فجمع النَّخَع بعد من أصاب[1] من مدبِّريهم ١٩٩٦/١ فقال لهم : كيف كنتم في هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنّا في الجاهليّة أهل دينٍ . لا نَتعاطَى ما تتعاطَى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا إذا صرنا إلى دينٍ عرفنا فضلَه ، ودخلَنا حبُّه ! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ؛ ثبت عوامّهم وهربَ مَن كان فارق من خاصّتهم ، واستبرأ النَّخَع وحِمْيَر ؛ وأقام لاجتماعهم ، وأرَزَ قيس بن عبد يغوث لهبوط عكْرمة إلى اليمن إلى عمرو بن معديكرب ، فلمّا ضامّه[2] وقع بينهما تَنَازُعٌ ، فتعايَرا ، فقال

(١) ز : « ما أصاب » .

(٢) ضامه ، بمعنى ضمه ، يقال : نهض للقتال وضامه قومه .

عمرو بن معد يكرب يُعَيِّر قيساً غَدْرَه بالأبناء وقتْله داذويه ، ويذكر فراره من فيروز :

غَدرتَ ولم تُحْسِنْ وَفاءً ولم يكُنْ ... لِيَحْتمل الأسبابَ إلّا المعوَّدُ

وكيف لقَيْسٍ أن يُنَوِّط نفسَه ... إذاماجرى والمَضْرِحىُّ المسوّدُ[1]!

وقال قيس :

وفَيْتُ لقومِى وَاْحْتشدتُ لِمَعْشَرٍ ... أصابوا على الأحياء عَمْرًا ومَرْثَدَا

وكنتُ لدَى الأبناء لَمّا لقيتُهم ... كأصيدَ يسمو بالعَزازة أصْيدَا

وقال عمرو بن معديكرب :

فما إنْ دا ذَوَىْ لَكُمُ بفَخْرٍ ... ولكن دا ذَوَىْ فضَحَ الذِّمَارَا

وفيروزٌ غَدَاةَ أصاب فيكمْ ... وأضْرَبَ فى جموعكمُ اسْتَجَارا[2]

* * *

١٩٩٧/١

ذكر خبر طاهر حين شخص مَدَدًا لفيروز

قال أبو جعفر الطبرى رحمه الله : قد كان أبو بكر رحمه الله كتبَ إلى طاهر بن أبِى هَالَة بالنّزول إلى صنعاء وإعانة[3] الأبناء ؛ وإلى مسروق ، فخرجا حتى أتَيَا صنْعاء ، وكتب إلى عبد الله بن ثَوْر بن أصغر ، بأن يجمع إليه العرَب ومَن استجاب له من أهل تِهامة ، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيَه أمرُه .

وكان أوّلَ ردّة عمرو بن معديكرب أنّه كان مع خالد بن سعيد فخالفه ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقَيه ؛ فاختلفا ضربتين ، فضربه خالد على عاتقه فقطع حِمالةَ سَيْفه فوقعَ ، ووصلت الضربة إلى عاتقه ، وضربه عمرو فلم يصنع شيئًا ، فلمّا أراد خالد أن يُثَنِّيَ عليه نزل فتوقّل[4] فى الجبل ، وسَلَبَه فرسه وسيفَه الصَّمْصامة ،

(١) ينوط نفسه : يكرمها . والمضرحى : السيد الكريم . (٢) ب ، س : « وأصوب » .

(٣) س : « فى إعانة » . (٤) توقل فى الجبل : صعد فى أعلاه .

وحَجّ عمرو فيمن لحَجّ[1]. وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريثُ آل سعيد بن العاص الأكبر . فلمّا ولِيَ الكوفةَ عرض عليه عمرو ابنَته ، فلم يقبلْها ، وأتاه فى داره بعدّة سيوف كان خالد أصابها باليمن ، فقال : أيّها الصَّمصامة ؟ قال : هذا ، قال : خذه فهو لك ، فأخذه ، ثم آكف بغلاً له فضرب الإكاف فقطعه والبرذعة ؛ وأسرع فى البغل ، ثم ردّه على سعيد ، وقال : لو زرتَنِى فى بيتِى وهولِى اوهبتُه لك ، فما كنت لأقبلَه إذ وقع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُستَنير بن يزيد ١٩٩٨/١ عن عُروة بن غَزِيّة وموسى ، عن أبى زُرْعة السَّيبانىّ ، قال : ولما فَصَل المهاجر بن أبى أمّية من عند أبى بكر — وكان فى آخر مَنْ فَصَل — اتّخذ مكة طريقًا ، فمرّ بها فاتّبعه خالد بن أسيد ، ومرّ بالطائف فاتّبعه عبد الرحمن بن أبى العاص ، ثم مضى حتى إذا حاذَى جرير بن عبد الله ضمّه إليه ، وانضمّ إليه عبد الله بن ثَوْر حين حازَاه ، ثم قدِم على أهل نَجْران ؛ فانضمّ إليه فَرْوة بن مُسَيك ، وفارق عمرو بن معدِيكرب قيسا ، وأقبل مستجيبًا ؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان ؛ فأوثقه المهاجر ؛ وأوثق قَيْسًا ، وكتب بحالهما إلى أبى بكر رحمه الله ، وبعث بهما إليه . فلّما سار المهاجر من نَجْران إلى اللحجيّة ، والتفّت الخيول على تلك الفالّة استأمنوا ، فأبى أن يؤمّنَهم ، فافترقوا فرقتين ؛ فلقَى المهاجر إحداهما بعجيب ، فأتى عليهم ، ولقَيَتْ خيولُه الأخرى بطريق الأخابث ، فأتوْا عليهم — وعلى الخيول عبدُ الله — وقتل الشُّرَداء بكلّ سبيل ، فقُدِم بقيس وعمرو على أبى بكر ، فقال : يا قيس ، أعَدوْتَ على عباد الله تقتلهم وتتّخذ المرتدّين والمشركين وليجَةً من دون المؤمنين ! وهمّ بقتله لو وجد أمرًا جليًّا . وانتفى قيس مِن أن يكون قَارف من أمر داذويه شيئًا ، وكان ١٩٩٩/١ ذلك عملاً عُمِل فى سرّ لم يكن به بيّنَة ، فتجافَى له عن دمه ، وقال لعمرو ابن معديكرب : أما تخزَى أنّك كلّ يوم مهزوم أو مأسور ! لو نصرت هذا

---

(١) لحج ، أى ذهب إلى لحج مع المرتدين الذين ذهبوا إليها ، وهم اللحجية .

الدين لرفعك الله . ثم خلّى سبيله ، وردّهما إلى عشائرهما ، وقال عمرو : لا جَرَمَ ! لأقبلنّ ولا أعود .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى قالا : سار المهاجر من عجيب ، حتى ينزل[1] صَنْعاء ، وأمر أن يتّبعوا شُذّاذ[2] القبائل الذين هربوا ؛ فقتلوا مَنْ قَدَروا[3] عليه منهم كلّ قِتْلة ، ولم يُعْفِ متمرّدًا ، وقبل توبةَ من أناب من غير المتمرّدة ؛ وعملوا فى ذلك على قَدْر ما رأوا من آثارهم ، ورجَوا عندهم . وكتب إلى أبى بكر بدخوله صنعاء وبالذى يتّبع من ذلك .

* * *

ذكر خبر حَضْرموت فى ردّتهم

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ابن يوسف ، عن الصَّلْت ، عن كَثير بن الصَّلْت ، قال : مات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعُمّاله على بلاد حَضْرموت : زياد بن لَبيد البياضىّ على حَضْرموت . وعُكّاشة بن مِحْصَن على السّكاسك والسّكون ، والمهاجر على كِنْدة — وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفّىَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال مَن باليمن والمُضِىّ بعد إلى عمله . ١/٢٠٠٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى السائب ، عطاء ابن فلان المخزومىّ ، عن أبيه ، عن أمّ سَلَمة والمهاجر بن أبى أمية ، أنّه كان تخلّف عن تَبوك ، فرجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو عليه عاتبٌ ؛ فبينا أمّ سلَمة تغسل رأس رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : كيف ينفعنى شىء وأنت عاتب على أخى ! فرأت منه رِقّة ؛ فأومأت إلى خادمها ؛ فدعتْه ؛ فلم يزل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَنْشُر عُذْرَه حتى

(١) س : « نزل » . (٢) س : « شراد » . (٣) ز : « عليهم »

عَذَره ورضِيَ عنه وأمَّره على كِنْدة . فاشتكى ولم يطق الذّهاب؛ فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله . وبَرَأ بعد ، فأتمّ له أبو بكر إمْرَتَه ، وأمره بقتال مَن بين نَجْران إلى أقصى اليمن؛ ولذلك أبطأ زياد وعُكّاشة عن مناجزة كندة انتظارًا له .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ؛ قال : كان سبب رِدّة كِنْدة إجابتَهم الأسود العنسىّ حتى لعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الملوك الأربعة ، وأنّهم قبل رِدّتهم حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حَضْرَموت كلّهم أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما يوضع من الصَّدقات أن يوضَع صدقة بعض حَضْرموت فى كِنْدة ، وتوضع[1] صدقة كِنْدة فى بعض حضْرموت ، وبعض حضْرموت فى السَّكُون والسَّكون فى بعض حَضْرموت. فقال نفرٌ من بنى وَلِيعة : يا رسولَ الله ، إنّا لسنا بأصحاب إبل؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظَهْر ! فقال : إن رأيتم ! قالوا : فإنّا ننظر ، فإنْ لم يكن لهم ظَهْرٌ فعلنا . فلمّا توفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجاء ذلك الإبّان ، دعا زياد الناس إلى ذلك ، فحضروه ، فقالت بنو وَلِيعة : أبلغونا كما وعدتم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقالوا : إنّ لكم ظهرًا ، فهلمّوا فاحتملوا ، ولاحَوْهم ؛ حتى لاحوْا زيادا ؛ وقالوا له : أنت معهم علينا . فأبى الحضرميُّون ، ولجّ الكِنْديُّون ، فرجعوا إلى دارهم ، وقدّموا رِجْلاً وأخّروا أخرى ، وأمسك عنهم زياد انتظارًا للمُهاجر؛ فلمّا قدم المهاجر صنعاء ، كتب إلى أبى بكر بكلّ الذى صنَع ، وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قِبَل أبى بكر ؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة ، أن يسيرا حتى يقدَما حضرموت ، وأقِرّ زيادًا على عَمله ، وأذَنْ لمن معك من بين مكّة واليمن فى القَفْل ؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد . وأمِدّه بعُبَيْدَة ابن سعد . ففعل ؛ فسار المُهاجر من صَنْعاء يريد حضرموت ، وسار عِكْرمة من أبْيَن يريد حضرْموت ، فالتقيا بمأرب ؛ ثم فَوّزا[2] من صَهيد ؛ حتّى اقتحما حَضْرموت ، فنزل أحدُهما على الأشعث والآخر على وائل .

١ / ٢٠٠١

(١) ط : « ووضع » ، وانظر التصويبات . (٢) فوزا : سلكا المفازة .

كَتَب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن كَثِير بن الصَّلْت ؛ قال : وكان زياد بن لبيد حين رجع الكِنْديّون ولجُّوا ولجّ الحضرميون ، ولى صدقات بنى عمرو بن معاوية بنفسه ، فقدِم عليهم وهم بالرِّياض ، فصدّق أوّل مَن انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يقال له شيْطان بن حُجْر ؛ فأعجبته بَكْرة من الصّدقة ، فدعا بنارٍ فوضع عليها الميسَم ، وإذا النّاقة لأخى الشيطان العَدّاء بن حُجْر ، وليست عليه[1] صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنّها غيرها ؛ فقال العدّاء : هذه شَذْرة باسمها ؛ فقال الشيطان : صدق أخى ؛ فإنى لم أعطِكموها إلاّ وأنا أراها غيرها ؛ فأطلِق شذرة وخذ غيرها ، فإنّها غير متروكة . فرأى زياد أنّ ذلك منه اعتلال ، واتّهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتَحَرِّى الشرّ . فَحَمِىَ وحَمِىَ الرجلان ، فقال زياد : لا ولا تَنْعَم ؛ ولا هى لك ؛ لقد وقع عليها ميسَم الصدقة وصارت فى حقّ الله : ولا سبيل إلى ردّها ، فلا تكوننّ شذرة عليكم كالبَسُوس ؛ فنادى العدّاء : يا آل عمرو ، بالرياض أضامُ وأضطَهد ! إن الذليل مَنْ أكِل فى داره ! ونادى : يا أبا السُّمَيْط ، فأقبل أبو السّميط حارثة بن سُراقة بن معد يكرب ، فقصد لزياد بن لَبِيد وهو واقف ، فقال : أطلِق لهذا الفتى بَكْرته ، وخذ بعيرًا مكانها ، فإنّما بعير مكان بعير ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ! فقال : ذاك إذا كنتَ يهوديًّا ! وعاج إليها ، فأطلق عِقالها ، ثم ضرب على جَنْبها ، فبعثها وقام دونها ؛ وهو يقول :

يَمْنَعُها شيخٌ بخدَّيْه الشَّيْبْ مُلَمَّعٌ كما يُلَمَّع الثَّوْبْ

فأمر به زياد شبابًا من حضْرموت والسَّكون ، فمغثوه[2] وتوطّئوه ، وكتفوه[3] وكتفوا أصحابه ، وارتَهنوهم ، وأخذوا البَكْرة فعقلوها كما كانت ؛ وقال زياد ابن لَبِيد فى ذلك :

---

(١) س : « وليس عليه » .

(٢) مغثوه . نالوه بالأيدى ، وفى ابن الأثير : « فمعثوه » .

(٣) كتفوه : أصابوا كتفه ، أو ضربوه عليها .

لم يمنعِ الشَّذْرَةَ أرْكُوبُ والشَّيْخُ قد يَثْنِيهِ أرْجُوبُ

وتصايح أهلُ الرِّيَاض وتنادَوْا ، وغَضِبَتْ بنو معاوية لحارثة ، وأظهروا أمرهم ، وغضبت السَّكُون لزياد ، وغضبت له حَضْرموت ، وقاموا جميعاً دونه . وتَوافَى عسكران عظيمان من هؤلاء وهؤلاء؛ لا تُحدِّث بنو معاوية لمكان أسَرائهم شيئًا ، ولا يجد[1] أصحاب زياد على بنى معاوية سبيلا يتعلَّقون به عليهم؛ فأرسل إليهم زياد: إمَّا أن تَضَعُوا السِّلاح ، وإما أن تُؤذِنوا بحرْب؛ فقالوا: لا نضع السِّلاح أبدًا حتى ترسلوا أصحابنا ، فقال زياد : لا يُرْسَلون أبدًا حتى ترفضُّوا وأنتم صَغَرَةٌ قَمَأة . يا أخابثَ النَّاس ، ألستُم سكَّانَ حَضْرموت وجيران السَّكون ! فما عسيتم أن تكونوا وتصنعوا فى دار حَضْرموت ؛ وفى جنوب مواليكم! وقالت له السَّكون : ناهِد القوم ، فإنه لا يفطِمُهم إلاَّ ذلك ، فنَهد إليهم ليلاً ، فقتل منهم، وطاروا عَبادِيد ، وتمثَّل زياد حين أصبح فى عسكرهم :

وكنتُ امرأً لا أبعثُ الحربَ ظالماً فلما أبَوْا سامَحتُ فى حَرْبِ حاطِبِ

ولمَّا هرب القوم خَلَّى عن النفر الثلاثة ؛ ورجع زياد إلى منزله على الظَّفر . ولما رجع الأسَراء إلى أصحابهم ذَمَّرُوهم فتذامروا ، وقالوا : لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلُوَ لأحد الفريقين . فأجمعوا وعسكروا جميعًا ، ونادَوْا بمنع الصدقة ، فتركهم زياد لم يخرج إليهم ، وتركوا المسير إليه . وأرسل إليهم الحُصَيْن بن نُمَير ، فما زال يُسْفِر فيما بينهم وبين زياد وحَضْرموت والسَّكُون حتى سكن بعضهم عن بعض ؛ وهذه النَّفْرة الثانية ، وقال السَّكُونىّ فى ذلك :

١/٢٠٠٤

لَعَمْرِى وما عمرى بعُرْضةِ جانبٍ لَيَجْتَلِبُنْ منهـا المرارَ بنو عَمْرِو

كَذَبْتُمْ وبيتِ الله لا تَمْنَعُونها زياداً، وقد جئنـا زياداً على قَدْرِ

---

(١) كذا فى ب ، وفى ط : « تجد »

فأقاموا بعد ذلك يسيراً . ثم إن بنى عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى المحاجر ، إلى أحماء حَمَوْها ، فنزل جَمَد محجراً ، ومِخْوص محجراً ، ومِشْرح محجراً ، وأبضَعة محجراً ، وأختهم العَمَرَّدة محجراً — وكانت بنو عمرو ابن معاوية على هؤلاء الرؤساء — ونزلت بنو الحارث بن معاوية محاجرها ، فنزل الأشعث بن قيس مَحْجَراً ، والسِّمط بن الأسود محجراً ، وطابقت معاوية كلُّها على منع الصدقة ، وأجمعوا على الرِّدّة إلا ما كان من شُرَحبيل بن السِّمط وابنه ، فإنهما قاما فى بنى معاوية ، فقالا : والله إنّ هذا لقبيحٌ بأقوام أحرار التنقُّل ؛ إنّ الكرام ليكونون على الشُّبهة فيتكرّمون أن يتنقّلوا منها إلى أوْضَح منها مخافة العار ؛ فكيف بالرجوع عن الجميل ، وعن الحقّ إلى الباطل والقبيح ! اللهمّ إنّا لا نمالئ قومنا على هذا ، وإنّا لنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا — يعنى يوم البكرة ويوم النُّفرة — وخرج شُرَحبيل بن السِّمط وابنه السِّمط ؛ حتى أتيا زياد بنَ لَبيد ، فانضمّا إليه ، وخرج ابن صالح[1] وامرؤ القيس بن عابس ؛ حتى أتيا زياداً ، فقالا له : بَيِّت القوم ، فإنّ أقواماً من السَّكاسك قد انضموا[2] إليهم ، وقد تسرّع إليهم قوم من السَّكُون وشُذّاذ من حَضْرموت ، لعلّنا نُوقع بهم وَقْعة تُورث بيننا عداوة ، وتفرّق بيننا ؛ وإن أبيتَ خشينا أن يرفضّ[3] الناس عنّا إليهم ؛ والقوم غارّون[4] لمكان مَن أتاهم ، راجون لمن بقِىَ . فقال : شأنَكم . فجمعوا جمعَهم ، فطرقوهم فى محاجرهم ، فوجدوهم حول نيرانهم جلوساً ، فعرفوا مَن يريدون ، فأكبّوا على بنى عمرو بن معاوية ؛ وهم عدد القوم وشوكتهم ، من خمسة أوجه فى خمس[5] فرق ، فأصابوا مشرحاً ومخوصاً وجَمَداً وأبضَعة وأختهم العمرّدة ، أدركتهم اللعنة ، وقتلوا فأكثروا ، وهرب مَنْ أطاق الهرب ، ووُهِنت[6] بنو عمرو بن معاوية ، فلم يأتوا بخير بعدها ، وانكفأ زياد بالسَّبْى والأموال ، وأخذوا طريقاً

١/٢٠٠٥

---

(١) ز : « قيس » . (٢) ب : « انتموا » .
(٣) س : « ترفض » . (٤) ز : « عازون » .
(٥) س : « وخمس » . (٦) ز : « ووهت » .

يُفْضِي بهم إلى عَسْكر الأشعث وبنى الحارث بن معاوية ؛ فلمَّا مرُّوا بهم فيه استغاث نسوةُ بنى عمرو بن معاوية ببنى الحارث ونادينه : يا أشعث ، يا أشعث! خالاتك خالاتك ! فثار فى بنى الحارث فتنقَّذهم — وهذه الثالثة — وقال الأشعث :

منعتُ بنى عمرو وقد جاء جمعُهُمْ بأمْعَزَ من يوم البضيض وأصبرَا

وعلم الأشعث أنّ زياداً وجنْده إذا بلغهم ذلك لم يُقلعوا عنه ولا عن بنى الحارث بن معاوية وبنى عمرو بن معاوية ، فجمع إليه بنى الحارث بن معاوية وبنى عمرو بن معاوية ، ومَن أطاعه من السَّكاسك والخَصائص من قبائل ما حولهم ، وتباين لهذه الوقعة مَن بحضْرموت من القبائل ، فثبتَ أصحاب زياد على طاعة زياد ، ولجّتْ كِنْدة ، فلمّا تباينت القبائل كتب زيادٌ إلى المهاجِر ؛ وكاتَبه النّاس فتلقّاه بالكتاب ، وقد قطع صَهيد — مفازةٌ ما بين مأرب وحضرموت — واستخلف على الجيش عِكْرمة ، وتعجّل فى سرَعان[1] النّاس ، ثم سَار حتى قدِم على زِياد ؛ فنَهَد إلى كِنْدة وعليهم الأشعث ، فالتقوْا بمحجر الزُّرْقان فاقتتلوا به فهُزمت كندة ، وقُتلت وخرجوا هُرّاباً ، فالتجأتْ إلى النُّجَيْر وقد رمُّوه وحصّنوه ، وقال فى يوم مَحْجَر[2] الزُّرْقان المهاجِر : ٢٠٠٦/١

كُنَّا بزُرْقان إذ يُشرِّدكمْ بحرٌ يُزَجّى فى مَوْجه الحطَبَا[3]

نحن قتلناكمُ بمحْجركم حتى ركبْتمْ من خوْفِنا السَّبَبَا

إلى حصارٍ يكون أهْوَنَه سَبْىُ الذَّرارى وسَوْقُها خَبَبَا

وسار المهاجر فى النّاس من مَحْجر الزُّرْقان حتى نزل[4] على النُّجَيْر ،

---

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٢) قال ياقوت : زرقان بأرض حضرموت . والمحجر ، كالناحية للقوم .

(٣) ياقوت ٤ : ٣٨٤ .

(٤) ب : « ينزل » .

١/٢٠٠٧ وقد اجتمعت إليه كنده ، فتحصّنوا فيه ، ومعهم من استغووْا من السكاسك وشُذّاذ من السّكون وحضْرموت والنُّجير ، على ثلاثة[١] سُبُل ، فنزل زياد على أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه ، إلى أن قدم عِكْرِمة فى الجيش[٢] ، فأنزله على ذلك الطّريق ، فقطع عليهم الموادّ وردّهم ، وفرّق فى كِنْدة الخيول ، وأمرهم أن يُوطِئوهم . وفيمن بعث يزيد بن قَنان من بنى مالك بن سعد ، فقتل مَن بقرى بنى هند إلى بَرَهُوت ، وبعث فيمَن بعث إلى السّاحل خالدَ بن فلان المخزومىّ وربيعة الحضرمىّ ، فقتلوا أهل مَحَا[٣] وأحياء أخَر ؛ وبلغ كِنْدة وهم فى الحصار ما لقىَ سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير ممّا أنتم فيه ؛ جُزُّوا نواصيَكم حتى كأنّكم قومٌ قد وهبتم لله أنفسَكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه ؛ لعلّه أن ينصرَكم على هؤلاء الظّلَمة . فجزّوا نواصيَهم ، وتعاقدوا وتواثقوا ألاّ يفرّ بعضُهم عن بعض[٤] ، وجعل راجزهم يرتجز فى جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَاحُ سَوْءٍ لبنى قُتَيرهْ[٥] والأمير من بنى المغيرهْ

وجعل راجزُ المسلمين زياد بن دينار يردّ عليهم :

لا تُوعِدُونا واصْبِروا حَصِيرهْ[٦] نحنُ خيولُ وَلدِ المغيرهْ

* وفى الصَّبَاح تَظفَرُ العشيرهْ[٧] *

١/٢٠٠٨ فلمّا أصبحوا خرجوا على النّاس ، فاقتتلوا بأفنية النُّجير ، حتى كثرت القتلى بحيال كلّ طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عِكْرِمة يرتجز يومئذ ، ويقول :

أطْعُنُهُمْ وأنا على أوْفَازِ[٨] طَعْناً أبوءُ به على مَجَازِ[٩]

---

(١) س : « ثلاث » ، والسبيل تذكر وتؤنث . (٢) ز : « وفرق الجيش » .
(٣) ز : « محنا » .
(٤) ز : « من بعض » . (٥) س : « قنيره » .
(٦) س : « حضيره » . (٧) ب : « تظهر العشيرة » .
(٨) ز : « أطعتهم » . (٩) أبوء به : أرجع به .

ويقول :

أُنْفِذُ قولى وله نَفَــاذُ وكلُّ مَنْ جاوَرَنى مُعَاذُ

فهزمت كِنْدة ، وقد أكثروا فيهم القتل .

وقال هشام بن محمد : قدِم عِكْرِمة بن أبى جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمرِ القوْم مدداً له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : إنّ إخوانكم قَدِموا مَدَداً لكم ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشرِكوهم فى الغنيمة . ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوْا بذلك ، وبعثوا بالأخماس والأسْرَى ، وسار البشير فسبقهم ؛ وكانوا يبشّرون القبائل ويقرءون عليهم الفتح .

وكتب إلىّ السّرىّ ، قال : كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : إذا جاءكم كتابى هذا ولم تظفَروا ؛ فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتِلة ، واسبُوا الذرّيّة إن أخذتموهم عَنْوة ، أو ينزلوا على حكمى ، فإن جرَى بينكم صُلْح قبل ذلك فعلىَ أن تخرجوهم من ديارهم ؛ فإنّى أكْرَهُ أن أقرّ أقوا ماً فعلوا فعلهم فى منازلهم ، ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وَبال بعض الذى أتَوْا .

قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النُّجَيْر الموادّ لا تنقطع عن المسلمين ، وأيقنوا أنّهم غيرُ منصرفين عنهم ، خشعت أنفسُهم ، ثمّ خافوا القتل ، وخاف الرُّؤساء على أنفسهم ؛ ولو صبروا حتّى يجىء المغيرة لكانت لهم فى الثالثة الصّلح على الجلاء نَجاةٌ . فعجّل الأشعث ، فخرج إلى عِكْرِمة بأمان ، وكان لا يأمن غيرَه ؛ وذلك أنّه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجَوْن[1] ، خطبها وهو يومئذ بالجنَد ينتظر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادُوا ، فأبلغه عكرمةُ المهاجرَ ، واستأمنه له على نفسه ، ونَفَر معه تسعة ؛ على أن يؤمِّنهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم الباب ؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال : انطلق فاستوثقْ لنفسك ، ثم هلمّ كتابك أختمه . ٢٠٠٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيْف ، عن أبى إسحاق

---

(١) النعمان بن الجون : كذا أورده الطبرى هنا وفى ص ٣٤٠ ، وفى ص ١٦٧ «النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر » . وفى كتابه المنتخب من ذيل المذيل ص ٢٤٥٦ : « النعمان بن أبى الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون آكل المرار » . وانظر الإصابة ٤ . ٢٢٧ ، والاستيعاب ٧٠٣ .

الشَّيْبانى ، عن سعيد بن أبى بُرْدة ، عن عامر ، أنه دخَل عليه فاستأمنه على أهله وماله ، وتسعة ممّن أحبّ ، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه . فقال له المهاجر : اكتب ما شئت واعْجل ، فكتب أمانَه وأمانهم ، وفيهم أخوه وبنو عمّه وأهلُوهم ، ونسىَ نفسَه ؛ عَجِلَ ودَهِشَ . ثم جاء بالكتاب فختمه[1] ؛ ورجع فسرّب الّذين فى الكتاب .

وقال الأجلَح والمجالد : لمّا لم يبق إلاّ أن يكتب نفسه وثب عليه جَحْدَم بشَفرْة ، وقال : نفسَك أو تكتبنى ! فكتبه وترك نفسه .

١/ ٢٠١٠ قال أبو إسحاق : فلمّا فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يَدَعوا فيه مقاتلا إلاّ قتلوه ؛ ضَربوا[2] أعناقهم صبْرًا ، وأحصى ألف امرأة ممّن فى النُّجير والخَنْدق ؛ ووضع على السَّبْى والفَىْء الأحراس ، وشاركهم كثير .

وقال كَثير بن الصّلت : لمّا فُتح الباب وفُرِغ ممّن فى النُّجير ، وأحصِىَ ما أفاء الله عليهم ، دعا الأشعث بأولئك النَّفَر ، ودعا بكتابه فعرَضهم ، فأجاز[3] مَن فى الكتاب ، فإذا الأشعث ليس فيه ، فقال المهاجر : الحمد لله الّذى أخطأك نوْءُك[4] يا أشعث ، ياعدوّ الله! قد كنت أشتهى أن يخزيَك[5] الله . فشدّه وَثاقا ، وهمّ بقتله ، فقال له عكرمة : أخِّرْه ، وأبلغه أبا بكر ، فهو أعلمُ بالحكْم فى هذا . وإنه كان رجلا نسى اسمه أن يكتبه ؛ وهو ولىّ المخاطبة . أفذاك يبطل ذاك[6] ! فقال المهاجر : إنّ أمره لبيِّنٌ ، ولكنى أتّبع المشورة وأوثرها . وأخّرَه وبعث به إلى أبى بكر مع السَّبْى ، فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه ، وسمّاه نساء قومه عُرْفَ النّار — كلامٌ يمانٍ يسمُّون به الغادر — وقد كان المغيرة تحيَّر ليلته للّذى أراد الله ، فجاء والقومُ فى دمائهم[7] والسَّبْى على ظَهْر ، وسارت السبايا والأسرَى ، فقدم القوم على أبى بكر رحمه الله بالفَتْح والسَّبَايا والأسرى . فدعا بالأشعث ، فقال :

---

(١) ز : « يختمه » .

(٢) فى ب : « وضربوا » .

(٣) ابن الأثير : « فأجار » .

(٤) النوء : النجم مال إلى الغروب ، وهو كناية عن أنه لم يوفق إلى الصواب فى الرأى لعجلته وسوء طالعه .

(٥) ز : « يجزيك » .

(٦) س : « ذلك » .

(٧) ز : « ذمامهم » .

استزّلك بنو وَليعة ، ولم تكن لتستزلّهم — ولا يرونْك لذلك أهلاً — وهلكوا[١] وأهلكوك ! أما تَخشى أن تكون دعوةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد وصل إليك منها طرفٌ ! ما تراني صانعًا بك ؟ قال : إني لا علم لى برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإنّى أرى قتلك . قال : فإنّى أنا الذى راوضتُ القوم فى عشرة ، فما يحلّ دمى ، قال : أفوّضُوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : ثم أتيتَهمْ بما فوّضُوا إليك فختموه لك ؟ قال : نعم ، قال : فإنّما وجب الصّلح بعد ختْم الصحيفة على مَن فى الصحيفة ، وإنّما كنتَ قبل ذلك مُراوِضًا . فلمّا خشِيَ أن يقع به قال : أو تحتسب فىّ خيرًا فتطلق إسارى وتُقيلنى عثرتى ، وتقبل إسلامى ، وتفعل بى مثل ما فعلتَه بأمثالِى وتردّ علىّ زوجتى — وقد كان خطب أمّ فَرْوة بنت أبى قحافة مَقْدَمَه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فزوّجه وأخّرها إلى أنْ يقدم الثانية ، فمات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفعل الأشعث ما فعل ، فخشِيَ ألاّ تُرَدّ عليه — تجدُنى خيْرَ أهل بلادى لدين الله ! فتجافَى له عن دمه ، وقَبِل منه ، و ردّ عليه أهله ، وقال : انطلقْ فليْبلغنى عنك خيرٌ ، وخلّى عن القوم فذهبوا ، وقسّم أبو بكر فى الناس الخُمْس ، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ، فإنه قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنّ الأشعث لمّا قُدِم به على أبى بكر ، قال : ماذا ترانى أصنع بك ؛ فإنّك قد فعلتَ ما علمتَ[٢] ! قال : تمُنّ علىّ فتَفكّنى من الحديد وتزوّجنى أختك ؛ فإنى قد راجعتُ وأسلمتُ . فقال أبو بكر : قد فعلتُ . فزوّجه أمّ فروة ابنة أبى قُحافة ، فكان بالمدينة حتى فتح العراق .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف[٣] . فلمّا ولِىَ عمر رحمه الله ، قال : إنّه

١/٢٠١١
١/٢٠١٢

(١) ب : « وأهلكوا » . (٢) ب : « ما فعلت » .
(٣) انظر أول الحديث ص ٣٣٧ .

لَيَقبُح بالعرب أن يملِك بعضُهم بعضًا . وقد وسَّع الله ، وفتح الأعاجم .
واستشار فى فداء سَبَايا العرب فى الجاهليَّة والإسلام إلاّ امرأة ولَدت لسيّدها ،
وجعل فداء كلّ إنسان سبعةَ أبعرة[1] وستَّةَ أبعرة إلاّ حَنيفة كندة ؛ فإنَّه
خفَّف عنهم[2] لقتل رجالهم ، ومَن لا يقدر على فداء لقيامهم[3] وأهل دَبَا ؛
فتتبَّعتْ رجالُهم نساءَهم بكلّ مكان . فوجد الأشعثُ فى بنى نَهْد وبنى
غُطَيْف امرأتين ؛ وذلك أنَّه وقف فيها يسأل عن غُراب وعُقاب ، فقيل :
ما تريد إلى ذلك ؟ قال : إنّ نساءنا يوم النُّجير خطفهنّ العِقْبان والغربان
والذِّئاب والكلاب . فقال بنو غطيف : هذا غُراب ، قال : فما موضعه
فيكم ؟ قالوا : فى الصّيانة[4] ، قال : فنعم . وانصرف . وقال عمر : لا مِلْكَ
علَى عربىّ ، للذى أجمع عليه المسلمون معه .

قالوا : ونظر المهاجر فى أمر المرأة التى كان أبوها النُّعمان بن الجَوْن
أهداها لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فوصفها أنَّها لم تَشْتَك قطّ .
فردَّها ، وقال : لا حاجةَ لنا بها ، بعد أن أجلَسها بين يديه وقال له[5] :
لو كان لها عند الله خيرٌ لاشتكت . فقال المهاجر لعِكْرمة : متى تزوجتَها ؟
قال : وأنا بعَدن ، فأهديتْ إلىّ بالجَند ، فسافرت بها إلى مأرِب ، ثم
أوردتُها العسكر . فقال بعضهم : دعْها فإنَّها ليست بأهل أن يُرغَب
فيها . وقال بعضُهم : لا تَدَعْها . فكتب المهاجر إلى أبى بكر رحمه الله
يسأله عن ذلك ، فكتب إليه أبو بكر : إنّ أباها النُّعمان بن الجَوْن أتى
رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فزيَّنها له حتى أمره أن يجيئه بها ، فلمَّا
جاءه بها قال : أزيدك أنَّها لم تيجعْ[6] شيئًا قطّ ، فقال : لو كان لها عند الله
خيرٌ لاشتكتْ ، ورغب عنها ؛ فارغَبُوا عنها . فأرسلها وبقى فى قريش بعد
ما أمر عمر فى السَّبْى بالفداء عدَّةٌ ، منهم بشرى بنت قيس بن أبى الكيسم ،

١/٢٠١٣

(١) ز : « أبكر » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » .
(٣) كذا فى ط ، وفى التصويبات : « لفئامهم » ، أى جماعتهم .
(٤) ز : « الضيافة » . (٥) ب : « وقال لها » .
(٦) لم تيجع شيئاً ، أى أنها لم تشك ألماً قط .

عند سعد بن مالك ، فولدت له عمر ، وزُرْعة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس ولدت له عليًّا .

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيِّره اليمَن أو حضرموت ؛ فاختار اليَمَن ، فكانت اليمن على أميرين : فيروز والمهاجر ، وكانت حضْرموت على أميرين : عُبيدة بن سعد على كندة والسَّكاسك ، وزياد بن لَبيد على حَضْرموت .

وكتب أبو بكر إلى عمَّال الرِّدّة : أمَّا بعدُ ، فإنّ أحبّ مَنْ أدخلتم في أموركم إلىّ مَن لم يرتدّ ومَن كان ممَّن لم يرتدّ ، فأجْمِعوا على ذلك ، فاتّخذوا منها صنائع ، وائذنوا لمن شاء فى الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتدّ فى جهاد عدوّ . ١/٢٠١٤

وقال الأشعث بن مئناس[1] السّكونيّ يبكى أهل النُّجَيْر :

لعَمْرِى وما عَمْرِى عَلَيَّ بهَيِّنٍ ... لقد كنتُ بالقَتْلى لحقٌّ ضَنِينِ
فلا غَرْوَ إلا يومَ أقْرِعَ بينهمْ ... وما الدَّهرُ عندى بَعْدَهم بأمِينِ
فليتَ جُنُوبَ الناس تحتَ جنوبهم ... ولم تَمْشِ أنثَى بعدهم لِجَنينِ
وكنتُ كذاتِ البَوِّ ريعتْ فأقبلتْ ... على بَوِّها إذ طَرَّبَتْ بحنينِ

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن موسى بن عُقْبة ، عن الضّحاك بن خليفة ، قال : وقع إلى المهاجر امرأتان مُغَنِّيتان ؛ غَنّت إحداهما بشتْم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقطع يدها ، ونزع ثنيَّتها[2] ؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله : بلَغني الذى سِرْتَ به فى المرأة التى تغنّت وزمرت بشتيمة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلو لا ما قد سبقْتَنى فيها لأمرتك بقتْلها ؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطَى ذلك من مسلم فهو مرتدّ ، أو معاهَد فهو محارب غادر . ١/٢٠١٥

وكتب إليه أبو بكر فى التى تغنّت[3] بهجاء المسلمين : أما بعدُ ؛ فإنه

---

(١) الإصابة ١ : ١١٥ : « ابن ميناس » .
(٢) ب : « ثنيتيها » . (٣) ب : « تغنى » .

بلغني أنَّك قطعت يدا امرأة في أن تغنَّت بهجاء المسلمين، ونزعتَ ثنيّتها[١]؛ فإن كانت ممن تدّعي الإسلام فأدبٌ وتقدمةٌ دون المُثْلة، وإن كانت ذمّيّة فلعمري لما صفحت عنه من الشِّرْك أعظم؛ ولو كنتُ تقدّمتُ إليك في مثل هذا لبلغتُ مكروهًا؛ فاقبل الدّعة وإيّاك والمُثلة في الناس؛ فإنها مأثم ومُنَفِّرة إلاّ في قصاص.

* * *

وفي هذه السنة — أعني سنة إحدى عشرة — انصرف معاذ بن جبل من اليمن.

وستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب، فكان على القضاء أيّام خلافته كلّها.

وفيها أمّر أبو بكر رحمه الله على الموسم عتّاب بن أسيد — فيما ذكره الذين أسند إليهم خبره عليّ بن محمد الذين ذكرت قبل في كتابي هذا أسماءَهم.

وقال علي بن محمد: وقال قومٌ: بل حجّ بالناس في سنة إحدى عشرة عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إيّاه بذلك[٢].

(١) ب: «ثنيتيها».
(٢) س: «ذلك».

٢٠١٦/١

ثم كانت سنة اثنتى عشرة من الهجرة

[مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة]

قال أبوجعفر ، ولمّا فرغ خالدٌ من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصّدّيق رحمه الله ؛ وخالد مقيم باليمامة — فيما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزُّهرىّ ، قال : أخبرنا عمّى ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبىّ : أنْ سِرْ إلى العراق حتى تدخلَها ، وابدأ بفرْج الهند، وهى الأبُلّة، وتألّفْ أهلَ فارس ، ومَن كان فى مُلْكِهم من الأمم .

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بالإسناد الّذى قد تقدّم ذكرُه ، عن القوم الذين ذكرتهم فيه، أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه خالدَ بن الوليد إلى أرضِ الكوفة ، وفيها المثنّى بن حارثة الشّيبانىّ ، فسار فى المحرّم سنة اثنتى عشرة ، فجعل طريقه البصرة[1] ، وفيها قُطْبة بن قتادة السّدُوسىّ .

قال أبوجعفر : وأمّا الواقدىّ ، فإنه قال : اختُلف فى أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائل يقول : رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثمّ سار إلى العراق من المدينة على طريق الكُوفة ؛ حتّى انتهى إلى الحيرة .

حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ؛ أنّ[2] أبا بكر رحمه الله كتبَ إلى خالد بن الوليد يأمُره أن يسير إلى العراق ، فمضى خالدٌ يريد العراق ، حتّى نزل بقُرَيّات[3] من السّواد ، يقال لها : بانِقْيا وبارُوسْما وألّيْس ؛ فصالحه أهلُها ، وكان الّذى صالحه عليها ابن صَلوبا ، وذلك فى سنة اثنتى عشرة ، فقبل منهم خالد الجِزْية

٢٠١٧/١

(١) ب : « فمر على طريق البصرة » . (٢) ب : « زعم أن أبا بكر » .

(٣) كذا فى ب وابن حبيش .

وكتب لهم كتاباً فيه : بسم الله الرّحمن الرّحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السّوادىّ — ومنزله بشاطئ الفُرات — إنّك آمنٌ بأمان الله — إذْ حقَن دمه بإعطاء الجزية — وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرْجك وجزيرتك ومَنْ كان فى قريتيك — بانقيا وباروسما — ألف درهم ، فقبلتُها منك ، ورضىَ مَن معى من المسلمين بها منك ، ولك ذمّة الله وذمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم ، وذمّة المسلمين على ذلك . وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافُهم مع قَبيصة بن إياس بن حيّة الطائىّ — وكان أمّره عليها كسرى بعد النعمان ابن المنذر — فقال له خالد ولأصحابه : أدعُوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتم إليه فأنتمْ من المسلمين ، لكم مالهم وعليكم ما عليهم ؛ فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتُكم بأقوام هم أحرصُ علىَ الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

١/٢٠١٨ فقال له قَبيصة بن إياس : ما لنا بحرْبك من حاجة ، بل نقيم على دِيننا ، ونعطيك الجزْية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أوّل جزية وقعت بالعراق ، هى القُريّات الّتى صالح عليها ابن صلوبا .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا هشام بن الكلبىّ ؛ فإنه قال : لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشأم ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّ بها ؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النّباج .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الخطّاب حَمزة بن علىّ ، عن رجل من بكْر بن وائل ، أنّ المثنى بن حارثة الشّيبانىّ ، سار حتى قدِم على أبى بكر رحمه الله ، فقال : أمّرْنى على مَنْ قِبَلى من قومى ، أقاتل مَن يلينى من أهل فارس ، وأكفيك ناحيتى ، ففعل ذلك ؛ فأقبل فجمع قومَه وأخذ يُغير بناحية كَسْكَر مرّة ، وفى أسفل الفرات مرّة ، ونزل خالد بن الوليد النّباج والمثنّى بن حارثة بخَفّانَ معسكرٌ [1] ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد

(١) س : « معسكراً » .

ليأتيه ، وبعث إليه بكتاب من أبى بكر يأمره فيه بطاعته ، فانقضّ [١] إليه جوادًا حتى لحق به ، وقد زعمت بنو عِجْل أنّه كان خرج مع المثنّى بن حارثة رجلٌ منهم يقال له مذعور بن عدىّ ، نازع المثنّى بن حارثة ، فتكاتبا إلى أبى بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العِجْلىّ يأمره بالمسير مع خالد إلى الشأم ، وأقرّ المثنّى على حاله ، فبلغ العجلىُّ مصرَ ، فشرُف بها وعظم شأنه [٢] ، فدارُه اليوم بها معروفة ؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابانُ صاحب أليْس ، فبعث إليه المثنّى بن حارثة ، فقاتله فهزمه ، وقتل جُلّ ١/٢٠١٩ أصحابه ، إلى جانب نهرٍ ثَمّ يُدعى نهر دم لتلك الوقعة ؛ وصالح أهلَ أليّس ، وأقبل حتى دنا من الحِيرة ، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التى كانت فى مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقُوهم بمجتَمع الأنهار ، فتوجّه إليهم المثنّى بن حارثة ، فهزمهم الله .

ولمّا رأى ذلك أهلُ الحيرة خرجوا يستقبلونه ؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة وهانئ بن قَبيصة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أثَرُك ؟ قال : من ظَهْر أبى ، قال : من أينَ خرجت ؟ قال : من بطن أمّى ، قال : ويحك ! علامَ أنت ؟ قالَ : على الأرض ، قال : ويلَك ! فى أىّ شىء أنت ؟ قال : فى ثيابى ، قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيِّد ، قال : إنّما أسألك ، قال : وأنا أجيبُك ، قال : أسِلمٌ أنت أم حربٌ ؟ قال : بل سِلْم ، قال : فما هذه الحصون التى أرى [٣] ؟ قال : بنيناها للسَّفيه نحبسه [٤] حتى يجىء الحليم فينهاه . ثم قال لهم خالد : إنّى أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجِزْية ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبّون الموت كما تحبّونَ أنتم شرب الخمر . فقالوا : لا حاجة لنا فى حَرْبك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، ؛ فكانت أوّلَ جزية حملت إلى المدينة من العراق . ثم نزل

---

(١) ز : « فانقض » . (٢) ز : « وعظم شأنه وقدره » .

(٣) ب : « التى بيننا »

(٤) ابن حبيش : « نحبسه » .

على بانقيا ، فصالحه بُصْبُهْرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ؛ وكتب لهم كتاباً ، وكان صالح [١] خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا .

١/٢٠٢٠

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثني المجالد بن سعيد ، عن الشَّعبيّ ، قال : أقرأني بنو بُقيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن :

من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس ؛ سلام على من اتّبع الهدى . أمّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذى فَضّ خَدَمتكم [٢] ، وسلب مُلْككم ، ووهّن كيدَكم . وإنّه مَن صلّى صلاتنا ؛ واستقبَل قبلتَنا ، وأكلَ ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم الّذى له مالنا ، وعليه ما علينا . أمّا بعد ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهُن ، واعتقدوا منّى الذّمة ، وإلاّ فوالّذى لا إله غيره لأبعثنّ إليكم قوماً يحبُّون الموت كما تحبّون الحياة .

فلما قرءوا الكتاب ، أخذوا يتعجّبُون ، وذلك سنة اثنتى عشرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومَن ذكرت قولَه من قَبْل ، فإنّه قال فى أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدّثنا عُبيد الله بن سعد الزُّهريّ ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشّعبيّ ، قال : لمّا فرغَ خالد بن الوليد من اليَمامة ، كتب إليه أبو بكر رحمه الله : إنِ الله فتحَ عليك فعارِقْ حتّى تلقى عِياضاً . وكتب إلى عياض بن غَنْم وهو بين النِّبَاج والحجاز : أن سِرْ حتّى تأتىَ المُصَيَّخ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالداً . وأذَنَا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكارِه .

١/٢٠٢١

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض ، وأذنا فى القفْل عن أمر أبي بكر قَفَل أهلُ المدينة وما حولَها وأعروهما [٣] ، فاستمدّا أبا بكر ، فأمدّ أبو بكر خالداً بالقعقاع بن عمرو التميميّ ، فقيل له : أتمدّ رجلا قد ارفضّ عنه

(١) ب : « صلح » .

(٢) فى اللسان : « وفى حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس : الحمد لله الذى فضّ خدمتكم . قال : فضّ الله خدمتهم ، أى فرق جماعتهم » .

(٣) يقال : أعرى القوم صاحبهم ، أى تركوه فى مكانه وذهبوا عنه

جنودُه برجل ! فقال : لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا . وأمدّ عياضاً بعبد بن عوف الحميرىّ ، وكتب إليهما أن استنفرامَن قاتل أهل الردّة ، ومَنْ ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يغزونّ معكم أحدٌ ارتدّ حتى أرَى رأيى . فلم يشهد الأيّام مرتَدّ .

فلمّا قدم الكتاب على خالد بتأمير العراق ، كتب إلى حَرْمَلَة وسُلْمَى والمثنّى ومذعور باللّحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنودَهم الأبُلّة ، وذلك أنّ أبا بكر أمر خالدًا فى كتابه : إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفرْج أهل السِّنْد والهِنْد – وهو يومئذ الأبُلّة – ليوم قد سمّاه ، ثم حشر مَن بينه وبين العراق ، فحشر ثمانية آلاف من رَبيعة ومُضر إلى ألفيْن كانا معه ، فقدم فى عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممّن كان مع الأمراء الأربعة – يعنى بالأمراء الأربعة : المثنّى ، ومذعورًا ، وسُلْمى ، وحرملة – فلقِىَ هُرْمُزَ فى ثمانية عشر ألفًا .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن المهلّب الأسدىّ عن عبد الرحمن بن سياه ، وطلحة بن الأعلَم ، عن المغيرة بن عُتَيبة ، قالوا : كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، إذ أمّره على حرب العراق ؛ أن يدخلَها من أسفلها . وإلى عياض إذ أمّره علىّ حرب العراق ؛ أن يدخلَها من أعلاها ؛ ثم يستبقا إلى الحيرة ، فأيّهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه ، وقال : إذا اجتمعتُما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالحَ فارس وأمِنْتُما أن يؤتَى المسلمون من خلْفهم ، فليكن أحدكما رِدْءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ؛ وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدوّكم من أهل فارس دارَهم ومستقَرّ عِزّهم ؛ المدائن . ٢٠٢٢/١

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشّعبىّ ، قال : كتب خالد إلى هُرمز قبل خروجه مع آزاذبه – أبى الزياذبة الّذين باليمامة – وهرمز صاحب الثّغر يومئذ : أمّا بعدُ ، فأسلِم تَسْلم ، أو اعتقد[1] لنفسك وقومك

---

(١) اعتقد لنفسك الذمة ؛ أى أقرّ بها .

الذّمة، وأقررْ بالجزية؛ وإلا فلا تلومنّ إلاّ نفسَك، فقد جئتُك بقومٍ يحبّون الموت كما تحبّون الحياة .

قال سيف ، عن طلحة بن الأعلم، عن المغيرة بن عتيبة — وكان قاضيَ أهل الكوفة — قال : فرّق خالد مُخرَجَه من اليمامة إلى العراق جندَه ثلاث فرَق ، ولم يحملْهم على طريق واحدة . فسرّح المثنّى قبلَه بيومين ودليله ظَفَر ، وسرّح عدىّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عبّاد وسالم بن نصر ، أحدهما قبل صاحبه بيوم ؛ وخرج خالد ودليله رافع ؛ فواعدهم جميعًا الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوّهم ؛ وكان فرْج الهند أعظَم فروج فارس شأنا ، وأشدّها شَوْكةً ، وكان صاحبه يحارب العرب فى البرّ والهند فى البحر . ٢٠٢٣/١

قال — وشاركه المهلّب بن عُقْبة وعبد الرحمن بن سياه الأحمرىّ ، الذى تُنْسَب إليه الحمراء ؛ فيقال : حمراء سياه — قال : لمّا قدِم كتاب خالد على هُرْمز كتب بالخبر إلى شيرَى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه ، ثم تعجّل إلى الكواظم فى سرَعان أصحابه ليتلقّى خالدًا ، وسبَق حلْبته فلم يجدها طريق خالد ، وبلَغه أنّهم تواعدوا الحفيرَ ، فعاج يبادره[1] إلى الحفير فنزله ، فتعبّى به ، وجعل على مجنّبته[2] أخوين يُلاقيان أرْدَشير وشيرى إلى أردشير الأكبر ، يقال لهما : قُباذ وأنو شَجان ، واقترنوا فى السلاسل ، فقال مَن لم ير ذلك لمن رآه : قيّدتم أنفسكم لعدوّكم ، فلا تفعلوا ؛ فإنّ هذا طائر سَوْءٍ ، فأجابوهم وقالوا : أمّا أنتم فحدّثوننا أنّكم تريدون الهرَب . فلما أتى الخبر خالدًا بأنّ هرمز فى الحفير أمالَ النّاس إلى كاظِمةَ ، وبلغ هرمزَ ذلك . فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير ؛ وكان من أسوَأ أمراء ذلك الفرْج جِوارًا للعرب ، فكلّ العرب عليه مَغيظ ؛ وقد كانوا ضربوه مثلا فى الخُبث حتى قالوا : أخبث من هرمز ، وأكفر من هرمز . وتعبّى هرمز وأصحابه واقترنوا فى السلاسل ، والماء فى أيديهم . وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماءٍ ، فقالوا له فى ذلك ، ٢٠٢٤/١

(١) س : « يبادرهم » .
(٢) ابن كثير : « مجنبتيه » .

فأمر مناديَه ، فنادى : ألا انزلوا وحُطّوا أثقالكم ، ثم جالِدوهم على الماء ، فلَعمرى ليصيرَنّ الماءُ لأصبَرِ الفريقين ، وأكرم الجنديْن ؛ فحُطّت الأثقال والخيل وقُوف ، وتقدّم الرَّجْل ، ثم زحف إليهم حتى لاقاهم ؛ فاقتتلوا ، وأرسل الله سحابةً فأغْزَرت ما وراءَ صفّ المسلمين[1] ، فقوّا هم بها ؛ وما ارتفع النهار وفى الغائط مقترِن .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء البَكّائىّ ؛ عن المقطَّع بن الهيثم البكائىّ بمثله ، وقالوا : وأرسل هُرمز أصحابه بالغدِ ليغدِروا بخالد ، فواطئوه على ذلك ، ثم خرج هُرْمز ، فنادى رجلٌ ورجلٌ : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهدَه ، فلَمّا نزل[2] خالد نزلَ هرمز ، ودعاه إلى النزال[3] فنزل خالد فمشَى إليه ، فالتقيا فاختلفا ضربتيْن ، واحتضنه خالدٌ ، وحملت حامية هُرْمز وغدرت ، فاستلحموا[4] خالداً ، فما شغله ذلك عن قتله . وحمل القَعْقاع بن عمرو واستلحم حُماةَ هرمز فأناموهم ؛ وإذا خالد يُماصعهم[5] ، وانهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافَهم إلى الليل ، وجمع خالد الرّثاث[6] وفيها السَّلاسل ، فكانت وِقْرَ بعيرٍ ؛ ألف رطل ، فسمِّيت ذات السلاسل ، وأفلت قُباذ وأنوشجان .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عمرو بن محمّد ؛ عن الشعبىّ ، قال : كان أهلُ فارس يجعلون قلانسَهم على قَدْر أحسابهم فى عشائرهم ، فمَنْ تمّ شرفُه فقيمة قلنسوته مائه ألف . فكان هرمز ممنّ تَمّ شرفه ، فكانت قيمتها مائة ألف ؛ فنفّلها أبو بكر خالداً ، وكانت مفصّصة بالجوهر ، وتمام شرف أحدِهم أن يكون من بُيوتات[7]

(١) ابن كثير : « فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء » .
(٢) ابن حبيش : « برز » .
(٣) س : « النزول » ، ابن حبيش « البراز »
(٤) استلحموا خالدا : تبعوه .
(٥) يماصعهم : يجالدهم .
(٦) الرثاث : المتاع .
(٧) ز : « من بيوتاتهم السبع

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدثني عمّ ـ ب ، عن محمّد بن نوَيْرة ، عن حنظلة بن زياد بن حنظ ب : لما تراجع الطّلب من ذلك اليوم ، نادى منادى خالد بالرّحيل ، وسار بالنّاس ، واتّبعته الأثقال ؛ حتّى ينزل بموضع الجسْر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قُباذ وأنوشجان ، وبعث خالد بالفتح وما بقىَ من الأخماس وبالفيل ، وقرأ الفتح على الناس . ولما قدم زِرّ بن كليب بالفيل مع الأخماس ، فطِيف به فى المدينة ليراه النّاس ، جعل ضعيفات النساء يقلن : أمِن خلْق الله ما نرى ! ورأينَه مصنوعًا ، فردّه أبو بكر مع زِرّ . قال : ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبَصْرة ؛ بعث المثنّى بن حارثة فى آثار القوم ؛ وأرسل معقل بن مُقرِّن المزَنىّ إلى الأبُلّة ليجمع له مالها والسّبى ، فخرج معقل حتّى نزل الأبُلّة فجمع الأموال[1] والسبايا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القصة فى أمر الأبُلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السِّيَر ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصّحاح ، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عُمر رحمه الله ، وعلى يد عُتْبة بن غَزْوان فى سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وسنذكر أمرها وقصّة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله .

١/٢٠٢٦

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمّد بن نويرة ، عن حنظلة بن زياد ، قال : وخرج المثنّى حتّى انتهى إلى نهر المرأة ، فانتهى إلى الحصن الذى فيه المرأة ، فخلّف المُعنّى بن حارثة عليه ، فحاصرها فى قَصْرها ، ومضى المثنّى إلى الرّجُل فحاصره ثم استنزلهم عَنْوةً ؛ فقتلهم واستفاء[2] أموالهم ؛ ولمّا بلغ ذلك المرأة صالحت المثنّى وأسلمتْ ، فتزوّجها المعنّى ، ولم يحرّك خالد وأمراؤه الفلاّحين فى شىء من فتوحهم لتقدّم أبى بكر إليه فيهم ، وسبَى أولاد المقاتلة الّذين كانوا يقومون بأمور الأعاجم ، وأقرّ مَن لم ينهض من الفلاحين؛ وجعل لهم الذّمّة ؛ وبلغ سهمُ الفارس فى يوم ذات السلاسل والثّنْى ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

(١) س : « المال » . (٢) ز ، س : « واستبق » .

[ذكر وقعة المذار]

قال : وكانت وقعة المذار فى صفر سنة اثنتى عشرة ، ويومئذ قال الناس: صفر الأصفار ، فيه يقتل كلّ جبّار ، على مجمع الأنهار . حدّثنا عُبيدالله، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن زياد والمهلّب ، عن عبد الرحمن ابن سياه الأحمرىّ .

وأمّا فيما كتب به إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، فإنّه عن سيف ، عن المهلّب بن عُقْبة وزياد بن سَرْجِس الأحمرىّ وعبد الرحمن بن سياه الأحمرىّ وسفيان الأحمرىّ ، قالوا : وقد كان هُرْمز كتب إلى أردشير وشيرى[1] بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة نحوه ، فأمدّه بقارِن بن قريانس ، فخرج قارن من المدائن مُمِدًّا لهرمز ؛ حتى إذا انتهى إلى المذار بلغتْه الهزيمة ؛ وانتهت إليه الفُلاّل فتذامَروا ، وقال فُلاّل الأهواز وفارس لفلاّل السواد والجبَل : إن افترقتم لم تجتمعوا بعدَها أبدًا ؛ فاجتمعوا على العَوْد مرّة واحدة ، فهذا مدد الملك وهذا قارن ، لعلّ الله يُديلُنا ويشفينا من عدوّنا ونُدرك بعضَ ما أصابوا منّا . ففعلوا وعسكروا بالمذار ، واستعمل قارن على مجنّبته قُباذ وأنوشجان ، وأرَز[2] المثنّى والمعنّى إلى خالد بالخبَر ؛ ولمّا انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسم الفىْء على مَن أفاءه الله عليه ، ونفّل من الخمُس ما شاء الله ، وبعث ببقيّته وبالفتح إلى أبى بكر وبالخبَر عن القوم وباجتماعهم إلى الثِّنْى المغيثِ والمغاث ، مع الوليد ابن عُقْبة — والعرب تسمى كلّ نهر الثِّنْى — وخرج خالد سائرًا حتى ينزل المذار على قارن فى جموعه ، فالتقوْا وخالد على تعبيته ، فاقتتلوا على حَنَق وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن الأعشى بن النبّاش ، فابتدراه ، فسبقه إليه معقِل ، فقتله وقتل عاصمٌ الأنوشجان ، وقتل عدىٌّ قُباذ . وكان شرف قارن قد انتهى؛ ثم لم يقاتل

١/٢٠٢٧

(١) ابن حبيش : « وشيرين » .

(٢) أرز هنا : أسرع .

١/٢٠٢٨ المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه فى الأعاجم ، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة ؛ فضمّوا السفُنَ ، ومنعت المياه المسلمين من طلَبهم ، وأقام خالد بالمذار ، وسلّم الأسلاب لمن سلَبها بالغةً ما بلغتْ ، وقسّم الفىءَ ونفّل من الأخماس أهل البلاء ، وبعث ببقيّة الأخماس ، ووفّد وفداً مع سعيد بن النعمان أخى بنى عدىّ بن كعب .

حدثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمّد بن عبد الله ، عن أبى عثمان ، قال : قتل ليلة المذار ثلاثون ألفاً سوَى مَن غرق ، ولولا المياه لأتِىَ على آخرهم ؛ ولم يفلت منهم مَن أفلت إلا عُراة وأشباه العراة .

قال سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كان أوّل مَن لقِىَ خالد مَهبَطَهُ العراق هرمزَ بالكواظم ، ثم نزل الفرات بشاطئ دِجْلة ؛ فلم يلقَ كيداً ، وتبحبَح بشاطئ دجلة ، ثم الثِّنْى ، ولم يلقَ بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقْعة الآخرة أعظَم من التى قبلها ، حتى أتى دُومَةَ الجندل ، وزاد سهمُ الفارس فى يوم الثِّنْى على سهمه فى ذات السلاسل . فأقام خالد بالثِّنْى يسبِى عيالات المقاتلة ومَن أعانَهم ، وأقرّ الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دُعوا ، وكلّ ذلك أخذ عنوةً ولكن دُعوا إلى الجزاء[1] ، فأجابوا وتراجعوا ، وصاروا ذمّة ، وصارت أرضهم لهم ؛ كذلك جرى مالم يُقسم ، فإذا اقتُسم فلا .

١/٢٠٢٩ وكان فى السَّبْى حبيب أبو الحسن — يعَنى أبا الحسن البصرىّ — وكان نصرانيّاً ، ومافنّة مولى عثمان ، وأبو زياد مولَى المغيرة بن شعبة .

وأمّر على الجند سعيد بن النّعمان ، وعلى الجزاء سُوَيد بن مُقرّن المزنىّ ، وأمره بنزول الحفير ، وأمره ببثّ عُمّاله ووضع يده فى الجباية ، وأقام لعدوّه يتحسّس الأخبار .

* * *

(١) س : « الخراج » .

[ذكر وقعة الولَجة]

ثم كان أمر الولَجة فى صفر من سنة اثنتى عشرة؛ والولَجة مما يلى كَسْكَر من البرّ .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمى ، قال : حَدّثنى سَيْف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ قال لما فرغ خالد من الثِّنْى وأتى الخبرُ أردشير ، بعث الأنْدَرْزَغَرَ[1] ؛ وكان فارسيًّا من مولّدى السّواد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثنى عمّى ، قال : حدثنى سيف ، عن زياد بن سَرْجِس ، عن عبد الرحمن بن سياه ، قال — وفيما كتب به إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شُعيب ؛ قال : حدثنا سَيْف ، عن المهلَّب بن عُقْبة وزياد بن سرجس وعبد الرحمن بن سياه — قالوا : لمَّا وقع الخبرُ بأردَشير بمصاب قارن وأهل المَذَار ، أرسل الأندرْزَغَر ؛ — وكان فارسيًّا من مولّدى السواد وتُنَّائهم[2] ؛ ولم يكن ممّن وُلد فى المدائن ولا نشأ بها — وأرسل بَهمن جاذَوَيْه فى أثره فى جيش ، وأمَره أن يعبُر طريق الأندرْزَغَر ؛ ١/٢٠٣٠ وكان الأندرْزَغَر قبل ذلك على فَرْج خُراسان ؛ فخرج الأندرْزَغَر سائرًا من المَدَائن حتى أتى كَسْكَر ، ثم جازَها إلى الوَلَجة ، وخرج بَهْمَن جاذويه فى أثره ، وأخذ غير طريقه ، فسلك وسط السَّواد ، وقد حشر إلى الأندرْزَغَر من بيْن الحيرة وكَسْكَر من عرب الضّاحية والدّهاقين فعسكروا إلى جَنْب عسكره بالوَلَجة ؛ فلمَّا اجتمع له ما أراد واستتمّ أعجبه ما هو فيه ، وأجمع السَّيْر إلى خالد ؛ ولما بلغ خالدًا وهو بالثِّنْى خبرُ الأندرْزَغَر ونزوله الولَجة ، نادى بالرّحيل ، وخلّف سُوَيد بن مقرّن ، وأمره بلزوم الحفير ، وتقدّم إلى مَن خلّف فى أسفل دِجْلة ، وأمرهم بالحَذَر وقلّة الغَفْلَة ، وترك الاغترار ، وخرج سائرًا فى الجنود نحو الوَلَجة ، حتى ينزل على الأندَرْزَغَر وجنوده ومَن تأشّب إليه[3] ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ؛ هو أعظم من قتال الثِّنْى .

---

(١) كذا ضبط فى ط . (٢) التناء : جمع تانىء ، وهو الطارىء الغريب .

(٣) ز : « معه » .

حدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمّد بن أبي عثمان ، قال : نزل خالد على الأندرْزَغَر بالولَجة في صفَر ، فاقتتلوا بها قتالا شديداً ، حتى ظنّ الفريقان أنّ الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينَه ؛ وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتيْن ، عليهم بُسْر بن أبي رُهْم وسعيد بن مُرّة العِجليّ ، فخرج الكمين في وجْهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولّوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلْفهم ، فلم يرَ رجلٌ منهم مقتلَ صاحبه ؛ ومضى الأندرْزَغَر في هزيمته ، فمات عطشاً . وقام ٢٠٣١/١ خالد في الناس خطيباً يرغّبهم في بلاد العَجَم ، ويزهّدهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترون إلى الطّعام كرفْغ[1] التراب وبالله لو لم يلزمنا [2] الجهادُ في الله والدعاء إلى الله عزّ وجلّ ولم يكن إلاّ المعاش ؛ لكان الرأي أن نقارعَ على هذا الرّيف حتّى نكونَ أولى به ، ونولّي الجوعَ والإقلال مَن تولاّه ممّن اثّاقل عمّا أنتم عليه . وسار خالد في الفلا حين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذراريّ المقاتلة ومَن أعانهم ، ودعا أهلَ الأرض إلى الجزاء [3] والذمّة ، فتراجعوا .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف — وحدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف — عن عمرو ، عن الشّعبيّ ، قال : بارز خالد يوم الولَجة رجلاً من أهل فارس يُعدَل بألف رجل فقتله ، فلمّا فرغ اتّكأ عليه ، ودعا بغدائه . وأصاب في أناس من بكْر بن وائل ابناً لجابر بن بُجير وابناً لعبد الأسود .

* * *

(١) الرفغ : مجتمع التراب .
(٢) ز : « لو لم يكن منا » ابن كثير « يكن بنا » .
(٣) س : « الجزية » .

خبر أُلَّيس ، وهى على صُلْب الفرات

قال أبو جعفر ، حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيف ، عن محمد بن طلحة ، عن أبى عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة . وأمّا السَّرِىّ فإنّه قال فيما كتب إلىّ : حدّثنا شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد بن عبد الله عن أبى عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتَيبة ، قالا : ولمّا أصاب خالد يوم الوَلَجة مَن أصاب من بكْر بن وائل مِن نصاراهم الّذين أعانوا أهلَ فارس غضب لهم نصارَى قومِهم ؛ فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم ؛ فاجتمعوا إلى ألّيس ، وعليهم عبد الأسود العِجْلىّ ، وكان أشدّ الناس على أولئك النّصارى مسلمو بنى عِجْل : عُتَيبة بن النّهاس وسعيد بن مُرّة وفرات بن حَيّان والمثنّى بن لاحق ومذعور ابن عدىّ . وكتب أردشير إلى بَهمن جاذَوَيْه ، وهو بقُسْيَانا — وكان رافدَ فارس فى يوم من أيام شَهْرهم وبنوْا شهورَهم كلّ شهر على ثلاثين يومًا ؛ وكان لأهل فارس فى كلّ يوم رافد قد نُصب لذلك يرفدُهم عند الملك ؛ فكان رافدهم بَهْمَن روز — أن سِر حتى تقدَم ألّيس بجيشك إلى مَن اجتمع بها من فارس ونصارى العرب . فقدّم بَهْمَن جاذويه جابان وأمره بالحثّ ، وقال : كفكِفْ نفسَك وجندَك من قتال القوم حتى ألحق بك إلاّ أنْ يُعجلوك . فسار جابان نحو ألّيس ؛ وانطلق بَهْمَن جاذويه إلى أردشير ليُحْدِث به عهدًا ، وليستأمره فيما يريد أن يشيرَ به ، فوجده مريضًا ؛ فعرّج عليه ، وأخلَى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى ألّيْس ، فنزل بها فى صفَر ، واجتمعت إليه المسالح التى كانت بإزاء العرب[1] ؛ وعبد الأسود فى نصارى العرب من بنى عِجْل[2] وتيمْ اللّات وضُبَيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بن بجير نصرانيا ، فساند عبد الأسود ؛ وقد كان خالد بلغه تجمّع عبدالأسود وجابر وزُهير فيمنْ تأشّب إليهم ، فنَهدلهم ولا يشعر بدنوّ جابان ، وليست لخالد همة إلاّ من تجمّع له من عَرَب الضّاحية

١/٢٠٣٢ ١/٢٠٣٣

(١) ز : « الفرات » . (٢) ز : « بكر » .

ونصاراهم ؛ فأقبل فلمّا طلع على جابان بألّيس ، قالت الأعاجم لجابان : أنعاجلهم أم نغدّى الناس ولانريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟ فقال جابان : إن تركوكم والتهاون بكم[١] فتهاونوا ، ولكن ظنّى بهم أن سيعجلونكم ويعجّلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البُسُط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوْا إليها ، وتوافوْا عليها . فلمّا انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ، فلمّا وُضعت توجّه إليهم ، ووكّل خالد بنفسه حوامىَ يحمُون ظهره ، ثم بَدَرَ أمام الصفّ ، فنادى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟ رجلٌ من جَذْرة ؛ فنكلُوا عنه جميعًا إلاّ مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد : يا بنَ الخبيثة ، ما جرّأك علىّ من بينهم ، وليس فيك وفاء ! فضربه فقتله ، وأجهض[٢] الأعاجمَ عن طعامهم قبل أن يأكلوا ؛ فقال جابان : ألم أقل لكم يا قومُ ! أما والله ما دخلَتْنى من رئيس وحشة قطُّ حتى كان اليوم ؛ فقالوا حيث لم يقدروا على الأكل تجلّدًا : نَدعُها حتى نفرغ منهم ؛ ونعود إليها . فقال جابان : وأيضًا أظنّكم والله لهم وضعتموها وأنتم[٣] لا تشعرون ؛ فالآن فأطيعونى ؛ سُمّوها ؛ فإن كانت لكم فأهْونُ هالك ، وإن كانت عليكم كنتم قد صنعتم شيئًا ؛ وأبلَيْتم عذرًا . فقالوا : لا ، اقتدارًا عليهم . فجعل جابان على مجنّبتَيْه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبئته فى الأيام التى قبلها ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، والمشركون يزيدهم كَلَبًا وشدّةً ما يتوقّعون من قدوم بَهْمَن جاذويه ، فصابروا المسلمين للّذى كان فى علم الله أن يصيّرَهم إليه ، وحَرِبَ المسلمون عليهم ، وقال خالد : اللهمّ إنّ لك علىّ إن منحتَنا أكتافَهم ألاّ أستبقِىَ منهم أحدًا قدرْنا عليه حتى أجرِىَ نهرَهم بدمائهم !

٢٠٣٤/١

ثم إنّ الله عزّ وجلّ كشفَهم للمسلمين ، ومنحَهم أكتافهم ، فأمر خالد مناديَه ، فنادى فى الناس : الأسرَ الأسرَ ! لا تقتلوا إلاّ مَن امتنع ؛ فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين يساقون سَوْقاً ، وقد وكّل بهم رجالاً يضربون أعناقهم فى النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم[٤] الغد وبعد الغد ؛

---

(١) ط : « بهم » ، وأثبت ما فى س .

(٢) أجهضهم : نحاهم . (٣) ز : « وأنكم »

(٤) ز : « وطلبوا إثرهم من الغد » .

حتى انتهوْا إلى النّهرين ، ومقدارِ ذلك من كلّ جوانب ألّيْس. فضرب أعناقهم ؛ وقال له القعقاع وأشباهٌ له : لو أنّك قتلتَ أهلَ الأرض لم تجرِ دماؤهم ؛ إنّ الدّماء لا تزيد على أن تَرقرَق منذ نُهيتْ عن السَّيَلان ، ونُهيت الأرض عن نَشْف الدماء ؛ فأرسل عليها الماء تَبَرّ يمينك . وقد كان صدّ الماءَ عن النّهر فأعاده ، فجرى دمًا عبيطًا[1] فسمّى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم .

١/٢٠٣٥

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصيّة ، قال : وبلغنا أن الأرض لما نشِفتْ[2] دمَ ابن آدم نُهيَتْ عن نَشْف الدماء ، ونُهِيَ الدّم عن السَّيَلان إلا مقدارَ بَرْدِه .

ولما هُزِم القوم وأجْلَوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه ؛ وقف خالد على الطعام ، فقال : قد نفّلْتُكموه فهو لكم . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نفّله . فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل مَنْ لم يرَ الأرياف ولا يعرف الرّقاق يقول : ما هذه الرّقاق البيض ! وجعل مَنْ قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحًا : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هو هذا ؛ فسمى الرّقاق ، وكانت العرب تسمّيه القرَى .

* * *

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، قال : حدّثنا سيف ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشّعبيّ ، عمّن حدّث ، عن خالد ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نفّل الناس يوم خيْبَر الخبز والطّبيخ والشّواء ، وما أكلوا غير ذلك فى بطونهم غير متأثّليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النّهر أرحاء ، فطحنتْ بالماء وهو أحمر قوت العسكر ؛ ثمانية عشر ألفًا أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبر مع رجل يدعى

---

(١) دماً عبيطا ، أى طرياً .

(٢) نشفت الأرض الدم : شربته .

٢٠٣٦/١ جَنْدَلا من بنى عجْل ، وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبى بكر بالخَبَر ، وبفتح ألَّيْس ، وبقدْر الفىء وبعدّة السَّبْى ، وبما حصل من الأخماس ؛ وبأهل البلاء من الناس ؛ فلمَّا قدم على أبى بكر ، فرأى صرامته وثباتَ خبره ، قال : ما اسمك ؟ قال: جَنْدَل ، قال : ويْهًا جندل !

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصامَا وَعَوَّدَتْهُ الكَرَّ وَالإقْداما

وأمر له بجارية من ذلك السَّبْى ، فولدت له .

قال : وبلغت قتلاهم من ألَّيْس سبعين ألفًا جلّهم من أمْغيشيَا .

قال أبو جعفر: قال لنا عبيد الله بن سعد : قال عمّى : سألت عن أمْغيشيَا بالحيرة فقيل لى : مَنيشيَا ، فقلت لسيف، فقال :هذان اسمان[1].

* * *

حديث أمغيشيا

فى صفر ، وأفاءَها الله عزّ وجلّ بغير خيل .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبى عثمان وطلحة ، عن المغيرة ، قال : لمَّا فرَغ خالد من وقعة ألَّيْس ، نهض فأتى أمْغيشيَا ، وقد أعجلهم عمَّا فيها ، وقد جلا أهلُها ؛ وتفرّقوا فى السَّوَاد ، ومن يومئذ صارت السَّكرات[2] فى السَّواد؛ فأمر خالد بهدم أمْغيشيَا ٢٠٣٧/١ وكلّ شىء كان فى حيِّزها ، وكانت مِصْرًا كالحيرة ؛ وكان فرات بادَقْلَى ينتهى إليها، وكانت ألَّيْس من مسالحها ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن بَحْر بن الفُرات العجلىّ ، عن أبيه ، قال : لم يصب المسلمون فيما بين ذات السَّلاسل وأمغيشيا مثل شىء أصابوه فى أمغيشيَا ، بلغ سهمُ الفارس ألفًا وخمسمائة ، سوى النَّفَل الذى نُفِّلَه أهلُ البلاء . وقالوا جميعًا : قال أبو بكر رحمه الله حين

---

(١) س : « هكذا سمعت » . (٢) ياقوت ٤ : ٣٢٧ : «السكرة : الفعلة » .

بلغه ذلك : يا معشرَ قريش – يخبرهم بالذى أتاه : عدا أسدُكم على الأسد فغلَبه على خراذيله [١] ؛ أعجزت النساء أن ينسلن [٢] مثل خالد !

* * *

حديث يوم المَقْر وفم فُرات بادَقْلَى

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السَّرِىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبى عثمان وطلحة ، عن المغيرة : أن الآزاذبه كان مرزُبان الحيرة أزمان كسرى إلى ذلك اليوم ؛ فكانوا لا يمدُّ بعضُهم بعضا إلاّ بإذن الملك ، وكان قد بلغ نصف الشَّرَف ، وكان قيمة قَلَنْسُوته خمسين ألفا ؛ فلما أخرب خالد أمغيشيا ، وعاد أهلها سَكَرات لدهاقين القرى علم الآزاذبه أنّه غيرُ متروك ، فأخذ فى أمره وتهيَّأ لحرب خالد ، وقدّم ابنه ثم خرج فى أثره حتى عسكر خارجًا من الحيرة ؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقلّ خالد من أمغيشيا وحمل الرَّجْل [٣] فى السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجأ خالدٌ إلاّ والسفنُ جوانح [٤] ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاّحون : إن أهلَ فارس فجّروا الأنهار ؛ فسلك الماء غير طريقه ؛ فلا يأتينا الماء إلاّ بسدّ الأنهار ، فتعجَّل خالد فى خيلٍ نحو ابن الآزاذبه ، فتلقّاه على فمِ العتيق خيلٌ من خيله ؛ فجأهم وهم آمنون لغارة خالد فى تلك الساعة ، فأنامهم بالمقْر ، ثم سار من فَوْرِه وسبق الأخبارَ إلى ابن الآزاذبة حتَّى يلقاه وجندَه على فم فرات بادَقْلَى ؛ فاقتتلوا فأنامهم ؛ وفجَّر الفُرات وسدّ الأنهار وسلك الماءُ سبيلَه .

٢٠٣٨/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمَّد ، عن أبى عثمان وطلحة عن المغيرة ، وبحر عن أبيه ، قالوا . وحدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنا سيفٌ ، عن محمَّد عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قالا : لمّا أصابَ خالد ابن الآزاذبه على فم فرات بادَقْلَى ، قصد

(١) الخراذيل : قطع اللحم ، واحدة خرذولة .
(٢) كذا فى ز ، وفى ط : « أن ينشئوا » ، وفى التصويبات : « ينشئن » .
(٣) س : « الرجال » .
(٤) جنحت السفينة جنوحاً : انتهت إلى الماء القليل ، فلزقت بالأرض فلم تمض .

للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتّى ينزل بين الخورنق والنَّجَف ، فقدم خالد الخورنق ، وقد قطع الآزاذبه الفرات هاربًا من غير قتال ؛ وإنّما حداه على الهرب أنّ الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان عسكره بين الغريّين والقصر الأبيض . ولمّا تتامّ أصحابُ خالد إليه بالخورنق خرج من العسكر حتّى يعسكر بموضع عسكر الآزاذبه بين الغريّين والقصر الأبيض ، وأهلُ الحيرة متحصّنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيلَ من عسكره ، وأمر بكلّ قصر رجلا من قوّاده يحاصر أهلَه ويقاتلهم ، فكان ضرار بن الأزور محاصرًا القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائىّ ، وكان ضرار بن الخطاب محاصرًا قصر العدسيّين وفيه عدىّ بن عدىّ المقتول ، وكان ضرار بن مقرّن المزنىّ عاشر عشرة إخوة له محاصرًا قصرَ بنى مازن ، وفيه ابن أكّال ؛ وكان المثنّى محاصرًا قصر ابن بقيلة وفيه عمرو ابن عبد المسيح ؛ فدعوهم جميعًا ، وأجّلوهم يومًا ، فأبى أهلُ الحيرة ولجّوا ، فناوشهم المسلمون .

١/٢٠٣٩

حدّثنى عبيدُ الله بن سعد ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، رجل من بنى كنانة — قال أبو جعفر : هكذا قال عبيد الله . وقال السرىّ فيما كتب به إلىّ : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بنى كنانة — قال : عهد خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدّعاء ، فإن قبلوا قبلوا منهم وإن أبوا أن يؤجّلوهم يومًا ، وقال : لا تمكّنوا عدوّكم من آذانكم ، فيتربّصوا بكم الدوائر ؛ ولكن ناجزوهم ولا تردّدوا [1] المسلمين عن قتال عدوّهم . فكان أوّل القوّاد أنشب القتال بعد يوم أجلوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ، أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا : عليكم الخزازيف ، فقال ضرار : تنحّوا لا ينالكم الرّمى ؛ حتّى ننظر فى الذى هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأسُ

١/٢٠٤٠

(١) ز : « ولا تردوا » .

القصر من رجال متعلّقى المخالى، يرمون المسلمين بالخزازيف – وهى المداحى من الخزَف – فقال ضرار : ارشقوهم، فدنوْا منهم فرشقوهم بالنَّبْل، فأعروْا رءوس الحيطان، ثم بثّوا غارتهم فيمن يليهم، وصبّح أميرَ كلِّ قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدُّور والدّيرات، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرُّهبان : يا أهلَ القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور : يا معشرَ العرب، قد قبِلْنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكُفّوا عنّا حتّى تبلغونا خالداً. فخرج إياس بن قَبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدىّ بن عدىّ وزيد بن عدىّ إلى ضرار بن الخطاب – وعدىّ الأوسط الذى رثته أمّه وقتل يوم ذى قار – وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكّال، هذا إلى ضرار بن مقرّن، وهذا إلى المثنّى بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبى عثمان، وطلحة عن المغيرة، قالا : كان أوّل مَنْ طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح ابن قيس بن حيّان بن الحارث وهو بُقَيْلة – وإنما سُمى بقَيلة لأنه خرج على قومه فى بردَيْن أخضرين، فقالوا : يا حارِ[1] ما أنت إلا بُقَيلة خضراء – وتتابعوا[2] على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كلّ رجل منهم ثِقة؛ ليصالح عليه أهلَ الحصن، فخلا خالد بأهلِ كلِّ قصرٍ منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحابِ عدىّ، وقال : ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدىّ : بل عرب عاربة وأخرى متعرّبة، فقال : لو كنتم كما تقولون لم تحادّونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدىّ : لَيدلّك على ما نقول أنّه ليس لنا لسان إلاّ بالعربية، فقال : صدقتَ. وقال : اختاروا واحدة من ثلاث : أن تدخلوا فى ديننا فلكم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم

١/٢٠٤١

---

(١) ز : « يا جار ».

(٢) ابن حبيش : « وتبايعوا ».

وإنْ أقمتم فى دياركم، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ؛ فقد والله أتيتُكم بقوم هم على الموت أحرصُ منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزْية ، فقال خالد : تبًّا لكم ، ويحكم ! إنّ الكُفْر فلاة مَضَلّة ، فأحمقُ العرب مَن سلكها فلقيه دليلان : أحدهما عربىّ فتركه واستدلّ الأعجمىّ . فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفا ؛ وتتابعوا على ذلك ، وأهدَوْا له هدَايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبى بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلىّ ، فقبلها

١/٢٠٤٢ أبو بكر من الجزَاء ، وكتب إلى خالد أن احسبْ لهم هديّتهم من الجزَاء ، إلاّ أن تكون من الجزَاء ، وخذ بقيّة ما عليهم فقوّ بها أصحابك : وقال ابنُ بُقَيْلة :

أبَعْدَ المُنذِريْن أرَى سَواماً ... تُرَوَّحُ بالخَوَرْنَق والسَّدير !
وبَعْدَ فَوَارِسِ النُّعْمان أرْعى ... قَلوصاً بين مُرَّةَ والحَفِيرِ
فصِرْنا بعد هُلْك أبى قُبَيْس ... كجُرْب المَعْز فى اليوم المَطِيرِ
تَقَسَّمَنَا القبائلُ مِنْ مَعَدٍّ ... علانِيَةً كأيْسارِ الجَزُورِ
وكُنّا لا يرامُ لنا حَرِيمٌ ... فنحْنُ كضَرَّة الضرْعِ الفَخُورِ
نؤَدِّى الْخَرْجَ بعد خَراج كِسْرَى ... وخَرْجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ
كذاكَ الدّهْرُ دَوْلَتُه سِجالٌ ... فيَوْمٌ مِنْ مَساءَةٍ أو سُرُورِ

* * *

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بنى كنانة ، ويونس بن أبى إسحاق بنحو منه ، وقالا : فكانوا

١/٢٠٤٣ يختلفون إليه ويقدَمُون فى حوائجهم عمرو بن عبد المسيح ، فقال له خالد : كم أتتْ عليك [من السنين] قال : مئو سنين ، قال : فما أعجبُ ما رأيت ؟ قال : رأيتُ القرى منظومةً ما بين دمشق والحيرة ، تخرجُ المرأة من الحيرة فلا تَزَوّدُ إلا رغيفًا . فتبسّم خالد ، وقال :

* هل لك من شَيْخك إلا عَمَلُهْ (١) *

(١) ط : « عقله » تصحيف ، وهو يضرب للرجل حين يكبر ، وبقيته :

* إلاّ رسيمه وإلاّ رَمَلُهْ *

وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٨٩ .

خرِفْتَ والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغنى أنّكم خَبَثَة خَدَعَة مَكَرَة[١]! فمالكم تتناولون حوائجكم بخرِفٍ لا يدرَى من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحبَّ أن يريَه من نفسه ما يَعْرِفُ به عقلَه، ويستدلّ به على صحّة ما حدّثه به، فقال: وحقّك أيها الأمير، إنّى لأعرف من أين جئتُ؟ قال: فمن أين جئتَ؟ قال: أقْرِب أم أبْعِد؟ قال: ما شئت، قال: من بطْن أمّى، قال: فأين تريد؟ قال: أمامى، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصَى أثرِك؟ قال: من صُلْب أبى، قال: ففيم أنت؟ قال: فى ثيابى، قال: أتعقل؟ قال: إى والله وأقيِّد. قال: فوجده حين فرّه عضًّا[٢]، وكان أهل قريته أعلم به — فقال خالد: قتلت أرْضٌ جاهلَها، وقتَل أرْضًا عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيُّها الأمير: النملة أعلم بما فى بيتها من الجمل بما فى بيت النّملة. وشاركهم فى هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبى السّفَر، عن ذى الجوشن الضِّبابىّ، وأمّا الزهرىّ فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم فى هذا الحديث رجل من الضِّباب. ١/٢٠٤٤

قالوا: وكان مع ابن بُقيلة منْصَفٌ[٣] له فعلّق كيسًا فى حَقْوِه، فتناول خالد الكيس، ونثر ما فيه فى راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سمّ ساعة، قال: لِمَ تحتقب السمّ؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيتُ، وقد أتيتُ على أجلى، والموت أحبُّ إلىّ من مكروه أدخله على قومى وأهل قريتى. فقال خالد: إنّها لن تموت نفْسٌ حتّى تأتىَ على أجلها، وقال: بسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض وربّ السّماء، الذى ليس يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم. فأهوَوْا إليه ليمنعوه منه، وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكُنّ ما أردتم ما دام منكم أحد أيّها القَرن[٤]. وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أر كاليوم أمرًا أوضحَ إقبالًا!

---

(١) خبثة: جمع خبيث، قال فى اللسان: «وليس فى الكلام «فعيل» يجمع على فعلة غيره». وخدعة مكرة: جمع خادع وماكر.

(٢) فره: اختبره، والعض بالكسر: الداهية.

(٣) المنصف كمقعد ومنبر: الخادم.

(٤) القرن هنا: أهل الزمان الواحد.

وأبى خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة بنت عبدالمسيح إلى شُوَيل؛ فثقُل ذلك عليهم. فقالت: هوّنوا عليكم وأسلمونى، فإنّى سأفتدى. ففعلوا؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتابًا:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عديًّا وعمرا ابنىْ عدىّ، وعمرَو بنَ عبد المسيح وإياس بنَ قَبيصة وحيرىّ بن أكّال — وقال عبيد الله: جبرىّ — وهم نقباء أهل الحيرة؛ ورضىَ بذلك أهلُ الحيرة، وأمروهم[1] به — عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم، تُقبَل فى كلّ سنة جزاءً عن أيديهم فى الدنيا؛ رهبانهم وقسّيسهم؛ إلاّ مَن كان منهم على غير ذى يد، حبيسًا عن الدنيا، تاركًا لها — وقال عبيدُ الله: إلاّ من كان غير ذى يد حبيسًا عن الدنيا، تاركا لها — أوسائحًا[2] تاركًا للدنيا، وعلى المنَعة، فإن لم يمنعهم فلا شىء عليهم حتى يمنعهم، وإن غدروا بفعل أو بقوْل فالذمّة منهم بريئة. وكُتِب فى شهر ربيع الأول من سنة اثنتى عشرة، ودفع الكتاب إليهم.

١/٢٠٤٥

فلما كفر أهلُ السّواد بعد موت أبى بكر استخفُّوا بالكتاب، وضيّعوه، وكفروا فيمن كفر، وغلب عليهم أهل فارس؛ فلما افتتح المثنّى ثانية؛ أدْلَوْا بذلك، فلم يجبْهم إليه، وعاد بشرط[3] آخر؛ فلما غُلب المثنّى على البلاد كفَروا وأعانوا[4] واستخفُّوا وأضاعوا الكتاب. فلمّا افتتحها سعد، وأدْلَوا بذلك سألهم واحدًا من الشَّرْطين، فلم يجيئوا بهما؛ فوضع عليهم وتحرّى ما يرى أنهم مُطيقون[5]، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الحرَزة — قال عبيدُ الله: سوى الخرَزة[6].

حدّثنا عبيدُ الله، قال: حدّثنى عمّى، عن سيف — والسّرِىّ، عن

(١) س: «وأمرهم». (٢) كذا فى ز، وفى ط: «وسائحاً».
(٣) س: «ودعا لشرط».
(٤) س: «وأغاثوا».
(٥) ابن حبيش: «يطيقون».
(٦) الخرزة: نوع من جزية الرءوس، كانت معروفة فى زمن الأكاسرة يؤديها، كل من لم يدخل فى جند الحكومة. الوثائق السياسية: ٤٢٢.

شُعيب ، عن سيف — عن الغُصن بن القاسم الكنانيّ ، عن رجل من بنى كِنانة ويونسَ بن أبى إسحاق ، قالا : كان جرير بن عبد الله ممّن خرج مع خالد بن سعيد بن العاصى إلى الشأم ، فاستأذن خالدًا إلى أبى بكر ليكلّمه فى قومه وليجمّعهم له ؛ وكانوا أوزاعًا فى العرب ، وليتخلّصهم ؛ فأذن له ، فقدِم على أبى بكر ، فذكر له عدَةً من النبيّ صلى الله عليه وسلم وأتاه على العدَة بشهود ، وسأله إنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر ، وقال له : ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث [١] المسلمين ممن بإزائهم من الأسدَين فارس والروم ؛ ثم أنتَ تكلّفنى التّشاغُل بما لا يغنى عمّا هو أرضى لله ولرسوله ! دعْنى وسِرْ نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله فى هذين الوجهين . ١/٢٠٤٦

فسار حتى قدِم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئًا ممّا كان بالعراق إلّا ما كان بعد الحيرة ؛ ولا شيئًا ممّا كان خالد فيه من أهل الرّدّة . وقال القعقاع بن عمرو فى أيام الحيرة [٢] :

سَقَى اللهُ قتلَى بالفُراتِ مُقيمَةً ... وأخرَى بأثْباجِ النّجافِ الكوانِفِ
فنحْنُ وَطِئْنا بالكواظِم هُرْمُزاً ... وبالثّنْيِ قَرْنَىْ قارنٍ بالجوارِفِ
ويَوْمَ أحطْنا بالقُصُورِ تتابعَتْ ... على الحيرَةِ الرَّوْحاءِ إحْدَى المَصارِفِ
حطَطْناهُمُ مِنْها وقَدْ كادَ عَرْشُهُمْ ... يَميلُ بهم ، فِعْلَ الجبانِ المُخالِفِ [٣] ١/٢٠٤٧
رَمَيْنا عَلَيهِم بالقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا ... غَبُوقَ المنايا حوْلَ تِلكَ المَحارِفِ
صَبيحَةَ قالوا نَحْنُ قَوْمٌ تنزَّلُوا ... إلى الرِّيفِ مِن أرضِ العُرَيْبِ المَقانِفِ

* * *

خبر ما بعد الحيرة

حدّثنا عبيد الله بن سعد الزهريّ ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن جميل الطائىّ ، عن أبيه ، قال : لما أعطِيَ شُوَيل كرامة بنت عبد المسيح

---

(١) ز : « نغوث » . (٢) ابن كثير : « الردة » .
(٣) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « يحيل به » .

قلت لعدىّ بن حاتم : ألا تعجبُ من مسألة شويل كرامةَ بنت عبد المسيح على ضَعْفه ! قال : كان يَهْرِف بها دهرَه ، قال : وذلك أنّى لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما رُفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفع له ، وكأنّ شُرَف قصورها أضراسُ الكلاب ؛ عرفت أن قد أرِيَها ، وأنها ستفتح ، فلقّيتُه[1] مسألتها .

وحدّثنا عبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، قال : قال لى عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ – والسرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ – قال : لما قدم شُوَيل إلى خالد ، قال : إنى سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر فتحَ الحيرة ، فسألتُه كرامةَ ، فقال : « هى لك إذا فتحت عنوةً » . وشُهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ؛ فدفعها إليه ، فاشتدّ ذلك على أهلِ بيتها وأهل قرْيتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخَطَر ، فقالت : لا تُخطروه ، ولكن اصبروا ؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! فإنّما هذا رجلٌ أحمقُ رآنى فى شبيبتى فظن أنّ الشباب يدوم . فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما أرَبُك إلى عجوز كما ترى ! فَادِنى ، قال : لا ، إلاّ على حُكْمى ، قالت : فلك حكمك مُرسَلا . فقال : لستُ لأمٍّ شويل إن نقَصْتُك من ألف درهم ! فاستكثرتْ ذلك لتخدَعه ، ثم أتته بها . فرجَعتْ إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنّفوه ، فقال : ماكنت أرى أن عددًا يزيد على ألف ! فأبوْا عليه إلاّ أن يخاصمهم [فخاصمهم][2] ، فقال : كانت نيّتى غاية العدد ، وقد ذكروا أنّ العدد يزيد على ألف ، فقال خالد : أردتَ أمرًا وأراد الله غيره ؛ نأخذ بما يظهر ونَدَعك ونيّتك ، كاذبًا كنت أو صادقًا .

١/٢٠٤٨

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : لمّا فتح خالد الحيرةَ صلّى صلاةَ الفتح ثمانىَ ركعات لا يسلّم فيهنّ ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مُؤتَة فانقطع فى يدى تسعةُ

---

(١) ابن حبيش : « فلقنته » ، وهما فى المعنى سواء

(٢) من ابن حبيش .

أسياف ، وما لقيت قومًا كقوم لقيتُهم من أهل فارس ؛ وما لقيت من أهل فارسَ قومًا كأهل أُلّيْس !

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبيّ ، قال : صلّى خالد صلاةَ الفتح[1]، ثم انصرف . ثم ذكر مثل حديث السريّ . ١/٢٠٤٩

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف — والسريّ ، عن شعيب ، عن سيف — عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قَيْس بن أبي حازم — وكان قدِم مع جرير على خالد — قال : أتينا خالدًا بالحيرة وهو متوشّح قد شدّ ثوبه في عُنُقه يصلّي فيه وحده ، ثمّ انصرف ، فقال : اندقّ في يدي تسعةُ أسياف يوم مُؤْتة ، ثم صبَرَتْ في يدي صَفيحةٌ[2] يمانيّة ، فما زالت معي .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عُتيبة والغصن ابن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمريّ عن ماهان ، قال : ولمّا صالحَ أهلُ الحيرة خالدًا خرج صَلُوبا بن نسطونا صاحب قُسِّ النّاطف ، حتى دخل على خالد عسكره ؛ فصالحه على بانِقْيا وبَسْما ، وضمِن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعًا ، واعتقد لنفسه وأهلِه وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخَرَزة ، خرزة كسرى ؛ وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم[3] كتابًا فتمّوا وتمّ ، ولم يتعلّق عليه في حالِ غلبة فارس بغدْرٍ ، وشاركهم المجالد في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من خالد بن الوليد لصلُوبا بن نَسْطونا وقومه ؛ إنّي عاهدتكم على الجِزْية والمَنَعة ؛ على كلّ ذي يد ؛ بانقيا وبَسْما جميعًا ، على عشرة آلاف دينار سوى الخرَزة ، القويّ على ١/٢٠٥٠

---

(١) س : « الصبح » . (٢) الصفيحة : السيف العريض .

(٣) ابن حبيش : « وكتب له خالد . »

قدر قوّته . والمقلّ على قدر إقلاله ؛ فى كلّ سنة . وإنّك قد نُقِّبْتَ على قومك ، وإنّ قومك قد رضُوا بك . وقد قبلتُ ومَن معى من المسلمين ، ورضيتُ ورضىَ قومُك ؛ فلك الذّمّة والمَنعة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ؛ وإلاّ فلا حتى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجرير بن عبد الله الحميرىّ ، وحنظلة بن الربيع . وكتِب سنة اثنتى عشرة فى صفر .

كتب إلىّ السرىّ . عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبى عثمان ، عن ابن أبى مُكنِف ، وطلحة عن المغيرة . وسفيان عن ماهان . وحدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن محمّد ، عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قال : كان الدّهاقين يتربّصون بخالد وينظُرون ما يصنع أهلُ الحيرة . فلمّا استقامَ ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له أتته دَهاقين الملْطاطيْن[1] ، وأتاه زاذبن بُهَيْش دِهقان فُرات سِرْيَا ، وصَلُوبا بن نسطونا بن بَصْبَهْرَى -هكذا فى حديث السرىّ ؛ وقال عبيد الله : صلوبا بن بصبهرىٰ ونسطونا — فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْجِرْدَ على ألفىْ ألف — وقال عبيد الله فى حديثه : على ألف ألف ثقيل — وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومَن مالَ معهم عن المقام فى داره فلم يدخل فى الصلح . وضرب خالد رِواقه فى عسكره ؛ وكتب لهم كتابًا :

١/٢٠٥١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالدِ بن الوليد لزاذ بن بُهَيْش وصَلُوبا بن نسطونا ؛ لكم الذّمّة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نُقِّبتُم عليه من أهل البِهْقُباذ الأسفل والأوسط — وقال عبيد الله : وأنتم ضامنون جزية[2] مَن نُقِّبتم عليه — على ألفى ألف ثقيل[3] فى كل سنة ؛ عن[4] كلّ ذى يد سوى ما على بانِقْيا وبَسْما وإنّكم قد أرضيتمونى والمسلمين ؛ وإنا قد أرضيناكم وأهل البِهْقُباذ

---

(١) كذا ورد الاسم فى ط على التثنية ؛ وفى ياقوت : « كان يقال لظهر الكوفة اللسان ، وما ولى الفرات منه الملطاط . وفى فتوح البلدان للبلاذرى ١ ٣٤١ : «ما بين الكوفة والحيرة يسمى الملطاط ».

(٢) ط : « حرب » وانظر التصويبات . (٣) كذا فى ابن حبيش . وفى ط : « تقبل » .

(٤) كذا فى ابن حبيش ؛ وفى ط : « ثم » .

الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البِهْقُباذ الأوسط على أموالكم ؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومَن مال ميلَهم . شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله الحِميْرِىّ ، وبشير بن عبيد الله بن الخصاصيّة ، وحنظلة بن الربيع . وكتِب سنة اثنتى عشرة فى صَفَر .

وبعث خالد بن الوليد عمّاله ومسالحه ؛ فبعث فى العِمالة عبد الله بن وثيمة النَّصْرىّ ، فنزل فى أعلَى العمل بالفلاليج على المَنْعَة وقبض الجزية ؛ ١/٢٠٥٢ وجرير بن عبد الله على بانقيا وبَسْما . وبشيرَ بن الخصاصيّة على النَّهْرَيْن فنزل الكُوَيْفة ببانبورا ، وسُوَيدَ بن مقرّن المزنىّ إلى نِستَر . فنزل العَقْر — فهى تسمّى عَقْر سُوَيد إلى اليوم؛ وليست بسويد المِنقرىّ سمّيت — وأطَّ بن أبى أطّ إلى روذمستان ، فنزل منزلاً على نهر سُمّىَ ذلك النهر به — ويقال له: نهر أطّ إلى اليوم ؛ وهو رجل من بنى سعد بن زيد مناة ؛ فهؤلاء كانوا عمالَ الخَراجِ زمنَ خالد بن الوليد .

وكانت الثُّغور[١] فى زمن خالد بالسَّيب . بعث ضرار بن الأزور وضرار ابن الخطاب والمثنّى بن حارثة وضرار بن مقرّن والقعقاع بن عمرو وبُسر بن أبى رُهْم وعُتَيْبة بن النَّهاس ؛ فنزلوا على السَّيْب فى عَرْض سلطانه . فهؤلاء أمراءُ ثغور خالد . وأمرهم خالد بالغَارة والإلحاح ، فمخرُوا ما وراء ذلك إلى شاطئ دِجْلة .

قالوا : ولمّا غلب خالد على أحد جانبى السواد ، دعا من أهل الحيرة ١/٢٠٥٣ برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون[٢] لموت أردشير ؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهمن جاذويه ببَهُرَسير ؛ وكأنّه على المقدّمة . ومع بهمن جاذويه الآزاذبه فى أشباه له . ودعا صلوبا برجُلٍ ، وكتب معهما كتابيْن ؛ فأمّا أحدُهما فإلى الخاصّة وأما الآخر فإلى العامّة ؛ أحدهما حيرىّ والآخر نَبَطىّ .

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة : ما اسمك ؟ قال : مُرّة . قال : خذ

---

(١) ز : « البعوث » .

(٢) س : « متساترون » .

الكتاب فأتِ به أهل فارس، لعلّ الله أن يُمِرَّ عليهم عيشَهم، أو يُسلموا، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِزْقيل، قال: فخذ الكتاب. وقال[1]: اللهمّ أزهق نفوسَهم.

كُتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أمّا بعدُ؛ فالحمد لله الذى حلّ نظامكم، ووهّن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرًّا لكم؛ فادخلوا فى أمرنا نَدَعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلاّ كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَب، على أيدى قوم يحبّون الموت كما تحبّون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس؛ أمّا بعد فأسلِموا تسلَموا؛ وإلاّ فاعتقدوا منى الذّمّة، وأدّوا الجزْية، وإلاّ فقد جئتكم بقوم يحبّون الموت، كما تحبّون شُربَ الخمر. ١/٢٠٥٤

حدّثنى عبيدُ الله، قال: حدّثنى عمّى، عن سيف، عن محمّد بن نويرة، عن أبى عثمان. والسرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبى عثمان والمهلب بن عُقْبة وزياد بن سَرْجِس، عن سياه وسفيان الأحمرىّ، عن ماهان: أن الخراج جُبِىَ إلى خالد فى خمسين ليلة، وكان الّذين ضَمِنوه والذين هم رءوس الرساتيق رُهُنًا فى يده، فأعطى ذلك كلّه للمسلمين، فقوُوا به على أمورهم. وكان أهلُ فارس بموت أردشير مختلفين فى المُلْك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنةً، والمسلمون يمخرُون ما دون دِجْلة، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمْر؛ وليست لأحد منهم ذمّة إلاّ الذين كاتبوه واكتتبوا منه، وسائر أهل السواد جُلاّء، ومتحصّنون، ومحاربون. واكْتُتب عمّال الخراج، وكتبوا البراءات لأهل الخراج، من نسخة واحدة:

(١) ز: «وقل».

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجِزْية الّتى صالحهم عليها الأمير خالدُ بن الوليد ، وقد قبضت الّذى صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يَدٌ على من بَدّل صلح خالد ؛ ما أقررتم بالجزية وكففتم . أمانكم أمان ، وصلحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء . ٢٠٥٥/١

وأشهدوا لهم النّفر من الصحابة الّذين كان خالد أشهدهم : هشاما ، والقعقاع ، وجابر بن طارق ، وجريرًا ، وبشيرًا ، وحنظلة ، وأزداذ ، والحجّاج بن ذى العُنُق ، ومالك بن زيد .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرجَ خالدٌ وقد كتب أهل الحيرة عنه كتابًا : إنّا قد أدّيْنا الجِزْية الّتىعاهدنا عليها خالدٌ العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعونا وأميرهم البغىَ من المسلمين وغيرهم .

وأمّا السرىّ ؛ فإنه قال فى كتابه إلىّ : حدثنا شُعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدّثنا عُبيد الله ، قال : حدّثنى عمّى ، عن سيف — والسرىّ ، عن شعيب عن سيف — عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلى نحواً منه ، قالوا : وأمر الرسولين اللّذَيْن بعثهما أن يوافياه بالخبر ، وأقام خالد فى عَمَله سنة ، ومنزله الحيرة ، يصعّد ويصوّب قبل خروجه إلى الشأم ، وأهل فارس يخلعون ويملّكون ؛ ليس إلاّ الدّفع عن بَهُرَسير ؛ وذلك أن شيرَى بن كسرى قتل كلّ مَن كان يناسبه[1] إلى كسرى بن قُباذ ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كلّ مَن بين كسرى بن قُباذ وبيْن بَهْرام جور ، فبقُوا لا يقدرون على من يملّكونه ممن يجتمعون عليه . ٢٠٥٦/١

(١) ز : « إخوته ومن كان يناسبه » .

حدّثنا عبيدُ الله ، قال : حدّثنى عمّى ، قال : حدّثنى سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبىّ ، قال : أقام خالدٌ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشأم أكثرَ من سنة ، يعالج عَمَل عياض الذى سُمّىَ له ، وقال خالد للمسلمين : لولا ما عهد إلىّ الخليفة لم أتنقّذ(١) عياضًا ، وكان قد شجِىَ وأشجى بدُومة ، وما كان دون فتح فارس شىء ؛ إنها لسنّة كأنها سنّة نساء . وكان عهد إليه ألاّ يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعيْن عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراص آخر . ولما وقعت كتُب خالد إلى أهل المدائن تكلّم نساء آل كسرى ، فوُلّى الفرّخْزاذ بن البنْدوان إلى أن يجتمع(٢) آل كسرى على رجل إن وجدوه .

١ / ٢٠٥٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبى عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلّب عن سياه ، وسُفْيان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتىَ العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتىَ العراق من فوْقها ، وأيّكما ما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على الحيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمنتم أن يؤتىَ المسلمون من خلْفهم فليُقِم بالحيرة أحدُكما ، وليْقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عمّا فى أيديهم ، واستعينوا بالله واتّقُوه ، وآثروا أمرَ الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما . واحذروا ما حذّركم الله بترك المعاصى ومعاجلة التوبة ؛ وإيّاكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمِر به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السّواد ، وفرّق سَواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميرىّ ، وبشير بن الخَصاصيّة ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذى العنق ، وأطّ ، وسويد وضرار ؛ وفرّق سواد الأبُلّة على سُوَيد بن مقرّن ؛ وحَسَكة الحبطىّ ، والحصين بن أبى الحُرّ ، وربيعة بن عِسْل ، وأقرّ المسالحَ على ثُغورهم ،

١ / ٢٠٥٨

(١) يقال : تنقذه ، إذا نجاه وخلصه .

(٢) ز : « اجتمع » .

واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد فى عمل عياض ليقضىَ ما بينه وبينه ، ولإغاثته ، فسلك الفَلُّوجة حتى نزل بكَرْبَلاء وعلى مَسْلَحتها عاصم بن عمرو، وعلى مقدّمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المثنّى كان على ثَغْرمن الثغور التى تلى[1] المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه فى إغاثة عياض .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن أبى رَوْق ، عمَّن شهدهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كَرْبَلاء أيّامًا ، وشكا إليه عبدُ الله بن وثيمة الذُّباب ، فقال له خالد : اصبِرْ فإنّى إنّما أريد أن أستفرغ المسالح التى أمِر بها عياضٌ فنُسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتَوْا من خلْفهم ، وتجيئنا العرب آمِنةً وغير مُتَعْتَعَة ؛ وبذلك أمرَنا الخليفة ، ورأيه يعدل نَجْدَة الأمّة . وقال رجل من أشْجَع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حُبِسَتْ فى كَرْبَلاء مطيّتى وفى العَيْنِ حتى عاد غَثًّا سمينُها[2]
إذا رَحلَتْ من مَبْرَكٍ رجعَتْ له لَعَمْرُ أبيها إنّنى لأهِينُها
ويمنعُها من ماء كلِّ شريعةٍ رِفاق من الذِّبان زُرْقٌ عيونها

١/٢٠٥٩

* * *

حديث الأنبار — وهى ذات العيون — وذكر كَلْواذَى

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : خرج خالدُ بن الوليد فى تعبيته الّتى خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدّمته الأقرعُ بن حابس . فلمّا نزَل الأقرع المنزلَ الّذى يُسلمه إلى الأنبار أنتجَ قومٌ من المسلمينَ إبلَهم ، فلم يستطيعوا العُرْجة[3] ،

(١) ط : « على » ، وأثبت ما فى ابن حبيش .
(٢) ياقوت ٧ : ٢٢٩ .
(٣) العرجة : المقام .

ولم يجدوا بُدّاً من الإقدام ، ومعهم بنات مَخَاض ، تتبعهم . فلمّا نودِى بالرّحيل صَرُّوا[١] الأمّهات ، واحتقبوا المنتوجات؛ لأنها لم تطق السَّيْر ؛ فانتهوا ركبانا إلى الأنبار ، وقد تحصّنَ أهلُ الأنبار ، وخندقوا عليهم ، وأشرفوا من حصنهم ، وعلى تلك الجنود شيرزاذ صاحب ساباط ــ وكان أعقل أعجمىّ يومئذ وأسودَه وأقنعَه فى الناس : العرب والعجم ــ فتصايح عربُ الأنبار يومئذ من السُّور ، وقالوا: صبَّح الأنبار شرٌّ؛ جَمَلٌ يحمل جُمَيْلَهُ وجملٌ تُربِّهُ عوذٌ[٢]. فقال شيرزاذ : ما يقولون ؟ ففسّر له ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قَضَوْا على أنفسهم ؛ وذلك أنّ القوم إذا قضوْا على أنفسهم قضاءً كاد يلزمهم ؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحنّه ؛ فبيناهم كذلك قدِم خالد على المقدّمة ، فأطاف بالخندق ، وأنشب القتال ؛ وكان قليل الصَّبْر عنه إذا رآه أو سمع به ؛ وتقدّم إلى رُماته ، فأوصاهم وقال : إنّى أرى أقواماً لا علم لهم بالحرْب ، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّوْا غيرَها ، فرموا رِشْقا[٣] واحداً ، ثم تابعوا ، ففقِىء ألف عين يومئذ ، فسُمّيت تلك الوقعة ذات العيون ؛ وتصايح القوم : ذهبت عيون أهل الأنبار ! فقال شيرزاذ : ما يقولون ؟ ففسر له ، فقال : آباذ آباذ[٤]. فراسل خالداً فى الصُّلْح على أمر لم يرضَه خالد ، فردّ رسلَه ، وأتى خالد أضيقَ مكان فى الخندق برذايا[٥] الجيش فنحرها ؛ ثم رمى بها فيه فأفعمه ؛ ثم اقتحم الخندق ــ والرذايا جسورهم ــ فاجتمع المسلمون والمشركون فى الخندق . وأرَزَ القوم إلى حصنهم ، وراسل شيرزاذ خالداً فى الصُّلْح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخلّيَه ويُلْحِقَه بمأمنه فى جريدة خيل ، ليس معهم من المتاع والأموال شىء؛ فخرج شيرزاذ ، فلمّا قدِم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر لامه ، فقال : إنى كنتُ فى قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسمعتهم مَقْدَمهم علينا يقضون على أنفسهم ، وقلّما قضى قوم على أنفسهم قضاء إلا وجب عليهم . ثم قاتلهم الجند ،

١/٢٠٦٠

(١) صر الناقة : شد ضرعها بالصرار ؛ لئلا يرضعها ولدها .
(٢) تربه : تصلحه .
(٣) رموا رشقا ، أى وجهاً واحداً بجميع سهامهم .
(٤) آباذ ، كلمة ثناء بالفارسية ، ومعناها بارك الله ؛ وانظر المعجم فى اللغة الفارسية .
(٥) الرذايا : جمع رذية ؛ وهى الناقة المهزولة من السير .

ففقئوا فيهم وفى أهل الأرض ألف عين ؛ فعرفتُ أنّ المسالمة أسلم . ولمّا ١/٢٠٦١ اطمأنّ خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمِنَ أهلُ الأنبار وظهروا ، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلّمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم من العرب قبلَنا — فكانت أوائلهم نزلُوها أيّامَ بختنصّر حين أباح العرب ؛ ثمّ لم تزُل عنها — فقال : ممّنْ تعلّمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلّمنا الخطّ من إياد ، وأنشدوه قول الشاعر :

قَوْمى إيادٌ لو أنّهـــمْ أمَمُ أو لو أقاموا فتُهْزَلَ النَّعَمُ[1]

قَوْمٌ لهم باحةُ العـــراق إذا ساروا جميعاً والخَط والقَلَمَ[2]

وصالح خالد مَنْ حولهم ، وبدأ بأهل البَوازيج ؛ وبعث إليه أهل كَلْواذَى ليعقِد لهم ، فكاتبهم فكانوا عيْبتَه من وراء دجلة . ثم إن أهل الأنبار وما حولها نقضُوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدُّول ما خلا أهل البوازيج ، فإنّهم ثبتوا كما ثبت أهل بانِقْيا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز — يعنى ابن سياه — عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : ليس لأحدٍ من أهلِ السَّواد عَقْد قبل الوقعة إلاّ بنى صلوبا — وهم أهل الحيرة — وكلواذَى ، وقرى من قرى الفرات[3] ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمّة بعد ما غدروا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، ١/٢٠٦٢ قال : قلت للشعبىّ : أخِذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكلّ أرض إلا بعض القلاع والحصون ، فإنّ بعضهم صالح به ، وبعضهم غَلَب[4] . فقلت : فهل لأهل السَّوَاد ذمّة اعتقدوها قبل الهَرَب[5] ؟ قال : لا ، ولكنّهم لما دُعُوا ورضُوا بالخَراج وأخِذ منهم صاروا ذمّة .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ونسبهما إلى أمية بن أبى الصلت .

(٢) ابن كثير : « واللوح والقلم » . ابن هشام : « والقط والقلم » .

(٣) ز وابن كثير . « من قرى فرات » .

(٤) ز : « غالب » .

(٥) ابن كثير : « الحرب » .

خبر عَيْن التَّمْر

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وزياد ، قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له ، استخلف على الأنبار الزّبْرِقان بن بدر ، وقصد لعين التّمْر ؛ وبها يومئذ مِهران بن بهرام جُوبين فى جَمع عظيم من العجم ، وعَقّة بن أبى عقّة فى جمع عظيم من العرب من النَّمِر وتغلِب وإياد ومن لافّهم[1] . فلما سمعوا بخالد قال عقّة لِمهران : إنّ العرب أعلمُ بقتال العرب ، فدَعْنا[2] وخالداً ، قال : صدقت ، لعمرى لأنتم أعلمُ بقتال العرب ، وإنّكم لَمثلنا فى قتال العجم . فخدعه واتّقى به ، وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعنّاكم . فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم : ماحملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ! فقال : دعونى فإنى لم أرِدْ إلاّ ما هو خير لكم وشرّ لهم ؛ إنّه قد جاءكم مَن قتلَ ملوككم ، وفلّ حدّكم ، فاتّقيتُه بهم ؛ فإن كانت لهم على خالد فهى لكم ؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنوا ، فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضعَفون . ١/٢٠٦٣ فاعترفوا له بفضْل الرّأى ، فلزم مِهْران العين ، ونزل عَقّة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بُجَير بن فلان أحد بنى عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل ابن عمران ، وبين عَقّة وبين مِهران[3] رَوْحة أو غَدوة ، ومِهران فى الحصن[4] فى رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكَرْخ كالخفير . فقدم عليه خالد وهو فى تعبئة جنده ، فعبّى خالد جندَه وقال لمجنّبتيه[5] : اكفُونا ما عنده ، فإنى حامل ؛ ووكّل بنفسه حوامىَ ، ثمّ حمل وعقّة يقيم صُفوفه ؛ فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهزم صفّه من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسْر ، وهرب بُجَير والهذيل ، واتّبعهم المسلمون . ولمّا جاء الخبرُ مِهرانَ هرب فى جُنْده ، وتركوا الحِصْن . ولما انتهت فُلاّل عَقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به ؛ وأقبل خالد فى النّاس حتّى ينزل على الحِصْن ومعه عَقّة أسير وعمرو بن الصَّعِق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمَن كان

---

(١) ب وابن كثير : «لافاهم» . (٢) س : «فدعها» (٣) ز ، س : « بين عقة ومهران » .
(٤) س : « فى حصن » . (٥) المجنبتان : ميمنة الجيش وميسرته .

يَغير من العرب ، فلما رأوْه يحاولهم سألوه الأمان . فأبى إلاّ على حُكْمه فسَلسوا له[1] به .فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مِساكًا[2]، وأمر خالد بعقّة وكان خفير القوم فضُربت عنُقه ليُوئس الأسراءَ من الحياة ، ولما رآه الأسراءُ مطروحًا على الجسر يئسوا من الحياة ، ثم دعا بعمرو بن الصَّعق فضرب عنقَه ، وضرب أعناق أهل الحصْن أجمعين . وسبَى كلّ من حوى حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد فى بيعتهم أربعين غلامًا يتعلّمون الإنجيل ، عليهم باب مُغْلَق ؛ فكسره عنهم[3]، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رُهُن ، فقسمهم فى أهل البلاء ؛ منهم أبو زياد مولى ثَقيف ، ومنهم نُصَيْر أبو موسى بن نصَير ، ومنهم أبو عمرة جدّ عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، وسيرين أبو محمد بن سيرين ، وحُرَيث ، وعُلاثة . فصار أبو عمرة لشُرَحْبِيل ابن حَسَنة ، وحُريث لرجل من بنى عباد ، وعلاثة للمعنّى ، وحُمران لعثمان . ومنهم عمير وأبو قيس ؛ فثبت على نسبه من موالى أهل الشأم القدماء ، وكان نُصير يُنسب إلى بنى يشكر ، وأبو عمْرة إلى بنى مُرّة. ومنهم ابن أخت النَّمِر . ١/٢٠٦٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيْب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وأبى سفيان طلحة بن عبد الرحمن والمهلّب بن عُقْبة ، قالوا : ولما قدِم الوليد بنُ عُقْبة من عند خالد على أبى بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخمَاس وجّهه إلى عياض ، وأمدّه به ، فقدِم عليه الوليد، وعياض محاصرُهُمْ وهم محاصروه ، وقد أخذوا عليه بالطّريق ، فقال له : الرأى فى بعض الحالات خيرٌ من جند كثيف ؛ ابعث إلى خالد فاستمدّه . ففعل ؛ فقدم عليه رسولُه غِبّ وقعة العين مستغيثًا ، فعجِل إلى عياض بكتابه : من خالد إلى عياض إيّاك أريد .

لَبّثْ قليلاً تأتِكَ الحلائبُ[4] يَحْمِلْنَ آساداً عليها القاشِبُ

* كَتائبٌ يَتْبَعُها كَتائبُ *

---

(١) سلسواله : لانوا . (٢) ابن كثير : « جعلوا فى السلاسل » ، وفى ابن الأثير والنويرى : « فأخذهم أسرى » . (٣) س : « عليهم » .

(٤) الحلائب : الجماعات ؛ يقال : أحلب القوم ، إذا اجتمعوا للنصرة .

١/٢٠٦٥

خبر دُومَة الجَنْدَل

قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْن التَّمْر خلّف فيها عُوَيْم[١] بن الكاهل[٢] الأسلميّ، وخرج فى تعبيته الّتى دخل فيها العين؛ ولمّا بلغ أهلَ دُومة مَسيرُ خالد إليهم بعثوا إلى أحزابهم من بَهْراء وكلْب وغسّان وتَنُوخ والضَّجاعم، وقبلُ ما قد أتاهم وَديعة فى كلْب وبَهراء، ومساندُه ابن وَبَرَة بن رُومانِس، وآتاهم ابن الحِدرِجان فى الضَّجاعم، وابن الأيْهَم فى طوائف من غَسّان وتَنُوخ، فأشْجَوْا عياضًا وشجُوا به.

فلما بلغهم دنوّ خالد، وهم على رئيسين: أكَيْدر بن عبد الملك والجُوديّ ابن ربيعة، اختلفوا، فقال أكيدر: أنا أعلمُ النّاس بخالد؛ لا أحد أيمنُ طائرًا منه، ولا أحدّ فى حرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلّوا أو كثروا إلاّ انهزموا عنه؛ فأطيعونى وصالحوا القوم. فأبوْا عليه، فقال: لن أمالئكم على حرْب خالد، فشأنكم.

فخرج لطِيَّته، وبلغ ذلك خالدًا؛ فبعث عاصمَ بن عمرو معارضًا له، فأخذه فقال: إنّما تلقّيْت الأمير خالدًا؛ فلمّا أتى به خالدًا أمر به فضُربت عنقُه، وأخذ ما كان معه من شىء، ومضى خالدٌ حتى ينزل على أهل دُومة، وعليهم الجوديّ بن ربيعة، ووديعة الكلبيّ، وابن رُومانس الكلبيّ، وابن الأيهم وابن الحِدْرجان؛ فجعل خالد دُومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النّصارى الذين أمدّوا أهل دُومة من العرب محيطين بحصن دُومة، لم يحمِلْهم الحصن، فلما اطمأنّ خالد خرج الجوديّ، فنهض بوديعة فزحفا لخالد، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيْهم إلى عياض؛ فاقتتلوا، فهزم الله الجوديّ ووديعة على يدىْ خالد، وهزم عياض مَن يليه، وركبهم المسلمون؛ فأمّا خالد فإنه أخذ الجوديّ أخذًا، وأخذ الأقرع بن حابس وديعةَ، وأرَزَ بقيّة النّاس إلى الحصن؛ فلم يحملهم؛ فلما امتلأ الحِصْن، أغلق مَن فى الحصن الحصنَ دون أصحابهم، فبقُوا حولَه حُرداءَ؛ وقال عاصم بن عمرو: يا بنى تميم، حلفاؤكم كَلْب، آسوهم[٣] وأجيروهم؛

١/٢٠٦٦

(١) ابن كثير والنويرى: «عويمر».

(٢) ز وابن كثير: «الكاهن»؛ س: «الطاهر». (٣) كذا فى ابن حبيش، وفى ط: «آسروهم».

فإنّكم لا تقدرون لهم على مثْلها ، ففعلوا . وكان سبب نجاتهم يومئذ وصيّة عاصم بنى تميم بهم ، وأقبل خالد على الّذين أرَزُوا إلى الحِصْن فقتلهم حتى سدّ بهم بابَ الحِصْن ، ودعا خالد بالجودىّ فضَرَب عنقه ؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلاّ أسارى كلب ، فإنّ عاصمًا والأقرع وبنى تميم قالوا : قد آمناهم ؛ فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالى ولكم ! أتحفظون[1] أمر الجاهليّة وتُضيّعون أمر الإسلام ! فقال له عاصم : لا تحسُدهم العافيةَ ؛ ولا يُحوّزهم الشيطانُ[2] . ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزُل عنه حتى اقتلعه ؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشَّرْخ[3] ؛ فأقاموهم فيمن يزيد ؛ فاشترى خالد ابنة الجودىّ وكانت موصوفةً ، وأقام خالد بدُومة وردّ الأقرع إلى الأنبار . ٢٠٦٧/١

ولما رجع خالد إلى الحيرة — وكان منها قريبًا حيث يصبّحها — أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتَّقْليس[4] ، فخرجوا يتلقّوْنه وهم يُقلّسُون ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض : مُرّوا بنا فهذا فَرَج[5] الشرّ !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا : وقد كان خالد أقام بدُومة ، فظنّ الأعاجم به ؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضبًا لعَقّة ؛ فخرج ، زَرْمِهْر من بغداد ومعه رُوزبه يريدان الأنبار ؛ واتّعدا حُصيدًا والخَنافس ، فكتب الزّبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ؛ فبعث القعقاع أعْبَدَ بن فَدَكِىّ السعدىّ وأمره بالحُصيد ، وبعث عُرْوة بن الجعْد البارقىّ وأمره بالخَنافس ، وقال لهما : إن رأيتما مَقْدَمًا فأقدما . فخرجا فحالا بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين ٢٠٦٨/١ اجتماع مَن كاتبهما من رَبيعة ؛ وقد كانوا تكاتَبوا واتّعدوا ؛ فلمّا رجع خالد من دُومة إلى الحيرة على الظّهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن ، كره خلافَ أبى بكر ، وأن يتعلّق عليه بشىء ، فعجّل القعقاع

---

(١) ابن حبيش : « أتحوطون » . (٢) يحوزهم الشيطان : يخالطهم .
(٣) الشرخ : النساء الشابات . (٤) التقليس : استقبال القوم عند قدومهم بأصناف اللهو.
(٥) س وابن كثير : « فرح » .

ابن عمرو وأبو ليلى بن فَدَكيّ إلى رُوزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التَّمر ، وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبيّ ، أنّ الهذيل بن عمران قد عَسْكر بالمُصَيَّخ ، ونزل ربيعة بن بُجير بالثَّنِيّ وبالبِشْر فى عسكر غضباً لعقّة ، يريدان زرمهر ورُوزبه . فخرج خالد وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس ، واستخلف على الحيرة عياض بن غَنْم ، وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلى إلى الخنافس حتّى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حُصَيد ، وأمّره على الناس ، وبعث أبا ليلى إلى الخنافس ، وقال : زجّياهم ليجتمعوا ومن استثأرهم ؛ وإلاّ فواقِعاهم . فأبيا إلاّ المُقام

* * *

خبر حُصَيد

فلمّا رأى القعقاع أنّ زرمهر وروزبه لا يتحرّكان سار نحو حُصيد ، وعلى من مرّ به من العرب والعجم روزْبه . ولمّا رأى روزْبه أنّ القعقاع قد ٢٠٦٩/١ قصد له استمدّ زرمهر ، فأمدّه بنفسه ، واستخلف على عسكره المَهْبُوذان ، فالتقوْا بحُصَيد ، فاقتتلوا ، فقتل الله العجمَ مقتلةً عظيمة ، وقَتَل القعقاعُ زرمهَر ، وقُتِل روزبه ؛ قتله عِصْمة بن عبد الله أحد بنى الحارث بن طريف ، من بنى ضَبَّة ، وكان عصمة من البَرَرَة — وكلّ فَخِذ هاجرت بأسرها تُدعى البررة ، وكلّ قوم هاجروا من بطن يُدعون الخِيَرَة — فكان المسلمون خِيرَة وبرَرَة . وغنم المسلمون يوم حُصيد غنائم كثيرة وأرَز فُلاّل[1] حُصيد إلى الخنافس فاجتمعوا بها .

* * *

الخنافس

وسار أبو ليلى بن فَدَكيّ بمَن معه ومَن قدم عليه نحو الخنافس ؛ وقد أرَزت فُلاّل حُصيد إلى المَهْبُوذان ، فلما أحسّ المهبوذان [بقد ومهم][2] هرب ومن معه وأرَزُوا إلى المُصَيَّخ ، وبه الهُذيل بن عمران ، ولم يلق بالخنافس كيداً ، وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعاً .

(١) الفلال : جمع فل ؛ وهم القوم المنهزمون . (٢) من ز .

مُصَيَّخ بنى البَرْشاء

قالوا : ولمَّا انتهى الخبرُ إلى خالد بمصاب أهل الحُصيد وهرب أهل الخَنافس كتب إليهم . ووعد القعقاعَ وأبا ليلى وأعبد وعُروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصيَّخ — وهو بين حَوْران والقَلْت — وخرج خالد من العين قاصداً للمصيَّخ على الإبل يجنب الخيل ، فنزل الجَناب فالبَردان فالحِنْى . واستقلّ من الحِنْى ؛ فلمَّا كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعًا بالمَصَيَّخ ، فأغاروا على الهُذَيل ومَن معه ومن أوى إليه؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوهم. وأفلت الهُذَيل فى أناس قليل ؛ وامتلأ الفضاء قَتْلى ، فما شبَّهوا بهم إلاّ غنمًا مصرَّعة ؛ وقد كان حُرْقوص بن النّعمان قد محضهم النّصح ، وأجاد الرأى ، فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النّعمان قبل الغارة : ٢٠٧٠/١

* ألا سَقّيانى قبلَ خيلِ أبى بكْرِ [١] *

الأبيات . وكان حرقوص معرِّسًا بامرأة من بنى هلال تُدعى أمّ تغلب ، فقتلت تلك الليلة ، وعُبادة بن البشر وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر؛ وهؤلاء بنو الثَّوريّة من بنى هلال . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المَصَيَّخ من النَّمِر عبدَ العزّى بن أبى رُهْم بن قِرْواش أخا أوس مناة، من النَّمِر ، وكان معه ومع لَبيد بن جرير كتاب من أبى بكر بإسلامهما ، وبلغ أبا بكر قول عبد العزّى ، وقد سماه « عبد الله» ليلة الغارة ، وقال :

* سبحانك اللهمّ ربَّ محمد *

فوداه وودى لبيدا — وكانا أصيبا فى المعركة — وقال : أما إنّ ذلك ليس علىّ إذ نازلا أهل الحرب ؛ وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتدّ على خالد بقتلهما إلى قتل مالك — يعنى ابن نوَيْرة — فيقول أبو بكر : كذلك يلقَى مَن ساكَنَ أهل الحرب فى ديارهم . وقال عبد العُزّى : ٢٠٧١/١

أقول إذ طَرَقَ الصباحُ بِغارةٍ : سبحانك اللهمّ ربَّ محمد

---

(١) ابن حبيش « فاسقيانى » .

سبحان رَبّيَ لا إله غَـــيْرُه ربٌّ البلاد وربٌّ من يَتَوَرَّدُ[١]

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عديّ بن حاتم ، قال : أغرنا على أهل المُصَيَّخ ، وإذا رجلٌ يُدعى باسمه حُرْقوص ابن النعمان، من النَّمر[٢]، وإذا حوله بنوه وامرأته، وبينهم جَفْنة من خَمْر؛ وهم عليها عكوف يقولون له : ومَن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل! فقال : اشربوا شُرْب ودَاع ، فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها ، هذا خالد بالعين وجنوده بحُصَيد ، وقد بلغه جمعُنا وليس بتاركنا ؛ ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظّهرِ بُعَيْدَ انتِفاخ القوم بالعكَر الدَّثْرِ
وقبلَ مَنايانا المُصيبةِ بالقَدْرِ لحِينٍ لعَمْرِى لايزيدُ ولا يَحْرِى[٣] ٢٠٧٢/١

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضرب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناته وقتلنا بنيه .

* * *

الثَّنِيّ والزُّمَيْل

وقد نزل ربيعة بن بُجَير التغلبيّ الثَّنِيّ والبِشْر غضبًا لعقَّة ، وواعد رُوزْبه وزَرْمِهر والهُذيل. فلمَّا أصاب خالد أهل المُصَيَّخ بما أصابَهم به ، تقدّم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتحلا أمامَه ، وواعدهما اللَّيلة ليفترقوا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ؛ كما فعل بأهل المُصَيَّخ . ثم خرج خالد من المُصَيَّخ ، فنزل حَوْران ، ثمّ الرَّنْق ، ثم الحَمَاة — وهي اليوم لبني جُنادة بن زهير من كلْب — ثم الزُّمَيل ؛ وهو البِشْر والثَّنِيّ معه — وهما اليوم شرقيّ الرُّصافة — فبدأ بالثَّنِيّ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيَّتَه من ثلاثة أوجه بياتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشَّب لذلك من الشُّبان ؛ فجرّدُوا فيهم السيوف ، فلم يُفلِتْ من ذلك الجيش مخبِر ، واستَبى الشَّرْخ ، وبعث بخُمْس الله إلى أبي بكر مع النُّعمان بن عوف بن النعمان الشيبانيّ ، وقسّم النَّهْب والسَّبَايا ، فاشترى عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنتَ ربيعة

(١) س وابن حبيش : « يتودد » ، ب : « يتمرد » ، وفي البيت إقواء .
(٢) ابن كثير : « النمرى » ، وفي ص ٤٠٧ ش ٣ من هذا الجزء : « البهرانى » .
(٣) يحرى : ينقص .

ابن بُجَير التغلبيّ، فاتّخذها؛ فولدت له عمر ورُقيّة ،وكان الهذيل حين نجا ٢٠٧٣/١
أوى إلى الزُّمَيْل ، إلى عتّاب بن فلان ؛ وهو بالبِشْر فى عسكر ضخم ؛
فبيّتهم بمثلها غارةً شَعْواءَ من ثلاثة أوجه سبقت إليهم الخبر عن ربيعة ،
فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يُقْتَلُوا قبلها مثلها ؛ وأصابوا منهم ما شاءوا، وكانت
على خالد يمين : «ليبغتنّ تغلبَ فى دارها» ؛ وقسّم خالد فيئهم فى الناس،
وبعث بالأخماس إلى أبى بكر مع الصباح بن فلان المزنىّ ، وكانت فى الأخماس
ابنة مؤذن النَّمَرىّ؛ وليلى بنت خالد، وريحانة بنت الهذيل بن هبيرة. ثم عطف
خالد من البِشْر إلى الرُّضاب؛ وبها هلال بنُ عقّة، وقد ارفضّ عنه أصحابُه
حين سمعوا بدنوّ خالد ؛ وانقشع عنها هلال فلم يلق كيداً بها .

* * *

حديث الفِراض

ثم قصد خالدٌ بعد الرُّضاب وبغتته تغلبَ إلى الفِراض — والفِراض: تخوم
الشأم والعراق والجزيرة — فأفطر بها رمضان فى تلك السَّفْرة التى اتّصلت له
فيها الغزَوات والأيّام، ونُظمنَ نظماً، أكثرَ فيهنّ الرُّجّاز إلى ما كان قبل
ذلك منهنّ . ٢٠٧٤/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة — وشاركهما
عمرو بن محمد ؛ عن رجل من بنى سعد ، عن ظَفَر بن دهى — والمهلّب بن
عُقْبة ، قالوا : فلمّا اجتمعَ المسلمون بالفِراض ، حميَت الرّوم واغتاظت،
واستعانوا بمَن يليهم من مَسالح أهلِ فارس ، وقد حَمُوا واغتاظوا واستمدّوا
تَغْلِب وإياد والنَّمِر ؛ فأمدّوهم ؛ ثم ناهدوا خالداً ؛ حتى إذا صار الفرات
بينهم ، قالوا : إما أن تعبرُوا إلينا وإمّا أن نعبُر إليكم . قال : خالد :
بل اعبروا إلينا ، قالوا : فتنحَّوْا حتى نعبُر ؛ فقال خالد : لا نفعل ؛ ولكن
اعبُروا أسفلَ منّا . وذلك للنّصْف من ذى القَعدة سنة اثنى عشرة . فقالت
الرّوم وفارس بعضُهم لبعض : احتسبوا ملككم ؛ هذا رجل يقاتل على
دين ، وله عقل وعلم ، ووالله ليُنْصَرَنّ ولَنُخْذلَنّ . ثم لم ينتفعوا بذلك ؛
فعبروا أسفلَ من خالد ؛ فلما تتامّوا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف
اليوم ما كان من حَسَنٍ أو قبيح ؛ من أيّنا يجىء ! ففعلوا ، فاقتتلوا قتالاً

شديداً طويلاً . ثم إنّ الله عزّ وجلّ هزمهم ، وقال خالد للمسلمين : ألحّوا عليهم ولا تُرَفّهوا[1] عنهم ؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزُّمْرة برماح أصحابه ، فإذا جمعوهم قتلوهم ، فقتِل يوم الفِراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفِرَاض بعد الوقعة عشرا ، ثم أذن في القفْل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القَعدة ؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ؛ وأمر شَجرة بن الأعزّ أن يسوقهم . وأظهر خالد أنه في السّاقة . ٢٠٧٥/١

* * *

حجّة خالد

قال أبو جعفر : وخرج خالدٌ حاجًّا من الفِراض لخمس بقين من ذي القعدة ، مكتتماً بحجّه ، ومعه عدّةٌ من أصحابه ؛ يعتسف[2] البلاد حتى أتى مكّة بالسَّمْت[3] . فتأتّى له من ذلك مالم يتأتّ لدليل ولا رئبال ، فسار طريقاً من طُرق أهل الجزيرة . لم يُرَ طريقٌ أعجبُ منه ؛ ولا أشدّ على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ؛ فما تَوَافَى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم[4] مع صاحب السّاقة الّذي وضعه. فقدما معاً ؛ وخالد وأصحابه محلّقون ؛ لم يعلَم بحجّه إلا مَنْ أفضَى إليه بذلك من السّاقة ، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلاّ بعد ، فعتب عليه . وكانت عقوبته إيّاه أن صرفه إلى الشأم . وكان مسيرُ خالد من الفِراض أن استعرض البلاد متعسّفاً متسمّتاً ، فقطع طريقُ الفِراض ماءَ العنبريّ ، ثم مِثْقَبًا ، ثم انتهى إلى ذات عِرْق ، فشرّق منها ، فأسامه إلى عَرَفات من الفِراض . وسُمِّيَ ذلك الطريق الصُّدّ ؛ ووافاه كتاب من أبي بكر[5] منصرفَه من حَجّه بالحيرة يأمره بالشأم ؛ يقاربه ويباعده . ٢٠٧٦/١

قال أبو جعفر : قالوا : فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة ، منصرفَه من حجّه : أن سِرْ حتّى تأتيَ جموعَ المسلمين باليَرموك ، فإنهم قد شجُوا

---

(١) ز : « ترفعوا » . (٢) اعتسف الطريق ؛ إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه

(٣) السمت : السير على الطريق بالظن . (٤) س : « توافاهم » .

(٥) ز : «كتاب أبي بكر » .

وأشجوْا ؛ وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ؛ فإنّه لم يُشْجِ الجموعَ من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزِع [١] الشجَى من الناس نَزْعَك ؛ فليهنئك أباسليمان النيّة [٢] والحُظْوة ؛ فأتْمِمْ يتمم الله لك [٣] ، ولا يدخلنّك عُجْب فتخسر وتخْذَل ، وإيّاك أن تُدلّ بعمل ، فإنّ الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البكّائي ، عن المقطّع بن الهيثم البكّائي ، عن أبيه ، قال : كان أهل الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الّذى يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل . ويُسمّون ما بينها وبين الفِرَاض ما يذكرون ما كان بعدُ احتقارًا لما كان بعد فيما كان قبل .

وحدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذى قد مضى ذكرُه ، أن خالد بن الوليد أتى الأنبارَ فصالحوه على الجلاء ، ثم أعطوْه شيئًا رضَى به ، وأنه أغار على سوق بغداد من رُسْتاق العال ، وأنه وجّه المثنّى فأغار على سوق فيها جَمْع لقُضاعة وبكْر ، فأصاب ما فى السُّوق ، ثم سار [٤] إلى عين التّمر ، ففتحها عَنْوة ، فقتل وسَبى ، وبعث بالسّبي إلى أبى بكر ، فكان أوّلَ سبي قدِم المدينة من العجم ؛ وسار إلى دُومة الجندل ، فقتل أكيدر ، وسبَى ابنة الجوديّ ، ورجع فأقام بالحيرة . ٢٠٧٧/١

هذا كلّه سنة اثنتى عشرة .

* * *

وفيها تزوّج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد .

وفيها مات أبو مرثَد الغنويّ .

وفيها مات أبو العاصى بن الربيع فى ذى الحجة ؛ وأوصى إلى الزبير ، وتزوج عليّ عليه السلام ابنته

وفيها اشترى عمر أسلم مولاه .

---

(١) س : « ولن تزع » .
(٢) ابن حبيش : « النعمة »
(٣) ز : «فأتمم ينعم الله »
(٤) ص : « صار »

واختلف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم فيها أبو بكر رحمه الله .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولَى الحُرَقة ، عن رجل من بنى سَهْم ، عن ابن ماجدة السَّهمىّ ، أنه قال : حجّ أبو بكر فى خلافته سنة اثنتى عشرة ، وقد عارمتُ(١) غلامًا من أهلى ، فعضّ بأذنى فقطع منها — أو عضضتُ بأذنه فقطعت منها — فرُفع شأننا إلى أبى بكر ، فقال : اذهبوا بهما إلى عمر فلينظر ، فإن كان الجارح قد بلَغ فليُقدْ منه . فلما انتُهيَ بنا إلى عمر رضى الله عنه ، قال : لَعَمْرى لقد بلَغ هذا ! ادعوا لى حجّاماً . قال : فلمّا ذكر الحجام ، قال : أما إنّى قد سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : قد أعطيت خالتى غلامًا ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتُها أن تجعله حجّامًا أو قصّابا أو صائغًا ؛ فاقتصّ منه . ٢٠٧٨/١

وذكر الواقدىّ ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن عمر ، عن أبى وَجْزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أنّ أبا بكرٍ حجّ فى سنة اثنتى عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله .

* * *

وقال بعضهم : حجّ بالناس سنة اثنتى عشرة عمر بن الخطاب .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا ابنُ حُميد . قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعضُ النّاس يقول : لم يحجّ أبو بكر فى خلافته ، وإنه بعَث سنة اثنتى عشرة على الموسِم عمرَ بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) عارمت ؛ قال صاحب اللسان : « أى خاصمت وفاتنت » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

ففيها وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوشَ إلى الشأم بعد منصرَفه من مكّة إلى المدينة

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، قال لما قَفَل أبو بكر من الحجّ سنة اثنتى عشرة جهّز الجيوش إلى الشأم ، فبعث عمرو بن العاص قِبَلَ فلسْطِين ، فأخذ طريق المُعْرِقة على أيْلَة ، ١/٢٠٧٩ وبعث يزيد بن أبى سفيان وأبا عبيدة بن الجرّاح وشُرحبيل بن حَسَنة — وهو أحد الغَوْث — وأمرهم أن يسلُكوا التَّبُوكيَّة على البلقاء من علْياء الشأم .

وحدّثنى عُمر بن شبّة ، عن علىّ بن محمد بالإسناد الذى ذكرتُ قبلُ ، عن شيوخه الّذين مضى ذكرهم ، قال : ثم وجّه أبو بكر الجنودَ إلى الشّأم أوّل سنة ثلاث عشرة ، فأوّل لواء عقده لواءُ خالد بن سعيد بن العاصى ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولّى يزيدَ بن أبى سفيان ، فكان أوّل الأمراء الذين خرجوا إلى الشأم ، وخرجوا فى سبعة آلاف .

قال أبو جعفر : وكان سببُ عزلِ أبى بكر خالدَ بن سعيد — فيما ذُكِر — ما حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر ، أنّ خالدَ بن سعيد لمّا قَدِم من اليمن بعد وفاةِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، تربّص ببيعته شهريْن ، يقول : قد أمّرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم لم يعزلنى حتى قبَضه الله . وقد لَقِى علىّ بن أبى طالب وعثمان ابن عفان ، فقال : يا بنى عبد مناف ، لقد طِبْتم نفسًا عن أمركم يليه غيركم ! فأمّا أبو بكر فلم يحفِلْها[1] عليه ، وأمّا عمر فاضطغنها عليه . ثم بعث أبو بكر

(١) ابن الأثير : « لم يحقدها » .

الجنود إلى الشأم ، وكان أوّل مَن استعمل على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتؤمِّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! فلم يزل بأبى بكر حتى عزله ، وأمّر يزيد بن أبى سفيان . ٢٠٨٠/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشّر بن فُضَيل ، عن جُبَيْر بن صخر حارس النبىّ صلّى الله عليه وسلم ؛ عن أبيه ، قال : كان خالدُ بن سعيد بن العاصى باليمن زمنَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وتوفّىَ النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جُبّة ديباج فلقىَ عمرَ بن الخطاب وعلىّ بن أبى طالب ، فصاح عمر بمن يليه : مزّقوا عليه جُبّته ! أيلبس الحرير وهو فى رجالنا فى السلم مهجور ! فمزّقوا جُبّته ، فقال خالد : يا أبا الحسن ، يا بنى عبد مناف ، أغُلِبتم عليها ! فقال علىّ عليه السلام : أمغالبة ترى أم خلافة ؟ قال : لا يغالب على هذا الأمر أوْلى منكم يا بنى عبد مناف . وقال عمر لخالد : فضّ الله فاك ! والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضرّ إلا نفسه . فأبلغ عمر أبا بكر مقالته ؛ فلمّا عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الرّدة عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر وقال : إنه لمخذول ، وإنه لضعيف التّروئة ؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدْلٍ بها وخائضٌ فيها ، فلا تستنصر به[1] . فلم يحتمل أبو بكر عليه ، وجعله ردءًا بتَيْماء ؛ أطاع عمرَ فى بعض أمره[2] وعصاه فى بعض .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى إسحاق الشيبانى ، عن أبى صفيّة التّيمىّ ؛ تَيْم بن شيبان ، وطلحة عن المغيرة ؛ ومحمد عن أبى عثمان ، قالوا : أمرَ أبو بكر خالدًا بأن ينزلَ تَيْماء ، ففصل ردءًا حتّى نزل بتَيْماءَ ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرَحها ، وأنْ يدعُوَ مَن حَوْله بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلاّ ممّن لم يرتدّ ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله ؛ حتّى يأتيَه أمرُه . فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ؛ وبلغ الرّوم عِظَمُ ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضّاحية البعوث بالشأم إليهم ؛ فكتب خالد بن ٢٠٨١/١

---

(١) ز : « تستنصرنه » .
(٢) ز : « الأمر » .

سعيد إلى أبى بكر بذلك ، وبنزول من استنفرت الرّوم ؛ ونفر إليهم من بَهراْء وكلْب وسَليح وتَنُوخ ولَخْم وجُذام وغَسَّان من دون زِيزاءَ بثلاث ؛ فكتب إليه أبو بكر : أن أقدْم ولا تُحْجِم واستنصر الله ؛ فسار إليهم خالد ، فلمّا دنا منهم تفرّقوا وأعرْوا منزلهم ؛ فنزله ودخل عامة مَن كان تجمّع له فى الإسلام ؛ وكتب خالد إلى أبى بكر بذلك ؛ فكتب إليه أبو بكر : أقدِم ولاتقتحمنّ حتى لا تُؤتَى مِن خلفك . فسار فيمن كان خرج معه من تَيْماء وفيمَن لحق به من طَرَف الرمل ؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزِيزاء والقسطل ؛ فسار إليه بِطْريقٌ من بطارقة الرُّوم ، يُدعى باهان ؛ فهزمه وقتل جندَه ، وكتب بذلك إلى أبى بكر واستمدّه . وقد قدم على أبى بكر أوائلُ مستنفَرِى اليمن ومَن بين مكّة واليمن ؛ وفيهم ذو الكَلاع ، وقدم عليه عِكْرمة قافلا وغازياً فيمَن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسَّرْو . فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ؛ فكلّهم استبدل ؛ فسُمّىَ ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ؛ وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشأم ، وعناه أمرُه . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن العاص على عِمالة كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّها إيّاه من صدقات سعد هُذَيْم ، وعُذْرة ومَنْ لَفّها من جُذام ، وحَدَس قبل ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدَةٍ من عمله ؛ إذا هو رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر . ٢٠٨٢/١

فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشأم إلى عمرو : إنى كنت قد رددتُك على العمل الذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّكه مرّة ، وسمّاه لك أخرى ؛ مبعثَك إلى عُمان إنجازًا لمواعيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقد وليتَه ثم وليتَه ؛ وقد أحببتُ — أبا عبد الله — أن أفرّغك لما هو خير لك فى حياتك ومعادك منه ؛ إلاّ أنْ يكون الذى أنت فيه أحبّ إليك . فكتب إليه عمرو : إنى سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامِى بها ، والجامعُ لها ، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلَها فارمِ به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحى . وكتب إلى الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد . ٢٠٨٣/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعَيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كتبَ أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عُقْبة — وكان على النّصف من صدقات قُضاعة — وقد كان أبو بكر شيّعهما مبعثَهما على الصدقة ، وأوصى كلّ واحد منهما بوصيّة واحدة : اتّقِ الله فى السرّ والعلانية ؛ فإنه مَنْ يتّق الله يجعلْ له مخرجًا ، ويرزقه مِنْ حيث لا يحتسب ؛ ومن يتّق الله يكفِّرْ عنه سيّئاته ويُعظِم له أجرًا . فإنّ تقوى الله خيرُ ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنّكَ فى سبيل من سبُل الله ؛ لا يَسَعُكَ فيه الإذهان(١) والتفريط والغفلة عمّا فيه قِوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تَنِ ولا تفتُر . وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندُبا مَنْ يليكما .

فولّى عمرٌو على عُليا قضاعة عَمرَو بن فلان العذرىّ ، وولّى الوليدُ على ضاحية قضاعة مما يلى دُومة امرأ القيس ، وندبا الناس ، فتتامّ إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمرَ أبى بكر .

وقام أبو بكر فى الناس خطيبًا ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وصلّى على رسوله ، وقال : ألاَ إنّ لكلّ أمر جوامعَ ، فمن بلَغها فهى حسبُه ؛ ومن عمل لله كفاه الله . ١ / ٢٠٨٤ عليكم بالجدّ والقصد ؛ فإنّ القصد أبلَغ ؛ ألا إنه لادين لأحد لا إيمان له ، ولا أجرَ لمن لاحِسْبة له ، ولا عمل لمن لا نيّة له . ألا وإنّ فى كتاب الله من الثواب على الجهاد فى سبيل الله لَمَا ينبغى للمسلم أن يحبّ أن يُخَصّ به ؛ هى التجارة التى دلّ الله عليها ، ونجّى بها من الخزى ؛ وألحق بها الكرامة فى الدنيا والآخرة .

فأمدّ عمرًا ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمّره على فِلَسطين ، وأمَره بطريق سمّاها له ؛ وكتب إلى الوليد وأمَرَه بالأرْدُنّ ، وأمدّه ببعضهم : ودعا يزيد بن أبى سفيان ، فأمّره على جُند عظيم ، هم جمهور مَن انتدب له ، وفى جنده سُهَيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكّة ، وشيّعه ماشيًا . واستعمل أبا عبيدة بن الجرّاح علَى من اجتمع [إليه] ، وأمّره على حِمْص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوْصَى كلّ واحد منهما .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ،

---

(١) يقال . ذهن عن الشيء ؛ أنساه إياه وألهاه عنه ، ومثله أذهنه .

ومبشِّر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغسانيّ عن خالد، وعبادة، قالوا : ولمّا قدِم الوليد على خالد بن سعيد فسانده[1]، وقدمت جنود المسلمين الّذين كان أبو بكر أمدّه بهم وسُمّوا جيش البدال، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم إليه، اقتحم على الرّوم طلبَ الحُظْوة، وأعرى ظهره، وبادر الأمراء بقتال[2] الرّوم، واستطرد له باهان فأرَزَ هو ومَن معه إلى دمشق ؛ واقتحم خالد فى الجيش ومعه ذو الكَلاع وعِكْرمة والوليد حتى ينزل مَرْج الصُّفَّر ؛ من بين الواقوصة ودِمشق ؛ فانطوت مسالح باهان عليه، وأخذوا عليه الطرق[3] ولا يشعر، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطِر فى الناس ؛ فقتلوهم. وأتى الخبرُ خالداً، فخرج هارباً فى جريدة ؛ فأفات مَن أفات من أصحابه على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم ؛ ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذى المروة، وأقام عِكْرمة فى الناس ردءاً لهم، فردّ عنهم باهانَ وجنوده أن يطلُبوه، وأقام من الشأم على قريب، وقد قدم شرحبيل بن حَسَنة وافداً من عند خالد بن الوليد، فندب معه النّاس، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد، وخرج معه يوصيه، فأتى شرحبيل على خالد، ففصل بأصحابه إلاّ القليل، واجتمع إلى أبى بكر أناسٌ، فأمّر عليهم معاوية، وأمره باللحاق بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد ؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقيّة أصحابه.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه : أنّ عمر بن الخطاب لم يزلْ يكلّم أبا بكر فى خالد بن الوليد وفى خالد ابن سعيد ؛ فأبى أن يعطيَه فى خالد بن الوليد، وقال : لاأشيم[4] سيفاً سلّه الله على الكُفّار، وأطاعه فى خالد بن سعيد بعد ما فعل فَعْلته. فأخذ عمرو طريق المُعْرِقة، وسلك أبو عبيدة طريقه، وأخذ يزيد طريق التبوكيّة ؛ وسلك شُرحبيل طريقه، وسمّى لهم أمصار الشأم، وعرف أن الرّوم ستشغلهم ؛ فأحبّ أن يصعّد المصوّب ويصوّب المصعّد ؛ لئلا يتواكلوا، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحبّ.

١/٢٠٨٥ ١/٢٠٨٦

(١) س : « يسانده ».
(٢) ز وابن الأثير : « لقتال ».
(٣) ب وابن حبيش : « بالطرق ».
(٤) لا أشيمه : لا أغمده.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ؛ قال : لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبرُ كتب إلى خالد : أقمْ مكانك[1] ، فلعمرى إنّك مقدام محجام ، نجّاءٌ من الغمرات ، لا تخوضها إلاّ إلى حقّ ، ولا تصبر عليه . ولمّا كان بعد ، وأذن له فى دخوله المدينة قال خالد : اعذِرْنى ، قال : أخَطَلٌ ! أنت امرؤٌ جُبُن لدى الحرب . فلمّا خرج من عنده قال : كان عمر وعلىّ أعلمَ بخالد ؛ ولو أطعتهما فيه اختشيته واتّقيته !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن مبشّر وسهل وأبى عثمان ، عن خالد وعبادة وأبى حارثة ، قالوا : وأوعَبَ القوّاد بالنّاس نحو الشأم وعكرمة ردءٌ للناس ، وبلغ الرُّوم ذلك ؛ فكتبوا إلى هِرَقل ؛ وخرج هرقل حتّى نزل بحِمْص ، فأعدّ لهم الجنودَ ، وعبّى لهم العساكر ؛ وأراد اشتغال[2] بعضهم عن بعض لكثرة جنده ، وفضول رجاله ؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَذَارق لأبيه وأمّه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفًا ، وبعث مَن يسوقهم ، حتّى نزل صاحب الساقة ثنيّة جِلّق بأعلى فلسطين ، وبعث جَرَجة بن توذرا نحو يزيد بن أبى سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدُّراقص فاستقبل شُرحبيل بن حَسَنة ، وبعث الفيقار بن نَسْطُوس فى ستّين ألفًا نحو أبى عبيدة ؛ فهابهم المسلمون وجميع فِرَق المسلمين واحد وعشرون ألفًا ؛ سوى عكرمة فى ستّة آلاف ؛ ففزعوا جميعًا بالكتُب وبالرّسل إلى عمرو : أن ما الرأى ؟ فكاتبهم وراسلهم : إنّ الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلَب من قلّة ، وإذا نحن تفرّقنا لم يبق الرّجل منا فى عدد يُقْرِن[3] فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعدّ لنا لكلّ طائفة منّا . فاتّعَدوا اليَرْموك ليجتمعوا به ، وقد كتب إلى أبى بكر بمثل ما كاتبوا به عمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرًا واحدًا ، والقَوْا زحوف المشركين بزحف المسلمين ،

٢٠٨٧/١

---

(١) س : « بمكانك » .

(٢) ابن حبيش وابن الأثير : « إشغال » .

(٣) يقال : أقرن له : إذا غلب عليه .

فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ مَن نصره ، وخاذلٌ من كَفَره ، ولن يؤتَى مثلُكم من قلّة ؛ ،وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتَوا مِنْ تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذّنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصلّ كلّ رجل منكم بأصحابه . ١ /٢٠٨٨

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقته : أن اجتمعُوا لهم . وانزلوا بالرُّوم منزلا واسع العَطَن ، واسع المطَّرَد ، ضيّق المهرَب ؛ وعلى الناس التَّذارق وعلى المقدمة جَرَجَة ، وعلى مجنِّبتيْه باهان والدُّراقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان فى الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقوصة وهى على ضفّة اليَرموك ، وصار الوادى خَنْدقًا لهم ؛ وهو لِهْبٌ [1] لا يدرَك ؛ وإنما أراد باهان وأصحابهُ أن تستفيق [2] الرُّوم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم أفئدتهم عن طِيَرَتها .

وانتقل المسلمون عن عسكرِهم الذى اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم ؛ وليس للرُّوم طريق إلاّ عليهم . فقال عمرو : أيّها الناس ، أبشِروا ، حُصِرت والله الرُّوم ، وقلَّما جاء محصور بخير ! فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهرَىْ ربيع ، لا يقدرون من الرّوم على شىء ؛ ولا يخلصُون إليهم ؛ اللّهْبُ — وهو الواقوصة — من ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرْجةً إلا أديل المسلمون منهم [3] ؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدُّوا أبا بكر وأعلموه الشأن فى صفر ؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم ، وأمره أن يخلّف على العراق المثنّى ؛ فوافاهم فى ربيع . ١ /٢٠٨٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وعمرو والمهلّب ، قالوا : ولما نزل المسلمون اليرمُوك ، واستمدُّوا أبا بكر ، قال : خالد لها . فبعث إليه وهو بالعراق ، وعزَم عليه واستحثّه فى السَّير ؛ فنفذ خالد لذلك ؛ فطلع عليهم خالد ؛ وطلع باهان على الرُّوم ، وقدقدَّم قدّامه الشَّمامِسةَ والرّهبان والقسِّيسين ؛ يُغْرونهم ويحضّضونهم على القتال ؛ ووافق قدوم خالد

(١) اللهب ، بالكسر : الفرجة بين الجبلين . (٢) ز : « يستثبت » .
(٣) فى اللسان : «يقال : أديل لنا على أعدائنا ، أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا » .

قدومَ باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ؛ فولّى خالد قتالَه ، وقاتل الأمراءُ مَنْ بإزائهم ؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقَهم ؛ وتيمَّنت الروم بباهان ؛ وفرح المسلمون بخالد وحَرِد[1] المسلمون . وحَرِب[2] المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيَّد ، وأربعون ألفا منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفًا مربَّطُون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفًا ممّن كان مقيمًا ؛ إلى أن قدم عليهم خالد فى تسعة آلاف ؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفًا .

ومرض أبو بكر رحمه الله فى جمادى الأولى ، وتُوُفِّيَ للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

* * *

١/٢٠٩٠

خبر اليَرْموك

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قد سمّى لكلّ أمير من أمراء الشأم كُورَةَ ؛ فسمّى لأبى عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح حِمْص ، وليزيد بن أبى سفيان دِمَشق ؛ ولشُرحبيل بن حَسَنة الأردنّ ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مُجَزّز فلسطين ، فلمّا فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر . فلمّا شارفوا الشأم ، دهم كلّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوْا جمعَ المشركين بجمع المسلمين .

ولما رأى خالد أنّ المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء فى أمْرٍ يُعزّ الله به الدّين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغسّانىْ ، عن خالد وعبادة ، قالا : توافَى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعةٌ وعشرون ألفًا وثلاثة آلاف من فُلاّل خالد بن سعيد ، أمّر عليهم أبو بكر معاويةَ وشُرحبيل ، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد

(١) الحرد : الجد والقصد إلى الأمر . (٢) حرب المشركون : اشتد غضبهم .

ابن الوليد سوى ستّة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردءا بعد خالد بن سعيد ؛ ٢٠٩١/١
فكانوا ستّة وأربعين ألفًا ، وكلّ قتالهم[1] كان على تساند ، كلّ جند وأميره[2] ؛
لا يجمعهم أحدٌ ؛ حتّى قدم عليهم خالد من العراق. وكان عسكر أبي عبيدة
باليرْموك مجاورًا لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شُرَحبيل مجاورًا لعسكر
يزيد بن أبي سفيان ؛ فكان أبو عبيدة ربّما صلّى مع عمرو ، وشرحبيل مع يزيد.
فأما عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يصلّيان مع أبي عبيدة وشُرحبيل ، وقدم
خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك ؛ فعسكر على حِدَة ؛ فصلّى بأهل العراق ،
ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقُون بمدَدِ الرّوم ؛ عليهم باهان ،
ووافق الرّوم وهم نِشاط بمددهم[3] ، فالتقوْا ، فهزمهم الله حتى ألجأهم وأمدادَهم إلى
الخنادق — والواقوصة أحد حدوده — فلزموا خندقهم عامّة شهر ، يُحَضّضُهم
القسّيسون والشّمّامسة والرّهبان وينعَوْن لهم النّصرانيّة ؛ حتى استبصروا .
فخرجوا للقتال الذى لم يكن بعده قتال مثله ، في جمادى الآخرة .

فلمّا أحسّ المسلمون خروجَهم ، وأرادوا الخروجَ متساندين ، سار فيهم
خالد بن الوليد ؛ فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يومٌ من أيّام الله ،
لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . أخلِصوا جهادَكم ، وأريدوا الله بعملكم ؛
فإن هذا يومٌ له ما بعده ؛ ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية ؛ على تساندُ[4] ٢٠٩٢/١
وانتشار ؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغي . وإنّ مَن وراءَكم لو يعلم علمَكم
حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى تروْن أنّه الرّأى
من واليكم ومحبّته ، قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إنّ أبا بكر لم يبعثْنا
إلّا وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذى كان ويكون ؛ لقد جمعكم[5] . إنّ الذى
أنتم فيه أشدُّ على المسلمين ممّا قد غشيَهم ، وأنفعُ للمشركين من أمدادهم ؛
ولقد علمت أنّ الدنيا فرّقت بينكم ، فاللهَ اللهَ ، فقد أُفرِدَ كلّ رجل منكم ببلد
من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن

(١) ز : « قتال » . (٢) ز : « وأميرهم » . (٣) ب ، س : « لمددهم » .
(٤) فى اللسان « يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتّى ؛ إذا خرج كل بنى أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة تحت راية أمير واحد » . وفى ابن الأثير : « وأنتم متساندون » .
(٥) ابن الأثير : « لما جمعكم » .

دانوا له . إنّ[١] تأميرَ بعضكم لا ينقصكم[٢] عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلم. هلمّوا فإنّ هؤلاء تهيّئوا، وهذا يوم له ما بعده، إنْ رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نُفلح بعدها . فهلمّوا فلْنتعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضُنا اليوم، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ؛ حتى يتأمّر كلّكم ، ودعونى أليكُم اليوم[٣].

فأمّروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطولُ ممّا صاروا إليه ؛ فخرجت الرّوم فى تعبية لم يرَ الراءون مثلَها قطّ ، وخرج خالد فى تعبية لم تُعبِّها العرب قبل ذلك ؛ فخرج فى ستّة وثلاثين كُردوساً[٤] إلى الأربعين ، وقال : إنّ عدوّكم قد كثُر وطَغَى ، وليس من[٥] التعبية تعبية أكثر فى رأى العين من الكراديس . فجعل القلب كراديسَ ، وأقام فيه[٦] أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرَحْبيل بن حسَنة . وجعل الميسرة كَراديس وعليها يزيد بن أبى سفيان . وكان على كُردوس من كراديس أهلِ العراق القَعْقاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عدىّ، وعياض بن غَنْم على كُرْدوس، وهاشم بن عتبة على كُرْدوس، وزياد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد فى[٧] كُردوس ؛ وعلى فالّة خالد بن سعيد[٨] دحْيَة بن خليفة على كُردوس ، وامرؤ القيس على كُرْدُوس ، ويزيد بن يحنّس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعكْرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس — وهو يومئذ ابن ثمانىَ عشرة سنة — وحبيب بن مَسلمة على كُرْدوس ، وصفوان بن أميّة على كُردوس، وسعيد بن خالد على كُرْدوس ، وأبو الأعور بن سفيان على كُرْدوس ، وابن ذى الخِمار على كُرْدُوس ؛ وفى الميمنة عُمارة بن مُخشىّ ابن خُوَيْلد على كُردوس ؛ وشُرَحْبيل على كُردوس[٩] ومعه خالد بن

١/٢٠٩٣ ١/٢٠٩٤

(١) ب وابن حبيش : « وإن » . (٢) ز وابن الأثير : « لا ينتقصكم » .
(٣) ب ، وابن حبيش : « ألكم » ؛ وهما فى العربية سواء .
(٤) الكردوس: القطعة العظيمة من الخيل ، ويقال : كردس القائد خيله ، أى جعلها كتيبة منه .
(٥) س : « فى التعبية » . (٦) ب : « عليه » .
(٧) ب : « على كردوس » . (٨) س : « سعيد بن خالد » .
(٩) ز : « على كردوس آخر » .

سعيد ، وعبد الله بن قيس على كُرْدُوس ؛ وعمرو بن عَبَسَة على كُرْدوس ، والسِّمط بن الأسود على كُردوس ، وذو الكَلاَع على كُردوس ، ومعاوية بن حُدَيْج على آخر ؛ وجُنْدب بن عمرو بن حُمَمَة على كُردوس ، وعمرو بن فلان على كردوس ؛ ولَقيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبنى ظَفَر من بنى فزارة على كُرْدوس . وفى المَيْسَرة يزيد بن أبى سفيان على كُرْدوس ، والزُّبَير على كُرْدوس ، وحَوْشب ذو ظُلَيْم على كُرْدوس ، وقيس بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن مازن بن صعصعة من هوازن — حليف لبنى النَّجّار — على كُردوس ، وعِصْمة بن عبد الله — حليف لبنى النجار من بنى أسد — على كُردوس ، وضِرار بن الأزور على كُردوس ، ومسروق بن فلان على كُرْدُوس ، وعُتْبة بن ربيعة بن بَهْز — حليف لبنى عِصْمة — على كُردوس ، ١/٢٠٩٥ وجارية بن عبد الله الأشجعىّ — حليف لبنى سلِمة — على كُردوس ، وقَبَاث على كردوس .

وكان القاضى أبو الدرداء ، وكان القاصّ أبو سفيان بن حرب ، وكان على الطَّلائع قَبَاث بن أشيَم ؛ وكان على الأقباض [1] عبد الله بن مسعود .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة نحوًا من حديث أبى عثمان ؛ وقالوا جميعًا : وكان القارئ المِقْداد . ومن السُّنَّة التى سنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد بدر أن تقرأ سورة الجِهاد عند اللِّقاء ؛ وهى الأنفال ، ولم يزلِ النّاس بعد ذلك على ذلك .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان يزيد بن أسيد الغَسّانى ، عن عبادة وخالد ؛ قالا : شهد اليَرْموكَ ألفٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم نحو من مائة من أهل بدر . قالا : وكان أبو سفيان يسيرُ فيقف على الكراديس ، فيقول : اللهَ اللهَ ! إنكم ذَادةُ العرب ، وأنصارُ الإسلام ، وإنهم ذَادة الرُّوم وأنصار الشرك ! اللهمّ إنّ هذا يومٌ من أيّامك ؛ اللهم أنزلْ نصرك على عبادك !

قالا : وقال رجل لخالد : ما أكثرَ الرومَ وأقلّ المسلمين ! فقال خالد :

(١) الأقباض : جمع قبض ، بفتحتين ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثُر الجنود بالنَّصر وتقلّ بالخذلان ؛ لا بعدد[1] الرِّجال ؛ والله لوددت أنّ الأشقر[2] بَراءٌ من توجيِّه[3] ؛ وأنهم أضعفوا فى العدد — وكان فرسه قد حفِيَ فى مسيره — قالا : فأمر خالد عِكرمة والقَعْقاع ، وكانا على مجنِّبتى القَلْب ، فأنشبا القِتال ، وارتجز القعقاع وقال : ٢٠٩٦/١

يالَيتنى ألقـــاكَ فى الطِّرادِ قبلَ اعتِرام الجَحْفَلِ الوَرَّادِ

* وأنت فى حَلْبتك الوِرَادِ *

وقال عِكْرِمة :

قد عَلِمتْ بَهْكَنَةُ الجوارى[4] أنّى على مَكْرُمةٍ أحامِى[5]

فنشِب القتال ، والتحمَ النَّاس ، وتطارد الفرسان ؛ فإنَّهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة ؛ فأخذته الخيول ؛ وسألوه الخَبَر ؛ فلم يخبرهم إلاّ بسلامة ؛ وأخبرهم عن أمداد ؛ وإنما جاء بموت أبى بكر رحمه الله وتأمير أبى عبيدة ؛ فأبلغوه خالداً ، فأخبره خبَرَ أبى بكر ؛ أسرّه إليه[6] ، وأخبره بالَّذى أخبر به الجندَ . قال : أحسنتَ فقِفْ ، وأخذ الكتاب وجعله فى كنانته ؛ وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف مَحمِيَة بن زُنَيْم مع خالد ؛ وهو الرسول ؛ وخرج جَرَجة[7] ؛ حتى كان بين الصفَّين ، ونادى : ليخرجْ إلىّ خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفَّين ؛ حتى اختلفت أعناق دابَّتيهما[8] ، وقد أمَّن أحدُهما صاحبَه ، فقال جَرَجَة : يا خالد أصدِقْنى ولا تكذِبْنى فإنّ الحرّ لا يكذِب ولا تخادعنى فإنّ الكريم لا يخادع المسترسل بالله ؛ هل أنزل الله على نبيّكم سيفاً من السماء فأعطاكه ، ٢٠٩٧/١

(١) ز : «تعدد». (٢) الأشقر من الخيل : الأحمر فى مغرة حمرة ؛ يحمر منها السبيب ؛ ويطلق على عدة أفراس لأصحابها (٣) وجى الفرس وتوجى ؛ أى أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكى الفرس باطن حافره . (٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة .

(٥) ز : « أدارى » . (٦) ز : « فأسره وأخبره » .

(٧) جرجة ، بفتحات ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم يوم اليرموك » . (٨) س والنويرى : « دوابّهما ».

فلا تسلّه على قوم[١] إلاّ هزمتهم؟ قال : لا ، قال : فبمَ سُميت سيف الله؟ قال : إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فدعانا فنفرْنا عنه[٢] ونأيْنا عنه جميعًا . ثم إنّ بعضنا صدّقه وتابعه ؛ وبعضنا باعده وكذّبه ؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله . ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا؛ فهدانا به ، فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ! ودعا لى بالنّصر؛ فسُمّيت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين[٣] على المشركين . قال صدقتَنى ، ثم أعاد عليه جرَجة : يا خالد ، أخبرْنى إلامَ تدعونى؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمَنْ لم يُجبْكم؟ قال : فالجِزْيَة ونمنعهم ، قال : فإن لم يعطها ، قال : نؤذنه بحرب ، ثم نقاتله . قال : فما منزلةُ الّذى يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ ٢٠٩٨/١
قال : منزلتُنا واحدة فيما افترضَ الله علينا ، شريفنا ووضيعنا ، وأوّلنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرَجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالدُ مثل مالكم من الأجر والذُخر؟ قال : نعم ، وأفضل ؛ قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال: إنّا دخلْنا فى هذا الأمر ، وبايَعْنا[٤] نبينا صلّى الله عليه وسلّم وهو حىّ بين أظهرنا ، تأتيه أخبار السماء[٥] ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحقّ لمن رأى ما رأينا[٦] ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسْلِم ويبايع[٧] ؛ وإنكم أنتم لم تروْا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجَج ؛ فمَنْ دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضلَ منّا . قال جرجة : بالله لقد صدَقتَنى ولم تخادعْنى ولم تألَفْنى! قال : بالله ؛ لقد صدقتُك وما بى إليك ولا إلى أحد منكم وحشة[٨] ؛ وإنّ الله لَولىُّ ما سألت عنه . فقال : صدقتَنى ؛ وقلب التّرس ومال مع خالد ، وقال : علِّمْنى الإسلام ، فمال به خالد إلى فُسطاطه ، فشنّ عليه قِربَة من ماء ، ثم صلّى ركعتيْن ؛ وحملت الرُّوم مع

---

(١) س ، وابن حبيش وابن كثير : « أحد » . (٢) ابن حبيش : « منه » .
(٣) ز : « الناس » . (٤) ابن الأثير : « اتبعنا » ، وابن حبيش : « تابعنا » .
(٥) ز : « يأتينا بأخبار السماء » . (٦) س : « مثل ما رأينا » .
(٧) س وابن حبيش : « ويتابع » . (٨) ابن حبيش : « حاجة » .

انقلابه إلى خالد ؛ وهم يروْن أنّها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام . وركب خالدٌ ومعه جرَجة والرُّوم خلالَ المسلمين ؛ فتنادَى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الرُّوم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسُّيوف ، فضرب فيهم خالد وجرَجة من لدن ارتفاع[1] النهار إلى جُنُوح الشمس للغروب ، ثم أصيبَ جرجة ولم يصلِّ صلاة سجد فيها إلا الرّكعتين اللّتيْن أسلم عليهما ، وصلّى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعضع الروم ، ونَهَد خالد بالقلب حتّى كان بين خيلهم ورجْلهم ، وكان مقاتلَهم واسعَ المطَّرد، ضيّق المهرب ؛ فلمّا وجدت خيلُهم مذهبًا ذهبت وتركوا[2] رَجْلهم فى مصافّهم ؛ وخرجت خيلُهم تشتدّ بهم فى الصحراء ، وأخّر النّاس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيلَ الروم توجّهت للهَرَب ، أفرجوا لها ، ولم يحرّجوها ؛ فذهبت فتفرّقت فى البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجْل ففضّوهم ؛ فكأنّما هُدِم بهم حائط ؛ فاقتحموا فى خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعمَدوا إلى الواقوصة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرُهم ، فمَنْ صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشَعتْ[3] نفسُه ، فيهوِى[4] الواحد بالعشرة لا يطيقونه[5] ؛ كلّما هوى اثنان كانت البقيّة أضعف[6] ، فتهافت[7] فى الواقوصة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقترن[8] وأربعون ألف مطلق ؛ سوى مَنْ قُتِل فى المعركة من الخيْل والرّجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة ، وتجلّل الفيقار وأشرافٌ من أشراف الرُّوم برانسَهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحبّ أن نرى يوم السَّوء إذْ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانيّة ؛ فأصيبوا فى تزمّلهم .

كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان ، عن خالد

---

(١) ز : « طلوع » .
(٢) ز : « وتركت » .
(٣) ط : « جشعت » ، وما أثبته من س .
(٤) س : « فهوى » .
(٥) س : « ولا يطيقونه» .
(٦) س : « أضعف منها » .
(٧) النويرى : « فتهادت » .
(٨) ز ، س : « مقترنين » .

وعبادة ؛ قالا : أصبح خالد من تلك اللَّيْلة ، وهو فى رِواق تَذارِق. لمَّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناسُ حتى أصبحوا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان الغسَّانىّ ، عن أبيه ، قال : قال عِكْرمة بن أبى جهل يومئذ : قاتلت رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم فى كلّ موطن ، وأفِرُّ منكم اليوم ! ثم نادى : مَن يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزْور فى أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدّام فُسطاط خالد حتى أثبِتوا جميعًا جراحا ، وقُتِلوا إلاّ من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتِىَ خالد بعد ما أصبحوا بعِكْرمة جريحًا فوضع رأسه على فخِذه ، وبعمرو بن عِكْرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطّر فى حلوقهما الماء ، ويقول : كلاّ ، زعم ابن الحَنْتَمة(١) أنّا لا نُستشهَد !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عُميس ، عن القاسم ين عبد الرحمن ، عن أبى أمامة — وكان شهد اليَرْموك هو وعُبادة بن الصامت — أنّ النساء قَاتلْنَ يوم اليَرْموك فى جَوْلة ، فخرجت جُوَيْرية ابنة أبى سفيان فى جَوْلة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت](٢) بعد قتال شديد ، وأصيبت يومئذ عينُ أبى سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حَشْمة .

١/٢١٠١

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُسْتَنير بن يزيد بن أرطاة ابن جُهَيْش ، قال : كان الأشتَر قد شهد اليَرْموك ولم يشهد القادسيَّة ؛ فخرج يومئذ رجلٌ من الرّوم ، فقال : مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه الأشتَر ؛ فاختلفا ضربتيْن ، فقال للرّومى : خُذْها وأنا الغلام الإيادىّ(٣) ، فقال : الرومىّ : أكثرَ الله فى قومى مثلك ! أمَا والله لو(٤) أنّك من قومى لآزرْت(٥) الرُّوم ، فأمَّا الآن فلا أعينهم !

---

(١) حنتمة ، بنت ذى الرمحين هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية ، أم عمر ابن الخطاب . (٢) من ز . (٣) كذا فى ط ؛ والمعروف أن الأشتر نخعىّ من مذحج
(٤) ط : « لولا » ، ولا يستقيم به النص . (٥) ط : « لزرت » ، وانظر التعليقات

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان وخالد : وكان ممّن أصيب فى الثلاثة الآلاف الّذين أصيبوا يوم اليَرْموك عِكرمة ، وعمرو بن عِكْرمة ، وسلمَة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد — وأثبت[1] خالد بن سعيد فلا يُدرَى أين ماتَ بَعْد — وجُنْدَب بن عمرو ابن حُمَمَة الدَّوْسِيّ ، والطّفَيْل بن عمرو ، وضِرار بن الأزور أثبت فبقِيَ وطُلَيْب بن عُمَير بن وَهْب من بنى عبد بن قُصَىّ ، وهَبّار بن سُفْيان ، وهشام بن العاصى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن عمرو بن ميمون ، عن أبيه ، قال : لقِىَ خالداً مقدمَه الشأم مغيثًا لأهل اليرموك رجلٌ من روم العرب ، فقال : يا خالد ، إنّ الروم فى جمع كثير ؛ مائتى ألف أو يزيدون ؛ فإنْ رأيت أن ترجعَ عَلَى حاميتك فافعل ؛ فقال خالد : أبالرّوم تخوّفنى ! والله لودِدْتُ أنّ الأشقر بَراءٌ من تَوَجّيه ، وأنّهم أضعفوا ضعْفَهم ، فهزمهم الله على يدَيْه ! ٢١٠٢/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن أرطاة بن جهيش ، قال : قال خالد يومئذ : الحمدُ لله الّذى قضى على أبى بكر بالموتِ وكان أحبَّ إلىّ من عمر ، والحمدُ لله الذى ولّى عمر ، وكان أبغضَ إلىّ من أبى بكر ثم ألزمنى حُبّه !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ابن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حجّ قبل مهزم خالد بن سعيد ، فحجّ بيت المقدس ، فبينا هو مقيم به أتاه الخبر بقُرْب الجنود منه ، فجمع الرّوم ، وقال : أرى من الرأى ألاّ تقاتلُوا هؤلاء القوم ، وأن تُصالحوهم ؛ فوالله لأن تُعطوهم نصفَ ما أخرجت الشأم ؛ وتأخذوا نصفًا وتقِرَّ لكم جبال الرّوم ؛ خيرٌ لكم من أن يبلغوكم على الشأم ، ويشاركوكم فى جبال الرّوم ؛ فنخر أخوه ونخر ختَنُه ؛ وتصدّع عنه مَن كان حوله ؛ فلمّا رآهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه ، وأمّر الأمراء ووجّه إلى كلّ جند

(١) أثبت : أى جرح جرحاً عميقاً .

جنداً . فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ، ٢١٠٣/١
فنزلوا بالواقوصة ، وخرج فنزل حِمْص ، فلمّا بلغه أن خالداً قد طلع على سُوَى
وانتسف أهلَه وأموالَهم ، وعَمَد إلى بُصْرَى وافتتحها وأباح عَذْراء ، قال
لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ! فإنّه لا قِوامَ لكم مع هؤلاء القوم ؛ إنّ
دينهم دينٌ جديد يجدّد لهم ثِبارَهم[1] ، فلا يقوم لهم أحد حتى يُبْلَى .
فقالوا : قاتِل عن دينك ولا تُجبّن النّاس ، واقض الذى عليك ؛ قال :
وأىّ شىء أطلب إلاّ توفيرَ دينكم !

* * *

ولما نزلت جنود المسلمين اليَرْموك ، بعث إليهم المسلمون : إنّا نريد
كلامَ أميركم وملاقاته ؛ فدعُونا نأتِه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذِن لهم . فأتاه
أبوعبيدة ويزيد بن أبى سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضِرار بن
الأزور وأبو جَنْدل بن سُهيل ؛ ومع أخى الملك يومئذ ثلاثون رِواقا فى عسكره
وثلاثون سُرادِقاً ، كلُّها من ديباج ؛ فلمّا انتهوْا إليها أبوْا أن يدخلوا عليه
فيها ، وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابْرُز لنا . فبرز إلى فُرُش ممهّدة ؛
وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم ! هذا أوّلُ الذّلّ . أما الشأم فلا شأم ؛
وويل للروم من المولود المشئوم ! ولم يتأتّ بينهم وبين المسلمين صُلْح ، فرجع
أبو عبيدة وأصحابه واتّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُطّرح ، عن القاسم ، ٢١٠٤/١
عن أبى أمامة وأبى عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشأم
ومن أشياخهم ؛ قالوا : لمّا كان اليوم الّذى تأمّر فيه خالد، هزم الله الرّوم
مع الليل ، وصعد[2] المسلمون العَقَبة ، وأصابوا ما فى العسكر ، وقتل الله
صناديدَهم ورءوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هِرَقْل ، وأخِذ التّذارق ،
وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دُون مدينة حِمْص ، فارتحل فجعل حِمْص
بينه وبينهم ، وأمّر عليها أميرًا وخلّفه فيها ، كما كان أمّر على دمشق ،
وأتبع المسلمون الرّوم حين هزموهم خيولاً يَشْفِنونهم[3] . ولمّا صار إلى

(١) الثبار على الأمر : المواظبة عليه. (٢) كذا فى ز والنويرى . (٣) يثفنونهم : يطردونهم.

أبى عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة؛ نادى بالرّحيل ، وارتحل المسلمون بزحْفهم حتى وضعوا عساكرَهم بمَرْج الصُّفَّر . قال أبو أمامة : فبُعثت طليعةً من مَرْج الصُّفَّر ، معى فارسان ؛ حتى دخلت الغُوطة فجُسْتُها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبىّ : قد بلغتَ حيث أُمِرت فانصرف لاتُهلكْنا ، فقلت : قِفْ مكانَك حتى تصبح أو آتيَك. فسِرْتُ حتى دفعت إلى باب المدينة ؛ وليس فى الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لجام فرسى وعلّقت عليها مخلاتها ، وركزت[1] رمحى ، ثم وضعت رأسى فلم أشعُر إلا بالمفتاح يحرَّك عند الباب ليُفتح ؛ فقمت فصلّيت الغداة ، ثم ركبت فرسى ، فحملت عليه ، فطعنت البوّاب[2] فقتلته ، ثم انكفأت راجعًا ؛ وخرجوا يطلبوننى ، فجعلوا يكفّون عنّى مخافة أن يكون لى كمين ، فدفعت إلى صاحبى الأدْنى الّذى أمرتُه أن يقف ، فلمّا رأوْه قالوا : هذا كمين انتهى إلى كمينه . فانصرفوا وسرت أنا وصاحبى ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثانى ، فسِرْنا حتى انتهينا إلى المسلمين ؛ وقد عزم أبو عبيدة ألّا يبرح حتى يأتيَه رأىُ عمر وأمْرُه ؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشْق ، وخلّف باليَرْمُوك بشير بن كعب بن أبىّ الحميرىّ فى خَيْل .

٢١٠٥/١

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبى سَعيد ، قال : قال قَباث : كنت فى الوفْد بفتح اليَرْموك ، وقد أصبنا خيرًا ونَفَلا كثيرًا ، فمرّ بنا الدّليل على ماء رجل قد كنت اتّبعته فى الجاهليّة حين أدركتُ وآنستُ من نفسى لأصيب منه ؛ كنت دُلِلْتُ عليه ، فأتيته فأخبرته ، فقال : قد أصبتَ ، فإذا ريبال من ريابلة العرب قد كان يأكل فى اليوم عَجُز جَزور بأدْمها ومقدارَ ذلك من غير العَجُز ما يفضل عنه إلا ما يقوتنى . وكان يُغير على الحىّ ويَدَعُنى قريبًا ، ويقول : إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا ، فأنا ذلك ؛ فَشُلّ معى . فمكثت بذلك حتى أقطعنى قطيعًا من مال ، وأتيت به أهلى ؛ فهو أوّلُ مال أصبته . ثم إنّى رأستُ قومى ؛ وبلغت مبلغ رجال العرب ، فلمّا مرّ بنا على ذلك الماء

٢١٠٦/١

---

(١) ابن حبيش : « وتركت » . (٢) س : « فطعنته وطعنت » .

عرفتُه ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا : هو حيٌّ ، فأتيت ببنين استفادهم بعدى ، فأخبرتهم خبرى ، فقالوا : اغدُ علينا غداً ، فإنه أقربُ ما يكون إلى ما تحبّ بالغداة ، فغاديتهم فأدخِلْت عليه ، فأخرج من خِدْره ؛ فأجلِس لى ، فلم أزل أذكِّره حتى ذكر ، وتسمّع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقُلنا على صبيانهم ؛ ففرّقوه ببعض ما كان يفرَق منه ليدخل خِدْره ، فوافق ذلك عقله ، فقال : قد كنت وما أفزّع ! فقلت : أجل ، فأعطيته ولم أدعْ أحداً من أهله إلا أصبتُه بمعروف ثم ارتحلت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن سيف ، عن أبى سعيد المَقْبُرِىّ ، قال : قال مروان بن الحكم لِقَبَاث : أأنت أكبر أم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قال : رسول الله أكبر منّى ، وأنا أقدم منه ، قال : فما أبعدُ ذكرك ؟ قال : خِثْى[1] الفيل لسنة . قال : وما أعجب ما رأيتَ ؟ قال : رجل من قُضاعة ؛ إنى لما أدركتُ وآنَسْتُ من نفسى سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ؛ فدلِلْتُ عليه . . . واقتصّ هذا الحديث . ١/٢١٠٧

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ، أنّ أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يَزيد ابن أبى سفيان يُوصيه ، وأبو بكر يمشى ويزيد راكب ، فلمّا فرغ من وصيّته قال : أقرئُك السلام ، وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد ؛ فأخذ التَّبُوكيّة ثم تبعه شُرَحبيل بن حَسَنة ثم أبو عبيدة بن الجرّاح مدداً لهما على رُبْع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغَمْر العَرَبات ، ونزلت الرُّوم بثَنيّة جِلّق بأعلَى فلسطين فى سبعين ألفاً ، عليهم تَذَارِق أخو هِرَقْل لأبيه وأمّه . فكتب عَمْرو بن العاص إلى أبى بكر ، يذكر له أمرَ الرُّوم ويستمدُّه . وخرج خالد بن سعيد بن العاصى ؛ وهو بمرج الصُّفَّر من أرض الشأم فى يوم مَطير يستمطر فيه ؛ فتعاوَى عليه

---

(١) الخثى : ما يرميه الفيل من ذى بطنه .

أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبى بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا أبو زيد ، فحدّثنى عن علىّ بن محمد بالإسناد الذى قد ذكرت قبلُ ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجّه بعد خروج يزيد بن أبى سفيان موجّها إلى الشأم بأيام ، شُرَحبيلَ بن حَسَنة — قال : وهو شُرَحْبيل ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدة ، ويقال من الأزد — فسار ٢١٠٨/١ فى سبعة آلاف ، ثم أبا عبيدة بن الجرّاح فى سبعة آلاف ، فنزل يزيد البَلْقاء ، ونزل شُرحبيل الأرْدُنّ — ويقال بُصْرَى — ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثم أمدّهم بعمرو بن العاص ، فنزل بغَمْر العرَبات ، ثم رغب الناس فى الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجّههم أبو بكر إلى الشأم فمنهم مَن يصير مع أبى عبيدة ، ومنهم مَن يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبّوا .

قالوا : فأوّل صُلْح كان بالشأم صلح مآبَ ؛ وهى فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم فى طريقه ، وهى قرية من البَلْقاء ، فقاتلوه ، ثم سألوه الصُّلْح فصالحهم . واجتمع الرُّوم جمعًا بالعَرَبة من أرض فلسطين ؛ فوجّه إليهم يزيدُ بن أبى سفيان أبا أمامة الباهلىّ ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأوّل حرب كانت بالشأم بعد سريّة أسامة بالعَرَبة . ثم أتوا الدّاثنة — ويقال الدّاثن — فهزمهم أبو أمامة الباهلىّ ، وقتل بِطْريقًا منهم . ثم كانت مَرْج الصُّفَّر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصى ، أتاهم أدْرُنْجار فى أربعة آلاف وهم غارّون ، فاستُشهد خالد وعدّة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول فى هذه الغزوة كان ابنًا لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجّه أبو بكر خالد بن الوليد ٢١٠٩/١ أميرًا على الأمراء الذين بالشأم ، ضمّهم إليه ؛ فشخص خالد من الحيرة فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة فى ثمانمائة — ويقال فى خمسمائة — واستخلف على عمله المثنّى بن حارثة ، فلقيه عدوّ بصَنْدَوْدَاء ، فظفر بهم ، وخلّف بها ابن حَرام الأنصارىّ ؛ ولقى جمعًا بالمُصيّخ والحُصَيْد ، عليهم

ربيعة بن بُجَيْر التَّغلبيّ ، فهزمهم وسَبَى وغَنِم ، وسار ففوّز[1] من قُراقِر إلى سُوَى ؛ فأغار على أهل سُوَى ؛ واكتسح أموالَهم ، وقتل حُرْقُوصَ ابن النُّعمان البَهرانيّ ، ثم أتى أرَك فصالحوه ، وأتى تَدْمُر فتحصّنوا ، ثم صالحوه ؛ ثم أتى القريتيْن ، فقاتلهم فظفر بهم وغَنِم ، وأتى حُوّارين ؛ فقاتلهم فهزَمهم وقتلَ وسبَى ، وأتى قُصَم فصالحه بنو مَشْجَعَة من قُضاعة ، وأتى مَرْج راهط ، فأغار على غَسّان في يوم فِصْحهم ، فقتل وسَبَى ، ووجّه بُسْر بن أبي[2] أرطاة وحبيب بن مَسْلَمة إلى الغوطة ، فأتوا كنيسة فسَبَوا الرّجال والنِّساء ، وساقُوا العيال إلى خالد .

قال : فوافى خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة منصرفَه من حجّه : أن ٢١١٠/١ سِرْ حتّى تأتيَ جموعَ المسلمين باليَرْموك ، فإنهم قد شَجُوا وأشْجَوا[3] ، وإيّاك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشْجِ[4] الجموع من الناس بعون الله شجاك ، ولم ينزع الشجَى من الناس نزعك . فليهنئك أبا سليمان النّية والحُظوة[5] ؛ فأتمِم يُتمم الله لك ، ولا يدخلنَّك عُجب فتخسَر وتُخذَل ؛ وإيّاك أن تُدِلّ بعمل ، فإن الله عزّ وجلّ له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيْثَم البكائيّ ، قال : كان أهلُ الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاويةَ عند بعض الذى يبلُغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحنُ أصحابُ ذات السلاسل ، ويسمّون ما بينها وبين الفِراض ؛ ما يذكرون ما كان بعد ؛ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظَفَر بن دهي ، ومحمد بن عبد الله عن أبي عثمان ،

---

(١) فى اللسان : « يقال : فوز الرجل بإبله ؛ إذا ركب المفازة » .

(٢) ساقطة من ط ، وانظر التصويبات .

(٣) أشجاه قرنه : قهره حتى شجي به .

(٤) أى لم يقهر الجموع قهرك .

(٥) الحظوة : المكانة .

وطلحة عن المغيرة ، والمهلّب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سياه الأحمرىّ ، قالوا : كان أبو بكر قد وجّه خالدَ بن سعيد بن العاصى إلى الشأم حيث وجّه خالد بن الوليد إلى العراق . وأوصاه بمثل الّذى أوصى به خالداً . وإنّ خالد ابن سعيد سار حتى نزلَ على الشأم ولم يقتحم ؛ واستجلب النّاس فعزّ[1] ، فهابته الرّوم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبى بكر ولكن تورّدها فاستطردت له الرّوم ، حتى أوردوه الصُّفّر ، ثم تعطّفوا عليه بعد ما أمِن ؛ فوافقوا ابنَه سعيد بن خالد مستمطِرًا ؛ فقتلوه هو ومَن معه ، وأتى الخبرُ خالدًا ، فخرج هاربًا ؛ حتى يأتى البرّ ، فينزل منزلا ، واجتمعت الرّوم إلى اليَرْموك ؛ فنزلوا به ، وقالوا : والله لنشغلنّ أبا بكر فى نفسه[2] عن تورّد بلادنا بخيوله .

١/٢١١١

وكتب خالد بن سعيد إلى أبى بكر بالّذى كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص — وكان فى بلاد قُضاعة — بالسّير إلى اليرموك ، ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبى سفيان ، وأمر كلّ واحد منهما بالغارة ، وألاّ تَوغلوا حتى لا يكون وراءكم أحدٌ من عدوّكم .

وقدم عليه شُرَحْبيل بن حَسَنة بفتح من فتوح خالد ، فسرّحه نحو الشأم فى جُنْد ، وسمّى لكلّ رجل من أمراء الأجناد كورةً من كور الشأم ؛ فتوافوا باليَرْموك ، فلمّا رأت الروم توافيَهم ، ندموا على الّذى ظهر منهم ، ونَسُوا الذى كانوا يتوعّدون به أبا بكر ، واهتموا وهمّتهم أنفسهم ، وأشْجَوْهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة . وقال أبو بكر : والله لأنْسِيَنّ الرّوم وساوسَ الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الّذى فوق هذا الحديث ، وأمَرَه أن يستخلِف المثنّى بن حارثة على العراق فى نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشّأم ، فارجعْ إلى عملك بالعراق . وبعث خالد بالأخماس إلاّ ما نفّل منها مع عُمَير بن سعد الأنصارىّ وبمسيره إلى الشأم . ودعا خالد الأدلّة ، فارتحل من الحيرة سائرًا إلى دُومة ، ثم طعن فى البرّ إلى قراقر ، ثم قال : كيف لى بطريق أخرج فيه[3] من وراء جموع الروم !

١/٢١١٢

(١) ز : « وعز » . (٢) ز : « بنفسه على » . (٣) ز : « منه » .

فإنى إن استقبلتها حبستنى عن غياث المسلمين ، فكلّهم قال[١] : لا نعرف إلاطريقًا لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذّ[٢] الراكب ، فإيّاكأن تغرّر بالمسلمين . فعزم عليهم ولم يُجِبْه إلى ذلك إلاّ رافع بن عُمَيرة على تهيُّبٍ شديد ، فقام فيهم ، فقال : لا يختلفنّ هَدْيُكم ، ولا يضعفنّ يقينُكم ، واعلموا أنّ المعونة تأتى على قدر النيّة ، والأجر على قدر الحِسْبة[٣] ؛ وإنّ المسلم لاينبغى له أن يكترث بشىء يقع فيه[٤] مع معونة الله له ، فقالوا له : أنت رَجُلٌ قد جمع الله لك الخير ، فشأنَك . فطابقوه ونووا واحتسبوا ، واشتهوا مثلَ الذى اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فتروّوا للشَّفَة لخمس ، وأمر صاحب كلّ خيل بقدر ما يسقيها ، فظمّأ كلٌّ قائد من الإبل الشُّرُف الجِلال[٥] ما يكتفى به ، ثم سَقَوْها العَلَل بعد النَّهل[٦] ؛ ثم صرُّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلّوا أدبارها ، ثم ركبوا من قراقر مفوّزين إلى سُوَى — وهى على جانبها الآخر ممّا يلى الشأم — فلما ساروا يومًا افتظّوا[٧] لكل عِدّة من الخيل عشرًا من تلك الإبل فمزجوا ما فى كُروشها بما كان من الألبان ، ثم سَقَوا الخيلَ ، وشربوا للشفة جَرْعًا ؛ ففعلوا ذلك أربعة أيام . ١ / ٢١١٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عبيد الله بن مُحَفّز ابن ثعلبة ؛ عمن حدّثه من بكر بن وائل ، أنّ مُحْرِز بن حَرِيش المحاربىّ قال لخالد : اجعل كوكبَ الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أُمَّه تُفْضِ إلى سُوَى ؛ فكان أدلّهم .

قال أبو جعفر الطبرىّ : وشاركهم محمّد وطلحة ، قالوا : لما نزل بسُوَى وخشىَ أن يفضحهم حرُّ الشمس ، نادى خالد رافعًا : ما عندك ؟ قال :

---

(١) س : « قالوا » . (٢) الفذّ : الفرد .

(٣) ز ، س : « الحسنة » . (٤) ز : « وقع فيه » .

(٥) الظمء : حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد ، والشارف : الناقة التى قد أسنت ، وجمعه شرف . وجلة الإبل : مسانها .

(٦) قال الأصمعى : إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل والثانية العلل .

(٧) يقال : افتظ رجل كرش بعيره إذا نحره فاعتصر ماءه وصفاه .

خير، أدركتم الرِّىّ(١)، وأنتم على الماء ! وشجَّعهم وهو متحيِّر أرمد، وقال : أيُّها النَّاس، انظروا عَلَمَيْن كأنهما ثَدْيان . فأتوْا عليهما وقالوا : عَلَمان، فقام عليهما فقال : اضربوا يَمْنةً ويَسْرَةً — لعَوْسجة(٢) كقعدة الرجل — فوجدوا جِذْمها ، فقالوا : جذمٌ ولا نرى شجرة ، فقال : احتفروا حيث شئتم ، فاستثاروا أوشالاً وأحساءً رَواءً ، فقال رافع : أيّها الأمير ، والله ما وردتُ هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته إلا مرّة وأنا غلام مع أبى .

١/٢١١٤ فاستعدُّوا ثم أغاروا والقوم لا يروْن أنّ جيشًا يقطع إليهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظفر بن دهى ، قال : فأغار بنا خالد من سُوَى على مُصَيَّخ بَهْراءَ بالقُصْوانَى —ماء من المياه— فصبّح المُصَيَّخ والنَّمِر ؛ وإنهم لغارّون ، وإن رفقة لتشرب فى وجه الصُّبْح ، وساقيهم يغنِّيهم ، ويقول :

*ألا صَبِّحانى قَبْلَ جَيْشِ أبى بكرِ *

فضُربت عنُقه ، فاختلط دمُه بخمره .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد بإسناده الذى تقدّم ذكره، قال : ولمّا بلغ غسّان خروج خالد على سُوى وانتسافَها ، وغارتُه على مصَيَّخ بَهْراء وانتسافها ، فاجتمعوا بمرْج راهط ، وبلغ ذلك خالدًا ، وقد خلّف ثُغور الرُّوم وجنودها ممَّا يلى العراق ، فصار بينهم وبين اليرموك، صمد لهم ؛ فخرج من سُوَى بعد ما رجع إليها بسبْى بَهْراء ، فنزل الرُّمّانَتَيْن— عَلَمَيْن على الطريق —ثم نزل الكَثَب ؛ حتى صار إلى دمشق، ثم مَرْج الصُّفَّر ، فلقِىَ عليه غَسّانَ وعليهم الحارث بن الأيْهَم ،

١/٢١١٥ فانتسف عسكرهم وعيالاتِهم . ونزل بالمَرْج أيّامًا ، وبعث إلى أبى بكر بالأخماس مع بلال بن الحارث المُزَنىّ ، ثم خرج من المرْج حتى ينزل قناة بُصْرَى ؛ فكانت أوّلَ مدينة افتُتحت بالشأم على يدىْ خالد

(١) ز : « أدرككم الغى » .
(٢) العوسج : ضرب من الشجر كثير الشوك ، وله تمر أحمر مدوّر كأنه العقيق .

فيمن معه من جُنُود العراق ، وخرج منها ، فوافَى المسلمين بالواقُوصة ، فنازلهم بها فى تسعة آلاف.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب ، قالوا : ولما رجع خالدٌ من حجّه وافاه كتاب أبى بكر بالخُروج فى شَطْر الناس ، وأن يخلّف على الشَّطْر الباقى المثنَّى بن حارثة ، وقال : لا تأخذنْ نجداً إلاّ خلّفت له نجداً ، فإذا فتح الله عليكم فارْدُدْهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عَمَلِك ؛ وأحضر خالدٌ أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم واستأثر بهم على المثنَّى ، وترك للمثنّى أعدادهم من أهل القناعة ممنّ لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقىَ ، فاختلج[1] مَن كان قدِم على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنّى أعدادَهم من أهل القناعة ؛ ثم قسَم الجند نصفيْن ، فقال المثنّى : والله لا أقيم إلاّ على إنفاذ أمر أبى بكر كلّه فى استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ؛ وبالله ما أرجو النّصر إلاّ بهم ، فأنّى تُعرِينى منهم ! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكّأ عليه أعاضه منهم حتى رضىَ ، وكان فيمن أعاضه[2] منهم فُرات بن حيّان العجلىّ ، وبَشير بن الخَصّاصيّة والحارث بن حسّان الذُّهليّان ، ومعبَد بن أمّ معبد الأسلمىّ ، وعبد الله بن أبى أوفى الأسلمىّ ؛ والحارث بن بلال المزُنىّ ، وعاصم بن عمرو التميمىّ ؛ حتى إذا رضىَ المثنّى وأخذ حاجتَه ، انجذب خالد فمضَى لوجهه وشيّعه المثنّى إلى قُراقر ، ثم رجع إلى الحيرة فى المحرّم ، فأقام فى سلطانه ، ووضع فى المسلحة التى كان فيها على السَّيْب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبةَ بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كلّ مَن خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغَناء ، ووضع مذعور بن عدىّ فى بعض تلك الأماكن ؛ واستقام أهل فارس — على رأس سنة من مقدَم خالد الحيرة ؛ بعد خروج خالد بقليل ؛ وذلك فى سنة ثلاث عشرة — على شَهْرَبَراز بن أردشير بن شهريار ممّن يُناسب[3] إلى كسرى ، ثم إلى سابور . فوجّه إلى المثنّى جنداً عظيماً عليهم هُرْمُز جاذوَيْه

١/٢١١٦

(١) اختلجهم : طوح بهم وأطارهم . (٢) س : « أعانه به » . (٣) ز : « ننسّب » .

فى عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالح إلى المثنّى بإقباله ، فخرج المثنّى من الحيرة نحوه ، وضمّ إليه المسالح ، وجعل على مجنِّبتَيْه المُعَنَّى ومسعودًا ابنَى حارثة ، وأقام [1] له ببابل ، وأقبلَ هُرمز جاذويه ، وعلى مجنِّبتَيْه الكوكبد والخرُ كَبْذ . وكتب إلى المثنّى : من شهر براز إلى المثنّى ؛ إنى قد بعثتُ إليك جندًا من وخش أهل فارس [2] ، إنما هم رُعاة الدّجاج والخنازير ؛ ولست أقاتلك إلاّ بهم . فأجابه المثنّى : من المثنّى إلى شهر براز ؛ إنما أنتَ أحدُ رجلَيْن : إما باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإمّا كاذب فأعظم الكذّابين عقوبةً وفضيحة عند الله فى الناس الملوك . وأمّا الذى يدلّنا عليه الرأى ؛ فإنّكم إنما اضطررتم إليهم ؛ فالحمد لله الذى ردّ كيدكم إلى رعاة الدّجاج والخنازير . فجزع أهلُ فارس من كتابه ، وقالوا : إنما أُتِيَ شهر براز من شؤم مولده ولؤم مَنشئه — وكان يسكن ميسان — وبعض البلدان شَيْنٌ على مَنْ يسكنه . وقالوا له : جرّأت علينا عدوّنا بالّذى كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتبت أحدًا فاستشِرْ . فالتقوْا ببابل ، فاقتتلوا بعُدْوة الصَّراة الدُّنيا على الطريق الأوّل قتالا شديدًا .

١/٢١١٧

ثم إن المثنّى وناسًا من المسلمين اعتورُوا الفيل — وقد كان يفرّق بين الصفوف والكراديس — فأصابوا مقتَله ، فقتلوه وهزموا أهلَ فارس ، واتّبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالِحَهُمْ ، فأقاموا فيها ، وتتبّع الطلب الفالّة ؛ حتى انتهوْا إلى المدائن ؛ وفى ذلك يقول عَبْدة بن الطبيب السعدىّ ، وكان عَبْدة قد هاجَر لمهاجَرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ؛ فلما آيسته رجع إلى البادية ، فقال :

١/٢١١٨

هل حَبْلُ خَولَةَ بعدَ البَيْنِ موصولُ أم أنت عنها بَعيدُ الدارِ مشغولُ ! [3]
ولِلأحِبَّــــة أيّامٌ تَذَكَّرُها وللنّوى قبل يوم البين تأويل [4]

(١) س : « وأقاما » .
(٢) الوخش : رذال الناس .
(٣) من قصيدة مفضلية ؛ المفضليات ١٣٥ — ١٤٥ .
(٤) تذكرها : تتذكرها أنت . تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع .

حَلَّتْ خُوَيلَةُ فى حَىّ عَهِدتَهم دُونَ المَدائنِ فيها الدِّيكُ والفِيلُ
يُقارِعون رءوسَ العُجْمِ ضاحِيةً مِنْهُمْ فوارسُ،لا عُزلٌ ولا مِيلُ [1]

القصيدة . وقال الفرزدق يعدّد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنّى وقتْلَه الفيل : ٢١١٩/١

وَبيْتُ المُثنَّى قاتِلِ الفيلِ عَنْوةً ببابلَ إذ فى فارِسٍ مُلكُ بابِلِ [2]

ومات شهر براز منهزَمَ هرمز جاذويه .

واختلف أهل فارس ، وبقِى ما دون دِجْلة وبُرْس من السَّواد فى يدى المثنَّى والمسلمين .

* * *

ثم إنّ أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْت زَنان ابنة كسرى ؛ فلم ينفذ لها أمرٌ فخُلعت .

ومُلّكَ سابور بن شهر براز .قالوا : ولما ملك سابور بن شهر براز قام بأمره الفرُّخزاذ بن البِنْدَوان ، فسأله أن يزوّجه آزَرْميدُخْت ابنة كِسْرى ، ففعل ، فغضبت من ذلك ، وقالت : يا بن عمّ ، أتزوّجنى عبدى ! قال : استحْيِى من هذا الكلام ولا تعيديه علىّ ، فإنّه زوجُك ، فبعثت إلى سِياوَخْش الرازىّ -- وكان من فتّاك الأعاجم -- فشكَتْ إليه الّذِى تخاف ، فقال لها : إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوِدِيه فيه ، وأرسلى إليه وقولى له : فليقل له فليأتك ؛ فأنا أكفيكه . ففعلت وفعل ؛ واستعدّ سياوَخْش ، فلمّا كان ليلة العرْس أقبل الفرُّخزاذ حتى دخلَ ، فثار به سياوَخْش فقتله ومَن معه ، ثم نَهَدَ بها معه إلى سابور ، فحضرته ثم دخلوا عليه فقتلوه . ومُلّكَتْ آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك ؛ وأبطأ خبر أبى بكر على المسلمين فخلّف المثنّى على المسلمين بشير بن الخصاصيّة ، ووضع مكانه فى المسالح سعيدَ بن مُرّة العِجْلىّ ؛ وخرج المثنّى نحو أبى بكر ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه فى الاستعانة بمَن قد ظهرت ٢١٢٠/١

---

(١) العزل : جمع أعزل ؛ وهو الذى لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ؛ وهو السيئ الركوب .

(٢) ديوانه ٦٦٩

توبتَه وندمَه من أهل الرّدة ممّن يستطعمه الغزوَ[١] ، وليخبره أنه لم يخلّف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرَج خالد إلى الشأم — مَرْضَتَه التي مات فيها — بأشهر ؛ فقدم المثنّى وقد أشفى ، وعقد لعمر ، فأخبره الخبر ، فقال : عليّ بعمر ، فجاء فقال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ؛ إنّي لأرجو أن أموتَ من يومي هذا — وذلك يوم الاثنين — فإن أنا متّ فلا تمسينّ حتى تندُب الناس مع المثنّى ، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تُصبحنّ حتى تندب الناس مع المثنّى ، ولا تشغلنّكم مصيبة وإنْ عَظُمت عن أمر دينكم ، ووصية ربّكم ؛ وقد رأيتَني[٢] متوفّى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وما صنعت ، ولم يصَب الخلق بمثله ؛ وبالله لو أنّي أنِي عن أمر رسوله لخذلَنا ولعاقبَنا ، فاضطرمت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشأم فاردُدْ أصحابَ خالد إلى العراق . فإنّهم أهلُه وولاة أمره وحدّه[٣] وأهل الضّراوة منهم[٤] والجراءة عليهم .

١/٢١٢١ ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل ، فدفنه عمرُ ليلاً ، وصلى عليه في المسجد ، وندب الناس مع المثنّى بعد ما سُوِّيَ على أبي بكر ، وقال عمر : كان أبو بكر قد عَلِم أنه يَسُوءني أنْ أؤمّر خالداً على حرب العراق ؛ حين أمرني بصرف أصحابي ، وترَك ذكره .

قال أبو جعفر : وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقّي السّواد في سلطانه ؛ ثم مات وتشاغل أهلُ فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السّواد ؛ فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنّى مع أبي عبيد إلى العراق ، والجمهور من جُنْد أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسّيب ، والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دِجْلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم .

فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه .

* * *

(١) ز : « استطعمه العدو » .
(٢) س : « رأيتموني » .
(٣) ز : « وجده » .
(٤) كذا في ز ، وفي ط : « بهم » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق [١]. وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة ، يأمره أن يمدّ أهلَ الشأم بمَن معه من أهل القوّة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضَعَفة النّاس رجلا منهم ؛ فلمّا أتى خالداً كتابُ أبي بكر بذلك ، قال خالد : هذا عمل الأعيسر بن أمّ شَمْلَة – يعني عمر ابن الخطاب – حسدني أن يكون فتْح العراق على يديّ . فسار خالد بأهل القوّة من الناس وردّ الضعفاء والنّساء إلى المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمّر عليهم عُمير بن سعد الأنصاريّ ، واستخلف خالد على مَن أسلم بالعراق من رَبيعة وغيرهم المثنّى بن حارثة الشيبانيّ . ثم سار حتى نزل على عَيْن التّمْر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حِصْناً بها فيه مقاتِلةٌ كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم ، فضرب أعناقهم ، وسَبَى من عَيْن التّمْر ومن أبناء تلك المرابِطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر ؛ فكان من تلك السَّبَايا أبو عَمْرة مولى شبّان ؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلّى ، من الأنصار من بني زُرَيق ، وأبو عبد الله مولى زُهرة ، وخَيْر مولى أبي داود الأنصاريّ ثم أحد بني مازن بن النّجار ، ويَسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مَخْرمة بن المطّلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاريّ ثم أحد بني مالك بن النّجار ، وحُمران ابن أبان مَوْلى عثمان بن عفان . وقَتَل خالد بن الوليد هلالَ بن عَقَة ابن بشر النّمَريّ وصلبه بعين التّمر ، ثم أراد السّير مفوّزاً من قُراقر – وهو ماء لكلب إلى سُوَى ، وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال – فلم يهتدِ خالد الطريق ، فالتمس دليلا ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائيّ ؛ فقال له خالد : انطلق بالنّاس ، فقال له رافع : إنّك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال ؛ والله إنّ الراكب المفرد ليخافُها على نفسه وما يسلُكها إلا مغرّراً ؛ إنها لخمس ليال جِياد لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلّتها ، فقال له خالد : ويْحك ! إنه والله إنْ لي بدّ من ذلك ، إنه قد أتتني من الأمير عَزْمة بذلك ، فمُرْ بأمرك [٢]. قال : استكثِروا من الماء ؛ مَن استطاع منكم أن يصرّ أذنَ ناقته على ماء فليفعل ؛

١/٢١٢٢ ١/٢١٢٣

---

(١) انظر أول الحديث ص ٤٠٥ .

(٢) س : « فمرنا أمرك » .

فإنها المهالك إلا ما دفع الله ؛ ابْغِني عشرين جَزوراً عظاماً سماناً مَسانّ.[١] فأتاه بهنّ خالد ، فعمد إليهنّ رافع فظمّأهن، حتى إذا أجهدهنّ عطشاً أوردهنّ فشربن حتى إذا تمّلأن[٢] عمَد إليهنّ ، فقطع مشافرهنّ ، ثم كَعمهنّ لئلا يجترّن ، ثم أخلى أدبارهنّ.

ثم قال لخالد : سر ؛ فسار خالد معه مُغِذّاً بالخيول والأثقال ؛ فكلّما نزل منزلا افتظّ[٣] أربعا من تلك الشَّوارف ؛ فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه الخيل ؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ؛ فلمّا خشِيَ خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد : ويحكَ يا رافع ! ما عندك؟ قال أدركتَ الرِّيَّ إن شاء الله ؛ فلمّا دنا من العلَمَيْن ، قال للناس : انظروا هل ترون شُجيرة من عَوْسج كقِعْدة الرجل ؟ قالوا : ما نراها . قال : إنّا لله وإنا إليه راجعون ! هلكتم والله إذاً وهلكتُ ؛ لاأبالكم ! انظروا ، فطلبوا فوجدوها قدقطعت وبقيت منها بقيّة ؛ فلمّا رآها المسلمون كبّروا وكبّر رافع بن عميرة ؛ ثم قال : احفروا في أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عيناً ، فشربوا حتى رَوِيَ النّاس ، فاتّصلتْ بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع : والله ما وردتُ هذا الماءَ قطّ إلا مرّةً واحدة ، وردته مع أبي وأنا غلام ، فقال شاعر من المسلمين :

١/٢١٢٤

لله عَيْنا رافِعٍ أنّى اهْتَدَى[٤] فوّزَ من قُراقِرٍ إلى سُوَى !
خِمْساً إذا ما سارها الجَيْشُ بكى[٥] ما سارها قَبْلكَ إنسيٌّ يُرَى[٦]

فلمّا انتهى خالد إلى سُوَى ، أغار على أهله — وهم بَهْراء — قبيل الصُّبح ، وناس منهم يشربونَ خَمْراً لهم في جَفْنة قد اجتمعوا عليها ، ومغنّيهم يقول :

ألا علّلاني قبل جيش أبي بكرِ لعلّ منايانا قريب وما نَدْرِي

---

(١) ز : « مشارف » . (٢) ز : « تملأت » .
(٣) افتظها : عصر ماء كروشها .
(٤) ياقوت ٥ : ١٥٧ ، وروايته : « لله در رافع » .
(٥) ياقوت : « سارها الجبس » . (٦) ياقوت : « من قبلها إنس يرى » .

ألا علّلانى بالزُّجاج وكرِّرا علَيَّ كُمَيْتَ اللونِ صافيةً تَجْرِى
ألا علّلانى من سُلافة قهوةٍ تُسلِّى همومَ النفس من جيِّدِ الخمرِ
أظُنُّ خيولَ المسلمين وخالدًا ستطرُقكُمْ قبل الصَّباح من البِشْرِ[1]
فهل لكُمُ فى السير قبل قتالهم وقبل خروج المعصراتِ من الخِدْرِ[2]!

فيزعمون أن مغنّيَهم ذلك قتِل تحت الغارة ، فسال دمُه فى تلك الجفنة .
ثم سار خالدٌ على وجهه ذلك ، حتى أغار على غسَّان بمرْج راهط ، ثم سار حتى نزلَ على قناة بُصْرَى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشُرَحْبيل بن حَسَنة ويزيد بن أبى سفيان ؛ فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بُصرى على الجزْية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانتْ أوّلَ مدينة من مَدائن الشأم فتحت فى خلافة أبى بكر . ثم ساروا جميعًا إلى فِلَسطين مددًا لعمرو بن العاص، وعمرو مقيم بالعَرَبات مِنْ غَوْر فِلَسطين ، وسمعت الرُّوم بهم ، فانكشفوا عن جِلِّق إلى أجْنادِين ؛ وعليهم تَذَارق أخو هِرَقْل لأبيه وأمِّه — وأجنادين بلد بين الرَّمْلة وبيت جِبْرين من أرض فلسطين — وسار عمرو بن العاص حينَ سمع بأبى عبيدة بن الجرّاح وشُرَحْبيل ابن حَسَنة ويزيد بن أبى سفيان حتى لقيَهم ، فاجتمعوا بأجنادين ؛ حتى عسكروا عليهم . ٢١٢٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزُّبَيْر ، عن عُروة بن الزبير ، أنّه قال : كان على الرّوم رجل منهم يقال له القُبُقْلار ؛ وكان هِرَقل استخلفه على أمَرَاء الشأم حين سار إلى القسطنطينيّة ، وإليه انصرف تذَارق بمنْ معه من الروم . فأمّا علماء الشأم فيزعُمون أنّما كان على الرّوم تَذارِق . والله أعلم .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمّد بن إسحاق ، عن محمّد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة ، قال : لما تدانَى العسكران بعث

(١) النويرى وابن الأثير : «مع النسر» . (٤) المعصر : الجارية التى راهقت العشرين .

٢١٢٦/١ القُبُقْلار رجلاً عربيًّا — قال: فحدّثت أنّ ذلكَ الرجل رجلٌ من قضاعة، من تزيد بن حَيْدَان، يقال له ابن هزارف — فقال: ادْخُل فى هؤلاء القوم فأقم فيهم يومًا وليلة، ثم ائتنى بخبرهم. قال: فدخل فى النّاس رجلٌ عربىّ لا ينكَر؛ فأقام فيهم يومًا وليلة، ثم أتاه فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرَق ابنُ ملكهم قطعوا[1] يده، ولو زنى رُجِم؛ لإقامة الحقّ فيهم. فقال له القبقلار: لئن كنتَ صدقتنى لَبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها[2]، ولوددتُ أنّ حظّى من الله أن يخلّىَ بينى وبينهم، فلا ينصرنى عليهم، ولا ينصرُهم علىّ. قال: ثم تزاحف النّاس، فاقتتلوا، فلما رأى القُبُقْلار ما رأى من قتال المسلمين؛ قال للروم: لفّوا رأسى بثوب، قالوا له: لِمَ؟ قال: يوم البئيس، لا أحبّ أن أراه! ما رأيت فى الدّنيا يومًا أشدّ من هذا! قال: فاحتزّ المسلمون رأسَه، وإنّه لملفّف.

وكانت [وقعة][3] أجنادين فى سنة ثلاث عشرة لليلتيْن بقيتا من جُمادى الأولى. وقتل يومئذ من المسلمين جماعةٌ؛ منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة، وهبّار بن الأسود بن عبد الأسد، ونعيم بن عبد الله النحّام، وهشام بن العاصى بن وائل، وجماعة أخَر من قُريش. قال: ولم يسمّ لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها.

٢١٢٧/١ وفيها تُوُفّىَ أبو بكر لثمانِ ليالٍ بقينَ — أو سبع بقينَ — من جُمادى الآخرة.

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى زيد، عن على بن محمد بإسناده الذى قد مضى[4] ذكره. قال: وأتى خالدٌ دمشقَ فجمع له صاحِب بصرى، فسار إليه هو وأبو عُبيدة؛ فلقيَهم أدرنجا، فظفر بهم. وهزمهم؛ فدخلوا حصنَهم؛ وطلبوا الصُّلْح، فصالحهم على كلّ رأس دينار فى كلّ عام وجريب حنطة. ثم رجع العدوّ للمسلمين، فتوافَتْ جنود المسلمين والرّوم

(١) ز: «قطعت». (٢) ز: «ظهورها».
(٣) من ز وابن كثير. (٤) انظر أول خبر أبى زيد ص ٤٠٦.

بأجنادين ، فالتقَوْا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هرقل ، واستشهد رجالٌ من المسلمين ؛ ثم رجع هِرَقْل للمسلمين ، فالتقوْا بالواقوصة فقاتلوهم ؛ وقاتلهم العدوّ ، وجاءتهم وفاة أبى بكر وهم مصافُّون وولاية أبى عبيدة ، وكانت هذه الوقعة فى رجب .

[ذكر مرض أبى بكر ووفاته]

حدّثنى أبو زيد ؛ عن علىّ بن محمد ، بإسناده الذى قد مضى ذكره ؛ قالوا : تُوُفِّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه . قالوا : وكان سبب وفاته أنّ اليهود سَمَّتْه فى أرُزّة ، ويقال فى جذيذة ، وتناول معه الحارث بن كَلَدة منها ، ثم كَفّ وقال لأبى بكر : أكلتَ طعامًا مسمومًا سمّ سنة . فمات بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يومًا ، فقيل له : لو أرسلتَ إلى الطبيب ! فقال : قد رآنى ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إنّى أفعل ما أشاء .

٢١٢٨/١

قال أبو جعفر : ومات عتّاب بن أسيد بمكّة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر — وكانا سُمّا جميعًا — ثم ماتَ عتّاب بمكة .

وقال غير مَن ذكرت فى سبب مرض أبى بكر الذى توفى فيه ، ما حدّثنى الحارثُ ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى أسامة بن زيد الليثىّ ، عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا محمّد بن عبد الله ، عن الزُّهرىّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قال . وأخبرَنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر ، قالوا : كان أوّل ما بدَأ مرضُ أبى بكر به أنّه اغتسلَ يوم الاثنين لسبع خلَوْن من جمادى الآخرة ، وكان يومًا باردًا فَحُمّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة ؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصلّى بالنّاس ؛ ويدخل الناس يعودونه ؛ وهو يثقل كلّ يوم ، وهو نازل فى داره

التى قطع له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجَاه [١] دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له فى مرضه ؛ وتوفى أبو بكر مُسْيَ ليلة الثلاثاء ؛ لثمان ليالٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافتُه سنتيْن وثلاثة أشهر وعشر ليال . قال : وكان أبو معْشر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتُوُفِّىَ ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ مجتمعٌ على ذلك فى الروايات كلِّها ، استوفى سنّ النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر وُلِد بعد الفيل بثلاث سنين [٢] .

٢١٢٩/١ حدّثنا ابنُ حميد ، قال حدّثنا جَرير ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيَّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتوفّىَ وهو بسنِّ النبى صلى الله عليه وسلم .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو نُعَيم ، عن يونس بن إسحاق ، عن أبى السَّفَر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : تُوفِّىَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتوفّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثنا أبو الأحوص ، عن أبى إسحاق ، عن عامر بن سعد [٣] ، عن جرير ، قال : قال معاوية : قُبِض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وستين ، وقُتِل عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتُوُفِّىَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال علىّ بن محمد فى خبره الذى ذكرت عنه : كانت ولاية أبى بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يومًا ، ويقال : عشرة أيام .

* * *

(١) وجاه ، أى تجاه . (٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٢ .
(٣) ط : « سعيد » ، وانظر التصويبات .

ذكر الخبر عمّن غسّله والكفن الذى كفّن فيه أبو بكر ومن صلّى عليه والوقت الذى صلّى عليه فيه والوقت الذى توفّى فيه

حدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى مالك بن أبى الرّحّال[1] ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفّى أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضح ، عن محمد بن عبد الله ، عن عطاء وابن أبى مُلَيكة ، أنّ أسماءَ بنت عُمَيس ، قالت : قال لى أبو بكر : غسّلينى ، قلت : لا أطيق ذلك ، قال : يعينُك عبد الرحمن ابن أبى بكر ، يصبّ الماء .

حدّثنى الحارث ، عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا مُعاذ بن مُعاذ ومحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، قالا : حدّثنا الأشعث ، عن عبد الواحد بن صَبِرة ، عن القاسم بن محمد ، أنّ أبا بكر الصّدّيق أوصى أن تغسله امرأته أسماء ؛ فإن عجزت أعانها ابنُه محمد . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر : وهذا الحديث وَهِل ؛ وإنما كان لمحمد يوم تُوُفِّىَ أبو بكر ثلاث سنين[2] . ٢١٣٠/١

حدّثنا ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبى مليكه ، عن عائشة ، سألها أبو بكر ؛ فى كم كُفّن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالت : فى ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبىَّ هذين — وكانا ممشّقَيْن[3] — وابتاعوا لى ثوبًا آخر . قلت : يا أبَهْ ، إنّا موسرون ، قال : أىْ بُنيّة ، الحىّ أحقّ بالجديد من الميّت ، وإنما هما للمُهْلة[4] والصّديد .

حدّثنى العبّاس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبى قال : حدّثنا الأوزاعىّ ؛

---

(١) ط : « عن أبى الرحال » ، والصواب ما أثبته من طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٣ . (٣) الثوب الممشق : المصبوغ بالمغرة .

(٤) المهلة مثلثة الميم : القيح والصديد الذى يذوب من الجسد . وانظر نهاية ابن الأثير .

قال : حدّثنى عبد الرحمن بن القاسم ؛ أنّ أبا بكر تُوُفِّىَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلةَ الثلاثاء ، ودفن ليلا ليلة الثلاثاء .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا غَنّام ، عن هشام ، عن أبيه ، أنّ أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودُفن ليلاً .

حدّثنى أبو زيد ، عن علىّ بن محمد بإسناده الذى قد مَضَى ذكريه ، أنّ أبا بكر حُمِلَ على السَّرير الذى حُمِل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى عليه عمر فى مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ؛ وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبى بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخلَ قبره ، فقال له عمر : كُفِيت .

قال أبو جعفر : وكان أوصى — فيما حدّثنى الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عمر بن عبد الله — يعنى ابن عروة — أنّه سمع عُروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة أن يُدفن إلى جَنْب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلّما تُوُفِّىَ حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفَىْ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وألصقوا اللحدَ بِلَحدِ النبىِّ صلّى الله عليه وسلم فقبِر هنالك[1] . ١ / ٢١٣١

قال الحارث : حدّثنى ابنُ سعد ، قال : وأخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى ابنُ عثمان ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رأس أبى بكر عند كتفى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورأس عمر عند حَقْوَىْ أبى بكر[2] .

حدّثنى علىّ بن مسلم الطوسىّ ، قال : حدّثنا ابنُ أبى فُدَيك ، قال : أخبرنى عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم بن محمد ، قال : دخلتُ على عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقلت : يا أمّهْ ، اكشفى لى عن قبر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وصاحبيْه ؛ فكشفت لى عن ثلاثة قبور ، لا مُشرِفة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء ؛ قال : فرأيتُ قبرَ النبىّ صلّى

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

الله عليه وسلّم مقدّمًا وقبر أبى بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رِجْلِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

حدّثنى الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن عمرو بن أبى عمرو ، عن المطّلب بن عبدِ الله بن حَنْطَب ، قال : جُعل قبر أبى بكر مثل قبرِ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُسَطَّحًا ؛ ورُشّ عليه الماء ، وأقامت عليه عائشة النَّوْح[1] .

حدّثنى يونس ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : أخبرَنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب ؛ قال : حدّثنى سعيد بن المسيّب ، قال : لما تُوُفِّىَ أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النَّوْح ، فأقبل عمر بن الخطّاب حتى قام ببابها ، فنهاهنّ عن البكاء على أبى بكر ، فأبيْن أن ينتهين ، فقال عمر لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلىّ ابنة أبى قُحافة ؛ أخت أبى بكر ، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : إنى أحرّج[2] عليك بيتِى . فقال عمر لهشام : ادخُل فقد أذنتُ لك ، فدخل هشام فأخرج أمّ فَرْوة أخت أبى بكر إلى عمر ، فعلاها بالدّرّة ، فضربها ضربات ، فتفرّق النَّوْح حين سمعوا ذلك . ٢١٣٢/١

وتمثّل فى مرضِه — فيما حدثنى أبو زيد ، عن علىّ ابن محمد بإسناده — الذى توفى فيه :

وكلُّ ذى إبلٍ موروثٌ وكلُّ ذى سَلَبٍ مسلوبُ[3]
وكلّ ذى غيبـةٍ يَئوبُ وغائبُ الموتِ لا يئوبُ

وكان آخر ما تكلم به ، ربّ ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِماً وألْحِقْنِى بِالصَّالِحِين ﴾ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) أحرّج عليك ، أى أمنعك من دخول بيتى .
(٣) لعبيد بن الأبرص ، ديوانه ١٣ .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبى بكر رحمه الله

حدّثنى الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا شُعَيب بن[1] طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها نظرتْ إلى رجل من العَرَب مرّ وهى فى هَوْدجها ، فقالت : ما رأيتُ رجلا أشبَه بأبى بكر من هذا ، فقلنا لها : صِفِى أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجْنَأ[2] لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حَقويْه[3] ، معروق[4] الوجه ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عارى الأشاجع[5] .

وأما علىّ بن محمد ؛ فإنه قال فى حديثه الذى ذكرت إسناده قَبْلُ : إنّه كان أبيضَ يخالِطه صُفْرة ، حسنَ القامة ، نحيفًا أجْنأ ، رقيقًا عتيقًا ، ٢١٣٣/١ أقنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حَمْش[6] الساقين ، ممحوص الفخذيْن ؛ يخضب بالحنّاء والكتَم .

وكان أبو قحافة حين تُوُفِّىَ حيًّا بمكّة ، فلما نُعِى إليه قال : رُزْءٌ جليل !

* * *

ذكر نسب أبى بكر واسمه وما كان يُعرف به

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد بإسناده الذى قد مَضَى ذكرُه ، أنّهم أجمعوا على أنّ اسم أبى بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له عَتيق عن عتقه[7] . قال : وقال بعضهم : قيل له ذلك ؛ لأنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال له : أنت عَتيقٌ من النار .

(١) ط : « عن طلحة » ، وانظر ص ٢٧٣ س ٦ (ليدن) .
(٢) الأجنأ : الأحدب ؛ وفى ط : « أحنى » ، وما أثبته من النويرى وطبقات ابن سعد .
(٣) الحقو : الخصر . (٤) المعروق : القليل اللحم .
(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف . والخبر فى طبقات ابن سعد ٣ : ١٨٨ . (٦) حمش الساقين : دقيقهما . (٧) عن هنا ؛ بمعنى اللام ، أى لعتقه .

حدّثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سُئلت : لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً ؟ فقالت : نظر إليه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوماً ، فقال : هذا عتيق الله من النار[١] .

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قُحافة ، قال : فأبو بكر عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ ابن غالب بن فهر بن مالك ، وأمّه أمّ الخَيْر بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة .

وقال الواقديّ : اسمه عبد الله بن أبي قُحافة — واسمه عثمان — بن عامر . وأمّه أمّ الخير ، واسمها سَلْمى بنت صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة .

وأمّا هِشام ، فإنه قال — فيما حُدّثت عنه — إنّ اسم أبي بكر عَتيق ابن عثمان بن عامر . ٢١٣٤/١

وحدثني يونس ، قال أخبرَنا ابن وَهْب ، قال : أخبرَني ابن لَهيعة ، عن عُمارة بن غزيّة ، قال : سألتُ عبدَ الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق ، فقال : عَتيق ؛ وكانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قُحافة : عتيق ومُعْتَق وعُتَيْق .

* * *

ذكر أسماء نساء أبي بكر الصدّيق رحمه الله

حدّث علي بن محمّد ، عمّن حدّثه ومن ذكرت مِنْ شيوخه ، قال : تزوّج أبو بكر في الجاهلية قُتَيْلة — ووافقه على ذلك الواقديّ والكلبيّ — قالوا : وهي قُتَيلة ابنة عبد العُزّى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ ، فولدت له عبدَ الله وأسماء . وتزوّج أيضاً في الجاهليّة أم رُومان

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

بنت عامر بن عَميرة بن ذُهْل بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك ابن كنانة — وقال بعضهم : هى أمّ رُومان بنت عامر بن عُوَيْمِر بن عبد شمس بن عَتَّاب بن أذَينة بن سُبَيع بن دُهْمان بن الحارث بن غَنْم بن مالك بن كنانة — فولدت له عبد الرحمن وعائشة .

فكلّ هؤلاء الأربعة من أولاده ، وُلدوا من زوجتيه اللتيْن سمّيناهما فى الجاهليّة .

وتزوّج فى الإسلام أسماء بنت عُميس ؛ وكانت قبله عند جعفر بن أبى طالب ؛ وهى أسماء بنت عميس بن مَعْد بن تَيْم بن الحارث بن كعب ابن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نَسْر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن حَلْف بن أفْتَل — وهو خَثْعم — فولدت له محمد بن أبى بكر .

١/٢١٣٥

وتزوّج أيضًا فى الإسلام حَبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير ؛ من بنى الحارث بن الخزرج ؛ وكانت نَسْأ (١) حين تُوُفِّىَ أبو بكر ؛ فولدت له بعد وفاته جاريةً سُمّيتْ أمّ كلثوم .

* * *

ذكر أسماء قضاته وكتّابه وعُمّاله على الصدقات

حدّثنا محمد بن عبد الله المُخَرّمى ، قال : حدّثنا أبو الفتح نَصْر بن المغيرة ، قال : قال سفيان — وذكره عن مِسْعَر : لمّا ولى أبو بكر ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال — يعنى الجزاء — وقال عمر : أنا أكفيك القضاء : فمكث عمر سنةً لا يأتيه رجلان .

وقال علىّ بن محمد عن الذين سمّيتُ : قال بعضهم : جعل أبو بكر عمرَ قاضيًا فى خلافته ، فمكث سنة لم يخاصم إليه أحد .

قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وكان يكتب له مَنْ حضر .

(١) النسء : المرأة التى يظن بها الحمل ، وقيل : التى ظهر حملها .

وقالوا : كان عامله على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطّائف عثمان بن أبى العاصى ، وعلى صنْعاء المهاجر بن أبى أميّة ، وعلى حضرموت زياد بن لَبيد ، وعلى خوْلان يَعْلَى بن أميّة ؛ وعلى زَبيد ورِمَع أبو موسى الأشعرىّ ، وعلى الجَنَد معُاذ بن جبل ، وعلى البحرْين العلاء ابن الحضرمىّ . وبعث جرير بن عبد الله إلى نَجْران ، وبعث بعبد الله بن ثَوْر ؛ أحد بنى الغَوْث إلى ناحية جُرَش ، وبعث عياض بن غَنْم الفِهرىّ إلى دُومة الجنْدَل ؛ وكان بالشأم أبو عبيدة وشُرَحْبيل بن حَسَنة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ؛ كلّ رجل منهم على جند ، وعليهم خالد ابن الوليد . ٢١٣٦/١

* * *

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه سخيًّا ليِّنًا ، عالمًا بأنساب العرب ؛ وفيه يقول خِفاف بن نَدْبة — ونَدْبة أمّه ، وأبوه عمير بن الحارث — فى مرثيته أبا بكر :

أبْلَجُ ذو عُرْفٍ وذو مُنكَرٍ مُقَسّمُ المعروف رَحْبُ الفِناء[1]
للمجْدِ فى منزلِه باديًا حَوْضٌ رفيعٌ لم يَخُنْهُ الإزاء
واللهِ لا يُدْرِكُ أيّامَهُ ذو مِئْزَرٍ حافٍ ولا ذو رِداء
مَنْ يَسْعَ كىْ يُدْرِكَ أيّامَهُ يَجْتَهِدِ الشَّدَّ بأرضٍ فَضاء

وكان — فيما ذكر الحارث ، عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبى قَطَن ؛ قال : حدثنا الربيع عن حيّان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبى بكر رحمه الله : « نعم القادر اللهُ » . ٢١٣٧/١

قالوا : لم يعش أبو قحافة بعد أبى بكر إلا ستّة أشهر وأيامًا ؛ وتوفِّىَ فى المحرّم سنة أربع عشرة بمكّة ؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة .

(١) الأبيات فى الكامل للمبرد ٣ : ٧٦ — بشرح المرصفى ؛ مع اختلاف فى الرواية .

[ذكر استخلافه عمر بن الخطاب]

وعقد أبو بكر فى مَرْضته التى تُوُفِّىَ فيها لعمر بن الخطاب عَقْد الخلافة من بعده .

وذُكر أنه لما أراد العَقْد له دَعَا عبد الرحمن بن عَوْف ؛ فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدىّ ، عن ابن أبى سَبْرة ، عن عبد المجيد بن سُهيل ، عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن ؛ قال : لمَّا نزل بأبى بكر رحمه الله الوفاةُ دعا عبدَ الرحمن بن عَوْف ، فقال : أخبِرْنى عن عمر ، فقال : يا خليفةَ رسول الله ، هو والله أفضلُ منْ رأيِك فيه من رجل ؛ ولكن فيه غِلْظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقًا ، ولو أفضَى الأمر إليه لترك كثيرًا ممَّا هو عليه . ويا أبا محمد قد رمَّقتُه ، فرأيتُنى إذا غضبتُ على الرجل فى الشىء أرانى الرِّضا عنه ، وإذا لِنتُ له أرانى الشدّة عليه ؛ لا تذكرْ يا أبا محمد مما قلت لك شيئًا ، قال : نعم . ثم دعا عثمان بن عفان ، قال : يا أبا عبد الله ، أخبِرْنِى عن عمر ، قال : أنت أخبرُ به ، فقال أبو بكر : علىَّ ذاك يا أبا عبد الله ! قال : اللهمّ عِلْمِى به أنّ سريرته خيرٌ من علانيته ، وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر ممَّا ذكرتُ لك شيئًا ، قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركتُه ما عدوتُك ، وما أدرى لعلّه تَارِكه ، والخِيرَة له ألاّ يلى من أموركم شيئًا ، ولوددتُ أنى كنت خلْوًا من أموركم ؛ وأنّى كنتُ فيمَن مضى من سلَفِكم ؛ يا أبا عبد الله ، لا تذكرَنّ مما قلتُ لك من أمر عمر ، ولا ممَّا دعوتك له شيئًا[١] . ٢١٣٨/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا يحيى بن واضِح ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبى السَّفَر ، قال : أشرف أبو بكر على النَّاس من كنيفه وأسماءُ ابنة عُميس ممسكتُه ، موشومة اليديْن ، وهو يقول : أترضوْن بمن أستخلف عليكم ؟ فإنّى والله ما ألوْتُ من جَهْد الرّأى ، ولا ولّيت ذا قرابة ، وإنّى قد استخلفتُ عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٩٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

حدّثنى عُثمان بن يحيى ، عن عثمان القرقسانىّ ، قال : حدّثنا سفيان ابن عُيَيْنة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والنّاس معه ، وبيده جَريدة ، وهو يقول : أيُّها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسولِالله صلّى الله عليه وسلّم ؛ إنّه يقول : إنّى لم آلُكم نصْحاً . قال : ومعه مولًى لأبى بكر يقال له : شديد ، معه الصحيفة الّتى فيها استخلاف عمر .

قال أبو جعفر : وقال الواقدىّ : حدّثنى إبراهيم بن أبى النّضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : دعا أبو بكر عثمانَ خاليًا ، فقال : اكتُب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قُحافة إلى المسلمين ؛ أمّا بعد . قال : ثمّ أغمِىَ عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد ؛ فإنى قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، ولم آلُكم خيرًا منه ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : اقرأ علىّ ، فقرأ عليه ، فكبّر أبو بكر [1] ،وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن افتُلتتْ نفسى فى غَشيتِى ! قال:نعم ، قال : جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع . ١/٢١٣٩

حدّثنا يونُس بن عبد الأعلى ، قال : حَدّثنا يحيى بن عبد الله بن بُكَيْر ، قال : حدّثنا اللّيْث بن سعد ، قال : حَدّثنا عُلْوان ، عن صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، أنّه دخل على أبى بكر الصّدّيق رضى الله تعالى عنه فى مَرَضه الذى تُوُفِّىَ فيه ؛ فأصابه مهتمًّا ، فقال له عبد الرحمن : أصبحتَ والحمد لله بارئًا ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : أتراه ؟ قال : نعم ، قال : إنّى ولّيْتُ أمرَكم خيرَكم فى نفسى ؛ فكلّكم وَرِمَ أنفُه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلتْ ولمّا تقبِلْ ، وهى مقبلة حتى تتّخذوا ستور

---

(١) ز : « فقال بعد ما كبر » .

الحرير ونضائد[١] الديباج، وتألَمُوا[٢] الاضطجاع على الصوف الأذْرِيّ[٣]؛ كما يألمُ أحدُكم أن ينامَ على حَسَك[٤]؛ والله لأن يقدّم أحدكم فتُضرب عنقُه في غير حدّ خيرٌ له من أن يخوضَ في غمرة الدنيا وأنتم أوّلُ ضالّ بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالا. يا هاديَ الطريق، إنّما هو الفَجْر أو البَجْر[٥]، فقلت له: خفّض عليك رحمك الله؛ فإن هذا يَهيضك[٦] في أمرك. إنّما النّاس في أمرك بين رجليْن: إمّا رجلٌ رأى ما رأيتَ فهو معك، وإمّا رجلٌ خالفك فهو مُشير عليك وصاحبُك كما تحبّ؛ ولا نعلمك أردتَ إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مُصْلحاً، وأنك لا تأسى على شيء من الدنيا[٧].

١/٢١٤٠

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجَلْ، إني لا آسَى على شيء من الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتُهن وددت أني تركتهنّ، وثلاث تركتهنّ وددتُ أني فعلتهنّ؛ وثلاث ودِدت أنّي سألتُ عنهنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم. فأمّا الثلاث اللاّتي وددت أنّي تركتُهنّ؛ فودِدْت أنّي لم أكشفْ بيتَ فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب، ووددت أني لم أكن حرّقْتُ الفُجاءَة السُّلَميّ، وأني كنت قتلته سريحاً أو خلّيته نجيحاً. ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قذفت الأمرَ في عنق أحد الرجلين — يريد عمر وأبا عبيدة — فكان أحدُهما أميراً؛ وكنت وزيراً. وأمّا اللاتي تركتهنّ؛ فوددت أني يوم أتيتُ بالأشعثِ بن قيس أسيراً كنت

(١) قال أبو العباس المبرد: «نضائد الديباج، واحدتها نضيدة؛ وهي الوسادة، وما ينضد من المتاع». (٢) الكامل: «ولتألمن». (٣) كذا وردت الرواية في الطبري، منسوب إلى أذربيجان؛ جريا على القياس؛ وفي رواية الكامل: «الأذربي»؛ وقال في شرحه: «فهذا منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقول العرب.» (٤) في الكامل: «على حسك السعدان»؛ والسعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه. (٥) ط: «البحر»؛ والرواية الجيدة ما أثبتها من الكامل. والبجر: الأمر العظيم؛ قال أبو العباس: «يقول: إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه، وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحيير أهلها». (٦) قال أبو العباس: «وقوله: يهيضك؛ مأخوذ من قولهم: هيض العظم؛ إذا جبر ثم أصابه شيء فآذاه فكسره ثانية».

(٧) الخبر إلى هنا في الكامل ١: ٥٤، ٥٥ — بشرح المرصفي؛ في رواية مخالفة.

ضربت عنقه ، فإنه تخيَّل إلىّ أنه لا يرى شرًّا إلاّ أعان عليه . ووددت أنى حين سيَّرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الرِّدّة ؛ كنت أقمت بذى القَصّة ؛ فإن ظَفِر المسلمون ظفروا ، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مددًا . ووددت أنى كنت إذ وجّهت خالد بن الوليد إلى الشأم كنتُ وجّهت عمر بن الخطاب إلى العراق ؛ فكنت قد بسطتُ يدىّ كلتيهما فى سبيل الله — ومدّ يديه — ووددْت أنى كنتُ سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : لمن هذا الأمر؟ فلا ينازَعه أحد ؛ ووددت أنى كنتُ سألته : هل للأنصار فى هذا الأمر نصيب ؟ ووددْتُ أنى كنتُ سألته عن ميراث ابنة الأخ والعَمّة ؛ فإنّ فى نفسى منهما شيئًا . ١/٢١٤١

قال لى يونس : قال لنا يحيى : ثم قدِم علينا علْوان بعد وفاة اللَّيْث ، فسألته عن هذا الحديث ، فحدّثنى به كما حدّثنى الليث بن سعد حرْفًا حرْفًا ؛ وأخبرنى أنه هو حدَّث به الليث بن سعد ، وسألته عن اسم أبيه ، فأخبرنى أنه علوان بن داود .

وحدّثنى محمد بن إسماعيل المرادىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح المصرىّ ، قال حدّثنى اللَّيْث ، عن علوان بن صالح ، عن صالح بن كَيْسان ، عن حُميد بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال — ثم ذكر نحوه ، ولم يقل فيه : « عن أبيه » .

* * *

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمور المسلمين تاجرًا ، وكان منزله بالسُّنْح ، ثم تحوّل إلى المدينة . فحدّثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة ، عن مَرْوان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب . قال : وأخبرنا مُوسى بن محمّد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن صبيحة التميمىّ ، عن أبيه ، قال . وأخبرَنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : وأخبرَنا محمد بن عبد الله ، عن الزهرىّ ، عن عُرْوة ، عن عائشة ، قال : وأخبرنا أبو قُدامة عُثْمان بن محمد ، عن ١/٢١٤٢

أبى وَجْزة ، عن أبيه ؛ قال . وغير هؤلاء أيضًا قد حدّثنى ببعضه[1] ، فدخلَ حديثُ بعضهم فى حديث بعض ، قالوا : قالت عائشةُ : كان منزل أبى بالسُّنْح عند زوْجته حَبيبة ابنة خارجة بن زيد بن أبى زُهير من بنى الحارث ابن الخزرج ، وكان قد حجَّر عليه حُجرة من سَعَف ؛ فما زادَ على ذلك حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة ؛ فأقام هنالك بالسُّنْح بعد ما بويع له ستّة أشهر ، يغدُو على رجليْه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه إزارورِداء ممشّق ، فيوافِى المدينةَ فيصلىّ الصَّلَوات بالنّاس ، فإذا صلّى العِشاء ؛ رجع إلى أهله بالسُّنْح ؛ فكان إذا حَضَر صلّى بالناس وإذا لم يحضر صلّى بهم عمر بن الخطاب . قال : فكان يُقيم يوم الجمعة صدرَ النّهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقَدَر[2] الجمعة ، فيُجمِّع بالنّاس. وكان رجلا تاجرًا ، فكان يغدُو كلّ يوم إلى السوق ، فيبيع ويبتاع ؛ وكانت له قطعة غنم تروحُ عليه ؛ وربّما خرج هو بنفسه فيها ؛ وربما كُفِيَهَا فرُعيت له ، وكان يحلب للحىّ أغنامَهم ، فلمّا بويع له بالخلافة قالتْ جارية من الحىّ : الآن لا تُحلَبُ لنا منائحُ دارِنا ، فسمعها أبو بكر ، فقال : بلَى لعمرى لأحلبنّها لكم ؛ وإنى لأرجو ألاّ يغيِّرنى ما دخلت فيه عن خُلق كنت عليه . فكان يحلُب لهم ، فربما قال للجارية من الحىِّ : يا جارية أتحبّين أن أرغَى لك ، أو أصرِّح ؟ فربما قالت : ارْغَ ، وربما قالت : صرِّح ؛ فأىّ ذلك قالتْه فعل ؛ فمكث كذلك بالسُّنْح ستّة أشهر ؛ ثم نزل إلى المدينة ، فأقام بها ، ونَظَر فِى أمرِه ، فقال : لاوالله ، ما تصلِح أمور الناس التّجارة ، وما يصلِحُهم إلاّ التفرُّغ لهم والنّظر فى شأنهم ، ولا بدّ لعيالى مما يُصلِحُهم . فترك التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يُصلِحُه ويُصْلح عيالَه يومًا بيوم ، ويحجّ ويعتمِر . وكان الذى فرضوا له فى كلّ سنة ستّة آلاف درهم ؛ فلما حضرتْه الوفاة ، قال : رُدُّوا ما عندَنا من مال المسلمين ؛ فإنى لا أصيبُ من هذا المال شيئًا ، وإنّ أرضى الّتِى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم ؛ فدفع ذلك إلى عمر ، ولقوحًا وعبدًا

١/٢١٤٣

---

(١) ز : « بعضه » . (٢) س : « بقدر » .

صَيْقلا[١]، وقطيفة ما تُساوى خمسة دراهم ؛ فقال عمر : لقد أتعب مَن بعده .

وقال علىّ بن محمد — فيما حدّثنى أبو زيد عنه فى حديثه عن القوم الذين ذكرتُ روايته عنهم — قال أبو بكر : انظروا كم أنفقت منذ وُلِّيتُ من بيت المال فاقضوه عنّى . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرىّ ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماءَ ابنة عُمَيس ، قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر ، فقال : استخلفتَ على الناس عُمر ، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاقٍ ربَّك فسائلك عن رعيّتك . فقال أبو بكر — وكان مضطجعًا : أجلسونى ، فأجلسوه ، فقال لطلحة : أبالله تفرّقنى[٢] — أو أبالله تخوّفنى — إذا لقيتُ الله ربّى فساءلنى قلت : استخلفتُ على أهلِك خيرَ أهلك . ١/٢١٤٤

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمّد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر : قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبى بكر لعُمر بن الخطاب الخلافة ، ووقت وفاة أبى بكر ، وأنّ عمَر صلّى عليه ، وأنه دفِن ليلةَ وفاته قبل أن يُصْبح الناس ، فأصبح عمر صبيحةَ تلك الليلة ؛ فكان أوّل ما عمل وقال — فيما ذُكِر — ما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن الأعمش ، عن جامع بن شدّاد ، عن أبيه ؛ قال : لمّا استُخلف عمر صعد المنبر ، فقال : إنى قائل كلمات فأمّنوا عليهنّ ؛ فكان أوّل منطق نطق به حين استُخلف — فيما حدّثنى أبو السائب ، قال : حدّثنا ابن فُضيل ، عن ضرار[٣] ، عن حُصَين المُرّىّ ، قال : قال عمر : إنّما مَثَلُ العربِ مثلُ جمل أنِف اتّبع قائده ، فلينظر قائدُه حيث يقود ؛ وأمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

---

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٢) تفرقنى : تخوفنى .
(٣) كذا فى ز .

حدّثنا عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، عن عيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، قال : كان أوّل كتاب كتبه عمر حين وُلّى إلى أبى عبيدة يولّيه على جند خالد : أوصيك بتقوى الله الذى يبقى ويفنى ما سواه ؛ الذى هدانا من الضّلالة ، وأخرجنا من الظّلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُنْد خالد ابن الوليد، فقم بأمرهم الذى يحقّ عليك، لا تُقدّم[1] المسلمين إلى هلَكة رجاء غنيمة ؛ ولا تُنزلهم[2] منزلا قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلمَ كيف مأتاه ؛ ولا تبعث سريّة إلا فى كَثْف[3] من الناس ؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين فى الهلَكة ، وقد أبلاك الله بى وأبلانى بك ؛ فغمّض بَصَرك عن الدنيا ، وألْه قلبك عنها ؛ وإيّاك أن تُهلكَك كما أهلكتْ مَن كان قبلك ، فقد رأيتَ مصارعَهم .

١/٢١٤٥

* * *

[ذكر غزوة فِحْل وفتح دمشق]

حدّثنى عمر ، عن علىّ بن محمد ، بإسناده ، عن النّفر الذين ذكرت روايتَهم عنهم فى أول ذكرى أمرَ أبى بكر ؛ أنّهم قالوا : قدِم بوفاة أبى بكر إلى الشأم شدّاد بن أوْس بن ثابت الأنصارىّ ومَحْمِيَة بن جَزْء ، ويَرْفأ ؛ فكتموا الخبرَ الناس حتى ظفر المسلمون — وكانوا بالياقوصة يقاتلون عدوَّهم من الروم ؛ وذلك فى رجب — فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبى بكر وولايته حَرْب الشأم . وضمّ عمر إليه الأمراءَ ، وعزل خالد بن الوليد .

فحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فِحْل من أرض الأردنّ ؛ وقد اجتمعت فيها رافضة الروم ، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس . فلمّا نزلت الروم بيْسان بثقوا أنهارها ؛ وهى أرض سَبْخة ، فكانت وحلاً ، ونزلوا فِحلاً — وبيسانُ بين فلسطين وبين الأردنّ — فلما غشيَها المسلمون ولم

١/٢١٤٦

(١) ر : « تقدمن » . (٢) س : « ولا تنزلهم » .
(٣) الكثف : الجماعة من الناس .

يعلموا بما صنعت الروم ، وَحِلت خيولُهم ، ولقوا فيها عَناءً ، ثم سلّمهم الله — وسميت بَيْسان ذات الرَّدَغة[1] لما لقى المسلمون فيها — ثم نهضوا إلى الروم وهم بفِحْل ؛ فاقتتلوا فهُزمت الروم ، ودخل المسلمون فِحْلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق ؛ فكانت فِحْل فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة ، على ستّة أشهر من خلافة عمر . وأقام تلك الحجّة للناس عبد الرحمن بن عوف . ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدّمة الناس ؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق — وقد كان عمر عزلَ خالدَ بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس — فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم هزم الله الرّومَ . وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق ؛ فغلّقوا أبوابَها وجثم[2] المسلمون عليها فرابطوها حتى فُتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبى عبيدة بإمارته وعزل خالد ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئ خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق ؛ وجرى الصُّلْح على يدىْ خالد ؛ وكتب الكتاب باسمه . فلما صالحت دمشق لحِق باهان — صاحب الروم الّذى قاتل المسلمين — بهرقل . وكان فتح دمشق فى سنة أربع عشرة فى رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارتَه وعَزْلَ خالد ؛ وقد كان المسلمون ، التقوْا هم والرّوم ببلد يقال له عيْن فِحْل بين فِلَسطين والأردنّ ، فاقتتلوا به قتالا شديداً ، ثمّ لحقت الروم بدمشق . ٢١٤٧/١

وأما سيف — فيما ذكر السرىّ ، عن شُعيب ، عنه ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة — فإنه ذكر فى خبره أنّ البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبى بكر وتأمير أبى عبيدة ؛ وهم باليرموك ؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الرُّوم . وقصّ من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذى اقتصّه ابن إسحاق ؛ وأنا ذاكر بعض الذى اقتصّ من ذلك :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن أبى عثمان ، عن أبى سعيد ، قال : لمّا قام عمر رضى عن خالد بن سعيد والوليد بن عُقْبة فأذِنَ لهما بدخول المدينة ، وكان أبو بكر قد منعهما لفرّتهما التى فرّاها وردّهما

(١) الردغة : الوحل الشديد . (٢) س : « وخيم » .

إلى الشأم . وقال : ليبلغني عنكما غناء[١] أبْلَيكما بلاءً ؛ فانضمَّا إلى أيّ أمرائنا أحببتما ؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنَيا .

* * *

خبر دمشق من رواية سيف :

كتب إليّ السَّريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ، قالا : لما هزم الله جُنْد اليَرْموك ، وتهافت أهلُ الواقوصة وفُرِغ من المقاسم والأنفال[٢] ، وبُعِث بالأخماس وسُرِّحت الوفود ، استخلف أبو عبيدة على اليَرْموك بشير بن كعب بن أبيّ الحِمْيَريّ كَيْلا يُغتال بردَه ؛ ولا تقطع الرُّوم على موادّه ، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصُّفَّر ؛ وهو يريد إتباع الفالّة ، ولا يدري يجتمعون أو يفترقون[٣] ؛ فأتاه الخبر بأنّهم أرَزوا إلى فِحْل . وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص ، فهو لا يدري أبدمشق يبدأ أم بفِحْل من بلاد الأردنّ . فكتب في ذلك إلى عمر ، وانتظر الجواب ، وأقام بالصُّفَّر ، فلمّا جاء عمرَ فتحُ اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلاّ ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، فإنه ضمّ خالدًا إلى أبي عبيدة ، وأمر عمرًا بمعونة الناس ؛ حتى يصير الحرب إلى فِلَسطين ، ثم يتولّى حربَها .

١/٢١٤٨

* * *

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في أمْر خالد وعَزْل عمر إياه ما حدّثنا محمد بن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة عنه ، قال : إنّما نَزَع عمر خالدًا في كلام كان خالد تكلّم به — فيما يزعمون — ولم يزل عمر عليه ساخطًا ولأمره كارهًا في زمان أبي بكر كلّه ، لوقعته بابن نُويْرة ، وما كان يعمل به في حربه ؛ فلمّا استُخلف عمر كان أوّل ما تكلّم به عزله ، فقال : لا يلِي لي عملاً أبدًا ؛ فكتب عمر إلى أبي عُبيدة : إنْ خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ؛ وإن هو لم يُكذب نفسَه فأنتَ الأمير على ما هو عليه ؛ ثم انزع عمامته عن

---

(١) ط : « عناء » .
(٢) ز : « والأثقال » .
(٣) ابن حبيش « أيجتمعون » .

رأسه ، وقاسمه مالَه نصفين . فلمّا ذكر أبوعبيدة ذلك لخالد ، قال : أنظِرْنى ١/٢١٤٩
أستشِر[١] أختى فى أمرى ، ففعل أبو عبيدة ؛ فدخل خالد على أخته فاطمة
بنت الوليد — وكانت عند الحارث بن هشام — فذكر لها ذلك ، فقالت :
والله لا يحبّك عمر أبدًا ، وما يريد إلاّ أن تُكذب نفسك ثم ينزعك . فقبّل
رأسها وقال : صدقتِ والله ! فتمّ على أمره ، وأبى أن يُكذِب نفسَه . فقام
بلال مولى أبى بكر إلى أبى عبيدة ، فقال : ما أُمرتَ به فى خالد ؟ قال :
أُمِرْت أن أنزع عمامته ، وأقاسمه مالَه . فقاسمه مالَه حتى بقيتْ نعلاه ،
فقال أبو عبيدة : إنّ هذا لا يصلُح إلاّ بهذا ، فقال خالد : أجلْ ، ما أنا
بالّذى أعصِى أميرَ المؤمنين ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأخذ نعلا وأعطاه نعلا .
ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمّد بن عمر بن عطاء ، عن سُليمان بن يسار ، قال : كان عُمر
كلّما مرّ بخالد قال : يا خالد ، أخرِج مالَ الله من تحتِ استك ، فيقول :
والله ما عندى من مال ؛ فلمّا أكثرَ عليه عمر قال له خالد : يا أميرَ المؤمنين ،
ما قيمةُ ما أصبتُ فى سلطانكم ! أربعين ألف درهم ! فقال عمر : قد أخذتُ
ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال : هو لك ، قال : قد أخذته . ولم يكن
لخالد مال إلاّ عُدّة ورقيق ، فحُسِب ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم
فناصفَه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال . فقيل له :
يا أميرَ المؤمنين ، لورددت على خالد ماله ! فقال : إنّما أنا تاجر للمسلمين ، ١/٢١٥٠
والله لا أردّه عليه أبدًا. فكان عمر يُرَى أنه قد اشتفَى من خالد حين صنع
به ذلك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف[٢] ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة ،
قالا : ولمّا جاء عمرَ الكتاب عن أبى عُبيدة بالذى ينبغى أن يبدأ به كتب إليه :
أمّا بعد ؛ فابدءوا بدمشق ، فانهَدوا لها ؛ فإنّها حِصن الشأم وبيت

(١) س : « أستشيرُ » .
(٢) أنظر أوله فى الصفحة السابقة .

مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْل بخيلٍ تكون بإزائهم فى نحورهم وأهلَ فِلسطين وأهل حِمْص ؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الّذى نحبّ ؛ وإن تأخّر فتحُها حتى يفتح الله دمشق فلينزلْ بدمشق مَن يمسك[1] بها ، ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِحْل ؛ فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمْص ، ودَعْ شُرَحْبيل وعمرًا وأخلِهما بالأردنّ وفلسطين ، وأميرُ كلّ بلد وجُنْد على الناس حتى يخرجوا من إمارته . فسرّح أبو عبيدة إلى فِحْل عشرة قوّاد : أبا الأعور السُّلَمىّ ، وعبدَ عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشىّ ، وعامرَ بن حَثْمة ، وعمرو بن كُلَيب من يَحْصُب ، وعُمَارة بن الصَّعِق بن كعب ، وصَيْفِىَّ بن عُلْبة بن شامل ، وعمرَو بن الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خَثْعمة ، وبِشْرَ بن عِصْمة ، وعُمارة بن مُخَش قائد الناس ؛ ومع كلّ رجل خمسة قوّاد ؛ وكانت الرُّؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا مَن يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصُّفَّر حتّى نزلوا قريبًا من فِحْل ، فلمّا رأت الرُّوم أنّ الجنود تريدهم بثَقُوا المياه حولَ فِحْل ، فأردغتْ[2] الأرض ، ثم وحِلَت ، واغتمّ المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس . وكان أوّلَ محصور بالشأم أهل فِحْل ، ثم أهل دِمشق . وبعث أبو عبيدة ذا الكَلاع حتّى كان بين دمشق وحِمْص ردءًا . وبعث عَلْقمة بن حكيم ومَسْروقًا فكانا بين دمشق وفِلَسطين ، والأمير يزيد . ففصَل ، وفصَل بأبى عبيدة من المرْج ؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنّبتَيه عمرو وأبو عبيدة ، وعلى الخيل عِياض ، وعلى الرَّجْل شُرَحبيل ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نِسطاس بن نُسْطُورس[3] ؛ فحصَروا أهلَ دمشق ، ونزلوا حواليْها ، فكان أبوعبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بحِمْص ، ومدينة حِمْص بينه وبينهم . فحاصروا أهلَ دمشق نحوًا من سبعين ليلة حِصارًا شديدًا بالزُّحوف والتَّرامِى والمجانيق ؛ وهم معتصمون

١ / ٢١٥١

١ / ٢١٥٢

(١) س وابن حبيش : « تمسك » .

(٢) أردغت الأرض : كثر رداغها ، والرداغ : الوحل الشديد .

(٣) كذا فى ط ، وانظر ص ٤٤٣ س ٥ من هذا الجزء .

بالمدينة يرجون الغياث ، وهرقل منهم قريب وقد استمدّوه . وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق ؛ كأنه يريد حمص ، وجاءت خيولُ هرقل مغيثةً لأهل دمشق ، فأشجتها الخيول الّتى مع ذى الكلاع ، وشغلتها عن النّاس ، فأرزوا ونزلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم .

فلّما أيقن أهلُ دمشق أنّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشلوا ووهنوا وأبلسوا[١] وازداد المسلمون طمعًا فيهم ؛ وقد كانوا يروْن أنّها كالغارات قبل ذلك ؛ إذا هجم البرد قفل الناس ، فسقط النّجم والقوم مقيمون ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندموا على دخول دمشق ، ووُلِد للبطريق[٢] الّذى دخل على أهل دمشق مولودٌ ؛ فصنع[٣] عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد ؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شىء؛ عيونُه ذاكية وهو معنيٌّ بما يليه ، قد اتّخذ حبالا كهيئة السلاليم وأوْهاقًا[٤] فلمّا أمسى من ذلك اليوم نهد[٥] ومَنْ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدىّ ، وأمثاله من أصحابه فى أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السّور فارقَوْا إلينا ، وانْهدوا للباب . فلما انتهى إلى الباب الذى يليه هو وأصحابه المتقدّمون رمَوْا بالحبال الشُّرَف وعلى ظهورهم القرَب التى قطعوا بها خندقهم . فلمّا ثبت لهم وَهَقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعا أحبولةً إلاّ أثبتاها — والأوْهاق بالشُّرَف — ٢١٥٣/١ وكان المكان الذى اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماءً ، وأشدّه مدخلا ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممّن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب ؛ حتى إذا استوَوْا على السُّور حدّر عامّةَ أصحابه ، وانحدر معهم ؛ وخلّف

---

(١) أبلسوا : تحيروا .

(٢) البطريق ، بكسر الباء ؛ قال صاحب القاموس : « هو القائد من قواد الروم » ، وفى المعرب : « ولما سمعت العرب أن البطارقة أهل رياسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق ».

(٣) صنع ، يريد أولم .

(٤) الأوهاق : جمع وهق ، بالتحريك : الحبل فى طرفيه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ .

(٥) نهد الرجل : نهض ومضى على كل حال ؛ بخلاف النهوض فإنه يكون عن قعود .

مَنْ يحمِى[1] ذلك المكان لمن يرتقى، وأمرهم بالتّكبير ، فكبّر الذين على رأس السور ، فنهد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحبال بشَرٌ كثير ، فوثَبوا فيها ، وانتهى خالد إلى أوّل مَن يليه فأنامهم ، وانحدر إلى الباب ، فقتل البوّابين ، وثار أهلُ المدينة ، وفزِع سائر الناس ؛ فأخذوا مواقفَهم ، ولا يدرون ما الشأن ! وتشاغل أهلُ كلّ ناحية بما يليهم ، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين ، فأقبلوا عليهم مِن داخل، حتّى ما بقِيَ ممّا يلى باب خالد مقاتل إلا أنيم . ولما شدّ خالد على مَن يليه ؛ وبلغ منهم الذى أراد عَنْوة أرَزَ من أفلت إلى أهل الأبواب التى تَلِى غيرَه ؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة[2] فأبَوْا وأبعدوا[3] ، فلم يفجأهم إلاّ وهم يَبُوحون لهم بالصُّلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقالوا : ادخلوا وامنعونا من أهلِ ذلك الباب . فدخل أهلُ كلّ باب بصلح ممّا يليهم ، ودخل خالد مما يليه عَنْوة ، فالتقى خالد والقوّاد فى وسطها : هذا استعراضًا وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجرَوا ناحيةَ خالد مُجرَى الصّلح ، فصار صُلْحًا ، وكان صلح دمشق على المقاسمة ، الدينار ١/٢١٥٤ والعقار ، ودينارٌ عن كلّ رأس ، فاقتسموا الأسلاب ؛ فكان أصحابُ خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد، وجرَى على الديار ومَنْ بقى فى الصّلح جَرِيب[4] من كلّ جَريب أرض ؛ ووقف ما كان للملوك ومَن صوّب معهم فَيْئاً ، وقسموا لذى الكَلاع ومَن معه ، ولأبى الأعور ومَن معه ، ولبشير ومَن معه ، وبعثوا بالبِشارة إلى عمر ، وقدم على أبى عبيدة كتاب عمر : بأن اصرف جند العراق إلى العراق ، وأمرهم بالحثّ إلى سعد بن مالك . فأمّر على جُنْد العراق هاشم بن عُتْبة ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو . وعلى مجنّبتَيْه عمرو بن مالك الزّهرىّ وربْعىّ بن عامر ، وضربوا بعد دمشق نحو سعد ؛ فخرج هاشم نحو العراق فى جُنْد العراق ؛ وخرج القوّاد نحو فِحْل

---

[1] س : « حمى » .

[2] ز : « المناظرة » .

[3] ز : « واتعدوا » .

[4] الجريب : مقدار من الأرض ؛ ونقل عن قدامة : إنه ثلاثة آلاف وستمائة ذراع

وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ مَن أصيب منهم ، فأتمّوهم بأناس ممّن لم يكن منهم ؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياءَ ، فنزلا على طريقها ، وبقى بدمشق مع يزيد بن أبى سفيان من قوّاد أهل اليمن عددٌ ؛ منهم عمرو بن شِمْر بن غزيّة ، وسَهْم بن المسافر بن هَزْمة ، ومشافع ابن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دِحْية بن خليفة الكلبىّ فى خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَدْمُر ، وأبا الزهراء القُشَيرىّ إلى البَثَنيَّة وحَوْران ، فصالحوهما على صلح دمشق ؛ ووليَا القيام على فَتْح ما بُعثا إليه . ١/٢١٥٥

وقال محمد بن إسحاق : كان فتح دمشق فى سنة أربع عشرة فى رجب .

وقال أيضًا : كانت وقعة فِحْل قبل دمشق ؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِحْل ، واتّبعهم المسلمون إليها . وزعم أنّ وقعة فحْل كانت سنة ثلاث عشرة فى ذى القَعْدة منها ؛ حدّثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عنه .

وأمّا الواقدىّ : فإنه زعم أنّ فتح دمشق كان فى سنة أربع عشرة ؛ كما قال ابنُ إسحاق . وزعم أنّ حِصار المسلمين لها كان ستّة أشهر . وزعم أنّ وقعة اليرموك كانت فى سنة خمس عشرة وزعم أنّ هرقل جَلا فى هذه السنة بعد وقعة اليَرْموك فى شعبان من أنْطاكية إلى قُسْطنطينيّة ، وأنه لم يكن بعد اليَرْموك وقعة .

قال أبو جعفر : وقد مضى ذكرى ماروِى عن سيف ، عمّن روَى عنه ؛ أنّ وقعة اليرموك كانتْ فى سنة ثلاث عشرة ؛ وأنّ المسلمين وَرَد عليهم البريد بوفاة أبى بكر باليَرْموك ، فى اليوم الذى هُزِمت الروم فى آخره ، وأنّ عمر أمرهم بعد فراغهم من اليَرْموك بالمسير إلى دمشق ، وزعم أنّ فِحْلاً كانت بعد دمشق ؛ وأنّ حروبًا بعد ذلك كانت بين المسلمين والرُّوم سوى ذلك ، قبل شخوص هِرَقل إلى قسطنطينية ؛ سأذكرها إن شاء الله فى مواضعها .

وفى هذه السنة — أعنِى سنة ثلاث عشرة — وجّه عمر بن الخطاب أبا عُبيد ابن مسعود الثقفىّ نحو العراق . وفيها استُشهد فى قول الواقدىّ . ١/٢١٥٦

وأمّا ابن إسحاق؛ فإنه قال : كان يوم الجِسْر، جِسْرِ أبي عُبيد بن مسعود الثّقَفيّ في سنة أربع عشرة .

* * *

* ذكر أمر فِحْلَ من رواية سيف :

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر فِحْل(١ إذ كان في الخبر١) الذي فيه من الاختلاف ما ذكرتُ من فتوح جُنْد الشأم . ومن الأمور التي تستنكَر وقوعُ مثل الاختلاف الذي ذكرتُه في وقته ؛ لقرب بعض ذلك من بعض .
فأمّا ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقصّ من قصّته ، فقد تقدّم ذكرِيه قبل .

وأمّا السَّرِيّ فإنّه فيما كتب به إليّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغسّانيّ وأبي حارثة العبشمي[٢] ، قالا : خلّف النّاسُ بعد فتح دمشق يزيدَ بن أبي سفيان في خَيْله في دِمشق ، وساروا نحو فِحْل ، وعلى الناس شُرَحبيل بن حَسَنة ، فبعث خالدًا على المقدّمة وأبا عبيدة وعمرا على مجنّبتيه ، وعلى الخيل ضِرار بن الأزْور ، وعلى الرَّجْل عياض ، وكرهوا أن يصمُدوا لهرقل ، وخلْفهم ثمانون ألفًا ، وعلِموا أنّ مَنْ بإزاء فِحْل جُنّة الرّوم وإليهم ينظرون ، وأن الشأم بعدهم سِلْم . فلما انتهوْا إلى ٢١٥٧/١ أبي الأعور ، قدّموه إلى طَبَرِيّة ، فحاصرهم ونزلوا على فِحْل من الأردنّ ، — وقد كان أهل فِحْل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَزُوا إلى بَيْسان — فنزل شُرَحبيل بالناس فِحْلاً ، والروم ببَيْسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدّثون أنفسهم بالمقام ، ولا يريدون أن يَرِيموا فِحْلاً حتّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوِّهِمْ في مكانهم لما دونهم من الأوحال ؛ وكانت العرب تسمّى تلك الغزاة فِحْلاً وذاتَ الرّدَغة وبَيْسان . وأصاب المسلمون من رِيف الأردنّ أفضلَ ممّا فيه المشركون ؛ مادّتهم متواصلة ، وخِصْبهم رَغْد ؛ فاغترّهم القوم ، وعلى القوم سَقَلاّر بن مِخْراق ؛ ورجوا أن يكونوا

(١ — ١) كذا في ز ، وفي ط : « إذ كان وإن كان في الخبر » .
(٢) ط : « العتبي » ، وانظر التصويبات .

على غِرَّة ، فأتوْهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم ، فهم على حَذَر . وكان شُرَحبيل لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية . فلمّا هجموا على المسلمين غافصوهم[١] ، فلم يناظروهم ، واقتتلوا بفِحْل كأشدّ قِتال اقتتلوه قطّ ليلتَهم ويومَهم[٢] إلى الليل ، فأظلم الليلُ عليهم وقد حاروا ، فانهزموا وهم حيارَى . وقد أصيب رئيسهم سَقَلاّر بن مخراق ، والذى يليه فيهم نسطورس ، وظفر المسلمون أحسنَ ظفر وأهنأه ، وركبوهم وهم يرَوْن أنهم على قَصْد وجدَد ، فوجدوهم حيارَى لا يعرفون مأخذهم ، فأسلمتهم هزيمتُهم وحَيْرَتُهم إلى الوَحَل ، فركبوه ، ولحق أوائل المسلمين بهم ؛ وقد وحلوا فركبوهم ؛ وما يمنعون يد لامس ؛ فوخَزُوهم بالرّماح ، فكانت الهزيمة فى فِحْل ؛ وكان مقتلهم فى الرّداغ ؛ فأصيب الثمانون ألفا ، لم يُفلِت منهم إلاّ الشّريد ؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البُثوق فكانت عونًا لهم على عدوّهم ، وأناةً من الله ليزدادوا بصيرة وجِدًّا ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِحْل إلى حِمْص ، وصرفوا سُمَيْر بن كعب معهم ، ومضَوْا بذى الكَلاع ومَن معه ، وخلّفوا شُرَحبيل ومَن معه . ١/٢١٥٨

* * *

ذكر بَيْسان

ولمّا فرغ شُرَحبيل من وقعة فِحْل نَهَد فى النّاس ومعه عمرو إلى أهل بَيْسَان ، فنزلوا عليهم ، وأبو الأعور والقوّاد معه على طَبَريّة ، وقد بلغ أفناءَ أهل الأردنّ ما لقيت دمشق ، وما لقى سقلاّر والرّوم بفِحْل وفى الردَغة ، ومسيرُ شرحبيل إليهم ، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو ؛ يريد بيسان ؛ وتحصّنُوا[٣] بكلّ مكان ، فسار شُرَحبيل بالنّاس إلى أهلِ بَيْسان ، فحصروهم أياماً . ثم إنّهم خرجُوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا مَن خرج إليهم ، وصالحوا بقيّة أهلها ، فقبِل ذلك على صلْح دمشق .

* * *

(١) غافصوهم : فاجئوهم وأخذوهم على غرة .
(٢) ز : « قبل يومهم وليلتهم » .
(٣) ز : « فحاصروهم » .

طَـبَرِيَّة

١/٢١٥٩

وبلغ أهلَ طَبَرِيَّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرَحبيل ، ففعل ؛ فصالحوهم وأهل بَيْسان على صلح دمشق ؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازلَ فى المدائن ، وما أحاط بها ممّا يصلُها ، فيدَعون لهم نصفًا ، ويجتمعون فى النِّصف الآخر ، وعن كلّ رأس دينار كلّ سنة ، وعن كلّ جريب أرض جَريب بُرّ أو شعير ؛ أىّ ذلك حُرِث ؛ وأشياء فى ذلك صالحوهم عليها ، ونزلت القوّاد وخيولُهم فيها ، وتمّ صلح الأردنّ ، وتفرّقت الأمداد فى مدائن الأردنّ وقراها ، وكُتب إلى عمر بالفتح .

* * *

ذكر خبر المثنّى بن حارثة وأبى عبيد بن مسعود

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن عبد الله بن سَوَاد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سرْجِس الأحْمَرىّ بإسنادهم ، قالوا : أوّل ما عمِل به عمر أن ندَب النّاس مع المثنّى بن حارثة الشيبانىّ إلى أهل فارس قَبْل صلاة الفجر ، من اللّيلة التى مات فيها أبوبكر رضى الله عنه ، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندَب النّاس إلى فارس ، وتتابع النّاس على البَيْعة ففرغوا فى ثلاث ، كلّ يوم يندبهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجْه فارس من أكرهِ الوجوه إليهم وأثقلها عليهم . لشدّة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم . قالوا : فلمّا كان اليوم الرابع ؛ عاد فندب النّاس إلى العراق ؛ فكان أوّلَ منتدب أبو عُبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصارىّ حليف بنى فزارة ؛ هرب يوم الجسر ، فكانت الوجوه تُعْرَض عليه بعد ذلك ، فيأبى إلاّ العراق ، ويقول: إنّ الله جلّ وعزّ اعتدّ علىّ فيها بفَرَّة ؛ فلعلّه أن يردّ علىّ فيها كرّة . وتتابع الناس .

١/٢١٦٠

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : وتكلّم المثنّى بن حارثة ، فقال :

يأيها الناس ، لا يَعْظُمنّ عليكم هذا الوجه ؛ فإنا قد تبحبحنا ريفَ فارس ، وغلبناهم على خير شِقّى السَّواد وشاطرناهم ونلنا منهم ؛ واجترأ مَن قبلَنا عليهم ؛ ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله فى الناس ؛ فقال : إنّ الحجاز ليس لكم بدار إلاّ على النُّجعة ، ولا يقوَى عليه أهلُه إلاّ بذلك ؛ أين الطُّرّاء المهاجرون عن موعود الله ! سيرُوا فى الأرض التى وعدكم الله فى الكتاب أن يورِثَكموها ؛ فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ، والله مظهر دينه ، ومعزّ ناصره ، وموليِ أهله مواريثَ الأمم . أين عباد الله الصالحون!

فكان أوّلَ منتدب أبو عُبيد بن مسعود ، ثم ثنّى سعد بن عبيد — أو سَليط ابن قيس — فلمّا اجتمعَ ذلك البعث ، قيل لعمر : أمِّرْ عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار . قال : لاوالله لا أفعل ؛ إنّ الله إنّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ ؛ فإذا جبُنتم وكرهتم اللّقاء ؛ فأولى بالرياسة منكم مَن سبق إلى الدفع ، وأجاب إلى الدعاء! والله لا أؤمّر عليهم إلاّ أوّلَهم انتدابًا . ثم دعا أبا عُبيد ، وسَليطا وسعدًا ؛ فقال : أما إنّكما لو سبقتماه لولّيتكما ولأدركتُما بها إلى مالَكما من القُدْمة . فأمّر أبا عُبيد على الجيش ، وقال لأبى عبيد : اسْمَع من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وأشرِكْهم فى الأمر ، ولا تجتهد[1] مسرعًا حتى تتبيّن ؛ فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلاّ الرّجل المكيث[2] الذى يعرف الفرصة والكفّ .

١ / ٢١٦١

وقال رجل من الأنصار : قال عمر رضى الله عنه لأبى عبيد : إنه لم يمنعنى أن أؤمِّرَ سَليطاً إلاّ سرعته إلى الحرب ، وفى التسرّع إلى الحرب ضَياع إلاّ عن بيان ، والله لولا سرعتُه لأمّرتُه ؛ ولكنّ الحرب لا يصلحها إلاّ المَكيث .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سَيْف بن عمر ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قدِم المثنّى بن حارثة على أبى بكر سنة ثلاث عشرة ؛ فبعث معه بَعْثاً قد كان ندبهم ثلاثًا ؛ فلم ينتدب له أحد حتّى انتدَب[3] له أبو عُبيد ثم سعد بن عبيد ، وقال أبو عبيد حين انتدَب :

---

(١) س . « تجتهر » ، ابن حبيش : « لا تجبن » .

(٢) المكيث : الرزين لا يعجل .

(٣) انتدب : خف وأسرع .

أنا لَهَا ، وقال سعد : أنا لَهَا ؛ لفَعْلة فعلها . وقال سَلِيط : فقيل لعمر : أمِّر عليهم رجلاً له صحبة ؛ فقال عمر : إنّما فَضَل الصحابة بسرعتهم إلى العدوّ وكفايتهم مَنْ أبى[1] ؛ فإذا فعل فعلهم قوْم واثّاقلوا[2] ١/٢١٦٢ كان الذين ينفرون خفافًا وثقالا أوْلَى بها منهم ؛ والله لا أبعث عليهم إلاّ أوّلَهم انتدابًا ؛ فأمَّر أبا عُبيد ، وأوصاه بجنده .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيْف بن عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومُبشِّر ، عن سالم ، قال : كان أوّلَ بعث بعثه عمر بعثُ أبى عبيد ، ثم بعث يعلَى بن أميّة إلى اليمن وأمَره بإجلاء أهل نجْران ، لوصيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى مرضه بذلك ، ولوصيّة أبى بكر رحمه الله بذلك فى مرضه ، وقال : ائْتِهِم ولا تفتنْهم عن دينهم ، ثمّ أجْلهم ؛ مَن أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامْسح أرض كلّ مَنْ تُجْلِى منهم ، ثمّ خيّرهم البلدان ، وأعلمهْم أنّا نُجليهم بأمر الله ورسوله ؛ ألاّ يُتْرك بجزيرة العرب دينان ؛ فلْيخرَجوا ؛ مَن أقام على دينه منهم ؛ ثم نعطيهم[3] أرضًا كأرضهم ، إقرارًا لهم بالحقّ على أنفسنا ، ووفاء بذمّتهم فيما أمر الله من ذلك ، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالرّيف .

* * *

خبر النّمارق

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ومبشّر بإسنادهما ، ومُجالد عن الشعبىّ ، قالوا : فخرج أبو عُبيد ومعه سعد بن عبيد ، وسَليط بن قيس ؛ أخو بنى عدىّ بن النجار ، والمثنّى بن حارثة أخو بنى شيبان ، ثم أحد بنى هند .

١/٢١٦٣ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، وعمرو عن الشعبىّ ، وأبى رَوْق ، قالوا : كانت بُوران بنت كسرى ــ كلّما اختلف النّاس بالمدائن ــ عَدْلاً بين الناس حتى يصطلحوا ، فلما قُتِل الفَرُّخزاذ بن

---

(١) ز : « أتى » . (٢) ز : « وتنافلوا » . (٣) ز : « تعطيهم » .

البِنْدُوان وقدِم رستَم فقتل آزَرْميدُخت ، كانت عَدْلاً إلى أن استخرجوا يَزْدَجِرْد ، فقدم أبو عُبيد والعَدْل بُوران ، وصاحب الحرب رستم ؛ وقد كانت بُوران أهدتْ للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم. فقبِل [هديّتها][1] ، وكانت ضدًّا على شيرى سنة ، ثم إنّها تابعته ، واجتمعا على أن رأس وجعلها عدلاً .

كتب إليّ السريّ بن يحيى . عن شعيب ، عن سيف . عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما قتِل سِياوَخْش فرّخْزَاذ بن البِنْدوان ، وملكت آزرميدخت ، اختلف أهلُ فارس ، وتشاغلوا عن المسلمين غَيْبةَ المثنّى كلّها إلى أن رجع من المدينة . فبعثت بُوران إلى رستم بالخبر ، واستحثّتْه بالسّير ؛ وكان على فَرْج خُراسان ، فأقبل فى النّاس حتى نزل المدائن ؛ لا يلقى جيشًا لآزرميدخت إلاّ هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن ، فهُزِم سِياوَخْش وحُصِر وحُصِرت آزرميدخت ؛ ثم افتتحها فقتل سِياوَخش ، وفقأ عين آزرميدخت ، ونصّبَ بوران ودعتْه إلى القيام بأمرِ أهل فارس ، وشكتْ إليه تضعضعَهم وإدبار أمرهم ؛ على أن تملّكه عَشْر حِجَج ؛ ثم يكون المُلْكُ فى آل كسرى ، إن وجدوا من غلمانهم[2] أحدًا ؛ وإلاّ ففى نسائهم . فقال رستم : أمّا أنا فسامع مطيع ، غير طالب عِوضًا ولا ثوابًا ، وإن شرّفتمونى وصنعتم إليّ شيئًا فأنتم أولياء ما صنعتم ؛ إنما أنا سهمُكم وطوعُ أيديكم . فقالت بُوران : اغدُ عليّ ، فغدا عليها ودعتْ مرازبةَ فارس ، وكتبت له بأنّك على حرب فارس ؛ ليس عليك إلاّ الله عزّ وجلّ ، عن رضًا منّا وتسليم لحكمك ، وحكمُك جائز فيهم ما كان حكمك فى منْع أرضهم وجمعِهم عن فُرقتهم . وتوّجته وأمرت أهلَ فارس أن يسمعوا له ويطيعوا . فدانت له فارس بعد قدوم أبى عُبيد ؛ وكان أوّل شيء أحدثه عمر بعد موتِ أبى بكر من اللّيل ؛ أن نادى : الصلاة جامعة ! ثم ندبهم فتفرّقوا على غير إجابة من أحد ، ثم ندَبهم فى اليوم الرابع ، فأجاب أبو عبيد فى اليوم الرابع أوّل الناس ، وتتابع النّاس ، وانتخب عمر من أهل المدينة ومَن حولها ألفَ رجل ، ١/٢١٦٤

---

(١) من ز .

(٢) ز : « علمائهم » .

أمّر عليهم أبا عُبيد ، فقيل له : استعمل عليهم من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : لا ها الله ذا يا أصحاب النبيّ ،لا أندبكم فتنكلون[١] ، وينتدب غيركم فأؤمّركم عليهم ! إنكم إنّما فُضّلتم بتسرّعكم[٢] إلى مثلها ؛ فإن نكلتم فضلوكم ؛ بل أؤمّر عليكم أوّلكم انتدابًا . وعجّل المثنّى ،وقال : النّجاء حتى يقدم عليك أصحابك ! فكان أوّل شيء أحدثه عمر فى خلافته مع بيعته بعثُه أبا عبيد ، ثم بعث أهلَ نجران ، ثم ندَب أهل الرّدة ، فأقبلوا سراعًا من كلّ أوْب ؛ فرمى بهم الشأم والعراق ؛ وكتب إلى أهل اليرموك ؛ بأنّ عليكم[٣] أبا عبيدة بن الجرّاح ؛ وكتب إليه : إنّك على الناس ؛ فإن أظفرَك الله فاصرف أهلَ العراق إلى العراق ؛ ومن أحبّ من أمدادكم إذا هم قدِموا عليكم . فكان أوّل فتح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوفّى أبى بكر ؛ وكان فى الأمداد إلى اليرموك فى زمن عمر قيس بن هُبيرة ، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم ، وإنما غزا حين أذِن عمر لأهل الردّة فى الغزْو . وقد كانت فارس تشاغلتْ بموت شَهْر بَراز عن المسلمين ؛ فملّكت شاه زَنان ؛ حتى اصطلحوا على سابور بن شَهْر بَراز بن أردشير بن شَهريار ؛ فثارت به آزرميدُخْت ، فقتلته والفَرُّخْزاذ ، وملكت — ورستم بن الفرّخْزاذ بخُراسان على فَرْجها — فأتاه الخبر عن بُوران . وقدم المثنّى الحيرة من المدينة فى عَشْرٍ ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، فأقام المثنّى بالحيرة خمسَ عشرَة ليلة ؛ وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودسّ فى كلّ رُستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البِهقُباذ الأسفل ؛ وبعث نَرْسِي إلى كَسْكر ، ووعدهم يومًا ؛ وبعث جندًا لمصادَمة المثنّى ؛ وبلغ المثنّى ذلك ؛ فضمّ إليه مسالِحَه وحذِر ، وعجِل جابان ، فثار ونزل النّمارق .

وتوالوا[٤] على الخروج ؛ فخرج نَرْسِي ، فنزل زَنْدَوَرْد ، وثار أهلُ الرساتيق من أعلَى الفُرات إلى أسفله ؛ وخرج المثنّى فى جماعة حتى ينزل

٢١٦٥/١

٢١٦٦/١

(١) ابن حبيش : « فتبطئون » .

(٢) ز : « بتنزعكم » ، ابن حبيش : « بسرعتكم » .

(٣) س : « عليهم » . (٤) ز : « ودعاهم » .

خَفّان ؛ لئلاّ يؤتَى مِن خلفه بشىء يكرهه ، وأقام حتّى قدِم عليه أبو عبيدة ؛ فكان أبو عبيد على النّاس ، فأقام بخفّان أيامًا ليستجمّ[1] أصحابه ؛ وقد اجتمع إلى جابان بشرٌ كثير ، وخرج أبو عبيد بعد ما جمّ الناسُ وظَهْرُهم ، وتعبّى ، فجعل المثنّى على الخيل ، وعلى ميمنته والِق بن جيدارة ، وعلى ميسرته عمرو بن الهَيْثم بن الصّلْت بن حبيب السلمىّ . وعلى مجنّبتى جابان جُشْنَس ماه ومَرْدانْشاه . فنزلوا على جابان بالنّمارق ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فهزم الله أهلَ فارس ، وأسِرَ جابان ، أسره مطر بن فضّة التيمىّ ، وأسِرَ مَرْدانشاه ، أسره أكْتَل بن شَمّاخ العُكْلىّ ، فأمّا أكْتَل فإنه ضرب عنق مردانشاه ، وأمّا مطر بن فضّة فإنّ جابان خَدَعه ، حتى تفلّت منه بشىء فخلّى عنه ؛ فأخذه المسلمون ، فأتوا به أبا عُبيد وأخبروه أنّه الملك ، وأشاروا عليه بقتله ، فقال : إنّى أخافُ الله أن أقتلَه ؛ وقد آمنه رجل مسلِم ، والمسلمون[2] فى التوادّ والتناصر كالجسدِ ؛ ما لزم بعضَهم فقد لزمهم كلّهم . فقالوا له : إنه الملك ، قال : وإن كان لا أغدر ، فتركه . ٢١٦٧/١

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ، عن أبى عمران الجُعْفىّ ، قال : ولّت حربَها فارس رُستَمَ عشر سنين ، وملّكوه ، وكان منجّما عالمًا بالنجوم ، فقال له قائل : ما دعاك إلى هذا الأمر وأنت ترى ما ترى ! قال : الطّمَع وحبّ الشّرَف . فكاتب أهل السّواد ، ودسّ إليهم الرؤساء ، فثاروا بالمسلمين ؛ وقد كان عهد إلى القوم أنّ الأمير عليكم أوّل مَنْ ثار ، فثار جابان فى فُرات بادَقْلَى ، وثار الناس بعده ، وأرَزَ المسلمون إلى المثنّى بالحيرة ، فصمد لِخَفّان ، ونزل خَفّان حتى قدم عليه أبو عبيد وهو الأمير على المثنّى وغيره ، ونزل جابان النّمارق ، فسار إليه أبو عبيد من خَفّان ، فالتقوْا بالنّمارق ؛ فهزم الله أهلَ فارس ، وأصابوا منهم ما شاءوا وبَصُر مَطَر بن فضّة — وكان ينسب إلى أمّه — وأبَىٌّ برجل عليه حَلْىٌ ؛ فشدّا عليه فأخذاه أسيرًا ، فوجداه شيخا كبيرًا

---

(١) س : « ليسحمر » .

(٢) كذا فى ز وابن الأثير والنويرى ؛ وفى ط بحذف الواو والنون .

فزهد فيه أبىّ ورغب مَطَر فى فدائه ، فاصطلحا على أنّ سلَبه لأبىّ ، وأن إساره لمَطر ، فلما خلّص مطر به ، قال : إنّكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّننى وأعطيك غلامَيْن أمرديْن خفيفين فى عملك وكذا وكذا ! ٢١٦٨/١ قال : نعم ، قال : فأدخلْنى على ملِككم ؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبى عبيد ، فتمّ له على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبىّ وأناس من ربيعة ؛ فأما أبىّ فقال : أسرتُه أنا وهو على غير أمان ؛ وأمّا الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذى لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما ترونْى فاعلا معاشر ربيعة ؟ أيؤمّنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسّم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عِطْر كثير ونَفَل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

* * *

السّقاطية بكَسْكر

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كَسْكَر ليلجئوا إلى نَرْسِى — وكان نَرْسِى ابن خالة كسرى ؛ وكانت كسكر قطيعة له ؛ وكان النّرْسيان له ، يحميه لا يأكله بشرٌ ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك[1] فارس إلاّ مَنْ أكرموه بشىء منه ، وكان ذلك مذكورًا من فِعْلهم فى النّاس ، وأنّ ثَمرهم هذا حِمًى ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمِها من عدوّك وعدوّنا وكن رجلاً ، فلمّا انهزم الناس يوم النّمارق ، ووجّهت الفالّة نحو نَرْسى — ونَرْسى فى عسكره — نادى أبو عبيد بالرّحيل ، وقال للمجرّدة : أتبعوهم حتى تُدخلوهم عسكر نَرْسِى ، أو تبيدوهم فيما بين النّمارق إلى بارق إلى دُرْتا . وقال عاصم بن عمرو ٢١٦٩/١ فى ذلك :

لَعَمْرِى وما عمرى عَلَىّ بِهَيِّنٍ   لَقَدْ صُبِّحَتْ بِالخِزْى أهلُ النَّمارِق

---

(١) كذا فى ط ، وربما كان اللفظ : « أى ملوك فارس » .

بأيْدِي رِجالٍ هاجروا نحو ربِّهِمْ يجوسونهم ما بين دُرْتا وبارِقِ
قتلناهمُ ما بين مَرْجِ مُسَلَّحٍ وبين الهَوافِي من طريق البَذارِقِ

ومضى أبو عُبَيْد حين ارتحلَ من النَّمارق حتى ينزل على نَرْسِي بكَسْكَر — ونَرْسِي يومئذ بأسفل كَسْكَر — والمثنَّى فى تعبيته الَّتى قاتل فيها جابانَ، ونَرْسِي على مجنِّبتيه ابنا خاله — وهما ابنا خال كسرى بِنْدَوَيْه وتِيرَوْيه ابنا بِسْطام — وأهل بارُوسْما ونهر جَوْبَر والزَّوابي معه إلى جنده، وقد أتى الخبر بُوران ورستم بهزيمة جابان؛ فبعثوا إلى الجالِنُوس، وبلغ ذلك نَرْسِي وأهل كَسْكَر وبارُوسْما ونهر جَوْبَر والزَّاب، فرجوا أن يلحق قبل الوقعة، وعاجَلَهم أبو عُبيد فالتقوْا أسفلَ من كَسْكَر بمكان يدعى السَّقاطية فاقتتلوا فى صحارَى مُلْس قتالا شديدًا. ثمّ إنّ الله هزم فارس، وهرب نَرْسِي، وغُلِب على عسكره وأرضه، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم من كسكر، وجمع الغنائم، فرأى من الأطعمة شيئًا عظيمًا، فبعث فيمَن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا، وأخذت خزائن نَرْسِي؛ فلم يكونوا بشيء ممَّا خزن أفرح منهم بالنَّرسيان؛ لأنَّه كان يحميه ويمالئه عليه ملوكهم؛ فاقتسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين؛ وبعثوا بخُمسه إلى عمر وكتبوا إليه: إنّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحمونها، وأحببنا أن تروْها؛ ولتذكروا إنعام الله وإفضاله. ١/٢١٧٠

وأقام أبو عبيد وسرَّح المثنَّى إلى بارُوسْما، وبعث والقًا إلى الزَّوابي وعاصمًا إلى نهر جَوْبر؛ فهزموا مَن كان تجمّع وأخربوا وسبوْا، وكان ممَّا أخرب المثنَّى وسَبى أهل زَنْدَوَرْد وبسوسيا [(١)]، وكان أبو زَعْبَل من سَبْي زَنْدَوَرْد؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالِنوس؛ فكان ممَّن أسر عاصم أهل بيتيق من نهر جوبر، وممَّن أسر والق أبو الصَّلْت. وخرج فرُّوخ وفَرْوَنْداذ إلى المثنَّى، يطلبان الجزاء والذّمة، دفعًا عن أرضهم؛ فأبلغهما أبا عبيد: أحدهما بارُوسْما والآخر نهر جوبر، فأعطياه عن كلّ رأس أربعة، فرُّوخ عن باروسما وفر ونداذ عن نهر جَوْبر، ومثل ذلك الزَّوابي وكَسْكَر، وضمنّا لهم الرِّجال عن التعجيل، ففعلوا وصاروا صُلْحًا. وجاء فرُّوخ

(١) ط: «بسريسى»؛ وانظر ص ٤٦١ س ١٥ من هذا الجزء.

٢١٧١/١ وفروخ وفرونداذ إلى أبى عُبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها ؛ فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها ، وقِرًى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتمُوهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسّر ونحن فاعلون ؛ وإنما يتربّصون بهم قدوم الجالِنُوس وما يصنع ؛ فقال أبو عُبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عُبيد حتى ينزل ببارُوسما فبلغه مسير الجالِنوس .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرىّ الضّبىّ ، قال : فأتاه الأنْدَرْزَغَر بن الخركبذ[1] بمثل ما جاء به فرّوخ وفرونداذ . فقال لهم : أأكرمتُم الجند بمثله وقريتموهم ؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حاجة لنا فيه ؛ بئس المرءُ أبو عبيد ؛ إن صحب قومًا من بلادهم أهراقوا دماءَهم دُونه ، أو لم يُهريقوا فاستأثر عليهم بشىء يصيبه ! لا والله لا يأكل ممّا أفاء الله عليهم إلا مثْل ما يأكل أوساطهم .

قال أبو جعفر : وقد حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا ، عن رجاله فى توجيه عمر المثنّى وأبا عبيد ابن مسعود إلى العراق فى حرب مَن بها من الكُفّار وحروبهم ، ومن حاربهم بها ؛ غير أنه قال : لما هُزِم جالنوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما ، نزل هو وأصحابه قريةً من قراها ؛ فاشتملت عليهم ، فصُنع لأبى عبيد

٢١٧٢/١ طعامٌ فأُتِىَ به ؛ فلمّا رآه قال : ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين! فقالوا له : كُلْ فإنّه ليس من أصحابك أحدٌ إلا وهو يؤتَى فى منزله بمثل هذا أوأفضل ؛ فأكل . فلمّا رجعوا إليه سألهم عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزيادة بإسنادهم ، قالوا : وقد كان جابان ونَرْسى استمدّا بوران ، فأمدّتهما بالجالنوس فى جُنْد جابان ، وأمرأن يبدأ بنَرْسى ؛ ثم يقاتل أبا عُبيد بعد ، فبادره أبو عُبيد ، فنهض فى جنده قبل أن يدنوَ ، فلمّا دنا

(١) ط : « الخوكبذ » .

استقبله أبو عبيد ، فنزل الجالينوس بباقُسْياثا من بارُوسما ، فنهد إليه أبو عُبيد في المسلمين ؛ وهو على تعبيته ؛ فالتقوْا على باقُسياثا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس ، وأقام أبو عُبيد ، قد غلب على تلك البلاد .

كتب إليّ السريّ بن يحيي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السريّ والمجالد بنحو من وقعة باقُسياثا .

كتب إليّ السريّ بن يحيي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ومجالد وزياد والنّضْر بإسنادهم ، قالوا : أتاه أولئك الدّهاقين المتربّصون جميعًا بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم . وأمّا النّضْر ومجالد فإنهما قالا : قال أبو عبيد : ألم أعلمكم أنى لستُ آكلا إلاّ ما يسع مَن معى ممّن أصبتم بهم ! قالوا : لم يبقَ أحدٌ إلاّ وقد أتى بشبَعه من هذا في رحالهم وأفضل . فلمّا راح النّاس عليه سألهم عن قِرى أهلِ الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصّروا أوّلا تربُّصًا ومخافة عقوبة أهل فارس . وأمّا محمد وطلحة وزياد فإنهم قالوا : فلمّا علم قَبِل منهم ، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافًا عليه يدعوهم إلى الطعام ، وقد أصابوا من نُزل فارس ولم يروْا أنّهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنّوا أنهم يُدْعَون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غَليظ عيش أبي عبيد ؛ وكرهوا تَرْك ما أتوا به من ذلك ؛ فقالوا له : قل للأمير ؛ إنّا لا نشتهي شيئًا مع شيء أتتنابه الدهاقين ؛ فأرسل إليهم : إنّه طعام كثير من أطعمة الأعاجم ؛ لتنظروا أين هو مما أتيتم به ! إنه قَرْو ونجم وجوزل[1] وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده :

١/٢١٧٣

إن تَكُ ذا قرْوٍ ونَجْمٍ وَجَوْزَلٍ ... فعِندَ ابنِ فَرُّوخٍ شواءٌ وخَرْدَلُ
وقَرْوٌ رقاق كالصَّحائفِ طُوِّيَتْ ... على مُزَعٍ فيها بقُولٌ وجَوْزَلُ

وقال أيضًا :

صبَحْنا بالبَقايِسِ رَهْط كِسرَى ... صَبُوحًا ليس من خَمرِ السَّوادِ
صَبَحْناهُمْ بكلِّ فَتًى كَمِيٍّ ... وأجْرَدَ سابحٍ من خَيْلِ عادِ

١/٢١٧٤

(١) القرو : الإناء الصغير . والجوزل فرخ الحمام .

ثم ارتحل أبو عُبيد ، وقدم المثنّى ، وسار فى تعبيته حتى قدم الحيرة . وقال النّضر ومجالد ومحمد وأصحابه : تقدّم عمر إلى أبى عُبيد ، فقال : إنّك تقدم على أرض المكْر والخديعة والخيانة والجَبْريّة ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشرّ فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ! واخزُن لسانك ، ولا تفشِينّ سرّك ؛ فإنّ صاحبَ السرّ ما ضبطه، متحصّن لا يؤتَى من وجْه يكرهه ؛ وإذا ضيّعه كان بمضيعة .

* * *

وقعة القَرْقس

ويقال لها القُس قُسّ النّاطِف ، ويقال لها الجِسر ، ويقال لها المَرْوحَة .

قال أبو جعفر الطبرىّ رحمه الله : كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ولمّا رجع الجالنوس إلى رستَم ومَن أفلت من جنوده ، قال رستم : أىُّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون ؟ قالوا : بَهْمَن جاذويه ؛ فوجّهه ومعه فِيَلَة[1] وردّ الجالِنوس معه ، وقال له : قدّم الجالنوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه «درَفْش كابيان» راية كسرى — وكانت من جلود النِّمِر ، عرض ثمانية أذرع فى طول اثنى عشر ذراعًا — وأقبل أبو عبيد ، فنزل المرْوحة ، موضع البُرْج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه : إمّا أن تعبروا إلينا ونَدَعكم والعبور وإمّا أن تَدَعونا نعبر إليكم ! فقال الناس : لا تعبر يا أبا عُبيد ، ننهاك عن العبور . وقالوا له : قل لهم : فليعبروا — وكان من أشدّ الناس عليه فى ذلك سَلِيط — فلجّ أبو عبيد ، وترك الرّأى ، وقال : لا يكونون أجرأ على الموت منّا ؛ بل نعبُر إليهم . فعبروا إليهم وهم فى منزل ضيّق المطّرد والمذهب ، فاقتتلوا يومًا — وأبو عبيد فيما بين الستّة والعشرة — حتى إذا كان من آخر النهار ، واستبطأ رجلٌ من ثَقيف الفتح ، ألّف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيلُ أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف فى أهلِ فارس ،

١/٢١٧٥

(١) ابن حبيش : «الفلة» .

وأصيب منهم ستة آلاف فى المعركة ، ولم يبقَ ولم يُنتظر إلا الهزيمة، فلما خُبِط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالَ المسلمون جولَة ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثَقيف إلى الجسر فقطعه ، فانتهى النّاس إليه والسيوف تأخذهم من خَلْفهم ، فتهافتوا فى الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنّى الناس وعاصمٌ والكلَج الضّبّىّ ومذعور ، حتى عقدوا الجسر وعبّروهم ثم عبروا فى آثارهم ، فأقاموا بالمروحة ١ / ٢١٧٦ والمثنى جَريح ، والكلَج ومذعور وعاصم — وكانوا حماة الناس — مع المثنّى ، وهرب من الناس بشرٌ كثير على وجوههم ؛ وافتضحوا فى أنفسهم ، واستحيَوْا ممّا نزل بهم ، [وبلغ ذلك [1]] عمر عن بعض مَنْ أوى إلى المدينة فقال : عبادَ الله ! اللهمّ إنّ كلّ مسلم فى حلٍّ منّى ، أنا فئة كلّ مسلم ، يرحم الله أبا عُبيد ! لو كان عَبَر فاعتصم بالخَيْف ، أو تحيّزَ إلينا ولم يستقتِل لكنّا له فئة !

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أنّ النّاس بالمدائن قد ثاروا برستَم ، ونقضوا الذى بينهم وبينه فصاروا فرقتين : الفَهْلوج على رستم ، وأهل فارس على الفَيْرُزان ؛ وكان بين وقعة اليَرْموك والجسر أربعون ليلة . وكان الذى جاء بالخبر عن اليَرْموك جرير بن عبد الله الحميرىّ ؛ والذى جاء بالخبر عن الجسر عبد الله بن زيد الأنصارىّ — وليس بالّذى رأى الرؤيا — فانتهى إلى عمر وعمر على المنبر . فنادى عمر : الخبر يا عبد الله بن زيد ! قال : أتاك الخبر اليقين ؛ ثم صعِد إليه المنبر فأسرّ ذلك إليه .

وكانت اليرموك فى أيام من جمادى الآخرة ، والجسر فى شعبان .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد ابن المَرْزُبان، قالا : واستعمل رستم على حرب أبى عُبيد بهمن جاذويه ؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالنوس ومعه الفَيلة ، فيها فيل أبيض عليه النّخل [2] ، وأقبل فى الدّهْم [3] ، وقد استقبله أبو عُبيد حتى انتهى إلى بابل ؛ ١ / ٢١٧٧ فلمّا بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه ؛ فعسكر بالمرْوحَة .

---

(١) من ز .
(٢) النخل هنا : ضرب من الحلى .
(٣) الدهم : العدد من الناس .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إمَّا أن تعبروا إلينا وإمَّا أن نعبر ، فحلف ليقطعنّ الفرات إليهم ، وليمحّصنّ ما صنع ، فناشده سَليط بن قيس ووجوه النَّاس ، وقالوا : إنّ العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وإنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهاء والعُدّة بما لم يلقَنَا به أحد منهم ؛ وقد نزلتَ منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فَرّة إلى كَرّة . فقال : لا أفعل ؛ جبُنْت والله ! وكان الرَّسول فيما بين ذى الحاجب وأبى عبيد مردانْشاه الخصىّ ؛ فأخبرهم أنّ أهل فارس قد عيَّروهم ؛ فازداد أبو عبيد مَحَكا[1] ، وردّ على أصحابه الرأى ، وجبَّن سَليطا ، فقال : سليط : أنا والله أجرأ منك نفسًا ؛ وقد أشرنا عليك الرأىّ فستعلم !

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السرىّ ، عن الأغرّ العِجلىّ ، قال : أقبل ذو الحاجب حتّى وقف على شاطئ الفُرات بقُسّ النَّاطف ، وأبو عبيد معسكرٌ على شاطئ الفرات بالمَرْوحة فقال : إما أن تعبُروا إلينا وإما أن نعبُر إليكم . فقال أبو عبيد : بل نعبُر إليكم . فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعًا ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دَوْمة امرأة أبى عبيد رُؤيا وهى بالمَرْوحة ؛ أنّ رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عُبيد وجَبْر فى أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتِلتُ فعلى الناس جَبْر . فإن قتِل فعليكم فلان ، حتى أمَّر الذين شربوا من الإناء على الوِلاء من كلامه . ثم قال : إن قتِل أبو القاسم فعليكم المثنَّى ، ثم نَهَد بالناس فعبَر وعبروا إليهم ، وعضَّلت[2] الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحربَ . فلمَّا نظرت الخيول إلى الفيَلة عليها النخل ؛ والخيل عليها التَّجَافيف[3] والفرسان عليهم الشُّعُر[4] رأت شيئا منكرًا لم تكن ترى مثله ، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيَلة والجلاجل فرّقت بين كراديسهم ؛ لا تقوم لها الخيلُ إلاّ على نِفار . وخَزَقهم[5] الفُرْس

١ / ٢١٧٨

---

(١) محكا ، أى لجاجا . (٢) عضلت الأرض بأهلها : ضاقت بهم لكثرتهم .

(٣) التجفاف ؛ من آلات الحرب ، يوضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان .

(٤) الشعر : جمع شعار ، وهو جل الفرس . (٥) خزقوهم بالنشاب : طعنوهم .

بالنـّشـّاب ، وعضّ المسلمين الألم ؛ وجعلوا لا يصلون إليهم ؛ فترجـّل أبو عبيد وترجـّل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف ؛ فجعلت الفيـَلة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم ؛ فنادى أبو عبيد : احتوِشوا[1] الفيلة ؛ وقطّعوا بـُطـُنـَها[2] واقلبوا عنها أهـلَها ؛ وواثب هو الفيل الأبيض ، فتعلـّق ببِطانه فقطعه ؛ ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك ؛ فما تركوا فيلا إلا حطـّوا رحله ؛ وقتلوا أصحابه ، وأهوى الفيل لأبى عـُبيد ، فنفح مِشْفَرَه بالسيف ، فاتـّقاه الفيل بيده ؛ وأبو عبيد يتجرثمه[3] ؛ فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل ، وقام عليه ؛ فلما بصُر الناس بأبى عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفس بعضهم ، وأخذ اللواء الذى كان أمـّره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحـّى عن أبى عبيد ، فاجترّه إلى المسلمين ، وأحرزوا شِلوه[4] ؛ وتجرثـم الفيلَ فاتـّقاه الفيل بيده ، دأبَ[5] أبى عبيد وخبطه الفيل . وقام عليه وتتابع سبعة من ثـَقيف ؛ كلـّهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت . ثم أخذ اللواء المثنـّى ، وهرب النـّاس ، فلما رأى عبد الله بن مَرْثـَد الثقفىّ ما لقىَ أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادرهم إلى الجسر فقطعه ، وقال : يأيـّها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا . وحاز المشركون المسلمين إلى الجِسر ؛ وخشع ناس فتواثبوا فى الفـُرات ؛ فغرق من لم يصبِر وأسرعوا فيمن صَبَـر ، وحَـمـّى المثنّى وفرسانٌ من المسلمين الناس ، ونادى : يأيـّها الناس ، إنـّا دونكم فاعبـُروا على هِينتكم[6] ولا تدهـَشوا ؛ فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ؛ ولا تغرّقوا أنفسكم . فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثـد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنـّى ، فضربه وقال : ما حملك على الذى صنعت ؟ قال : ليقاتلوا ، ونادى مَن عبر فجاءوا بعلوج ، فضمـّوا إلى السفينة التى قـُطِعتْ سفائنها ، وعبر الناس ، وكان آخر من قـُتِل عند الجسر سَليط بن قيس ، وعَبـَر المثنّى وحمى جانبه ؛ فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم ؛

١/٢١٧٩
١/٢١٨٠

---

(١) فى اللسان : « يقال : احتوش القوم الصيد ؛ إذا نفره بعضهم على بعض » .

(٢) البطن : جمع بطان ؛ وهو حزام القتب .

(٣) يتجرثمه : يمسك بمعظمه (٤) شلوه : جسده .

(٥) ز : « ذات » . (٦) هينتكم ؛ أى متمهلين ، وفى ابن حبيش : « هيئتكم ».

فلمّا عبر المثنّى [وحمى جانبه][1] ارفضّ عنه أهلُ المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادى وبقى المثنّى فى قلّة .

كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبى عثمان النّهدىّ ، قال : هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق ؛ وهرب ألفان ، وبقى ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحاجب الخبرُ باختلاف فارس ؛ فرجع بجنده ؛ وكان ذلك سببًا لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنّى ، وأثبتت فيه حلَق من درعه هتَكهنّ الرمح .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحوًا منه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب عن سيف ، عن مجالد وعطية والنّضر ، أنّ أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمّن سار فى البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبىّ : قال عمر : اللهمّ كلّ مسلم فى حلّ منّى ، أنا فئة كلّ مسلم ، مَن لقى العدوّ ففظِع بشىء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عُبَيد لو كان انحاز إلىّ لكنت له فئة ! وبعث المثنّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر .

وحدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق بنحو خبر سيف هذا فى أمر أبى عُبيد وذى الحاجب ، وقصّة حربهما ، إلاّ أنه قال : وقد كانت رأت دَوْمة أمّ المختار بن أبى عُبيد ، أن رجلا نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنّة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عُبيد وجَبر بن أبى عبيد وأناس من أهله . وقال أيضًا : فلما رأى أبو عُبيد ما يصنع الفيل ، قال : هل لهذه الدابّة من مقتل ؟ قالوا : نعم ؛ إذا قُطع مِشفرها ماتت ، فشدّ على الفيل فضرب مِشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله . وقال أيضًا : فرجعت الفُرْس ونزل المثنّى بن حارثة ألّيس ، وتفرّق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أوّل مَن قدم المدينة بخبر الناس عبدُ الله بن زيد بن الُحصين الخَطْمِىّ ، فأخبر الناس .

١/٢١٨١

(١) من ز .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عَمْرة ابنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوْج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد ! وهو داخل المسجد ، وهو يمرّ على باب حُجرتي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟ قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ؛ فلمّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعت برجل حضر أمرًا فحدّث عنه كان أثبتَ خبرًا منه . فلما قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم ، إنما انحزتم إليّ . ٢١٨٢/١

حدثنا ابن حُميد : قال : حدّثنا سلَمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أنّ مُعاذًا القارئَ أخا بني النّجار ؛ كان ممنّ شهدها ففرّ يومئذ . فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ؛ أنا فئتُك ، وإنما انحزْتَ إليّ .

* * *

خبر أُلّيس الصُّغرى

قال أبو جعفر : كتب إليّ السريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نُويرة وطلحة وزياد وعطيّة ، قالوا : وخرج جابان ومَرْدانشاه حتى أخذا بالطريق ، وهم يروْن أنهم سيرفضّون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فُرقة أهل فارس[2] ؛ فلما ارفضّ أهلُ فارس . وخرج ذو الحاجب في آثارهم ؛ وبلغ المثنى فَعْلة جابان ومَرْدانشاه ؛ استخلف على النّاس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريدهما ، فظنّنا أنه هارب ،

(١) سورة الأنفال ١٦ . (٢) ز : « من الخبر عن فرقة أهل فارس » .

فاعترضاه فأخذهما أسيريْن ، وخرج أهل ألّيس على أصحابهما ، فأتوْه بهم أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمّة وقدّمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرَ نا ، وكذبتماه
١/٢١٨٣ واستفززتماه . فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسَراء ؛ ثمّ رجع إلى عسكره وهرب أبو مِحْجن من ألّيس ؛ ولم يرجع مع المثنّى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالدًا من سُوَى ، فأذِن لهم ، فقدموا على أبى بكر ، فذكر له جريرٌ حاجته ، فقال : أعلى حالِنا! وأخّره بها[1] ، فلما ولِّى عمر دعاه بالبيِّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عُمّاله السعاة فى العرب كلّهم : مَن كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بَجيلة فى الجاهليّة ، وثبت عليه فى الإسلام يُعْرف ذلك فأخرجوه إلى جرير . ووعدهم[2] جرير مكانًا بين العراق والمدينة . ولما أعطِىَ جرير حاجته فى استخراج بَجيلة من الناس فجمعهم فأخرِجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتتامّوا ، قال لجرير : اخرج حتى تَلحق بالمثنّى ، فقال : بل الشأم ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشأم قد قَوُوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلمّا خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحًا له ، فجعل له ربع خُمس ما أفاء الله عليهم فى غزاتهم هذه له ولمن اجتمع إليه ، ولمن أخرِج له إليه من القبائل ، وقال : اتّخذونا طريقًا ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنّى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بنى عبد بن الحارث الضَّبّىّ فيمن تبعه من بنى ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يوافِ شعبانَ أحدٌ إلا رمى به المثنّى .

* * *

البُوَيْب

١/٢١٨٤ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنّى بعد الجسر فيمَن يليه من الممِدّين ،

(١) ز : « فيها » . (٢) ابن حبيش : « وواعدهم » .

فتوافوْا إليه فى جمع عظيم ، اوبلغ رستم والفيرُزان ذلك ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْران الهمَذانىّ ؛ حتى يريا مِن رأيهما ، فخرج مِهْران فى الخيول وأمَراه بالحيرة ، وبلغ المثنّى الخبر وهو معسكر بمرْج السِّباخ بين القادسيَّة وخفَّان فى الذين أمدّوه من العرب عن خبر بشير وكِنانة[1] — وبشير يومئذ بالحيرة — فاستبطن فُرات بادَقْلى . وأرسل إلى جرير ومَن معه : إنَّا جاءنا أمر لم نستطِع معه المقام حتّى تقدموا علينا ، فعجِّلوا اللّحاق بنا ، وموعدكم البُوَيْب .

وكان جرير مُمِدًّا له ، وكتب إلى عِصْمة ومَن معه ، وكان ممدًّا له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظلَّه بمثل ذلك ، وقال : خذوا على الجَوْف . فسلكوا القادسيَّة والجَوْف ، وسلك المثنَّى وسط السَّواد ، فطلع على النَّهرين ثم على الخوَرْنَق ، وطلع عصمة على النَّجَف ، ومَن سلك معه طريقه ؛ وطلع جرير على الجوْف ومَن سلك معه طريقه ، فانتهوْا إلى المثنَّى ، وهو على البُويب ، ومِهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البُويب ممَّا يلى موضع الكوفة اليوم ؛ وعليهم المثنّى وهم بإزاء مِهران وعسكره . فقال المثنّى لرجل من أهل السواد : ما يقال للرُّقْعة التى فيها مِهران وعسكره ؟ قال : بَسُوسْيا . ٢١٨٥/١ فقال : أكْدَى مِهران وهلك ! نزل منزلا هو البَسوس ؛ وأقام بمكانه حتّى كاتبه مِهران : إمّا أن تعبُروا إلينا ، وإمّا أن نعبَر إليكم ؛ فقال المثنَّى : اعبُروا ؛ فعبر مِهْران ، فنزل على شاطىء الفرات معهم فى الملطاط ، فقال المثنّى لذلك الرجل : ما يُقال لهذه الرقعة التى نزلها مِهران وعسكره ؟ قال : شُوميا — وذلك فى رمضان — فنادى فى الناس : انهدوا لعدوّكم ، فتناهدوا ، وقد كان المثنّى عَبَّى جيشه ، فجعل على مجنِّبتيه مذعورًا والنُّسَير ، وعلى المجرّدة عاصمًا ، وعلى الطلائع عِصْمة ، واصطفّ الفريقان ؛ وقام المثنّى فيهم خطيبًا ؛ فقال : إنكم صُوّام ؛ والصوم مَرَقَّة ومَضعفة ؛ وإنّى أرى من الرأى أن تُفطِروا ثم تقوَوْا بالطعام على قتال عدوّكم . قالوا : نعم ، فأفطروا ؛ فأبصر رجلا يستوفز ويستنتِل[2] من الصّفّ ، فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممّن فرّ من

---

(١) ابن حبيش : « وكتابه » . (٢) استوفز : تهيأ . واستنتل : تقدم .

الزّحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرّمح ، وقال : لا أبالك ! الزَمْ موقفَك ، فإذا أتاك قِرنك فأغْنِه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال : إنى بذلك لَجدير ، فاستقرّ ولزم الصفّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى إسحاق الشيبانىّ بمثله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن عطيّة . وعن سفيان الأحمرىّ ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، قالا : قال عمر حين استجمّ [1] جَمْعُ بجيلة : اتّخذونا طريقًا ، فخرج سَرَوات بَجيلة ووفدُهم نحوه ، وخلّفوا الجمهور ، فقال : أىّ الوجوه أحبّ إليكم ؟ قالوا : الشأم فإنّ أسلافنا بها ، فقال : بل العراق ؛ فإنّ الشأم [2] فى كفاية ؛ فلم يزل بهم ، ويأبوْن عليه حتى عزم على ذلك ؛ وجعل لهم ربع خُمس ما أفاء الله على المسلمين إلى نصيبهم من الفىء ، فاستعمل عَرْفجة على مَن كان مقيمًا على جَديلة من بَجيلة ، وجريرا على مَن كان من بنى عامر وغيرهم ؛ وقد كان أبو بكر ولّاه قتالَ أهل عُمان فى نفر ، وأقفله حين غزا فى البحر ، فولّاه عمر عُظْم بَجيلة ، وقال : اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين : اسمعوا لجرير ، فقال جرير لبَجيلة : تُقِرّونَ بهذا — وقد كانت بَجيلة غضبت على عَرْفجة فى امرأة منهم — وقد أدخل علينا ما أدخل ! فاجتمعوا فأتوا عُمر ، فقالوا : أعْفِنا من عَرْفجة ؛ فقال : لا أعفيكم من أقدمِكم هجرةً وإسلامًا ، وأعظمكم بلاءً وإحسانًا ، قالوا : استعمل علينا رجلاً منّا ، ولا تستعمل علينا نزيعًا فينا ، فظنّ عمر أنّهم يَنفُونه من نسبه ، فقال : انظروا ما تقولون! قالوا : نقول ما تسمع ؛ فأرسل إلى عرفجةَ ، فقال : إنّ هؤلاء استعفوْنى منك ، وزعموا أنّك لست منهم ، فما عندك ؟ قال : صدقوا ؛ وما يسُرّنى أنى منهم . أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، فى كَهْف لا يُحْصَى عدده ، وحَسَب غير مُؤتَشَب [3] . فقال عمر : نِعْمَ الحىُّ الأزد ! يأخذون نصيبَهم من الخير والشرّ . قال عرفجة : إنه كان من شأنى أنّ الشرّ تفاقم فينا ، ودارُنا واحدة ؛

١/٢١٨٦

(١) ابن حبيش : « استتم » . (٢) ز : « أهل الشام » .

(٣) غير مؤتشب ؛ أى مخلوط غير صريح فى نسبه .

فأصبنا الدّماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لمّا خفتهم ، فكنت فى ١/٢١٨٧
هؤلاء أسودُهم وأقودُهم ، فحفظوا علىّ لأمر دار بينى وبين دهاقينهم ،
فحسدونى وكفرونى . فقال : لا يضرّك فاعتزلهم إذْ كرهوك . واستعمل
جريرًا مكانه ، وجمع له بجيلة ، وأرى جريرًا وبجيلة أنّه يبعث عرْفجة
إلى الشأم ، فحبّب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير فى قومه ممدًّا للمثنّى
ابن حارثة ، حتّى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتّى إذا كان بالجُلّ والمثنّى
بمرْج السِّباخ ، أتى المثنّى الخبرُ عن حديث بشير وهو بالحيرة ؛ أنّ الأعاجم
قد بعثوا مهران ، ونهض من المدائن شاخصًا نحو الحيرة . فأرسل المثنّى إلى
جرير وإلى عصمة بالحثّ ، وقد كان عهد إليهم عمر ألاّ يعبروا بحرًا
ولا جسرًا إلاّ بعد ظفر ، فاجتمعوا بالبُوَيب ، فاجتمع العسكران على شاطىء
البُوَيب الشرقىّ ، وكان البويب مَغيضًا للفرات أيام المدود ، أزمانَ فارس ،
يصبّ فى الجوف ، والمشركون بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السَّكون .

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شُعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ،
عن عطيّة والمجالد بإسنادهما ، قالا : وقدما على عُمر غُزاة بنى كنانة والأزْد فى
سبعمائة جميعًا ، فقال : أىّ الوجوه أحبّ إليكم ؟ قالوا : الشأم ، أسلافنا
أسلافنا ! فقال : ذلك قد كُفيتموه ؛ العراقَ العراقَ ! ذَرُوا بلدة قد قلّل الله
شوكتها وعددَها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حوَوْا فنون العيش ، لعلّ الله أن ١/٢١٨٨
يورثكم بقسْطكم من ذلك فتعيشوا مع مَن عاش من الناس . فقال
غالب بن عبد الله الليثىّ وعرفجة البارقىّ ، كلّ واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم :
يا عشيرتاه ! أجيبوا أميرَ المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يُسكِنكم . قالوا :
إنّا قد أطعناك وأجبنا أميرَ المؤمنين إلى ما رأى وأراد . فدعا لهم عمر بخير
وقاله لهم ، وأمّر على بنى كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه ، وأمّر على الأزْد
عرْفجة بن هرْثمة وعامّتهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرْفجة إليهم .
فخرج هذا فى قومه ، وهذا فى قومه ، حتّى قدما على المثنّى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

---

(١) ط : « فلان » .

بإسنادهما ، قالا : وخرج هلال بن عُلَّفة التيميّ فيمن اجتمع إليه من الرِّباب حتى أتى عمر ، فأمَّره عليهم وسرَّحه ، فقدِم على المثنّى وخرج ابن المثنّى الجُشَمِيّ ؛ جُشَم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجَّهه وأمَّره على بنى سعد ، فقدم على المثنّى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ وعطية بإسنادهما ، قالا : وجاء عبد الله بن ذى السَّهْمَيْن فى أناس من خَثْعم ، فأمَّره عليهم ووجَّهه إلى المثنّى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالا : وجاء رِبْعِىّ فى أناس من بنى حنظلة ، فأمَّره عليهم وسرَّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنّى ، فرأس بعده ابنه شَبَث بن رِبْعِىّ ، وقدم عليه أناسٌ من بنى عمرو ، فأمَّر عليهم رِبْعِىّ بن عامر بن خالد العَنُود ، وألحقه بالمثنّى ، وقدم عليه قومٌ من بنى ضبَّة ، فجعلهم فرقتيْن ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهَوْبَر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسَّان ، وقدم عليه قُرْط بن جمَّاح فى عبد القيس ، فوجَّهه . وقالوا جميعًا : اجتمع الفيرزان ورستَم على أن يبعثا مِهْران لقتال المثنّى واستأذنا بُوران — وكانا إذا أرادا شيئًا دنَوَا من حجابها حتى يكلّماها به — فقالا بالذى رأيا وأخبراها بعدد الجيش — وكانت فارس لا تُكثِر[1] البعوث ؛ حتى كان من أمر العرب ما كان — فلمَّا أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت : ما بالُ أهلِ فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم ؟ ومالكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم ! قالا : إنّ الهيبة كانت مع عدوّنا يومئذ ، وإنها فينا اليوم ؛ فالأتْهما وعرفت ما جاءاها به ، فمضى مِهْران فى جنده حتى نزلَ من دون الفرات والمثنّى وجنده على شاطئ الفرات ؛ والفرات بينهما ؛ وقدم أنس بن هلال النَّمَرِىّ ممدًّا للمثنّى فى أناس من النَّمِر نصارى وجلاّب جلبوا خيلا ، وقدم ابن مِرْدَى الفِهْرِىّ التغلبىّ فى أناس من بنى تَغْلِب نصارى وجلاّب جلبوا خيلا — وهو عبد الله بن كُلَيْب بن خالد — وقالوا حين رأوا نزولَ العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مِهران : إمَّا أن تعبُروا

١/٢١٨٩

١/٢١٩٠

(١) كذا فى س ، وفى ط : « لا يكثرون » .

إلينا ، وإمّا أن نعبُر إليكم ، فقال المسلمون : اعبُروا إلينا ، فارتحلوا من بَسُوسْيا إلى شُوميا ، وهى موضع دار الرِّزق .

كتب إلىَّ السَّرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفِّز ، عن أبيه ، أنّ العَجم لمّا أذِن لهم فى العبور نزلوا شوميا موضع دار الرّزق ، فتعبَّوْا هنالك ؛ فأقبلوا إلى المسلمين فى صُفوف ثلاثة مع كلّ صفّ فيل ، ورَجْلُهم أمام فيلهم ، وجاءوا ولهم زَجَل . فقال المثنّى للمسلمين : إنّ الّذى تسمعون فَشَلٌ ، فالزموا الصَّمْت وائتمِروا هَمْسًا . فدنوا من المسلمين وجاءوهم من قِبَل نهر بنى سُليم نحو موضع نهر بنى سُلَيم ، فلمّا دنوا زحفوا ، وصُفّ المسلمين فيما بين نهر بنى سليم اليوم وما وراءها . ١/٢١٩١

كتب إلىَّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة ، قالا : وكان على مجنّبتَى المثنّى بشير وبُسْر بن أبى رُهْم ، وعلى مجرّدته المُعنّى ، وعلى الرَّجْل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النُّسَيْر ، وعلى الرّدء مذعور ؛ وكان على مجنّبتى مِهران ابنُ الآزاذبه مرزُبان الحيرة ومَرْدانْشاه . ولمّا خرج المثنّى طاف فى صفوفه يعهد إليهم عهدَه ، وهو على فرسه الشَّمُوس — وكان يُدعَى الشَّموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبه قاتَل ؛ وكان لا يركبه إلاّ لقتال ويدَعُه ما لم يكن قتال — فوقف على الرّايات رايةً رايةً يحضّضهم ، ويأمرهم بأمرِه ، ويهزّهم بأحسن ما فيهم ، تحضيضًا لهم ، ولكلّهم يقول : إنّى لأرجو ألاّ تُؤتَى العرب اليوم من قِبَلكم ؛ والله ما يُسرّنى اليوم لنفسى شىء إلاّ وهو يسرّنى لعامّتكم ؛ فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنّى فى القول والفعل ، وخالَط النّاس فى المكروه والمحبوب ؛ فلم يستطع أحدٌ منهم أن يعيب له قولا ولا عملا . ثم قال : إنّى مكبّر ثلاثًا فتهيّئوا ؛ ثم احملوا مع الرابعة ، فلمّا كبّر أوّل تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أوّل تكبيرة ؛ وركدت حَرْبُهم مَليًّا ، فرأى المثنّى خللاً فى بعض صُفوفه ، فأرسل إليهم رجلا ، وقال : إنّ الأمير يقرأ عليكم السّلام ، ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا : نعم ، واعتدلوا ، ١/٢١٩٢ وجعلوا قبل ذلك يروْنه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ؛ فاعتنوْا بأمر لم يجئ به

أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فرأوه يضحك فَرَحًا والقوم بنو عِجْل[١].
فلمّا طال القتالُ واشتدّ ، عمَد المثنّى إلى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس ، إنّك امرؤ عربىّ ، وإن لم تكن على ديننا ؛ فإذا رأيتَنى قد حملت على مِهران فاحمِل معى ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْر مثلَ ذلك فأجابه . فحمل المثنّى على مِهران ؛ فأزاله حتى دخل فى ميمنته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنّبات تقتَتِل[٢] ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ، لا المشركون ولا المسلمون ، وارتُثّ مسعود يومئذ وقُوّاد من المسلمين ؛ وقد كان قال لهم : إن رأيتمونا أصبنا فلا تَدَعوا ما أنتم فيه ؛ فإنّ الجيش ينكشف ثم ينصرف ؛ الزموا مصافَّكم ، وأغْنُوا غَناء مَن يليكم . وأوجع قلب المسلمين فى قلْب المشركين ، وقَتَل غلام من التغلبيّين نصرانىّ مِهرانَ واستوى على فرسه ، فجعل المثنّى سلبه لصاحب خَيْله ؛ وكذلك إذا كان المشرك فى خيل رجل فقتل وسلب فهو للذى هو أمير على مَن قتل ؛ وكان له قائدان : أحدهما جَرير والآخر ابن الهوبر ؛ فاقتسما سلاحَه .

١/٢١٩٣ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفِّز ، عن أبيه محفِّز بن ثعلبة ؛ قال : جلَب فتية من بنى تغلب أفراسًا ، فلمّا التقى الزّحفان يوم البُوَيب ، قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم مِهران يومئذ ، ومِهران على فرس له وَرْد مجفَّف بتِجْفاف أصفر ، بين عينيه هلالٌ ، وعلى ذَنَبه أهِلّة من شَبَه ، فاستوى على فرسه ، ثم انتمى : أنا الغلام التغلبىّ ، أنا قتلتُ المرزبان ! فأتاه جرير وابن الهوبر فى قومهما فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، أن جريرًا والمنذر اشتركا فيه فاختصما فى سلاحه ، فتقاضيا إلى المثنّى ، فجعل سلاحه بينهما والمِنْطقة والسوارين بينهما ، وأفنَوا قلْبَ المشركين .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى رَوْق ، قال :

---

(١) ز : « بين عجل وما وراءها » . (٢) ز وابن الأثير : « تقتل » .

والله إنْ كنَّا لنأتى البُويب ، فنرى فيما بين موضع السَّكون وبنى سُلَيم عظامًا بيضًا تلولاً تلوح من هامِهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدّثنى بعض مَنْ شهدها أنَّهم كانوا يحزُرونها مائة ألف ، وما عُفِى عليها حتّى دفنها أدْفان البيوت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ قالا : وقف المثنّى عند ارتفاع الغُبار ؛ حتّى أسفر الغبار ، وقد فنِىَ قلب المشركين ، والمجنَّبات قد هزّ بعضها بعضًا ، فلمّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهلَه ، ١/ ٢١٩٤ قويت المجنَّبات — مجنَّبات المسلمين — على المشركين ، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنّى والمسلمون فى القلْب يدعُون لهم بالنَّصر ، ويرسل عليهم مَنْ يذمُرهم ، ويقول : إنّ المثنّى يقول : عاداتكم فى أمثالهم ؛ انصروا الله ينصركم ؛ حتّى هزموا القوم ، فسابقهم المثنّى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطئ الفرات مصعِّدين ومصوّبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلُوهم ، ثمّ جعلوهم جُثًا[1] ؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبقى رِمَّةً منها . ولما ارتُثّ مسعود بن حارثة يومئذ — وكان صُرِع قبل الهزيمة ، فتضعضع مَن معه ، فرأى ذلك وهو دَنِف — قال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايتَكم ، رفعكم الله ! لا يهولنَّكم مَصْرعِى . وقاتل أنس بن هلال النمَرِىّ يومئذ حتى ارتُثّ ، ارتثّه للمثنّى ، وضمَّه وضمّ مسعودًا إليه . وقاتل قُرْط بن جَمَّاح العبدىّ يومئذ حتى دقّ قنًا[2] ، وقطع أسيافًا . وقتل شَهْربراز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهران .

قال : ولما فرغوا جلس المثنّى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلَّما جاء رجل فتحدّث قال له : أخبرْنى عنك ؛ فقال له قُرْط بن جمّاح : قتلتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلتُ : مِهران ، ورجوت أن يكون إيّاه ، ١/ ٢١٩٥ فإذا هو صاحب الخيل شَهْربراز ؛ فوالله ما رأيتُه إذ لم يكن مِهران شيئًا .

فقال المثنّى : قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهليَّة والإسلام ؛ والله لمائة من العجم فى الجاهليَّة كانوا أشدّ علىّ من ألف من العرب ، ولمائة اليومَ من العرب

(١) جثًا : أكوامًا .

(٢) القنا : الرماح ، ودقها : كسرها .

أشدّ عليّ من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصدوقتهم ، ووهّن كيدَهم ؛ فلا يروعنّكم زُهاء[1] ترونه ، ولا سواد ولا قِسِيّ فُجّ[2] ، ولا نبال طوال ، فإنّهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها ، كالبهائم أينما وجّهتموها اتّجهت .

وقال رِبْعيّ وهو يحدّث المثنّى : لمّا رأيتُ ركود الحرب واحتدامها ، قلتُ : تترّسوا[3] بالمجانّ ، فإنهم شادّون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتين وأنا زعيم لكم بالظفر فى الثالثة ؛ فأجابونى والله ؛ فوفّى اللهُ كفالتى .

وقال ابن ذى السّهمين محدّثًا : قلت لأصحابى : إنّى سمعت الأميرَ يقرأ ويذكر فى قراءته الرّعب[4] ؛ فما ذكره إلا لفضل عنده ؛ اقتدوا برايتكم ، وليَحْمِ راجلَكم خيلُكم ، ثم احملوا ، فما لقول الله من خُلْف ؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت .

وقال عَرْفجة محدّثا : حُزْنا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوتُ أن يكون الله تعالى قد أذن فى غَرَقهم وسلّى عنّا بها مصيبة الجسر ، فلمّا دخلوا فى حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالا شديدًا حتى قال بعض قومى : لو أخّرتَ رايتك ! فقلت : علىّ إقدامُها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلتُه ، فولّوْا نحو الفُرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الرّوح .

١/٢١٩٦

وقال رِبْعِيّ بن عامر بن خالد : كنت مع أبى يوم البُويب — قال وسُمِّىَ البُويب يوم الأعشار — أحصِي مائة رجل ، قَتَل كلّ رجل منهم عشرة فى المعركة يومئذ ، وكان عُرْوة بن زيد الخيل من أصحاب التّسعة ، وغالب فى بنى كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة فى الأزْد من أصحاب التسعة .

وقتِل المشركون فيما بين السّكون اليوم إلى شاطئ الفرات ، ضفّة البويب الشرقيّة ؛ وذلك أنّ المثنّى بادرهم عند الهزيمة الجسرَ ، فأخذه عليهم ، فأخذوا يَمْنة ويَسْرة ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى اللّيل ، وندم المثنّى على أخذه بالجسر ، وقال : لقد عجزتُ عجزة وَقَى الله شرّها بمسابقتى إيّاهم إلى الجسر وقَطْعه ؛ حتى أحرجتُهم ؛ فإنى غير عائد ؛ فلا تعودوا

(١) الزهاء : العدد .

(٢) يقال : قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها .

(٣) تترس : تستر بالترس . (٤) ابن حبيش : « الزحف »

ولا تقتدوا بى أيّها الناس ، فإنها كانت منّى زلّة لا ينبغى إحراج أحد إلاّ مَن لا يقوى على امتناع . ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد ابن هلال ومسعود بن حارثة ، فصلّى عليهم المثنّى ، وقدّمهم على الأسنان والقرآن ؛ وقال : والله إنّه ليُهوّن علىّ وجْدى أن شهدوا البُويب ، أقدَموا وصَبَرُوا ، ولم يجزَعوا ولم ينكلوا ، وإن كان فى الشهادة كفّارة لِتجوّز الذنوب . ١/٢١٩٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقد كان المثنّى وعصمة وجرير أصابُوا فى أيّام البُويب على الظَّهر نُزُل مِهْران غنمًا ودقيقًا وبقرًا ، فبعثوا بها إلى عيالات مَن قدم من المدينة وقد خلّفوهنّ بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيّام قبلَهم ؛ وهم بالحيرة . وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الّذين بالقوادس عَمْرو بن عبد المسيح بن بُقَيلة ، فلمّا رُفِعوا للنسوة فرأين الخيلَ ، تصايحن وحسبنها غارةً ، فقمْنَ دون الصبيان بالحجارة والعُمُد ، فقال عمرو : هكذا ينبغى لنساء هذا الجيش ! وبشّروهنّ بالفتح ، وقالوا : هذا أوّله ، وعلى الخيل التى أتتهم بالنُّزل النُّسَيْر ؛ وأقام فى خيله حاميةً لهم ، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة . وقال المثنّى يومئذ : من يتبع الناس حتّى ينتهى إلى السِّيب ؟ فقام جرير بن عبد الله فى قومه ، فقال : يا معشر بَجيلة ، إنّكم وجميع مَن شهد هذا اليوم فى السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم فى هذا الخُمس غدًا من النَّفَل مثل الذى لكم منه ؛ ولكم رُبع خمسه نفَلا من أمير المؤمنين ؛ فلا يكوننّ أحدٌ أسرعَ إلى هذا العدوّ ولا أشدّ عليه منكم للذى لكم منه ، ونيّة إلى ما ترجون[1] ؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن : الشهادة والجنّة أو الغنيمة والجنّة . ١/٢١٩٨

ومال المثنّى على الّذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنهزمة يوم الجسر ، ثم قال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه ! انتدبوا فى آثار هؤلاء القوم إلى السِّيب ، وابلغوا من عدوّكم ما تغيظونهم به ، فهو خيرٌ لكم وأعظَمُ أجرًا ؛ واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم .

(١) ز : « يرجون » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن علىّ بن محفِّز ، عن رجل من بَكْر بن وائل ، قال : كان أوّل الناس انتَدب يومئذ للمثنّى واتّبع آثارهم المستبسل وأصحابه ؛ وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدوّ من صفّ المسلمين واستوفز واستنتل[1]، فأمرَ المثنّى أنْ يُعقد لهم الجسر؛ ثم أخرجهم فى آثارِ للقوم ، واتّبعتهم بَجيلة وخيولٌ من المسلمين تُغِذّ[2] من كلّ فارس ، فانطلقوا فى طلبهم حتى بلغوا السَّيْب ، ولم يبقَ فى العسكر جسرىّ إلاّ خرج فى الخيل ، فأصابوا من البقر والسَّبى وسائر الغنائم شيئًا كثيرًا فقسمه المثنّى عليهم ، وفضّل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونفَّل بَجيلة يومئذ ربعَ الخمس بينهم بالسويّة ، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ، وألقى الله الرُّعب فى قلوب أهلِ فارس . وكتب القُوّاد الذين قادوا النّاس فى الطَّلب إلى المثنّى ، وكتب عاصم وعصمة وجرير : إنّ الله عزّ وجلّ قد سلّم وكفى ، ووجّه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شىء ؛ فتأذن لنا فى الإقدام ! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصّن أهلُ ساباط منهم واستباحوا القُرَيّات دونها ؛ وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أوّل مَن دخل حصنهم ثلاثة قُوّاد : عصمة ، وعاصم ، وجرير ؛ وقد تبعهم أوزاعٌ من الناس كلّهم . ثم انكفئوا[3] راجعين إلى المثنّى .

١ / ٢١٩٩

كتبَ إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال : لمّا أهلك الله مِهران استمكن المسلمون من الغارة على السَّواد فيما بينهم وبين دجلة فمَخروها ، لا يخافون كيدًا ، ولا يلقوْن فيها مانعًا ، وانتقضت مسالح العجم ، فرجعت إليهم ؛ واعتصموا بساباط ، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة .

وكانت وقعة البُوَيب فى رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مِهْران وجيشه ، وأفعموا جنبتى البُوَيب عظامًا ، حتى استوى وما عفّى عليها إلاّ التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شىء إلاّ وقعوا منها على شىء ؛ وهو ما بين السَّكون ومُرْهِبة وبنى سُليم ؛ وكان مَغيضًا للفرات أزمان الأكاسرة يصبّ فى الجَوْف . وقال الأعور العَبْدىّ الشَّنّىّ :

---

(١) استنتل للأمر : استعد . (٢) ز : « تعدو » . (٣) ز : « انكفوا » .

هاجَتْ لِأعْوَرَ دارُ الحيِّ أحْزانَا واستَبْدَلَتْ بَعْدَ عبد القَيْس خَفّانا ١ / ٢٢٠٠

وقد أرانا بها والشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إذ بالنُّخَيْلَة قَتْلَى جُنْدِ مِهْرانا

أزْمانَ سار المُثَنَّى بالخيــــول لَهُمْ فقَتَّلَ الزَّحْفُ من فُرْسٍ وجِيلانا

سما لِمِهْرَانَ والجيشِ الّذى معه حتى أبَادَهُمُ مَثْنَى ووُحْـــدانا

قال أبو جعفر : وأمّا ابن إسحاق ، فإنه قال فى أمر جرير وعرفجة والمثنّى وقتال المثنّى مِهرانَ غير ما قصّ سيف من أخبارهم ؛ والذى قال فى أمرِهم ما حدّثنا محمد بن حُمَيد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لمّا انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبةُ أصحاب الجسر ، وقدم عليه فَلُّهم ؛ قدِم عليه جرير بن عبد الله البجَلىّ من اليمن فى ركب من بَجِيلة ، وعَرْفجة بن هرثمة — وكان عرفجة يومئذ سيّد بَجيلة ، وكان حليفًا لهم من الأزْد — فكلّمهم عمر ، فقال لهم : إنّكم قد علمتم ما كان من المصيبة فى إخوانكم بالعراق ؛ فسيروا إليهم وأنا أخرِج إليكم مَن كان منكم فى قبائل العرب فأجمعهم إليكم . قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين ، فأخرج لهم قَيْسَ كُبَّةَ وسُحْمة وعُرَينة ؛ وكانوا فى قبائل بنى عامر بن صعصعة ، وأمّرَ عليهم عرفجة بن هَرْثمة ، فغضب من ذلك جَرير بن عبد الله البَجَلىّ ، فقال ١ / ٢٢٠١ لبَجيلة : كلّموا أميرَ المؤمنين ، فقالوا له : استعملت علينا رجلاً ليس منّا ، فأرسل إلى عَرفجة ، فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، لستُ منهم ، ولكنّى رجل من الأزْد ، كنّا أصبنا فى الجاهليّة دمًا فى قومنا ، فلحقْنا بَجيلة[1] ، فبلغنا فيهم من السؤدد مَا بلغك . فقال له عمر : فاثبت على منزلتك ، ودافعهم كما يدافعونك . قال : لستُ فاعلاً ولا سائرًا معهم ؛ فسار عرفجة إلى البَصْرة بعد أن نُزلت ، وترك بَجيلة ، وأمّر عمر على بَجيلة جرير بن عبد الله ، فسار بهم مكانه إلى الكوفة ، وضمّ إليه عمر قومَه من بَجيلة ، فأقبل جرير حتى إذا مرّ قريبًا من المثنّى بن حارثة ، كتب إليه المثنّى أن أقْبلْ إلىّ ، فإنما أنت مَدَدٌ لى . فكتب إليه جرير : إنّى لست فاعلا إلاّ أن يأمرنى بذلك أمير المؤمنين ؛ أنت أمير وأنا أمير .

---

(١) ابن حبيش : « ببجيلة » .

ثم سار جرير نحوَ الجسر ، فلقيَه مهران بن باذان — وكان من عظماء فارس — عند النُّخَيْلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتتلا قتالا شديداً ، وشدّ المنذر بن حسّان بن ضِرار الضّبّيّ على مِهران فطعَنه ، فوقع عن دابّته ، فاقتحم عليه جرير فاحتزّ رأسَه ، فاختصما فى سَلَبه ، ثم اصطلحا فيه ؛ فأخذ جَرير السِّلاح ، وأخذ المنذر بن حسّان منطقته .

قال : وحُدّثتُ أنّ مهران لمّا لقِى جريرًا قال :

إن تسألوا عنّى فإنى مِهْرانْ أنا لِمَنْ أنْكَرَنى ابنُ باذانْ

قال : فأنكرتُ ذلك حتى حدّثنى من لا أتّهم من أهل العلم أنه كان عربيًّا نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملا[1] لكسرى . قال : فلم أنكر ذلك حين بلغنى . ١ / ٢٢٠٢

وكتب المثنّى إلى عمر يَمْحَل[2] بجرير ، فكتب عمر إلى المثنّى : إنّى لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وسلّم — يعنى جريراً . وقد وجّه عمر سعد بن أبى وقّاص إلى العراق فى ستة آلاف ، أمّره عليهم ؛ وكتب إلى المثنّى وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبى وقّاص ، وأمّر سعدًا عليهما ؛ فسار سعد حتى نزل شَرَاف ، وسار المثنّى وجرير حتى نزلا عليه ، فشتا بها سعد ، واجتمع إليه الناس ، ومات المثنّى بن حارثة رحمه الله .

* * *

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف . كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ومخر المثنّى السّواد وخلّف بالحيرة بشيرَ بن الخصاصيّة ، وأرسل جريرًا إلى مَيْسان ، وهلال بن عُلّفة التّيْمىّ إلى دَسْت ميسان ، وأذكى المسالح بعصمة بن فلان الضبىّ

(١) ن : « غلاما » . (٢) يمحل به ، أى يعرض .

وبالكَلَج الضّبي وبعرفجة البارقىّ ؛ وأمثالهم فى قوّاد المسلمين ؛ فبدأ فنزل ألّيْس – قرية من قُرى الأنبار – وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة ؛ وغزاة ألّيس الآخرة ، وألزّ[1] رجلان بالمثنّى : أحدهما أنبارىّ، والآخر حيرىّ[2] يدلّه كلّ واحد منهما على سوق ، فأما الأنبارى فدلّه على الخَنَافس ، وأمّا الحيرىّ فدلّه على بغداد . فقال المثنّى : أيّتُهما قبل صاحبتها ؟ فقالوا : بينهما أيّام ، قال : أيّهما أعجل؟ قالوا : سوق الخنافس سوق يتوافى إليها الناس ، ويجتمع بها[3] ربيعة وقضاعة يخفرونهم . فاستعدّ لها المثنّى ؛ حتى إذا ظنّ أنه مُوافيها يوم سوقها ركب نحوهم ، فأغار على الخنَافس يوم سُوقها ؛ وبها خَيْلان من ربيعة وقضاعة ، وعلى قضاعة رُومانس بن وَبَرَة ، وعلى ربيعة السَّليل بن قيس وهم الخُفراء ، فانتسف السّوق وما فيها ، وسَلَب الخفراء ، ثم رجع عَوْدَه على بدْئه حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقًا فى أوّل النهار يومَه ، فتحصّنوا منه ، فلمّا عرفوه نزلُوا إليه فأتوْه بالأعلاف والزاد ؛ وأتوْه بالأدلاّء على بغداد ؛ فكان وجهُه إلى سوق بغْداد ، فصبّحهم والمسلمون يمخرون السّواد والمثنّى بالأنبار ، ويَشنُّون الغارات فيما بين أسفل كَسْكر وأسفل الفرات وجسور مِثْقَب إلى عين التّمر وما والاها من الأرض فى أرض الفلاليج والعال .

١ / ٢٢٠٣

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفِّز ، عن أبيه ، قال : قال رجلٌ من أهل الحيرة للمثنّى : ألا ندلّك على قرية يأتيها تجّار مدائن كسرى والسّواد ، وتجتمع بها فى كلّ سنة مرّة ومعهم فيها الأموال ؛ كبيت المال ؛ وهذه أيام سوقهم ، فإن أنت قدرت أن تُغيرَ عليهم وهم لا يشعرون أصبتَ فيها مالاً[4] يكونُ غِنَاء للمسلمين ؛ وقَوُوا به على عدوّهم دهرَهم ؛ قال : وكم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم أو عامّة يوم ، قال : فكيف لى بها ؟ قالوا : نأمرك إنْ أردتَها أن تأخذ طريق البرّ ،

١ / ٢٢٠٤

(١) ألزا به : لصقا . (٢) ز : « جسرى » .

(٣) ابن حبيش : « إليها » . (٤) ابن حبيش : « بها أموالا » .

حتى تنتهيَ إلى الخنافس، فإنّ أهل الأنبار سيضربون إليها ، ويخبرون عنك فيأمنون ، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدّهاقين بالأدلاّء ، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيَهم صُبحًا فتُصبّحهم غارةً .

فخرج من ألّيس حتى أتى الخنافس ، ثم عاج حتى رجع على الأنبار ، فلمّا أحسّه صاحبها تحصّن وهو لا يدرى من هو ؛ وذلك ليلا ؛ فلمّا عرفه نزل إليه فأطمعه المثنّى ، وخوّفه واستكتمه ، وقال : إنّى أريدُ أن أغيرَ فابعثْ معى الأدلاّء إلى بغداد ، حتى أغير منها إلى المدائن . قال : أنا أجىء معك ، قال : لا أريد أن تجىء معى ، ولكن ابعث معى مَن هو أدلُّ منك ، فزوّدهم الأطعمة والأعلاف ، وبعث معهم الأدلّة ، فساروا حتى إذا كانوا بالنّصف ، قال لهم المثنّى : كم بينى وبين هذه القرية ؟ قالوا : أربعة أو خمسة فراسخ . فقال لأصحابه : مَن ينتدب للحرَس ؟ فانتدب له قومٌ فقال لهم : أذكُوا حرسَكم ، ونزل ، وقال : أيّها الناس ، أقيموا واطعَموا وتوضّئوا وتهيّئوا . وبعث الطلائع فحبسوا النّاس ليسبقوا الأخبار ، فلمّا فرغوا أسرى إليهم آخر الليل ، فعبر إليهم ، فصبّحهم فى أسواقهم ، فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذوا ما شاءوا ، وقال المثنّى : لا تأخذوا إلاّ الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلاّ ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابّته . وهرب أهلُ الأسواق ، وملأ المسلمون أيديَهم من الصفراء والبيضاء والحُرّ من كلّ شىء ، ثم خرج كارًّا حتى نزل بنهر السَّيْلحين بالأنبار ؛ فنزل وخطب الناس ، وقال : أيّها الناس ، انزلوا وقَضُّوا أوطاركم ، وتأهّبوا للسَّير ، واحمَدوا الله وسلُوه العافية ، ثم انكشفوا قبيضًا[1] . ففعلوا ، فسمع همسًا فيما بينهم : ما أسرع القومَ فى طلبنا ! فقال : تناجَوْا بالبرّ والتقوى ولا تتناجَوْا بالإثم والعدوان ، انظروا فى الأمور وقدّروها ثم تكلّموا ؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ؛ ولو بلغهم لحال الرُّعب بينهم وبين طلبكم . إن للغارات رَوْعات تنتشر عليها يومًا إلى الليل ، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم ؛ وأنتم على العِراب[2] حتى تنتهوا إلى

١ / ٢٢٠٥

(١) قبيضا ، أى سريعاً .

(٢) العراب : الخيل السليمة من الهجنة .

عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ورجاء النصر ؛ فثقوا بالله وأحسنوا به الظنّ ، فقد نصركم الله فى مواطن كثيرة وهم أعدّ منكم ؛ وسأخبركم عنّى وعن انكماشى والذى أريد بذلك ؛ إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أوصانا أن نقلّل العُرْجة[1] ، ونسرع الكرّة فى الغارات ، ونسرع فى غير ذلك الأوْبَة . وأقبل بهم ومعهم أدلاّء وهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار ؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار ؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان موعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبّون . ١ / ٢٢٠٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمّا رجع المثنّى من بغداد إلى الأنبار سرّح المُضارِبَ العجلىّ وزيدا إلى الكَبَاث ، وعليه فارس العُناب التغلَبىّ ، ثمّ خرج فى آثارهم ، فقدم الرّجلان الكَبَاث ، وقد ارفضّوا وأخلوا الكَبَاث ، وكان أهله كلّهم من بنى تغلب ، فركبوا آثارَهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العُناب يحميهم ، فحماهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا فى أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنّى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فُرات بن حَيّان . فلما رجع المثنّى إلى الأنبار سرّح فُرات ابن حيّان وعُتَيبة بن النّهاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنّمِر بصفّين ، ثم اتّبعهما وخلّف على الناس عمرو بن أبى سُلمى الهُجَيمىّ ؛ فلمّا دنوا من صِفّين ، افترق المثنّى وفُرات وعُتيبة ، وفرّ أهل صِفّين وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، وتحصّنوا ، وأرمل[2] المثنّى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلاّ مالا بدّ منه فأكلوها حتى أخفافها وعظامها وجلودها . ثم أدركوا عِيرًا من أهل دِبَاف وحَوْران ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلب خفراء ، وأخذوا العير ؛ وكان ظهرًا فاضلاً ، وقال لهم : دلّونى ؛ فقال أحدهم : آمنونى على أهلِى ومَالى ، وأدلّكم على حَىّ من تغلب غدوت من عِندهم اليوم ؛ فآمَنه المثنّى وسارَ معه يومه ، حتى إذا كان العشىّ هجم على القوم ، فإذا النّعَم صادرة عن الماء ، وإذا القوم جُلوس بأفنية ١ / ٢٢٠٧

---

(١) العرجة : المقام . (٢) أى قل زادهم ، أو افتقدوه .

البيوت ، فبثّ غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرّية ؛ واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذى الرُّوَيْحلة ؛ فاشترى مَن كان بين المسلمين من ربيعة السَّبَايا بنصيبه من الفىء ، وأعتقوا سبْيَهم ؛ وكانت ربيعة لاتُسْبَى إذالعرب يتسابَوْن فى جاهليّتهم .

وأخبِر المثنّى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطّ[1] ؛ شاطئ دجْلة ، فخرج المثنَّى ، وعلى مقدّمته فى غزواته هذه بعد البُوَيب كلّها حُذيفة بن محصن الغلفانىّ ، وعلى مجنّبتيه النُّعمان بن عوف بن النعمان ومطَر الشيبانيان ، فسرّح فى أدبارهم حُذيفة واتّبعه ؛ فأدركوهم بتَكريت دُوينَها من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النَّعَم ، حتى أصاب الرجل خمسًا من النَّعم ، وخمسًا من السَّبْى ، وخُمس المال ؛ وجاء به حتى ينزل على النَّاس بالأنبار ؛ وقد مضى فُرات وعُتيبة فى وجوههما ؛ حتى أغاروا على صِفّين وبها النَّمِر وتَغْلِب متساندِين ، فأغاروا عليهم[2] حتى رموا بطائفة منهم فى الماء ، فناشدوهم فلم يقلِعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : الغرق الغرق ! وجعل عُتيبة وفرات يذمرُون النَّاس ، وينادونهم : تغريق بتحريق — يذكّرونهم يومًا من أيّامهم فى الجاهليّة أحرقوا فيه قومًا من بكْر بن وائل فى غَيْضة من الغياض — ثم انكفئوا راجعين إلى المثنَّى ، وقد غرّقوهم .

١/٢٢٠٨

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافَى بها البعوث والسرايا ، انْحدرَ بهم المثنَّى إلى الحيرة ، فنزل بها . وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون فى كلّ جيش ، فكتب إلى عمر بما كان فى تلك الغَزَاة ، وبلغه الذى قال عتيبة وفُرات يوم بنى تغلب والماء ؛ فبعث إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهليَّة ، فاستحلفهما ، فحلفا أنَّهما ما أرادا بذلك إلاّ المثل وإعزاز الإسلام ، فصدّقهما وردّهما حتى قدِما على المثنَّى .

* * *

(١) ابن حبيش : « الشاطئ » .

(٢) بعدها فى ابن حبش : « وبغتوا بهم فعصبوهم » .

ذكر الخبر عمّا هيّج أمر القادسيّة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نُويرة ، عن عزيز بن مِكنَف التميمىّ ثم الأسيْدىّ ، وطلحة بن الأعلم الحنفىّ، عن المغيرة بن عتيبة بن النّهاس العِجْلىّ ، وزياد بن سَرجس الأحمرىّ ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمرىّ ، قالوا جميعًا : قال أهلُ فارس لرُسْتم والفيرزان — وهما على أهل فارس : أين يُذهب بكما ! لم يبرح بكما الاختلاف حتى وهّنتما أهلَ فارس ، وأطمعتما فيهم عدوّهم ! وإنه لم يبلغ من خطركما أن يقرّكما فارس على هذا الرأى ، وأن تعرّضاها للهلَكة ؛ ما بعد بغداد وساباط وتَكريت إلا المدائن ؛ والله لتجتمعان أو لنبدأنّ بكما قبل أن يشمت بنا شامت . ‏١ / ٢٢٠٩

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف، عن عبيد الله بن محفّز ، عن أبيه ، قال : قال أهلُ فارس لرستم والمسلمون يمخرون السّواد : ما تنتظرون والله إلاّ أن يُنزلَ بنا ونهلك ! والله ما جرّ هذا الوَهَن علينا غيركم يا معاشر القوّاد ! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوّهم . والله لولا أنّ فى قتلكم هلاكنا لعجّلنا لكم القتل الساعة ، ولئن لم تنتهوا لنهلكنّكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فقال الفيرزان ورستم لبُوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساءَ كسرى وسراريّه ونساءَ آل كسرى وسراريّهم . ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم فى كتاب ، فأرسلوا فى طلبهنّ فلم يبق منهنّ امرأة إلا أتوْا بها ، فأخذوهنّ بالرجال ووضعوا عليهنّ العذاب يستدلونهنّ على ذَكَرٍ من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهنّ منهم أحد ، وقلن — أو من قال منهنّ : لم يبقَ إلاّ غلام يدعى يَزْدَجِرْد من ولد شَهْريار بن كسرى ، وأمّه من أهل بادوريا . فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته فى أيام شيرى حين جمعهنّ فى القصر ‏١ / ٢٢١٠

الأبيض ، فقتل الذّكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلّته إليهم فى زَبيل[١] فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتْهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فملّكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأنّت فارس واستوثقوا وتبارَى الرؤساء فى طاعته ومعونته فسمّى الجنود لكلّ مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمّى جند الحيرة والأنبار والمسالح والأبُلّة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يَزْدجِرد المثنّى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممّن بين ظهرانيهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كَفَر أهل السّواد ؛ مَن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنّى على حاميته حتى نزل بذى قار ، وتنزّل الناس بالطّفّ فى عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهرَى الأعاجم ، وتفرّقوا فى المياه التى تلى الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تَدَعُوا فى ربيعة أحدًا ولا مُضَر ولا حلفائهم أحدًا من أهل النَّجَدات ولا فارسًا إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعًا وإلاّ حشرتموه ، احملوا العرب على الجدّ إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوْا جِدّهم بجِدّكم .

١ / ٢٢١١

فنزل المثنّى بذى قار ، ونزل الناس بالجُلّ وشَراف إلى غُضَىّ — وغُضَىّ حيال البصرة — فكان جرير بن عبد الله بغُضَىّ وسَبْرة بن عمرو والعَنْبَرىّ ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا فى أمواه الطّفّ من أوّلها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويُغيث بعضهم بعضًا إن كان كون ، وذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدّثنا السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : كان أوّل ما عمل به عمر حين بلغه أنّ فارس قد ملّكوا يزدجرد ، أن كتب إلى عُمّال العَرب على الكُور والقبائل ، وذلك فى ذى الحجّة سنة ثلاث عشرة مُخرجَه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لا تَدَعَا

---

(١) الزبيل كأمير : الجراب أو الوعاء .

أحداً له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجّهتموه إلىّ ، والعَجَلَ العَجَلَ !

فمضت الرُّسل إلى مَن أرسلهم إليهم مخرجَه إلى الحجّ ، ووافاه أهلُ هذا الضّرب من القبائل التى طُرُقها على مكّة والمدينة ، فأمّا مَن كان من أهل المدينة على النّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجِعَه من الحجّ ، وأمّا مَن كان أسفلَ من ذلك فانضمّوا إلى المثنّى ، فأمّا مَنْ وافى عمر فإنّهم أخبروه عمّن وراءهم بالحثّ .

وقال أبو معشر ، فيما حدثنى الحارث ، عن ابن سعد ، عنه . وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عنه : الذى حجّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف . ١/ ٢٢١٢

وقد حدثنى المقدّمى[1] ، عن إسحاق الفَرْوىّ ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل عمرُ على الحجّ عبدَ الرحمن بن عَوْف فى السنة التى ولِىَ فيها ، فحجّ بالناس ، ثم حجّ سنيه كلّها بعد ذلك بنفسه .

وكان عامل عمر فى هذه السنة — على ما ذكر — على مكّة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص ، وعلى اليمن يَعْلَى بن مُنْية ، وعلى عُمان واليمامة حُذيفة بن مِحْصَن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمىّ ، وعلى الشأم أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرْج الكوفة وما فتح من أرضها المثنّى ابن حارثة .

وكان على القضاء — فيما ذُكِر — علىّ بن أبى طالب . وقيل : لم يكن لعمر فى أيامه قاضٍ .

(١) ط : « المقدى » ، وهو ابن المقدمى أبو عثمان ، وانظر ص ١٨٠ س ٢ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

[ذكر ابتداء أمر القادسيّة]

فى أوّل يوم من المحرّم سنة أربع عشرةَ — فيما كتب إلىّ به السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم — خرج عمر حتّى نزل على ماء يدعى صِرارًا ، فعسكر به ولا يدرى النّاس ما يريد ؛ أيسيرُ أم يقيم . وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شىء رموْه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ؛ وكان عثمان يُدعى فى إمارة عمر ردِيفًا — قالوا : والرّدِيف بلسان العرب [الرجل][1] الّذى بعد الرّجُل ، والعرب تقول ذلك للرجل الّذى يرجونه بعد رئيسهم[2]— وكانوا إذا لم يقدِر هذان على علم شىء ممّا يريدون ، ثلّثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر : ما بلغك؟ ما الذى تريدُ ؟ فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع النّاس إليه ، فأخبرهم الخبر . ثم نظر ما يقول النّاس ، فقال العامّة : سِرْ وسِرْ بنا معك ؛ فدخل معهم فى رأيهم ، وكره أن يَدَعهم حتى يُخرجهم منه فى رِفْق ، فقال : استعدّوا وأعِدّوا فإنّى سائر إلاّ أن يجىء رأى هو أمثل من ذلك[3]. ثم بعث إلى أهل الرأى ، فاجتمع إليه وجوه أصحابِ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأعلامُ العرب ، فقال : أحضِرونى الرّأىَ فإنى سائر . فاجتمعوا جميعًا ، وأجمع ملؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ويقيم ، ويرميه بالجنود ، فإن كان الّذى يشتهى من الفتح ، فهو الذى يريد ويريدون ؛ وإلاّ أعاد رجلا وندَب جندًا آخر ؛ وفى ذلك ما يغيظ العدوّ ، ويرعوى المسلمون ، ويجىء نصر الله بإنجاز موعود الله . فنادى عمر : الصلاة جامعة ، فاجتمع النّاس إليه ، وأرسل إلى علىّ عليه السلام ، وقد استخلفه على المدينة ، فأتاه ، وإلى طلحة وقد بعثه

١/٢٢١٣

---

(١) من ز .

(٢) اللسان : « أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم فى القيام بأمر المملكة ؛ بمنزلة الوزراء فى الإسلام ، واحدهم ردف ؛ والاسم الردافة » .

(٣) ز ، وابن الأثير : « هذا » .

على المقدّمة، فرجع إليه، و[جعل][1] على المجنّبتين الزّبير وعبدالرحمن بن عوف، فقام فى الناس فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد جمع على الإسلام أهلَه؛ فألّف بين القلوب، وجعلهم فيه إخوانًا، والمسلمون فيما بينهم كالجسَد لا يخلُو منه شىء من شىء أصاب غيره؛ وكذلك يَحِقّ على المسلمين أن يكونوا أمرُهم شورى بينهم وبين[2] ذوى الرّأى منهم؛ فالناس تبَعٌ لمَن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضُوا به لزِم النّاس وكانوا فيه تبعًا لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبعٌ لأولِى رأيهم ما رأوْا لهم ورضُوا به لهم من مكيدة فى حرْب كانوا فيه تبَعًا لهم. يأيّها النّاس، إنى إنّما كنت كرجل منكم حتى صرفنى[3] ذوو الرّأى منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرتُ هذا الأمر؛ مَنْ قدّمتُ ومَنْ خلّفتُ. وكان علىّ عليه السلام خليفتَه على المدينة، وطلحة على مقدّمته بالأعوص؛ فأحضرهما ذلك. ١ / ٢٢١٤

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لمّا انتهى قتلُ أبى عُبَيد ابن مسعود إلى عُمر، واجتماعُ أهلِ فارس على رجل من آل كسرى، نادى فى المهاجرين والأنصار؛ وخرجَ حتّى أتى صِرارًا، وقدّم طلحةَ بن عُبيد الله حتّى يأتىَ الأعوَص، وسمّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزّبير ابن العوّام، واستخلف عليًّا رضى الله عنه على المدينة، واستشار النّاسَ؛ فكلّهم أشار عليه بالسّير إلى فارس، ولم يكن استشار فى الّذى كان حتى نزل بصِرار ورجع طلحة، فاستشار ذوِى الرّأىِ، فكان طلحة ممّن تابع النّاس، وكان عبدالرحمن ممّن نهاه، فقال عبد الرحمن: فما فديتُ أحدًا بأبى وأمى بعد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا بأبى وأمّى، اجعل عَجزْها بى[4] وأقِم وابعث جندًا، فقد رأيت قضاء الله لك فى جنودك قبلُ وبعدُ، فإنه إن يُهزم[5] جيشُك ليس كهزيمتك؛ وإنّك إن تُقتل أو تُهزم ١ / ٢٢١٥

---

(١) من س. (٢) كذا فى س، وفى ط بحذف الواو. (٣) ز: «صدفنى».

(٤) ز: «لى». (٥) س: «انهزم».

فى أنف الأمر خشيتُ ألاْ يكبّر المسلمون وألاّ يشهدوا أن لا إله إلا الله أبدًا وهو فى ارتياد من رجل ؛ وأتى كتاب سعْد على حَفَف[1] مَشُورتهم ؛ وهو على بعض صَدقات نجْد ، فقال عمر : فأشيروا علىّ برجل ، فقال عبد الرحمن : وجدتُه ، قال : مَنْ هو ؟ قال: الأسد فى براثنه؛ سعد بن مالك ؛ ومالأه أولو الرأى .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْد بن ذَفْرَة[2] ، عن أبيه ، قال : كتب المثنّى إلى عُمر باجتماع فارس على يَزْدَجرد وببعوثهم ، وبحال أهل الذمّة . فكتب إليه عمر ؛ أن تَنَحَّ إلى البَرّ ، وادعُ مَن يليك ، وأقم منهم قريبًا على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيَك أمرى .

وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُّحوف ، وثار بهم أهل الذمّة ؛ فخرج المثنّى بالناس حتى ينزل الطّفّ ، ففرّقهم فيه من أوّله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَىّ إلى القُطْقُطانة مسالحَه ، وعادت مسالحُ كسرى وثغورُه ، واستقرّ أمرُ فارس وهم فى ذلك هائبون مُشْفِقون ، والمسلمون متدفّقون[3] قد ضَرُوا بهم كالأسد ينازَع فريستَه[4] ، ثم يعاود الكرّ[5] ؛ وأمراؤهم يكفكفونهم بِكتاب[6] عمر وأمداد المسلمين .

٢٢١٦/١ كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : قد كان أبو بكر استعمل سعدًا على صدقات هوازن بنجْد ، فأقرّه عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العمّال حين استنفر الناس أن ينتخب أهلَ الخيل والسّلاح ممّن له رأى ونجدة . فرجع إليه كتاب سعد بمَن جمع الله[7] له من ذلك الضرب ؛ فوافق عمرَ وقد استشارهم فى رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره .

---

(١) على حفف مشورتهم ، أى حين مشورتهم (٢) ط : « زفر » ، وانظر التصويبات .
(٣) ز ، س : « مندفقون » ، ابن حبيش : « يتدفقون » .
(٤) ز : « ضريبته » .
(٥) س : « الكرة » .
(٦) كذا فى ز ، س ، وفى ط : « لكتاب » .
(٧) ابن حبيش : « بمن جمع إليه » .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمّد وطلحة بإسنادهما، قالا : كان سعد بن أبي وقّاص على صَدَقات هوازن، فكتب إليه عمر فيمَن كتب إليه بانتخاب ذوي الرّأي والنّجدة ممّن كان له سلاح أو فرس، فجاءه كتاب سعد: إنّي قد انتخبت لك ألف فارس مُؤدٍ[1] كلّهم له نجدة ورأى، وصاحبُ حيطة يحوط حريم قومه، ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم ورأيُهُم، فشأنَك بهم. ووافق كتابُه مشورتهم، فقالوا: قد وجدْتَه، قال: فمن؟ قالوا: الأسد عادِيًا، قال: مَنْ؟ قالوا: سعد، فانتهى إلى قولهم فأرسل إليه، فقدم عليه، فأمّره على حرب العراق وأوصاه. فقال: يا سعد، سعد بَني وُهَيْب؛ لا يغرّنك من الله أن قيل خال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصاحب رسول الله؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يمحُو السيّئ بالسيّئ؛ ولكنّه يمحُو السيّئ بالحسن؛ فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب[2] إلّا طاعته[3]؛ فالنّاس شريفُهم ووضيعهم في ذات الله سواءٌ؛ الله ربّهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية، ويُدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمرَ الّذي رأيتَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عليه منذ بُعث إلى أن فارقَنا فالزمْهُ فإنّه الأمر. هذه عظتي إيّاك إن تركتها ورغبت عنها حَبِطَ عَمَلُك؛ وكنت من الخاسرين. ١ / ٢٢١٧

ولمّا أراد أن يسرّحه دعاه، فقال: إني قد ولّيتُك حرب العراق فاحفظ وصيّتي فإنّك تقدِم على أمر شديد كريه لا يخلّص منه إلّا الحقّ، فعوّد نفسك ومَن معك الخير، واستفتح به. واعلم أنّ لكلّ عادة عَتادًا، فعتاد الخير الصبر؛ فالصبرَ على ما أصابك أو نابك؛ يجتمع لك خشية الله. واعلم أنّ خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته؛ وإنّما أطاعه مَن أطاعه ببغض الدنيا وحبّ الآخرة، وعصاه مَن عصاه بحبّ الدنيا

---

(١) يقال: رجل مؤد: ذو أداة؛ أو كامل أداة السلاح.

(٢) ابن حبيش: «سبب».

(٣) ابن كثير: «بطاعته».

وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ؛ منها السرّ ، ومنها العلانية ؛ فأمّا العلانية فأنْ يكون حامدُه وذامّه فى الحقّ سواءً ، وأما السرّ فيعرف بظهور الحِكْمة من قلبه على لسانه ، وبمحبّة النّاس ؛ فلا تزهد فى التحبّب فإنّ النبيّين قد سألوا محبّتهم ؛ وإن الله إذا أحبّ عبدًا حبّبه ؛ وإذا أبغض عبدًا بغّضه . فاعتبرْ منزلتَك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ، ممّن يشرع معك فى أمرك . ثم سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين . ١/٢٢١٨

فخرج سعد بن أبى وقّاص من المدينة قاصدًا العراق فى أربعة آلاف ؛ ثلاثة ممّن قدِم عليه من اليَمَن والسَّراة ؛ وعلى أهل السَّرَوات حُمَيْضة بن النّعمان بن حُميضة البارقىّ ؛ وهم بارقٌ وألْمَعُ وغامدٌ وسائر إخوتهم ؛ فى سبعمائة من أهل السَّراة ، وأهلُ اليمن ألفان وثلاثمائة ؛ منهم النَّخَع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ؛ مقاتلتهم وذراريُّهم ونساؤهم ؛ وأتاهم عمر فى عسكرهم ؛ فأرادهم جميعًا على العراق ، فأبوْا إلاّ الشّأم ، وأبى إلاّ العراق ، فسمح نصفُهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النّصف الآخر نحو الشّأم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سَيْف ، عن حنَش النَّخَعىّ ، عن أبيه وغيره منهم ، أنّ عمر أتاهم فى عسكرهم ؛ فقال : إنّ الشَّرف فيكم يا معشر النَّخَع لمتربِّع[1] ، سيروا مع سعد . فنزعوا إلى الشأم ، وأبى إلاّ العِراق ، وأبوْا إلاّ الشأم ؛ فسرّح نصفَهم إلى الشأم ونصفَهم إلى العراق .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمستنير وحنَش ؛ قالوا : وكان فيهم من حَضْرَمَوْت والصَّدِف ستّمائة ؛ عليهم شَدّاد بن ضَمعَج ، وكان فيهم ألف وثلثمائة من مَذْحج ، على ثلاثة رؤساء : عمرو بن مَعْدِيكَرِبَ على بنى منَبِّه ، وأبو سَبْرة بن ذؤيْب على جُعْفىّ ومَن فى حِلف جُعْفِىّ من إخوة جزْء وزُبَيْد وأنَس الله ومَن لَفّهم ، ويزيد بن الحارث الصُّدائىّ على صُداء وجَنْب ومُسْلية فى ثلثمائة ؛ هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة مَخْرَجَ سعد منها ، وخرج ١/٢٢١٩

(١) كذا فى س ، وفى ط : « لمتريع » .

معه من قيس عَيْلانَ ألفٌ عليهم بِشر بن عبد الله الهلالىّ .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبيدة ، عن إبراهيم ، قال : خرج أهل القادسيَّة من المدينة ، وكانوا أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألفٌ من سائر الناس .

كتب إلىّ السرىّ ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وسهل ، عن القاسم ، قالوا: وشيَّعهم عمر من صِرار إلى الأعوص ، ثم قام فى الناس خطيبًا ، فقال : إنّ الله تعالى إنّما ضربَ لكم الأمثال ، وصرّف لكم القول ، ليحيي به[١] القلوب ؛ فإنّ القلوب ميّتة فى صدورها حتى يحييها الله ؛ مَن علِم شيئًا فلينتفع به ؛ وإن للعدل أمارات وتباشير ؛ فأما الأمارات فالحياء والسَّخاء والهَيْن واللَّيْن ، وأما التَّباشير فالرّحمة ؛ وقد جعل الله لكلّ أمر بابًا ، ويسَّر لكلّ باب مفتاحًا ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار. ذكرُ الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزّهدُ أخذُ الحقّ من كلّ أحد قِبَله حقٌّ ، وتأديةُ الحقّ إلى كلّ أحد له حقّ . ولا تصانع فى ذلك أحدًا ، واكتَفِ بما يكفيك من الكَفاف ؛ فإنّ مَن لم يكفه الكفاف لم يُغنه شىء . إنّى بينكم وبين الله ؛ وليس بينى وبينه أحدٌ ؛ وإنّ الله قد ألزمنى دفع الدعاء عنه ، فأنهُوا شكاتكم إلينا ؛ فمن لم يستطع فإلى من يبلّغُناها نأخذ له الحقّ غير متعتَع . وأمر سعدًا بالسَّيْر ، وقال : إذا انتهيتَ إلى زَرود فانزِل بها ؛ وتفرّقوا فيما حولها ، واندب مَن حولك منهم ، وانتخبْ أهلَ النجدة والرأى والقوّة والعُدّة .

١ / ٢٢٢٠

كتب إلىّ السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن رجل ، قال : مرّت السَّكون مع أوّل كِنْدة مع حُصَيْن بن نُمَيْر السَّكونىّ ومعاوية بن حُدَيج فى أربعمائة ؛ فاعترضهم ؛ فإذا فيهم فِتْية دُلْم[٢] سِباط

(١) كذا فى ابن كثير ، وفى ط : « بها » .

(٢) دلم : جمع أدلم ، وهو الطويل .

مع معاوية بن حُدَيج ، فأعرض عنهم ، ثم أعرض ، ثم أعرض ؛ حتى قيل له : مالك ولهؤلاء ! قال: إنى عنهم لمتردّد ، وما مرّ بى قومٌ من العرب أكره إلىّ منهم . ثم أمضاهم ، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهيَة ، وتعجّب الناس من رأى عمر . وكان منهم رجل يقال له سودان بن حُمْران ، قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلْجَم[1]؛ قتلَ علىّ بن أبى طالب رحمه الله ؛ وإذا منهم معاوية بن حُدَيج ؛ فنهض فى قوم منهم يتبع قَتَلَة عثمان يقتلهم ؛ وإذا منهم قوم يَقْرُون[2] قَتَلَة عثمان .

١/٢٢٢١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة ، عن ماهان، وزياد بإسناده ، قالوا : وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بألفَىْ يمانىّ وألفى نجدىّ مُؤْدٍ من غَطَفان وسائر قَيْس ، فقدِم سعد زَرُودَ فى أوّل الشتاء ، فنزلها وتفرّقت الجنود فيما حولَها من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمْر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرِّباب أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف تميمىّ وألف ربىّ ؛ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحَزْن والبَسيطة ، فأقاموا هنالك بين سَعْد بن أبى وقّاص وبين المثنّى بن حارثة ، وكان المثنّى فى ثمانية آلاف ؛ مِنْ ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة ؛ أربعة آلاف ممّن كان انتخب بعد فصول خالد، وأربعة آلاف كانوا معه ممّن بقىَ يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجيلة ، وألفان من قُضاعة وطيّئ ممّن انتُخبوا إلى ما كان قبل ذلك، على طيّئ عدىّ بن حاتم ، وعلى قُضاعة عمرو بن وَبَرة ، وعلى بَجيلة جرير بن عبد الله ؛ فبينا النّاس كذلك ؛ سعد يرجو أن يقدَم عليه المثنّى ، والمثنّى يرجو أن يقدَم عليه سعد ، مات المثنّى من جراحته التى كان جُرِحها يوم الجِسْر ، انتقضت به ؛ فاستخلف المثنّى على النّاس بشير بن الخَصاصيّة ، وسعد يومئذ بزَرُود ، ومع بشير يومئذ وجوهُ أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الّذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فُرات بن حيّان

١/٢٢٢٢

(١) كذا فى ط والمشهور فى اسمه : « عبد الرحمن » ، وانظر ابن الأثير ٣ : ١٩٤ .
(٢) ن : « يقرّون قتل عثمان » .

العِجْلىّ وعتيبة ، فردّهم مع سعد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد بإسناده، وزياد عن مـَاهان ، قالا : فمن أجلِ ذلك اختلف النّاس فى عددِ أهل القادسيـّة ، فمـَن قال: أربعة آلاف فلمخرجهم مع سـَعْـد من المدينة ، ومـَن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بـِزَرُود، ومـَنْ قال: تسعة آلاف فللحاق القيسيـِّين، ومن قال : اثنا عشر ألفًا فلدفوف بنى أسـَد من فروع الحـَزْن بثلاثة آلاف . وأمر سعدًا بالإقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشـَراف ، وقدم عليه مع قدومه شـَراف الأشْعثُ بن قيس فى ألف وسبعمائة من أهل اليمن ؛ فجميع مـَن شهد القادسيـّة بضعة وثلاثون ألفـًا ، وجميع من قـُسم عليه فىء القادسيـّة نحو من ثلاثين ألفـًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، عن زياد ، عن جرير ، قال : كان أهلُ اليمن ينزعون إلى الشّأم ؛ وكانت مـُضَر تنزع إلى العراق ، فقال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مـُضر لا تذكر أسلافها من أهل الشأم !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى سعد بن المرزبان، عمـّن حدّثه ، عن محمد بن حذيفة بن اليـَمان ، قال : لم يكن أحدٌ من العرب أجرأ على فارس من ربيعة ، فكان المسلمون يسمـّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفـَرَس ،وكانت العرب فى جاهليـّتها تسمـّى فارس الأسد، والرّوم الأسد .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : قال عمر : والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب ؛ فلم يـَدَعْ رئيسـًا ، ولا ذا رأى ، ولا ذا شـَرف ، ولا ذا سِطة ، ولا خطيبـًا ؛ ولا شاعرًا ؛ إلاّ رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغـُرَرهم .

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سـَيـْف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحلـَه من زَرُود ؛ أن ابعث إلى فـَرْج الهند

رجلاً ترضاه يكون بحياله ، ويكون رِدءًا لك من شيء إنْ أتاك من تلك التخوم ؛ فبعث المغيرة بن شعبة فى خمسمائة ؛ فكان بحيال الأُبُلّة من أرض العرب ؛ فأتى غُضَيًّا ، ونزل على جرير ؛ وهو فيما هنالك يومئذ . فلمّا نزلَ سعد بشَراف ، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غضىّ إلى الجبّانة ، فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابى هذا فعشّر النّاس وعرّف عليهم ، وأمّرْ على أجنادهم ، وعبّهم ، ومُرْ رؤساء المسلمين فليَشْهَدوا ، وقدّرْهم وهم شهود[1] ؛ ثم وجّههم إلى أصحابهم ، وواعدْهم القادسيّة ؛ واضمم إليك[2] المغيرة بن شعبة فى خَيْله ؛ واكتب إلىّ بالذى يستقرّ عليه أمرهم .

١ / ٢٢٢٤

فبعث سعد إلى المغيرة ؛ فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل ، فأتوْه ، فقدّر الناس وعبّاهم بشَراف ، وأمّر أمراء الأجناد ، وعرّف العُرَفاء ؛ فعرّف على كلّ عشرة رجلا ، كما كانت العِرافات أزمانَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكذلك كانت إلى أن فُرِض العطاء ، وأمّر على الرّايات رجالا من أهل السابقة ، وعشّر الناس ، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل فى الإسلام ، وولّى الحروبَ رجالا ، فولّى على مقدّماتها ومجنّباتها وساقتها ومجرّداتها وطلائعها ورَجْلها ورُكْبانها ، فلم يفصل إلاّ على تعبيَة ، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمر وإذنه ؛ فأمّا أمراء التعبية ، فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحَوِيّة بن مَرْثَد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشَم بن الحارث الأعرج ؛ وكان ملك هَجَر قد سَوّدَه فى الجاهليّة ، ووفّدَه على النبىّ صلّى الله عليه سلّم ، فقدّمه ، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شَراف ؛ حتى انتهى إلى العُذَيْب ، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتّم ، وكان من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ وكان أحدَ التّسعة الذين قدِموا على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة ؛ فكانوا عِرافة ، واستعمل على الميسرة شُرحبيل بن السِّمْط بن شُرَحبيل الكِنْدىّ — وكان غلامًا شابًّا ، وكان قد قاتل أهل الرّدّة ، ووفَّى اللهَ ، فعُرِف ذلك له ، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة ؛ إلى أن اختُطّت الكوفة

١ / ٢٢٢٥

(١) ز : « شهودهم » . (٢) ز : « إليهم » .

وكان أبوه ممّن تقدّم إلى الشأم مع أبى عبيدة بن الجراح — وجعل خليفته خالد ابن عُرْفطة ، وجعل عاصم بن عمرو التميميّ ثم العمْرىّ على الساقة ، وسواد ابن مالك التميمىّ على الطلائع ، وسلْمان بن ربيعة الباهلىّ على المجرّدة ، وعلى الرَّجْل حَمَّال بن مالك الأسدىّ ، وعلى الرّكبان عبد الله بن ذى السهمين الخَثْعَمىّ ، فكان أمراءُ التّعبية يَلُون الأمير ، والذين يلُون أمراءَ الأعشار ، والذين يلُون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يلُون أصحاب الرايات والقوّاد رءوس القبائل ، وقالوا جميعًا : لا يستعين أبو بكر فى الرّدّة ولا على الأعاجم بمرتدّ ، واستنفرهم عمر ولم يولّ منهم أحدًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُجالد وعمرو بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، قالوا : بعث عمر الأطبّة ، وجعل على قضاء النّاس عبدَ الرحمن بن ربيعة الباهلىّ ذا النور ، وجعل إليه الأقباض[١] وقسمة الفىء ، وجعل داعيتهم[٢] ورائدهم سلْمان الفارسىّ . ١/٢٢٢٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن أبى عثمان النّهْدىّ ؛ قال : والتّرجمان هلال الهجَرىّ والكاتب زياد بن أبى سفيان . فلمّا فرغ سعد من تعبيته ، وعدّ لكلّ شىء من أمره جماعًا ورأسًا ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من[٣] أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالّذى جمعَ عليه[٤] الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شَراف إلى القادسيّة قدومُ المُعَنَّى بن حارثة وسلْمى بنت خَصَفَة التيميّة ؛ تَيْم اللات ، إلى سعد بوصيّة المثنّى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجّلوها على سعد بزَرُود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ؛ وذلك أن الآزاذمرد بن الآزاذبه بعثه إلى القادسيّة ، وقال له : ادعُ العربَ ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك . فنزل القادسيّة ، وكاتب بكر بن

(١) الأقباض : جمع قبض ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

(٢) ابن حبيش : « داعيهم » .

(٣) ابن حبيش : « بين » .

(٤) ابن حبيش : « إليه » .

وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً[1] . فلمّا انتهى إلى المعنّى خبره ، أسْرَى المعنّى من ذى قار حتى بيّته ، فأنامه ومن معه ، ثمّ رجع إلى ذى قار ، وخرج منها هو وسَلْمى إلى سعد بوصيّة المثنّى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشَراف ، يذكر فيها أنّ رأيه لسعد ألاّ يقاتل عدوّه وعدوّهم — يعنى المسلمين — من أهل فارس ؛ إذا استجمع[2] أمرهم وملؤهم فى عُقْر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حَجَر من أرض العرب وأدنى مَدَرَة من أرض العجم ؛ فإن يُظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلمَ بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ؛ إلى أن يردّ الله الكرّة عليهم . ١ / ٢٢٢٧

فلمّا انتهى إلى سعد رأىُ المثنّى ووصيّته ترحّم عليه ، وأمّر المعنّى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيرًا ، وخطب سَلْمَى فتزوّجها وبنى بها ؛ وكان فى الأعشار كلّها بضعة وسبعون بدْريًّا ، وثلثمائة وبضعة عشر ممّن كانت له صُحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلثمائة ممّن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصّحابة ، فى جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشَراف كتابُ عمر بمثل رأى المثنّى ؛ وقد كتب إلى أبى عُبيدة مع كتاب سعد ؛ ففصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة فى كتابه بصرْف أهل العراق وهم ستّة آلاف ، ومَن اشتهى أن يلحق بهم ؛ وكان كتابه إلى سعد :

أمّا بعد ، فسِرْ من شَراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكّل على الله ، واستعِنْ به على أمرك كلّه ؛ واعلم فيما لديك أنّك تقدِمُ على أمّة عددهم كثير ، وعُدّتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع — وإن كان سهلا — كَؤود لبحوره وفيوضه ودآدئه ؛ إلاّ أن توافقوا غَيْضًا من فَيْض . وإذا لقيتم القوم أو أحدًا منهم فابدءوهم[3] الشدّ والضرب ، وإيّاكم والمناظرة لجموعهم[4] ولا يخدعنّكم ؛ فإنهم خَدَعة مكَرة ؛ أمرُهم غير أمركم ؛ إلا ١ / ٢٢٢٨

---

(١) ابن حبيش : « ووعدا » .
(٢) ابن حبيش : « اجتمع » .
(٣) ابن حبيش : « فابدروهم » .
(٤) ز : « بجموعكم » .

أن تجادّوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسيّة — والقادسيّة باب فارس فى الجاهليّة ، وهى أجمع تلك الأبواب لمادّتهم ، ولما يريدونه من تلك الآصُل ؛ وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتنعة — فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافّات الحجَر وحافّات المدر ، والجِراع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحْه ؛ فإنهم إذا أحسّوك أنغضتَهم ورمَوْك بجمعهم الذى يأتى على خيلهم ورجْلهم وحدّهم وجِدّهم ؛ فإن أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة ؛ رجوتُ أن تُنصَروا عليهم ؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلاّ أن يجتمعوا ؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجَر فى أدباركم ؛ فانصرفتم من أدنى مَدَرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم ؛ ثم كنتم عليها أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبَن وبها أجهل ؛ حتى يأتىَ الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرّة .

وكتب إليه أيضًا باليوم الذى يرتحل فيه من شَراف : فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحِل بالنّاس حتى تنزلَ فيما بين عُذَيب الهِجانات وعُذَيب القوادس ، وشرّقْ[1] بالناس وغرّبْ بهم . ٢٢٢٩/١

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر : أمّا بعد ، فتعاهد[2] قلبك ، وحادِثْ جندَك بالموعظة والنيّة والحِسْبة ، ومَنْ غفل فليُحدِثْهما ؛ والصبرَ الصبرَ ؛ فإنّ المعونة تأتى من الله على قدر النيّة ؛ والأجر على قدر الحِسْبة . والحذرَ الحذرَ علَى مَنْ أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثِروا من قول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله[3] » ، واكتب إلىّ أين َبلغك جمعُهم ، ومَن رأسهُم الذى يلِى مصادمتَكم[4] ؛ فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلّةُ عِلْمى بما هجمتم عليه ، والذى استقرّ عليه أمرُ عدوّكم ؛ فصِفْ لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفةً كأنى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجليّة . وخفِ الله وارجُه ، ولا تُدِلّ بشىء . واعلم

---

(١) ر : « وشرف » .
(٢) ابن حبيش : « فتعهد » .
(٣) بعدها فى ابن حبيش : « العلى العظيم » .
(٤) ز : « الذى يريد مصادمتكم » .

أنّ الله قد وَعدكم. وتوكّل لهذا الأمر بما لا تخُلْف له؛ فاحذرْ أن تَصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم.

فكتب إليه سعد بصفة البلدان: إنّ القادسيّة بين الخندق والعَتيق، وإنّ ما عن يَسار القادسيّة بحر أخضر فى جوف لاحٍ إلى الحيرة بين طريقين؛ فأمّا أحدهما فعلى الظّهْر، وأمّا الآخر فعلى شاطئ نهر يُدعَى الحُضُوض؛ يطلع بمَنْ سلكه على ما[1] بين الخَوَرْنَق والحيرة؛ وما عن يمين القادسيّة إلى الوَلَجة فيضٌ من فيوض مياههم. وإنّ جميع من صالح المسلمين من أهل السّواد قبلى ألبٌ لأهل فارس قد خفّوا لهم، واستعدّوا لنا. وإنّ الذى أعدّوا لمصادمتنا رُسْتم فى أمثال له منهم؛ فهم يحاولون إنغاضَنا وإقحامنا؛ ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم؛ وأمْرُ الله بعدُ ماضٍ؛ وقضاؤه مسلّم إلى ما قدّر لنا وعلينا؛ فنسأل الله خير القضاء، وخير القَدَر فى عافية.

فكتب إليه عمر: قد جاءنى كتابك وفهِمتُه، فأقِمْ بمكانك حتى يُنغِض الله لك عدوّك؛ واعلم أنّ لها ما بعدها، فإن منحك الله أدبارَهم فلا تنزِعْ عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن؛ فإنه خرابها إن شاء الله.

وجعل عمر يدعو لسعد خاصّة، ويدعون له معه، وللمسلمين عامة، فقدّم زُهْرةَ سعدٌ حتى عسكر بعُذيب الهجانات، ثم خرج فى أثره حتى ينزل على زُهرة بعُذيب الهجانات، وقدّمه، فنزل زهرةُ القادسيّة بين العتيق والخندق بحيال القنطرة؛ وقُدَيْس يومئذ أسفل منها بميل.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سَيْف، عن القعقاع بإسناده، قال: وكتب عمر إلى سعد: إنّى قد ألقِىَ فى رُوعى أنّكم إذا لقيتم العدوّ هزمتموهم، فاطّرحوا الشكّ، وآثروا التقيّة[2] عليه؛ فإنْ[3] لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو قرفَه[4] بإشارة أو بلسان، فكان لا يدرى الأعجمىّ ما كلّمه به، وكان عندهم أمانًا؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإيّاكم والضّحك؛ والوفاءَ الوفاءَ! فإن الخطأ بالوفاء بقيّة[5] وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنُكم

١/٢٢٣٠ ١/٢٢٣١

(١) ز: «على ماء».
(٢) ابن حبيش: «اليقين».
(٣) ابن حبيش: «فن لاعب».
(٤) قرفه، أى رماه واتهمه.
(٥) ز: «تقية».

وقوّة عدوّكم ، وذهاب ريحكم ، وإقبال ريحهم . واعلموا أنى أحذّركم أن تكونوا شَيْنًا على المسلمين وسببًا لتوهينهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن مُسلم العُكْلىّ والمقدام بن أبى المقدام ، عن أبيه ، عن كَرِب بن أبى كَرِب العُكْلِىّ — وكان فى المقدّمات أيّام القادسيّة — قال : قدّمَنا سعد من شَراف ، فنزلنا بعُذيب الهِجانات ثم ارتحل ؛ فلما نزل علينا بعُذيب الهجانات وذلك فى وجه الصُّبْح خرج زُهرة بن الحَوِيَّة فى المقدّمات ، فلما رُفع لنا العُذَيب — وكان من مسالحهم — استبنّا على بروجه ناسًا ، فما نشاءُ أن نرى على برج من بروجه رجلا أو بين شُرْفتين إلاّ رأيناه ، وكنا فى سَرَعان الخيل[1] ، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كَثْف[2] ونحن نرى أنّ فيها خيلا ، ثم أقدمنا على العُذَيب ، فلمّا دنونا منه ، خرج رجل يركضُ نحو القادسيّة ، فانتهينا إليه ، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد ؛ وإذا ذلك الرجل هو الذى كان يتراءَى[3] لنا على البُروج وهو بين الشُّرَف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزَنا ، وسمع بذلك زُهرة فاتّبعَنا ، فلحق بنا وخلّفَنا واتّبعه . وقال : إن أفلت الرَّبِىءُ[4] أتاهم الخبر . فلحقه بالخندق فطعنه فجدّله فيه ، وكان أهل القادسيّة يتعجّبون من شجاعة ذلك الرّجل ، ومن علمه بالحرب ، لم يُرَ عين قوم قطّ أثبتَ ولا أربط جأشًا من ذلك الفارسىّ ، لولا بُعْدُ غايته لم يلحق به ، ولم يُصبه زُهرة ، ووجد المسلمون فى العُذَيب رماحًا ونُشّابًا وأسفاطًا من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بثّ الغارات ، وسرّحهم فى جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمّر عليهم بُكَيْر بن عبد الله الليثىّ — وكان فيها الشَّمّاخ الشاعر القيسىّ فى ثلاثين معروفين بالنّجدة والبأس — فسرَوْا حتّى جازوا السَّيْلحين ، وقطعوا جِسرها يريدون الحيرة ، فسمعوا جَلَبة وأزْفَلة ، فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كمينا حتى يتَبيّنوا ، فما زالوا كذلك حتى جازُوا بهم ، فإذا خيول تقدُم تلك الغَوْغاء ؛ فتركوها فنفذت الطريق إلى الصِّنّين ، وإذا هم

١/٢٢٣٢

(١) سرعان الخيل : أوائلها .
(٢) الكثف : الجماعة .
(٣) ابن حبيش : « تراءى » .
(٤) الربىء : المشرف على القوم

١/٢٢٣٣ لم يشعروا بهم ؛ وإنما ينتظرون ذلك العَيْن لا يريدونهم ، ولا يأبهون لهم ، إنّما همّتُهم الصِّنّين ؛ وإذا أخت آزاذ مَرْد بن آزاذ به مَرْزُبان الحيرة تُزَفّ إلى صاحب الصِّنّين — وكان من أشراف العجَم — فسار معها من يبلّغها مخافة ما هو دون الذى لقوا ؛ فلمّا انقطعت الخيل عن الزوافّ ، والمسلمون كَمِينٌ فى النخل ، وجازت بهم الأثقال ، حمل بُكَيْر على شيرزاذ بن آزاذ به ، وهو بينها وبين الخيل ، فقصم صُلْبَه ، وطارت الخيل على وجوهها ، وأخذوا الأثقال وابنة آزاذ به فى ثلاثين امرأة من الدّهاقين ومائة من التوابع ، ومعهم مالا يُدرَى قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصبّح سعدًا بعُذَيْب الهِجَانات بما أفاء الله على المسلمين ، فكبّروا تكبيرة شديدة . فقال سعد : أقسم بالله لقد كبّرتم تكبيرة قوم عرفتُ فيهم العزّ ؛ فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفله ، وأعطى المجاهدين بقيّته ، فوقع منهم موقعًا ، ووضع سعد بالعُذَيب خيلا تَحُوط الحريم ، وانضمّ إليها حاطة[1] كلّ حريم ، وأمّر عليهم غالبَ بن عبد الله الليثىّ ، ونزل سعد القادسيّة ، فنزل بقُدَيْس ، ونزل زُهرة بحيال قنطرة العتيق فى موضع القادسيّة اليوم ؛ وبعث بخبر سرّية بُكير ، وبنزوله

١/٢٢٣٤ قُدَيسًا ، فأقام بها شهرًا ، ثم كتب إلى عمر : لم يوجّه القوم إلينا أحدًا ، ولم يُسْنِدوا[2] حربًا إلى أحد علمناه ، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به ؛ واستنصر الله ، فإنّا بمنحاة دنيا عريضة ؛ دونها بأس شديد ؛ قد تقدّم إلينا فى الدعاء إليهم ، فقال : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[3] .

وبعث سعد فى مقامه ذلك إلى أسفل الفُرات عاصم بن عمرو فسار حتّى أتى مَيْسان ، فطلب غنمًا أو بقرًا فلم يقدر عليها ، وتحصّن منه مَن فى الأفدان ، ووغَلوا فى الآجام ، ووَغَل حتّى أصاب رجلا على طَفّ أجَمة ، فسأله واستدلّه على البقر والغنم ، فحلف له وقال : لا أعلم ؛ وإذا هو راعى ما فى تلك الأجَمة ، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء ؛ فدخل فاستاق الثّيران وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أيامًا[4] ؛ وبلغ ذلك الحجّاج فى زمانه ، فأرسل إلى نفر ممّن شهدها أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر ،

(١) الحاطة : المحافظون .
(٢) ز : « يشدوا » .
(٣) سورة الفتح : ١٦ .
(٤) ز : « فأحسوا أياماً أخصبوا فيها » .

فسألهم فقالوا : نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال : كذبتم ! فقالوا : كذلك ؛ إن كنت شهدتها وغبنا عنها ، فقال : صدقتم ، فما كان الناس يقولون فى ذلك ؟ قالوا : آيةُ تبشير يُستدلّ بها على رضا الله ، وفتح عدوّنا ؛ فقال : والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء ، قالوا : والله ما ندرى ما أجنّت قلوبهم ؛ فأمّا ما رأينا فإنّا لم نرَ قومًا قطّ أزهدَ فى دنيا منهم ، ولا أشدّ لها بُغْضا ؛ ما اعتُدّ على رجل منهم فى ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا بجُبْن ولا بغدر ولا بغُلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقر ؛ وبثّ الغارات بين كَسْكَر والأنبار ، فحوَوْا من الأطعمة ما كانوا يستكفون[1] به زمانًا ، وبعث سعد عيونًا إلى أهل الحيرة وإلى صَلُوبا ، ليعلَموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفرّخزاذ الأرمَنّى حربَه ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبنّك[2] ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعن بالله وتوكّل عليه ، وابعث إليه رجالا من أهل المنظَرة[3] والرأى والجلَد يدعونه ، فإنّ الله جاعل دعاءهم توهينًا لهم ، وفَلْجًا عليهم ؛ واكتب إلىّ فى كلّ يوم . ولمّا عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

١/٢٢٣٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى ضَمْرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبى خالد عن قَيْس بن أبى حازم ، قالا : لمّا بلغ سعدًا فصولُ رستم إلى ساباط ، أقام فى عسكره لاجتماع الناس ؛ فأمّا إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعد أنّ رستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأمّا أبو ضَمْرة فإنه قال : كتب إليه أنّ رستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والفيول وزُهاء فارس ، وليس شىء أهمّ إلىّ ولا أنا له أكثر ذكرًا منّى لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، ونتوكّل عليه ، وقد بعثت فلانًا وفلانًا وهم ما وصفت .

---

(١) ابن حبيش : « يكتفون » . (٢) ابن حبيش : « لا يكر ثنك » .

(٣) ز وابن الأثير والنويرى : « المناظرة » .

١ / ٢٢٣٦ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ، وسعيد بن المرزُبان ؛ أن سعد بن أبى وقّاص حين جاءه أمرُ عمر فيهم ، جمع نفرًا عليهم نِجار ، ولهم آراء، ونفرًا لهم منظر ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأمّا الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرّن وبُسْر بن أبى رُهْم وحَملة بن جُوَيّة الكِنانىّ وحنظلة بن الربيع التميمىّ وفُرات بن حيّان العِجْلىّ وعدىّ بن سُهيل والمغيرة بن زُرارة بن النبّاش بن حبيب ؛ وأما مَنْ لهم منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مَهابة ولهم آراء ؛ فعُطارد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسّان وعاصم بن عمرو وعمرو ابن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنّى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً إلى الملك .

حدثنى محمد بن عبد الله بن صَفْوان الثّقفىّ ، قال : حدّثنا أميّة بن خالد، قال: حدّثنا أبو عوانة ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسيّة ، ومعه النّاس ، قال : لا أدرى لعلّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركين ثلاثون ألفًا أو نحو ذلك . فقالوا لنا : لا يدى لكم[1] ولا قوّة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ، قال: قلنا : لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَبْلنا ، ويقولون: «دُوك دوك»[2] ، ويشبّهونها بالمغازل . قال : فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا: ابعثوا إلينا رجلا منكم ، عاقلاً يبيّن لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة: أنا ، فعَبَر إليهم ، فقعد مع رستم على السرير ، فنخَروا وصاحوا ، فقال : إنّ هذا لم يزدنى رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟ ١ / ٢٢٣٧ قال : إنّا كنّا قومًا فى شرٍّ وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبيًّا ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه ؛ فكان ممّا رزقنا حبّة زُعمت تنبُتُ بهذا البلد ؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرضَ حتى نأكل من هذه الحبّة ، فقال رستم : إذاً نقتلُكم ، فقال : إن قتلتمونا

(١) لا يدى لكم ، أى لا حول لكم ولا قوة .

(٢) دوك ، كلمة فارسية بمعنى « مغزل » .

دَخلْنا الجنّة ، وإن قتلناكم دخلتم النار ؛ أو أدّيتم الجزْية . قال : فلمّا قال : أدّيتم الجزية ، نخروا وصاحوا ، وقالوا : لا صلحَ بيننا وبينكم ، فقال المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبُر إليكم ، فاستأخَر المسلمون حتى عَبَر منهم مَن عبر ، فحملوا عليهم فهزموهم .

قال حصين : فحدّثنى رجل منّا يقال له عُبيد بن جَحْش السُّلمىّ ، قال : لقد رأيتُنا وإنّا لنَطأ على ظهور الرجال ، ما مسّهم سلاح ، قتل بعضهم بعضًا ، ولقد رأيتُنا أصبْنا جِرابًا من كافور ، فحسِبْناه ملحًا لا نشكّ أنه مِلْح ؛ فطبخنا لحمًا ، فجعلنا نُلقيه فى القِدْر فلا نجدله طعمًا ، فمرّ بنا عِبادىّ معه قميص فقال : يا معشرَ المُعرِبين ، لا تفسدُوا طعامَكم ؛ فإنّ ملح هذه الأرض لا خيرَ فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميصَ به ؟ فأخذناه منه ، وأعطيناه منّا رجلا يلبسه ، فجعلنا نُطيف به ونعجب منه ، فلمّا عرفنا الثياب ، إذا ثمن ذلك القميص درهمان . قال : ولقد رأيتُنى أقربُ إلى رجل عليه سِواران من ذهب ، وسلاحُه ، فجاء فما كلّمته حتى ضربتُ عنقه .

قال : فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة ؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا إلى المدائن ؛ فكان المسلمون بكُوثَى وكان مسلحة المشركين بدَيْر المسلاخ ، فأتاهم المسلمون فالتقوْا ، فهُزم المشركون حتى نزلوا بشاطئ دِجلة ، فمنهم مَن عبر من كَلْواذَى ، ومنهم مَن عبَر من أسفل المدائن ، فحصروهم حتى ما يجدون طعامًا يأكلونه ، إلاّ كلابَهم وسنانيرهم . فخرجوا ليلاً ، فلحِقوا بجَلولاء ، فأتاهم المسلمون ؛ وعلى مقدّمة سعد هاشم بن عُتْبة ، وموضع الوقعة التى ألحقهم منها فريد . قال أبو وائل : فبعث عمر بن الخطاب حذيفةَ ابن اليمان على أهل الكوفة ، ومُجاشع بن مسعود على أهل البصرة . ١/٢٢٣٨

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبىّ ، وطلحة عن المغيرة ، قالوا : فخرجوا من العسكر حتى قدموا المدائنَ احتجاجًا ودُعاةً ليزدَجرْد ، فطوَوا رستم ، حتى انتهوْا إلى باب يَزْدَجِرد ، فوقفوا على خيولٍ عُرُوات ، معهم جَنائب ، وكلّها صهّال ، فاستأذنوا فحبسوا ، وبعث يزدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضِه يستشيرهم فيما

يصنع بهم ، ويقوله لهم . وسمع بهم الناس فحضروهم ينظرون إليهم ، وعليهم المقطّعات والبُرود ، وفى أيديهم سياط دقاق ، وفى أرجلهم النّعال . فلمّا اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت كيسان الضّبّيّة ، عن بعض سبايا القادسيّة ممّن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم الذى قدم فيه وفود العرب . قال : وثاب إليهم النّاس ينظرون إليهم ؛ فلم أرَ عشرة قطّ يعدلون فى الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعد بعضها بعضا . وجعل أهلُ فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ؛ فلمّا دخلوا على يزدجرد أمرهم بالجلوس ؛ وكان سيّئ الأدب ، فكان أوّل شىء دار بينه وبينهم أن أمر التّرجمان بينه وبينهم فقال : سلْهم ما يسمّون هذه الأردية ؟ فسأل النّعمان — وكان على الوفد : ما تُسمّى رداءك ؟ قال : البُرْد ، فتطيّر وقال : « بردجهان » ، وتغيّرت ألوان فارس وشقّ ذلك عليهم. ثم قال : سلهم عن أحذيتهم ، فقال : ما تسمّون هذه الأحذية ؟ فقال : النّعال ، فعاد لمثلها ، فقال : «ناله ناله» فى أرضنا ، ثم سأله عن الّذى فى يده فقال : سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان تطيّره[1] على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه . ٢٢٣٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيْف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، بمثله وزاد : ثمّ قال الملك : سلْهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزْونا والوَلوع ببلادنا ؟ أمِنْ أجلِ أنّا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجترأتم علينا ! فقال لهم النعمان ابن مقرّن : إن شئتم أجبتُ عنكم ؛ ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلّم ، وقالوا للملك : كلامُ هذا الرجل كلامُنا . فتكلّم النّعمان ، فقال : إنّ الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يدلّنا على الخير ويأمرُنا به ، ويعرّفنا الشرّ وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خيرَ الدّنيا والآخرة ؛ فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةً إلاّ صاروا فرقتيْن ؛ فرقة تُقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه فى دينه إلاّ الخواصّ . فمكث

---

(١) كذا فى ز ، وفى ط : « نظيره » .

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبذ إلى مَن خالفه من العرب ؛ وبدأ ١/٢٢٤٠ بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعًا على وجهين : مكرَه عليه فاغتبط ؛ وطائع أتاه فازداد ؛ فعرفنا جميعًا فضلَ ما جاء به على الّذى كنّا عليه من العداوة والضّيق ؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمَن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسَّن الحسَن وقبّح القبيح كلّه ، فإن أبيتم فأمرٌ من الشرّ هو أهون من آخرَ شرٌّ منه الجزاء ؛ فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ؛ وإن اتّقيتمونا بالجزاء قبلْنا ومنعناكم ؛ وإلاّ قاتلناكم .

قال : فتكلّم يزْدجرد ، فقال : إنى لا أعلم فى الأرض أمّة كانت أشقى ولا أقلّ عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنّا نوكّل بكم قُرَى الضواحى فيكفونناكُم[١] . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقُوموا لهم ، فإن كان عددٌ لحق[٢] فلا يغرّنّكم منّا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضْنا لكم قوتًا إلى خصْبكم ؛ وأكرْمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملّكنا عليكم ملكًا يرفُق بكم : ١/٢٢٤١

فأسكت القوم . فقام المغيرة بن زُرارة بن النبّاش الأسيْدىُّ ، فقال : أيّها الملك ، إنّ هؤلاء رءوس العرب ووجوهُهم ؛ وهم أشراف يستحيُون من الأشراف ؛ وإنّما يكرم الأشرافَ الأشرافُ ، ويعظّم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخّم الأشرافَ الأشرافُ ؛ وليس كلّ ما أرسلوا به جمعوه لك ، ولا كلّ ما تكلّمتَ به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسُن بمثلهم إلاّ ذلك ؛ فجاوبْنى لأكون الذى أبلّغك ، ويشهدون على ذلك ؛ إنّك قد وصفتَنا صفةً لم تكن بها عالما ، فأمّا ما ذكرت من سُوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منّا ، وأمّا جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنّا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيّات ؛ فنرى ذلك طعامنا . وأمّا المنازل فإنما هى ظهر الأرض ، ولا نلبس إلاّ ما غزلْنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « فيكفونا أمركم » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « غرر » ، وابن كثير : « عددكم كثر » .

دينُنا أن يقتلَ بعضُنا بعضًا، ويُغيرَ بعضُنا على بعض، وإن كان أحدنا ليَدفن ابنَتَه وهى حيَّة كراهيةَ أن تأكل من طعامنا ؛ فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسبَه ، ونعرف وجهه ومولِده ؛ فأرضُه خير أرضنا، وحسبُه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ؛ وقبيلته خير قبائلنا [١] ؛ وهو بنفسه كان خيرَنا فى الحال التى كان فيها أصدقنا وأحلمَنا [٢] ؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل ترْب كان له وكان

١ /٢٢٤٢ الخليفةَ من بعده ، فقال وقلنا ، وصَدق وكَذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئًا إلاّ كان، فقذف الله فى قلوبنا التّصديق له واتّباعه ؛ فصار فيما بيننا وبين ربّ العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمرُ الله ؛ فقال لنا : إنّ ربّكم يقول : إنّى أنا اللهُ وحدى لا شَريك لى ، كنتُ إذْ لم يكن شىء وكلّ شىء هالك إلاّ وجهى ، وأنا خلقتُ كلّ شىء ، وإلىّ يصير كلّ شىء ، وإنّ رحمتى أدركتْكم فبعثت إليكم هذا الرّجل لأدُلّكُمْ علَىَ السّبيل الّتى بها أنْجيكمْ بعد الموت من عذابى ، ولأحِلّكم دارى ؛ دار السّلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحقّ من عند الحقّ ، وقال : مَنْ تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ، ومَنْ أبَى فاعرِضوا عليه الجزية ، ثم امنعوه ممّا تمنعون منه أنفسكم ، ومَنْ أبى فقاتلوه ، فأنا الحكَم بينكم. فمن قُتل منكم أدخلته جنّتى ، ومَنْ بقىَ منكم أعقبته النّصر على مَنْ ناوأه ؛ فاختَرْ إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ؛ وإن شئت فالسيف ، أو تُسلم فتُنجى نفسك . فقال : أتستقبلنى بمثل هذا !

فقال : ما استقبلتُ إلاّ مَنْ كلّمنى ، ولو كلّمنى غيرُك لم أستقبلك به. فقال : لولا أنّ الرسل لا تُقْتَل لقتلتُكم ؛ لا شىء لكم عندى ، وقال [٣] : ائتونى بوِقْر من تراب ، فقال : احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى

١ /٢٢٤٣ يخرج من باب المدائن ؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّى مرسِل إليكم رستَم

(١) ط : « قبيلتنا » .
(٢) ابن حبيش : « أجملنا » .
(٣) كذا فى س ، وفى ط : « فقال » .

حتى يُدفيَكم ويدفيَه[١] فى خندق القادسيّة، وينكّل به وبكم من بعد ، ثم أورده بلادكم ، حتى أشغلكم فى أنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور .

ثم قال : مَنْ أشرفُكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو — وافتات[٢] ليأخذ التراب : أنا أشرفُهم ، أنا سيّد هؤلاء فحمّلْنيه ، فقال[٣] : أكذاك ؟ قالوا : نعم ، فحمّله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلتَه فحمله عليها ؛ ثم انجذب[٤] فى السَّير ، فأتوْا به سعداً[٥] وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيس فطواه، فقال: بشِّروا الأميرَ بالظَّفر، ظفرنا إن شاء الله . ثم مضى حتّى جعل التراب فى الحِجْر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليدَ ملْكِهم .

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون فى كلّ يوم قوّة ، ويزداد عدوّهم فى كلّ يوم وَهَناً ، واشتدّ ما صنع المسلمون ، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك ، وراح رستم من ساباط إلى الملك يسأله عمّا كان من أمره وأمرهم ، وكيف رآهم ، فقال الملك : ما كنتُ أرى أنّ فى العرب مثل رجال رأيتهم دخلُوا علىّ وما أنتم[٦] بأعقلَ منهم ، ولا أحسنَ جواباً منهم ؛ وأخبره بكلام متكلّمهم ، وقال : لقد صَدَقنى القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليُدركُنّه أو ليموتُنّ عليه ، على أنى قد وجدت أفضلَهم أحمقَهم ، لمّا ذكروا الجزية أعطيتُه تراباً فحملَه على رأسه ، فخرج به ، ولو شاء اتّقى بغيره ؛ وأنا لا أعلم .

قال : أيّها الملك ، إنه لأعقلُهم ، وتطيّر إلى ذلك ، وأبصرها دون أصحابه . ١/٢٢٤٤

وخرج رستم من عنده كئيبا غضبانَ — وكان منجّما كاهنًا — فبعث فى أثَر الوفد ، وقال لثقته[٧] : إن أدركَهم الرّسول[٨] تلافَينا أرضَنا ، وإن أعجزوه[٩]

---

(١) النويرى : « يدفنكم ويدفنه » . وأدفى الجريح : أجهز عليه .

(٢) ابن حبيش : « واقتات » . (٣) ابن حبيش : « قال » .

(٤) ابن حبيش : « انحدر » (٥) ابن حبيش : « فباتوا بسعد » .

(٦) ابن حبيش : « والله ما أنتم » .

(٧) ابن حبيش : « لبعثه » . (٨) ز : « إنْ أدركتهم » .

(٩) ر : « أعجزوك » . ابن الأثير : « أعجزه » ؛ النويرى : « أعجزوا » .

سلبكم الله أرضكم وأبناءكم . فرجع الرّسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذى شكّ ، ما كان من شأن ابن الحجّامة الملك ! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا ! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظًا . وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يزدجرد ، إلى أن جاءوا إلى صيّادين قد اصطادوا سمكًا ، وسار سواد بن مالك التميمىّ إلى النّجاف والفراض إلى جنبها ، فاستاق ثلثمائة دابّة من بين بغل وحمار وثور ، فأوقروها سمكًا ، واستاقوها ، فصبّحوا العسكر ، فقسم السّمك بين النّاس سعد ، وقسم الدوابّ ، ونفّل الخمس إلاّ ما رُدّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السّبْى ؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاذ مرد ابن الآزاذ به خرج فى الطّلب ، فعطف عليه سوادٌ وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السّيْلَحين ؛ حتّى عرفوا أنّ الغنيمة قد نجت ، ثم اتّبعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنّما يقرمون إلى اللحم ؛ فأمّا الحنطة والشعير والتمر والحبوب ؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوْا به لو أقاموا زمانًا ؛ فكانت السّرايا إنّما تسرى للحوم ، ويسمّون أيامها بها ، ومن أيّام اللحم يومُ الأباقر ويوم الحيتان . وبُعث مالك بن ربيعة بن خالد التيمىّ : تيْم الرّباب ، ثم الواثلىّ ومعه المساور بن النّعمان التيمىّ ثم الرُّبَيعى فى سريّة أخرى ؛ فأغارا على الفيّوم ؛ فأصابا إبلاً لبنى تغلب والنّمر فشلاّها[1] ومن فيها ، فغدوا بها على سعد ، فنُحرت الإبل فى النّاس . وأخصبوا ؛ وأغار على النّهْرَيْن عمرو ابن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشىَ كثيرة ؛ فسلكوا أرض شيْلَى — وهى اليوم نهر زياد — حتّى أتوا بها العسكر . ١ /٢٢٤٥

وقال عمرو : ليس بها يومئذ إلا نهرانِ . وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسيّة سنتان وشىء . وكان مُقام سعد بها شهرين وشيئًا حتّى ظفر .

قال — والإسناد الأول — : وكان من حديث فارس والعرب بعد البُوَيب أنّ الأنوشَجان بن الهيربذ خرج من سواد البصرة يريد أهل غُضَىّ ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ؛ وهم بإزائهم : المستورد وهو على الرّباب ،

---

(١) فشلاها ، أى انتزعاها .

وعبد الله بن زيد يسانده ؛ الرّبابُ بينهما ، وجَزْء بن معاوية وابن النابغة يسانده ؛ سَعْد بينهما ، والحُصين [1] بن نِيَار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشَّبه على حنظلة ، فقتلوه دونهم. وقدم سعد فانضمُّوا إليه هم وأهل غُضَىّ وجميع تلك الفِرَق .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو بإسنادهم ، قالوا : وعجَّ أهلُ السَّواد إلى يَزْدَجِرد بن شهريار ، وأرسلوا إليه أنّ العرب قد نزلوا القادسيَّة بأمر ليس يُشبه إلاّ الحرب ، وإنّ فعل العرب مذ نزلوا القادسيَّة لا يبقى عليه شىء ؛ وقد أخربوا ما بينهم وبين الفرات ؛ وليس فيما [2] هنالك أنيس إلاّ فى الحصون ، وقد ذهب الدوابّ وكلّ شىء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلاّ أن يستنزلونا [3] ، فإن أبطأ عنّا الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب إليه بذلك المُلُوك الّذين لهم الضّياع بالطفّ ، وأعانوهم عليه ، وهيَّجوه على بعثه رستم . ١/٢٢٤٧

ولما بدا ليزدَجِرْد أن يرسلَ رستَم أرسلَ إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنّى أريد أن أوَجِّهك فى هذا الوجه ؛ وإنما يُعَدّ [4] للأمور على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم [5] ، وقد ترى ما جاء أهلَ فارس مِن أمر لم يأتِهم مثلُه منذ ولىَ آلُ أردشير . فأراه أن قد قبِل منه ، وأثنى عليه .

فقال له الملك : قد أحبّ أن أنظر فيما لديك لأعرفَ ما عندك ، فصفْ لِى العرب وفعلَهم منذ نزلوا القادِسيَّة ، وصف لى العَجَم وما يلقوْن منهم .

فقال رستم : صفَة ذئاب صادفت غِرّةً من رِعاء فأفسدت . فقال : ليس كذلك ؛ إنى إنما سألتك رجاء أن تُعرب صفتهم فأقوّيك لتعمل على قَدْر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عنّى ؛ إنّما مَثَلُهم ومثَلُ أهل فارس كمَثَل عُقَاب أوفَى على جبل يأوى إليه الطير بالليل ، فتبيت فى سَفْحه فى أوكارها ، ١/٢٢٤٨

---

(١) كذا فى ابن حبيش ، وفى ط : « الحسن » . (٢) ابن حبيش : « بها » .
(٣) بعدها فى ابن حبيش : « يستنزلوا » . (٤) ز : « يعمد » .
(٥) بعدها فى ابن حبيش : « وأنت لها » .

فلمّا أصبحت تجلّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شذّ منها شيء اختطفه ، فلمّا أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلّما شذّ منها طائر اختطفه ، فلو نهضت نهضةً واحدة ردّته ؛ وأشدُّ شيء يكون فى ذلك أن تنجوَ كلُّها إلا واحدًا ؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلاّ هلكت ؛ فهذا مثلُهم ومثل الأعاجم ؛ فاعمل على قَدْرِ ذلك . فقال له رستُم : أيّها الملك ، دَعْنى ؛ فإنّ العرب لا تزالُ تهاب العجم ما لم تُضَرِّهم بى ؛ ولعلّ الدولة أن تثبت بى فيكون الله قد كَفَى ، ونكون قد أصبْنَا المكيدة ورأىَ الحرب ؛ فإنّ الرّأى فيها والمكيدة أنفع من بعض الظّفر . فأبَى عليه ، وقال : أىّ شىء بقى ! فقال رستم : إنّ الأناة فى الحرْب خيرٌ من العجلة ، وللأناة اليومَ موضع ، وقتال جيش بعد جيش أمثلُ من هزيمة بمرّة وأشدّ على عدوّنا . فلجّ وأبَى ، فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرُّسل ليرى موضعًا لإعفائه وبعثة غيره ، ويجتمع إليه النّاس . وجاء العيون إلى سعد بذلك من قبَل الحيرة وبنى صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك . ولما كثرت الاستغاثة على يَزْدَجرد من أهل السّواد على يدى الآزاذمرد بن الآزاذبه جشعت نفسه ، واتّقى الحرب برستم ، وترك الرّأى — وكان ضيّقًا لجوجًا — فاستحثّ رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال : أيُّها الملك ؛ لقد اضطرنى تضييع الرأى إلى إعظام نفسى وتزكيتها ؛ ولو أجدُ من ذلك بدًّا لم أتكلّمْ به ، فأنشدك الله فى نفسك وأهلك ومُلْكك ؛ دعنى أقم بعسكرى وأسرّح الجالنوس ؛ فإن تكن لنا فذلك ؛ وإلاّ فأنا على رجْل وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدًّا ولا حيلةً صَبَرْنا لهم ؛ وقد وهَنّاهم وحسّرناهم ونحن جامُّون . فأبى إلاّ أن يسير .

١/٢٢٤٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السرىّ الضّبىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : لمّا نزل رستم بساباط ، وجمع آلة الحرب وأداتها بعثَ على مقدّمته الجالنوس فى أربعين ألفًا ، وقال : ازحف زحفًا ، ولا تنْجذب إلاّ بأمرى ؛ واستعملَ على ميمنته الهُرْمزان ، وعلى ميسرته مِهْران بن بَهْرام الرازىّ ، وعلى ساقته البيرزان ، وقال رستم

ليشجّع الملك: إن فتح الله علينا القوم[1] فهو وجْهنا[2] إلى ملكهم فى دارهم[3] ١/٢٢٥٠
حتى نشغلهم فى أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا[4] المسالمة أو يرضوْا بما كانوا
يرضوْن به. فلمّا قدمت وفود سعد على الملِك، ورجعوا من عنده رأى رستم
فيما يرى النائم رؤيا فكرهها، وأحسّ بالشرّ، وكره لها الخروج ولقاء القوم،
واختلف عليه رأيه واضطرب. وسأل الملك أن يُمضىَ الجالنوس ويُقيم حتّى
ينظر ما يصنعون، وقال: إن غَناء الجالنوس كغَنائى، وإن كان اسمى أشدّ
عليهم من اسمه، فإن ظفِر فهو الذى نريد، وإن تكن الأخرى وُجّهْتُ مثله،
ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما؛ فإنّى لا أزال مرجوًّا فى أهل فارس، ما لم أهزَم
ينشَطون، ولا أزال مهيبًا فى صدور العرب؛ ولا يزالون يهابون الإقدام مالم أباشرهم؛
فإن باشرتهم اجترءوا آخرَ دهرِهم، وانكسر أهلُ فارس آخرَ دهرهم. فبعث
مقدّمته أربعين ألفًا؛ وخرج فى ستين ألفًا، وساقته فى عشرين ألفًا.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمدوطلحة وزياد
وعمرو بإسنادهم؛ قالوا: وخرج رستُم فى عشرين ومائة ألف، كلُّهم متبوع،
وكانوا بأتباعهم أكثرَ من مائتى ألف، وخرج من المدائن فى ستين ألف
متبوع.

كتب إلىّ السرىّ، عن شُعيب، عن سَيْف، عن هشام بن عروة،
عن أبيه، عن عائشة، أنّ رستَم زحف لسعد وهو بالقادسيّة فى ستين ألفَ
متبوع.

كتب إلىّ السرىّ، عن شُعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد ١/٢٢٥١
وعمرو بإسنادهم، قالوا: لمّا أبى الملِك إلاّ السيرَ، كتب رستم إلى أخيه
وإلى رءوس أهل بلادهم: من رستم إلى البِنْدُوان مرزبان الباب، وسهم أهل فارس،
الّذى كان لكلّ كونٍ يكون، فيفضّ الله به كلّ جند عظيم شديد، ويفتح به

---

(١) ابن حبيش: «هؤلاء القوم».
(٢) ز: «فهو خلاصنا ثم وجهنا».
(٣) ابن حبيش: «فى داره».
(٤) ابن حبيش: «إلا أن يقبلوا».

كلّ حصن حصين ، ومن يليه ؛ فرُمُّوا حصونكم ، وأعِدّوا واستعِدّوا ، فكأنّكم بالعرب قد وردُوا بلادَكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، وقد كان من رأيى مدافعتهم ومطاولتهم حتّى تعود سعودُهم نحوسًا ؛ فأبى الملك .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّلْت بن بَهرام ، عن رجل ؛ أنّ يزدَجِرد لمّا أمر رستم بالخروج من ساباط ، كتب إلى أخيه بنحوٍ من الكتاب الأوّل ، وزاد فيه : فإنّ السمكة قد كدّرت الماء ، وإنّ النعائم قد حسُنت ، وحسُنت الزُّهرَة ، واعتدل الميزان ، وذهب بَهْرام ؛ ولا أرى هؤلاء القوم إلاّ سيظهرون علينا ، ويستولُون على مايلينا . وإنّ أشدّ ما رأيت أن الملك قال : لتسيرُنّ إليهم أو لأسيرَنّ إليهم أنا بنفسى . فأنا سائر إليهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السّرِىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : كان الذى جرّأ يزدجرد على إرسال رستم غلام جابان منجِّم كسرى ، وكان من أهل فُرات بادَقلَى ، فأرسل إليه فقال : ما ترى فى مسير رستم وحرب العرب اليوم ؟ فخافه على الصّدق فكذبه ، وكان رستم يعلَم نحوًا من علمه ، فثقُل عليه مسيرُه لعلمه ، وخفّ على الملكِ لما غرّه منه ، وقال : إنّى أحبّ أن تخبرَنِى بشىء أراه أطمئنّ به إلى قولك ، فقال الغلام لزُرنا الهندىّ : أخبِره ، فقال : سَلْنِى ، فسأله فقال : أيها الملكّ يُقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شىء فى فيه ها هنا — وخطّ دارةً — فقال العبد : صدَق ، والطائر غراب ، والذى فى فيه درهم . وبلغ جابان أنّ الملك طلبه ، فأقبل حتّى دخل عليه ، فسأله عمّا قال غلامُه ، فحسب فقال : صدق ولم يُصب ؛ هو عقعق ، والذى فى فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا . ينزو الدرهم فيستقرّ ها هنا — ودوّر دارة أخرى — فما قاموا حتّى وقع على الشُّرفات عَقعق ، فسقط منهُ الدرهم فى الخط الأول ، فنزا فاستقرّ فى الخطّ

١/٢٢٥٢

الآخر . ونافر الهندىُّ جابانَ حيث خطّأه؛ فأتيا ببقرة نَتُوج ؛ فقال الهندىُّ : سَخْلتها غرّاء سوداء ، فقال جابان : كذبتَ ، بل سوداء صبغاء[1] ، فنُحرت البقرة فاستُخرجت سخلتها ، فإذا هى ذنَبها بين عينيها ، فقال جابان : ٢٢٥٣/١ من هاهنا أتِيَ زرنا ، وشجّعاه على إخراج رستم ، فأمضاه ، وكتب جابان إلى جُشْنَسْماه : إنّ أهل فارس قد زالَ أمرهم ، وأُديلَ عدوُّهم عليهم ، وذهب مُلك المجوسيّة ، وأقبل مُلك العرب ، وأديل دينهم ؛ فاعتقدْ منهم الذمّة ، ولا تخلُبنّك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤخذ ! فلمّا وقع الكتاب إليه خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنّى ؛ وهو فى خيل بالعَتيق ، وأرسله إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومَن استجاب له وردّه ، وكان صاحبَ أخبارهم . وأهدى للمعنّى فالوذق[2] ، فقال لامرأته : ما هذا؟ فقالت : أظنّ البائسة امرأته أراغت العصيدةَ فأخطأتْها ، فقال المعنّى : بؤساً لها !

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لمّا فَصَل رستم من ساباط ، لقيَه جابان على القَنْطَرة ، فشكا إليه ، وقال : ألا ترى ما أرى؟ فقال له رستم : أمّا أنا فأقاد بخِشاش وزمام ، ولا أجد بُدّاً من الانقياد . وأمر الجالنوس حتّى قدم الحِيرة ؛ فمضى واضطرب فُسطاطه بالنَّجَف ، وخرج رستم حتى ينزل بكُوثَى ، وكتب إلى الجالنوس والآزاذ مرْد : أصيبا لى رجلاً من العرب من جند سَعْد . فركبا بأنفسهما طليعة ، فأصابا رجلا ، فبعثا به إليه وهو ٢٢٥٤/١ بكوثَى فاستخبرَه ، ثم قتله .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السرىّ ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : لمّا فصَل رستم ، وأمر الجالنوس بالتقدّم إلى الحيرة ، أمره أن يصيبَ له رجلا من العَرَب ، فخرج هو والآزاذمرد

---

(١) ز : « سفعاء » . وفى اللسان عن أبى عبيدة : « إذا شابت ناصية الفرس فهو أسعف ، فإذا ابيضت كلها فهو أصبغ » .

(٢) الفالوذق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، معربة عن « بالودة » . الألفاظ الفارسية ١٢٠ .

سريّةً فى مائة ؛ حتى انتهيا إلى القادسيّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاختطفاه ، فنفرّ النّاس فأعجزوهم إلاّ ما أصاب المسلمون فى أخرَيَاتهم . فلمّا انتهيا إلى النّجَف سرّحا به إلى رستم ، وهو بكُوثَى ، فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو ؟ قال : أرضكم وأبناؤكم ودماؤكم إن أبيتم أن تُسْلِموا . قال رستم : فإن قُتلتم قبل ذلك ؟ قال : فى موعود الله أنّ مَن قُتِل منّا قبل ذلك أدخله الجنة . وأنجز لمن بقى منّا ماقلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد وُضِعْنا إذًا فى أيديكم ؛ قال : ويحك يا رستم ! إنّ أعمالَكم وضعتْكم فأسلمكم الله بها ؛ فلا يغرنّك ما ترى حولَك . فإنك لست تُحاول[1] الإنس ؛ إنما تحاول القضاءَ والقدر ! فاستشاط غضبًا ؛ فأمر به فضربت عنقه ، وخرج رستم من كُوثَى ؛ حتى ينزل ببُرس ، فغصب أصحابُه الناسَ أموالَهم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمور . فضجّ العلُوج إلى رستم ، وشكَوْا إليه ما يلقوْن فى أموالهم وأبنائهم . فقام فيهم . فقال : يا معشر أهل فارس ، والله

١/٢٢٥٥ لقد صدَق العربىّ ؛ والله ما أسلَمنا إلا أعمالنا ، والله للعرب فى هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم . إنّ الله كان ينصركم على العدوّ ، ويمكّن لكم فى البلاد بحُسن السيرة وكفّ الظلم والوفاء بالعهود والإحسان ؛ فأمّا إذ تحوّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلا مغيّراً ما بكم ، وما أنا بآمن أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يُشكَى فأتِىَ بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى فى الناس بالرّحيل ، فخرج ونزل بحيال دير الأعور ، ثم انصبّ إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلى الفرات بحيال أهل النّجَف بحيال الخَوَرْنق إلى الغَرِيّيْن ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهمّ بهم ، فقال له ابن بُقَيْلة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نُصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، والمقدام الحارثى عمّن ذكره ، قالا : دعا رستم أهلَ الحيرة وسُرادقُه إلى جانب الدّير ، فقال : يا أعداءَ الله ، فرحتم بدخول العرب علينا

١/٢٢٥٦ بلادَنا ، وكنتم عيونًا لهم علينا ، وقوّيتموهم بالأموال ! فاتّقوْه بابن بُقَيلة ،

---

(١) كذا فى ابن حبيش وفى ط . « تحلول » .

وقالوا له : كن أنت الذى تكلّمه، فتقدّم ، فقال : أمّا أنت وقولك : « إنا فرحنا بمجيئهم »(١ . فماذا فعلوا؟ وبأىّ ذلك من أمورهم ١) نفرح! إنّهم ليزعمون أنّا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ؛ وإنّهم ليشهدون علينا أنّا من أهل النار. وأمّا قولُك : « إنّا كنا عيوناً لهم »، فما الذى يُحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخلّوا لهم القرى! فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه ؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالا . وأمّا قولك : « إنا قوّيناهم بالأموال» ؛ فإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا ؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسْبَى وأن نُحرب(٣) ، وتُقتل مقاتلتُنا — وقد عجز منهم مَنْ لقيهم منكم — فكنّا نحن أعجز ؛ ولعمرى لأنتم أحبُّ إلينا منهم ؛ وأحسن عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم لكن لكم أعواناً ؛ فإنّما نحن بمنزلة عُلُوج السّواد ، عَبيد مَنْ غَلَب . فقال رستم : صدقكم الرجل .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال: رأى رستُم بالدّير أنّ ملكاً جاء حتى دخل عسكر فارس ، فختَم السلاح أجمع .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وأصحابه ؛ وشاركهم النّضر بإسناده ، قالوا : ولمّا اطمأنّ رستم أمَر الجالنوس أن يسير من النّجف ، فسار فى المقدّمات ، فنزل فيما بين النّجف والسَّيْلَحين ، وارتحل رستم ، فنزل النّجَف — وكان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لَقِيَ سعداً أربعة أشهر ، لا يُقدِم ولا يقاتل — رجاء أن يضجَروا بمكانهم ، وأن يجهَدوا فينصرفوا ، وكره قتالَهم مخافة أن يلقى ما لَقِي مَن قبلَه(٤) ، وطاولَهم لولا ماجعل الملك يستعجله ويُنهضه ويُقدّمه ؛ حتى أقحمه ؛ فلما نزل رستم النّجَف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل

٢٢٥٧/١

(١-١) ابن حبيش : « فوالله ما فرحنا بمجيئهم » .

(٢) ابن حبيش : « من أمرهم » .

(٣) ز : « تسبى وأن تحرب » .

(٤) ز : « من قبلهم » .

فارس ، فختمه ، ثم دفعه إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فدفعه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عمر. فأصبح رستم ، فازداد حُزنا ، فلمّا رأى الرُّفيل ذلك رغبَ فى الإسلام ؛ فكانت داعيتَه إلى الإسلام ، وعرف عمر أنّ القوم سيطاولونهم ؛ فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلُوا حدود أرضِهم ، وأنْ يطاولوهم أبدًا حتى يُنغضوهم ، فنزلوا القادسيّة ، وقد وطّنوا أنفسهم على الصَّبْر والمطاولة ، وأبى الله إلا أن يتمّ نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السَّواد ، فانتسفوا ما حولَهُم [١] فحوَوه وأعدّوا للمطاولة ؛ وعلى ذلك جاءوا ، أو يفتح الله عليهم [٢].

وكان عمر يمدُّهم بالأسواق إلى ما يصيبون ؛ فلمّا رأى ذلك الملك ورستم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلُهم ؛ علم أن القوم غير منتهين ، وأنّه إن أقام لم يتركوه ؛ فرأى أن يشخص رستم ، ورأى رستم أن ينزل بين العتيق والنَّجَف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أنّ ذلك أمثلُ ما هم فاعلون [٣] ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتَهم ، أو تدور لهم سعود .

٢٢٥٨/١ كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وجعلت السَّرايا تطوفُ ، ورستُم بالنَّجف والجالنوس بين النَّجف والسَّيْلَحِين وذو الحاجب بين رستم والجالنوس ، والهُرْمزان ومِهْران على مجنّبتيه ، والبيرزان على ساقته وزاذ بن بُهَيْش صاحب فُرات سِرْيا على الرّجالة ؛ وكنارَى على المجرّدة ؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفا ، ستين ألفَ متبوع مع الرجل الشاكرىّ ، ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع ، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدورَ عليهم رَحى الحرب .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قَيْس ، عن موسى بن طَريف ، قال : قال النّاس لسعد : لقد ضاق بنا المكان ؛ فأقدِمْ ، فزَبر مَن كلّمه بذلك ، وقال : إذا كُفيتم الرّأى ، فلا تكلّفوا ؛ فإنا لن نقدِم إلاّ على رأى ذوى الرّأى ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم . وبعث

---

(١) ابن حبيش : « يليهم » .
(٢) ز : « لهم » .
(٣) ابن حبيش : « عاملون » .

طليحة وعمرًا فى غير خيلٍ كالطليعة ، وخرج سواد وحُمَيْضة فى مائة مائة ؛ فأغاروا على النَّهرين ؛ وقد كان سعد نهاهما أن يُمعِنا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلا ، وبلغ سعدًا أنّ خيلَه قد وَغلت ؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابرا الأسديّ ، فأرسلهما فى آثارهم يقتصّانها ، وسلكا طريقَهما ، وقال لعاصم: إن جَمعَكم قتَال فأنت عليهم ، فلقيهم بين النهرين وإصْطيميَا ؛ وخيل أهل فارس محتوشتُهم ، يريدون تخلُّص ما بين أيديهم ؛ وقد قال سواد لحُميضة: اختَرْ ؛ إمَّا أن تقيم لهم وأستاق الغَنيمة ، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة . قال : أقِمْ لهم ونَهْنِهْهُم عنّى ، وأنا أبلّغ لك الغنيمة ؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حُميضة ، فلقيه عاصم بن عمرو ، فظنّ حُميضة أنّها خيل للأعاجم أخرى ، فصدّ عنها منحرفًا ؛ فلمّا تعارفوا ساقَها ؛ ومضى عاصم إلى سواد — وقد كان أهل فارس تنقّذوا بعضها — فلمّا رأت الأعاجم عاصمًا هربوا ، وتنقّذ سوادُ ما كانوا ارتجعوا ؛ فأتوا سعدًا بالفتح والغنائم والسلامة ؛ وقد خرج طُلَيحة وعمرو ؛ فأمّا طُلَيحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالنوس ؛ فخرج طُليحة وحْدَه ، وخرج عمرو فى عدّة ، فبعث قيس بن هبيرة فى آثارهما ؛ فقال : إن لقيتَ قتالا فأنت عليهم — وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأمّا عمرو فقد أطاعه — فخرج حتى تلقّى عمرًا ، فسأله عن طليحة ، فقال : لا علْمَ لى به ، فلمّا انتهينا إلى النَّجَف من قبل الجَوْف ، قال له قيس: ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنَى عسكرهم ؛ قال : فى هؤلاء ! قال : نعم ، قال : لا أدَعكَ والله وذاك ! أتُعرّض المسلمين[1] لِما لا يطيقون ! قال : وما أنت وذاك ! قال : إنى أمِّرت عليك ؛ ولو لم أكن أميرًا لم أدعك وذاك . وشهد له الأسْود بن يزيد فى نفر أنّ سعدًا قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس ؛ إنّ زمانًا تكون علىّ فيه أميرًا لزمانُ سوء ! لأن أرجعَ عن دينكم هذا إلى دينى الّذى كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إلىّ مِنْ أن تتأمّر علىّ ثانية. وقال : لئن عاد صاحبك الّذى بعثك لمثلها لنفارقنّه ؛ قال : ذاك إليك بعد مرّتك هذه ، فردّه ؛ فرجعا

١/٢٢٥٩

١/٢٢٦٠

(١) ابن حبيش : « أيعرض المسلمون ؟ » .

إلى سعد بالخبَر . وبأعلاج وأفراس ، وشكا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه ؛ أمّا قيسٌ فشكا عصيانَ عمرو ، وأمّا عمرو ، فشكا غِلْظة قيس ، فقال سعد : يا عمرو ، الخبر والسلامة أحبّ إلىّ من مُصاب مائة بقتل ألف ، أتعمَد إلى حَلْبة فارس فتصادِمهم بمائة! إن كنت لأراك أعلَم بالحرب ممّا أرى . فقال : إنّ الأمر لكَما قلت ؛ وخرج طُليحة حتى دخل عسكرهم فى ليلة مقمِرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أطنابَ بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرّ بعسكر ذى الحاجب ، فهتَك على رَجُلٍ آخر بيتَه ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكرَه فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الخرّارة ؛ وخرج الّذى كان بالنَّجف ، والّذى كان فى عسكر ذى الحاجب فاتّبعه الذى كان فى عسكر الجالنوس ، فكان أوّلهم لحاقًا به الجالنوس ؛ ثم الحاجبىّ ، ثم النَّجفى ؛ فأصاب الأوّلَيْن ، وأسَرَ الآخِر . وأتى به سعدًا فأخبره ، وأسلم ؛ فسمّاه سعد مسلمًا ؛ ولزم طُليحة ؛ فكان معه فى تلك المغازى كلّها .

١/٢٢٦١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عمرو ، عن أبى عثمان النَّهْدىّ ، قال : كان عمر قد عهِد إلى سعد حين بعثَه إلى فارس ؛ ألاّ يمرّ بماء من المياه بذى قوّة ونجدة ورياسة إلاّ أشخصه ؛ فإن أبَى انتخبه ، فأمّره عمر ، فقدم القادسيّة فى اثنى عشر ألفًا من أهل الأيّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم ؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غِبَّ القتال ، فأشركوا فى الغنيمة ، وفُرِضت لهم فرائض أهل القادسيّة : ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادُّوا تميمًا ؛ فلمّا دنا رستم ، ونزل النَّجَف بعث سعد الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلا ليسأله عن أهل فارس ؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف ؛ فلما أجمع مَلأ الناس أنّ الطليعةَ من الواحد إلى العشرة سَمَحوا ، فأخرج سعد طُليحة فى خمسة ، وعمرو بن مَعْدِ يكرب فى خمسة ؛ وذلك صبيحةَ قدّم رستم الجالنوس وذا الحاجب ؛ ولا يشعرون بفُصولهم من النَّجف ؛ فلم يسيروا إلاّ فرسخا وبعض

آخر ؛ حتى رأوا مسالحهم وسرحهم على الطُّفوف قد ملئوها ، فقال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرّحكم ؛ وهو يرى أنّ القوم بالنّجف ؛ فأخبروه الخبر ، وقال بعضهم : ارجعوا لا ينْذرْ بكم[1] عدوّكم ! فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتم ؛ ما بُعثتم لتُخبروا عن السَّرْح : وما بُعثتم إلا للخَبَر[2] قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القوم أو أهلك ، فقالوا : أنت رجل في نفسك غدْر ؛ ولن تفلح بعد قتل عُكّاشة ابن محْصَن ؛ فارجع بنا ، فأبى . وأتى سعدًا الخبرُ برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسديّ ، وأمّره على مائة ، وعليهم إن هو لقيهم . فانتهى إليهم وقد افترقوا ، فلمّا رآه عمرو قال : تجلّدوا له ؛ أرَوْه أنّهم يريدون الغارة ؛ فردّهم ؛ ووجد طليحةَ قد فارقهم فرجع بهم . فأتوْا سعدًا ، فأخبروه بقُرب القوم ، ومضى طُليحة ، وعارض المياهَ على الطُّفُوف ؛ حتى دخلَ عسكر رستم ، وبات فيه يجُوسه وينظر ويتوسّم ؛ فلمّا أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفْضل مَن توسّم في ناحية العسكر ؛ فإذا فرس له لم يُرَ في خيل القوم مثلُه ، وفسطاط أبيض لم يُرَ مثله ؛ فانتضى سيفَه ، فقطع مِقْودَ الفرس ، ثم ضمّه إلى مقْوَد فرسه ، ثم حرّك فرسه ، فخرج يعدُو به ، ونذِر به الناس والرَّجْل ، فتنادوْا وركبوا الصّعْبة والذّلول ، وعجِل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا في طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجُند ، فلمّا غشيَه وبوّأ له الرّمح ليطعنه عدل طُليحة فرسه ، فندر الفارسيّ بين يديه ، فكرّ عليه طُليحة ، فقصَم ظهره بالرّمح ، ثم لحق به آخر ، ففعل به مثلَ ذلك ، ثم لحق به آخر ؛ وقد رأى مصرع صاحبيه — وهما ابنا عمّه — فازداد حنَقًا ، فلمّا لحق بطُليحة ، وبوّأ له الرمح ؛ عدل طليحة فرسَه ، فندر الفارسيّ أمامه ، وكرّ عليه طليحة ؛ ودعاه إلى الإسار ، فعرف الفارسيّ أنه قاتله فاستأسرَ ، وأمره طُليحة أن يركُض بين يديه ؛ ففعل . ولحق الناس فرأوا فارسيِ الجند قد قتِلا وقد أسر الثالث ؛ وقد شارف طُليحة عسكرهم ،

١/٢٢٦٢ (margin, at line «السّرْح : وما بعثتم...»)

١/٢٢٦٣ (margin, at line «فلمّا لحق بطليحة...»)

---

(١) ابن حبيش : « لا يبدرنكم » .

(٢) ابن حبيش . « للخير » .

فأحجموا عنه ، ونكسوا ؛ وأقبل طُليحة حتى غشِيَ العسكر ، وهم على تعبية ، فأفزع النّاس ، وجوّزوه إلى سعد ؛ فلمّا انتهى إليه ، قال : ويحك ما وراءك ! قال : دخلت عساكرَهم[1] وجُستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلَهم توسّمًا ، وما أدرى أصبت أم أخطأت ! وها هو ذا فاستخبِرْه . فأقيم التّرجمان بين سعد وبين الفارسىّ ، فقال له الفارسىّ : أتؤمِنّنى على دمى إن صدقتُك ؟ قال : نعم ، الصّدق فى الحرب أحبّ إلينا من الكذب ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمّن قِبَلى ؛ باشرتُ الحروب وغشيتُها ، وسمعت بالأبطال ولقيتُها ؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترَى ، ولم أرَ ولم أسمع بمثل هذا ؛ أن رجلا قطع عسكرين لا يجترئ عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفًا ، يخدم الرجلَ منهم الخمسةُ والعشرة إلى ما هو دون ؛ فلم يرضَ أن يخرج كما دخل حتّى سلَب فارس الجند ؛ وهتك أطناب بيته فأنذرَه ، فأنذرَنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأوّل وهو فارس الناس ، يعدل ألفَ فارس فقتله ، فأدركه الثانى وهو نظيره فقتله ، ثم أدركتُه ، ولا أظنّ أننى خلّفت بعدى مَنْ يعدلنى وأنا الثائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمّى ؛ فرأيتُ الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خُدّام لهم . وأسلم الرّجل وسمّاه سعد مسلمًا ، وعاد إلى طليحة ، وقال : لا والله ، لا تُهزَمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاساة ؛ لا حاجة لى فى صُحبة فارس ؛ فكان من أهل البلاء يومئذ . ١/٢٣٦٤

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال سعد لقيس بن هُبيرة الأسدىّ : اخرج يا عاقلُ ، فإنّه ليس وراءك من الدّنيا شىء تحنُو عليه حتّى تأتيَنى بعلم القوم . فخرج وسرّح عمرَو بن معديكرب وطليحةَ ؛ فلمّا حاذَى القنطرة لم يسرْ إلاّ يسيرًا حتّى لحق ، فانتهى إلى خيلٍ عظيمة منهم بحيالها تردّ عن عسكرهم ، فإذا رستُم قد ارتحلَ من النّجَف ، فنزل منزل ذى الحاجب ،

(١) ز : « عسكرهم » .

فارتحل الجالنوس ، فنزل ذو الحاجب منزلَه ، والجالنوس يريد طَيْزَناباذ ؛ فنزل بها ، وقدّم تلك الخيل . وإنّ ما حمل سعدًا على إرسال عمرو وطليحة معه لَمقالةٌ بلغتْه عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هُبيرة قبل هذه المرّة ، فقال : قاتلوا عدوّكم يا معشرَ المسلمين . فأنشب القتال ، وطاردهم ساعة . ثم إنّ قيسًا حمَل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثنى عشر رجلا ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلابًا ، فأتوا بالغنيمة سعدًا وأخبروه الخبر ؛ فقال : هذه بشرى إن شاء الله ؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدّهم ؛ فلهم أمثالُها ، ودعا عمرا وطُليحة ، فقال : كيف رأيتما قيسا ؟ فقال طليحة : رأيناه أكمانا[1] ، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرّجال منّا . قال سعد : إنّ الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيا به قلوبًا كانت ميّتة ، وأمات به قلوبًا كانت حيّة ، وإنى أحذّركما أن تؤثرا أمر الجاهليّة على الإسلام ؛ فتموت قلوبكما وأنتما حيّان ؛ الزَما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ؛ فما رأى النّاس كأقوام أعزّهم الله بالإسلام . ١/٢٢٦٥

كتب إلىّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد ؛ وشاركهم المجالد وسعيد بن المَرْزُبان ، قالوا : فلمّا أصبح رستم من الغدِ من يوم نزل السَّيْلَحين قدّم الجالنوس وذا الحاجب ، فارتحل الجالنوس ، فنزل من دون القنطرة بحيال زُهرة ، ونزل إلى صاحب المقدّمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزَناباذ ، ونزل رستم منزلَ ذى الحاجب بالخرّارة ، ثم قدّم ذا الحاجب ؛ فلمّا انتهى إلى العتيق تَياسر حتى إذا كان بحيال قُدَيس خندق خندَقًا ، وارتحل الجالنوس فنزل عليه وعلى مقدّمته — أعنى سعدًا — زُهرة بن الحَويّة ، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن المُعْتَم ، وشُرحبيل بن السِّمط الكندىّ ، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو ، وعلى المُرامية فلان ، وعلى الرجْل فلان ، وعلى الطلائع سَواد بن مالك ، وعلى مقدّمة رستَم الجالنوس ، وعلى مجنّبتيه الهُرمزان ومِهران وعلى مجرّدته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع البيرزان ، وعلى الرّجالة زاذ بن بُهَيش . فلمّا انتهى رستم إلى العتيق ، وقف عليه ١/٢٢٦٦

---

(١) ابن حبيش : « أكمى منا » .

بِحيال عسكر سعد ؛ ونزّل الناس ؛ فما زالوا يتلاحقون ويُنْزِلهم فينزلون ؛ حتى أعتموا من كثْرتهم ؛ فبات بها تلك الليلة والمسلمون مُمْسِكون عنهم .

قال سعيد بن المرزبان : فلمّا أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا منجّم رستم على رستم برؤيا أريتها من الليل ، قال : رأيت الدّلو فى السماء ؛ دلوًا أفرِغ ماؤه ، ورأيت السمكة ؛ سمكة فى ضَحْضاح من الماء تضطرب ، ورأيت النّعائم والزُّهرة تزدهر ، قال : ويحك ! هل أخبرت بها أحدًا ؟ قال : لا ، قال : فاكتمها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كان رستم منجّمًا ، فكان يبكى ممّا يرى ويقدم عليه ، فلمّا كان بظهر الكوفة رأى أنّ عمر دخل عسكر فارس ، ومعه ملَك ، فختم على سلاحهم ، ثم حزمه ودفعه إلى عمر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم — وكان قد شهد القادسيّة — قال : كان مع رستم ثمانية عشر فيلاً ، ومع الجالنوس خمسة عشر فيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ؛ قال : كان مع رستم يوم القادسيّة ثلاثون فيلا . ٢٢٦٧/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيْف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل ، قال : كان مع رستم ثلاثة وثلاثون فيلا ؛ منها[1] فيل سابور الأبيض ، وكانت الفيَلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : كان معه ثلاثة وثلاثون فيلا : معه فى القلْب ثمانية عشر فيلاً ، ومعه فى المجنّبتين خمسة عشر فيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد وطلحة

---

(١) ابن حبيش : « فيها » .

وعمرو وزياد ، قالوا: فلمّا أصبح رسم من ليلته الّتى باتها بالعتيق ، أصبح راكبًا فى خيْله ، فنظر إلى المسلمين ، ثم صعد نحو القنطرة ، وقد حزر الناس ، فوقف بحيالهم دون القنطرة؛ وأرسل إليهم رَجُلاً ؛ إنّ رستم يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا ، وانصرف فأرسل زُهرة إلى سعد بذلك ؛ فأرسل إليه المغيرة بن شُعبة ، فأخرجه زُهرة إلى الجالنوس ؛ فأبلغه الجالنوس رستم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر، عن ابن الرُّفَيل ، عن أبيه ، قال : لمّا نزل رستم على العتيق وبات به ، أصبح غاديًا على التّصفّح والحزْر[١] ، فسايَرَ العتيق نحو خَفّان؛حتى أتى على مُنْقطَع عسكر المسلمين ، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة؛ فتأمّل القوم ؛ حتى أتى على شىء يُشرف منه عليهم ؛ فلما وقف على القنطرة راسل زُهرة ، فخرج إليه حتى واقفه، فأراده أن يصالحهم ، ويجعل له جُعْلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول: أنتم[٢] جيراننا وقد كانت طائفة منكم فى سلطاننا ؛ فكنّا نُحسن جِوارهم ، ونكفّ الأذى عنهم ، ونولّيهم المرافق الكثيرة ، نحفظهم فى أهل باديتهم[٣] ؛ فنُرعيهم مراعينا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة فى شىء من أرضنا؛ وقد كان لهم فى ذلك معاش — يعرّض لهم بالصّلح ؛ وإنما يخبره بصنيعهم ،والصلح يريد ولا يصرّح — فقال له زهرة: صدقتَ ،قد كان ما تذكر؛ وليس أمرُنا أمرَ أولئك ولا طَلِبتنا. إنّا لم نأتكم لطلَب الدّنيا؛ إنما طلبتنا وهمّتنا الآخرة؛كنّا كما ذكرت، يدين لكم من ورد عليكم منّا، ويضرع إليكم يطلب ما فى أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً ، فدعانا إلى ربّه ،فأجبناه ، فقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: إنّى قد سلّطت هذه الطائفة علَىّ من لم يَدِنْ بدينى ،فأنا منتقم بهم منهم ؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحقّ ،لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ، ولا يعتصم به أحد إلاّ عزّ . فقال له رستم : وما هو ؟ قال : أمّا عموده الّذى

٢٢٦٨/١

(١) التصفح : التأمل ، والحزر : التخمين .
(٢) ابن الأثير : « كنتم » ، وابن حبيش : « إنكم ».
(٣) ز : « ناديهم » .

لا يصلح منه شيء إلاّ به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال : ما أحسن هذا ! وأىّ شيء أيضًا ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . قال : حسنٌ ، وأىّ شيء أيضًا ؟ قال : والنّاس بنو آدم وحوّاء ، إخوة لأب وأمّ ، قال : ما أحسن هذا ! ثمّ قال له رستم : أرأيت لو أنّى رضيت بهذا الأمْر وأجبتكم إليه ؛ ومعى قومى كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إى والله ، ثم لا نقرب بلادكم أبدًا إلاّ فى تجارة أو حاجة . قال : صدقتنى والله ، أمَا إنّ أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدَعُوا أحدًا يخرج من عمله من السّفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدّوا طَوْرهم ، وعادَوْا أشرافهم . فقال له زُهرة : نحن خيرُ النّاس للنّاس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ؛ نطيع الله فى السّفلة ، ولا يضرّنا مَنْ عصى الله فينا . فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا . فَحمُوا[1] من ذلك ، وأنفوا ، فقال : أبعدَكم الله وأسحقكم ! أخزى الله أخرَعنا وأجبننا[2] ! فلمّا انصرف رستم ملتُ إلى زُهرة ، فكان إسلامى ، وكنت له عديدًا . وفرض لى فرائض أهل القادسيّة . ١/٢٢٦٩

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيْف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شُعبة وبُسْر بن أبى رُهْم وعَرفَجة بن هَرثمة وحُذيفة بن مِحصَن ورِبْعىّ بن عامر وقِرفة بن زاهر التيمىّ ثم الواثلىّ ومذعُور بن عَدِىّ العجلىّ ، والمضارب ابن يزيد العِجلىّ ومَعْبَد بن مُرّة العِجلىّ — وكان من دُهاة العرب — فقال : إنى مُرسلُكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعًا : نتّبع ما تأمرنا به ، وننتهى إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثلَ ما ينبغى وأنفَعَه للنّاس ؛ فكلّمناهم به . فقال سعد : هذا فِعل الحزَمة ، اذهبوا فتهيّئُوا ، فقال رِبعىّ بن عامر : إنّ الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى ١/٢٢٧٠

(١) ز : « فخملوا » .
(٢) ز : « أجنننا وأجزعنا » .

نأتهم جميعًا يروا أنّا قد احتفلنا بهم ! فلا تزدهم على رجل ؛ فمالئوه جميعًا على ذلك ، فقال : فسرّحونى ، فسرّحه ، فخرج ربعىّ ليدخُل على رستم عسكره ، فاحتبسه الّذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم لمجيئه ، فاستشار عظماءَ أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنُباهى أم نتهاوَن ! فأجمع ملؤُهم على التهاون ، فأظهروا الزّبْرِج ، وبسطوا البُسُط والنّمارق ، ولم يتركوا شيئًا ، ووضع لرستم سرير الذّهب ، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب . وأقبل رِبعىّ يسير على فرس له زبّاء[1] قصيرة ، معه سيف له مَشُوف[2] ، وغمده لِفافة ثوب خَلَق ، ورمحُه معلوب[3] بقِدّ ، معه حَجَفة[4] من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونَبْله . فلمّا غشى الملكَ ، وانتهى إليه وإلى أدنى البُسط ، قيل له : انزل ، فحمَلها على البِساط ، فلمّا استوت عليه ، نزَل عنها ورَبطها بوسادتين فشقّهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهَوه ؛ وإنما أروه التّهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استحراجَهم[5] ، وعليه درع له كأنها أضاة[6] ويَلْمَقُه[7] عباءة بعيره ، قد جابها[8] وتدرّعها ، وشدّها على وسطه بسَلَب[9] وقد شدّ رأسه بمعجرته ؛ وكان أكثر العرب شعرةً ، ومِعجرته نِسعة بعيره ؛ ولرأسه أربع ضفائر ؛ قد قمن قيامًا ، كأنهنّ قرون الوعِلة . فقالوا : ضَعْ سلاحك ، فقال : إنّى لم آتِكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتمونى ، فإن أبيتم أن آتيَكم كما أريد رجعت . فأخبروا رستم ؛ فقال : ائذنوا له ؛ هل هو إلاّ رجل واحد! فأقبل يتوكّأ على رمحه ، وزُجّه نصلٌ يقارب

٢٢٧١/١

---

(١) زباء : طويلة الشعر كثيرته . (٢) المشوف : المجلو .

(٣) يقال : علب الرمح ، فهو معلوب ، أى حزم مقبضه بعلباء البعير ، وهو عنقه .

(٤) الحجفة : الترس .

(٥) ز : « استخراجهم » .

(٦) الأضاة : الغدير .

(٧) اليلمق : القباء .

(٨) فى اللسان : « جبت القميص . قورت جيبه » .

(٩) السلب : ليف المقل .

الحطو ، ويزجّ النّمارق والبُسط ؛ فما ترك لهم نُمرقة ولا بساطًا إلاّ أفسده وتركه منهتكا مخرّقًا[1] ؛ فلمّا دنا من رستم تعلّق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحَه بالبُسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إنّا لا نستحبّ[2] القعود على زينتكم هذه. فكلّمه ،فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ،والله جاء بنا لنُخرجَ مَن شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدّنيا إلى سعتها ، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلْقه لندعوَهم إليه ،فمن قبِل منّا ذلك قبِلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضَه يليها دُوننا ، ومن أبى قاتلناه أبدًا ؛ حتّى نُفضيَ إلى موعود الله. قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنّة لمن مات على قتال مَن أبى ، والظّفَر لمن بقِى . فقال رستم : قد سمعت مقالتكم ؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتَنْظُروا ! قال : نعم ، كم أحبّ إليكم ؟ أيومًا أو يومين ؟ ٢٢٧٢/١ قال : لا بل حتّى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . وأراد مقاربته ومدافعته ، فقال : إنّ مما سنّ لنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمل به أئمّتنا ، ألاّ نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجّلهم عند اللقاء أكثرَ من ثلاث، فنحن متردّدون عنكم ثلاثًا ، فانظر فى أمرك وأمرهم ، واختر واحدةً من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام ونَدَعك وأرضك ، أوالجزاء، فنقبل ونكفّ عنك؛وإن كنت عن نصرنا غنيًّا تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجًا منعناك؛أو المنابذة فى اليوم الرابع ؛ ولسنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابى وعلى جميع مَن ترى . قال : أسيّدُهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكنّ المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ؛ يجير أدناهم على أعلاهم . فخلص رستم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلامًا قطّ أوضحَ ولا أعزّ من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدَع دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ! فقال : ويْحكم

(١) ابن حبيش : « وتركها متهتكة منخرقة » .

(٢) النويرى : « نستحل » .

لا تنظروا إلى الثياب ، ولكن انظروا إلى الرّأى والكلام والسِّيرة ؛ إنّ العرب تستخفّ باللِّباس والمأكل ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم فى اللبّاس ، ولا يروْن فيه ما ترون . وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويزهّدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم إلى أن تُرُونى فأرِيَكم ؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار . فقال القوم : اغمِدْه ، فغمده ؛ ثمّ رمى تُرسًا ورموا حَجَفته ، فخُرق تُرسهم ، وسلمت حَجَفته ، فقال : يا أهلَ فارس ؛ إنكم عظّمتم الطعام واللِّباس والشراب ؛ وإنّا صغّرناهنّ . ثمّ رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل ، فلمّا كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرّجُل ؛ فبعث إليهم سعد حُذيفة بن مِحصن ، فأقبل فى نحو من ذلك الزّىّ ، حتى إذا كان على أدنى البِساط ، قيل له : انزل ، قال : ذلك لو جئتُكم فى حاجتى ؛ فقولوا لملككم : أله الحاجة أم لى ؟ فإن قال : لى ؛ فقد كذب ؛ ورجعت وتركتكم ؛ فإن قال : له ، لم آتكم إلا على ما أحِبّ . فقال : دعوه ، فجاء حتى وقف عليه ورستم على سريره ، فقال : انزل ، قال : لا أفعل ، فلمّا أبى سأله : ما بالك جئت ولم يجئْ صاحبنا بالأمس ؟ قال : إن أميرنا يحبّ أن يعدل بيننا فى الشدّة والرّخاء ؛ فهذه نوْبتى . قال : ما جاء بكم ؟ قال : إنّ الله عزّ وجلّ مَنّ علينا بدينه ، وأرانا آياته ، حتى عرفناه وكنا له منكرين . ثم أمرنا بدُعاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛ فأيّها أجابوا إليها قبلناها : الإسلام وننصرف عنكم ، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ، أو المنابذة . فقال : أو الموادعة إلى يوم ما ؟ فقال : نعم ، ثلاثًا من أمس . فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه ، فقال : ويْحكم ! ألا ترون إلى ما أرى ! جاءنا الأوّل بالأمس فغلَبنا على أرضنا ، وحقّر ما نعظّم ، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربَطه به ؛ فهو فى يُمْن الطائر ، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم ، مع فضل عقله . وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا ؛ فهو فى يُمْنِ الطائر ، يقوم على أرضنا دوننا ؛ حتى أغضَبهم وأغضبوه . فلمّا كان من الغد أرسل : ابعثوا إلينا رجلاً ، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان النّهدىّ . قال : لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبَرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم

فى إجازته ، ولم يغيِّروا شيئًا من شارتهم ، تقويةً لتهاونهم ؛ فأقبل المغيرة بن شعبة . والقوم فى زيِّهم ، عليهم التِّيجان والثِّياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم على غَلْوة[1] لا يصلُ إلى صاحبهم ؛ حتى يمشىَ عليهم غَلْوةً ؛ وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشى ؛ حتى جلس معه على سريره ووسادته ؛ فوثبوا عليه فترتروه[2] وأنزلوه ومغثوه[3] . فقال : كانت تبلُغنا عنكم الأحلام ؛ ولا أرى قومًا أسفهَ منكم ! إنَّا معشر العرب سواءٌ ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلاّ أن يكون محاربًا لصاحبه ؛ فظننت أنَّكم تُواسون قومَكم كما نتواسى ؛ وكان أحسن من الذى صنعتم أن تُخبرونى أنَّ بعضكم أربابُ بعض ، وأنَّ هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه ؛ ولم آتِكم ؛ ولكن دعوتمونى اليوم ؛ علمت أن أمركم مضمحلّ ، وأنّكم مغلوبون ؛ وأن مُلكًا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول .

١/٢٢٧٥

فقالت السّفلة : صدَق والله العربىّ ؛ وقالت الدّهاقين : والله لقد رَمى بكلام لا يزال عبيدُنا ينزعون إليه ؛ قاتل الله أوّلينا ، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغّرون أمر هذه الأمّة ! فمازحه رستم ليمحُوَ ما صُنع ، وقال له : يا عربىّ ؛ إنّ الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرها عمّا ينبغى من ذلك ؛ فالأمر علىّ ما تحبّ من الوفاء وقبول الحقّ ؛ ما هذه المغازل التى معك ؟ قال : ما ضرّ الجمرة ألاّ تكون طويلة ! ثم راماهم . وقال : ما بال سيفك رثًّا ! قال : رثُّ الكسوةِ ، حديد المضربة . ثم عاطاه سيفه ، ثم قال له رستم : تكلّم أم أتكلّم ؟ فقال المغيرة : أنت الّذى بعثت إلينا ، فتكلّم . فأقام الترجمان بينهما ، وتكلّم رستم ، فحمِد قومه ، وعظّم أمرهم وطوّله . وقال : لم نزل متمكّنين فى البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافًا فى الأمم ؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزّنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصَر على النّاس ولا يُنصرون علينا إلاّ اليوم واليومين ، أو الشّهر والشّهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا انتقم الله فرضىَ ردّ إلينا عزّنا ؛ وجمعْنا لعدونا شرّ يوم هو آتٍ عليهم .

١/٢٢٧٦

---

(١) الغلوة : قدر رجعة السهم . (٢) ترتروه : حركوه .

(٣) مغثوه : ضربوه ضرباً ليس بالشديد .

ثم إنه لم يكن فى النّاس أمة أصغر عندنا أمرًا منكم ؛ كنتم أهلَ قَشف ومعيشة سيّئة ، لا نراكم شيئًا ولا نعدُّكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ، وأصابتكم السَّنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء[1] من التّمْر والشعير ثم نردّكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلاّ ما أصابكم من الجهد فى بلادكم ، فأنا آمرُ لأميركم بكُسوة وبغْل وألف درهم ، وآمرُ لكلّ رجل منكم بوِقر تمْرٍ وبثوبين ، وتنصرفون عنّا ، فإنى لست أشتهى أن أقتُلكم ولا آسركم .

فتكلّم المغيرة بن شُعبة ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، وقال : إنّ الله خالق كلّ شىء ورازقه ؛ فمن صنع شيئًا فإنما[2] هو الذى يصنعه هو له[2]. وأمّا الذى ذكرت به نفسَك وأهلَ بلادك ؛ من الظّهورِ على الأعداء والتمكّن فى البلاد وعُظْم السلطان فى الدنيا ؛ فنحن نعرفه ، ولسنا نُنكره ؛ فالله صنعه بكم ؛ ووضعه فيكم ؛ وهو له دونكم ؛ وأمّا الذى ذكرت فينا من سُوء الحال ، وضيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفُه ؛ ولسنا ننكره ؛ والله ابتلانا بذلك ، وصيّرنا إليه ، والدنيا دُوَل ؛ ولم يزل أهلُ شدائدها يتوقّعون الرّخاء حتى يصيروا إليه ؛ ولم يزل أهل رخائها يتوقّعون الشّدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوِى شُكر ، كان شكركم يقصّر عمّا أوتيتم ، وأسلمكم ضَعْف الشكر إلى تغيّر الحال ؛ ولو كنّا فيما ابتُلينا به أهلَ كفر ؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلبًا من الله رحمة يرفّه بها عنّا ، ولكنّ الشأن غيرُ ما تذهبون إليه ؛ أو[3] كنتم تعرفوننا به ؛ إنّ الله تبارك وتعالى بعثَ فينا رسولاً ... ثم ذكر مثلَ الكلام الأوّل ؛ حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكنْ لنا عبدًا تؤدّى الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإلاّ فالسيف إن أبيت ! فنخر نخرة ، واستشاط غضبًا ، ثم حلَف بالشّمْس لا يرتفع لكم الصّبح غدًا حتى أقتلكم أجمعين .

١/٢٢٧٧

فانصرف المغيرة ؛ وخلَص رستم تألّفا بأهل[4] فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتِكم الأوّلان فحسّراكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم

(١) ابن الأثير والنويرى : « بشىء » .
(٢ – ٢) ط : « فإنما هو يصنعه والذى له » ، وانظر التصويبات .
(٣) ابن حبيش : « إذ » .
(٤) ز : « لأهل »

هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقاً واحداً ، ولزموا أمراً واحداً ؛ هؤلاء والله الرجال ؛ صادقين كانوا أم كاذبين ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصَوْنهم لسِرّهم ألاّ يختلفوا، فما قَوْمٌ أبلَغ فيما أرادوا منهم ؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم لهؤلاء شيء ! فلجّوا وتجلّدوا وقال : والله إني لأعلم أنّكم تُصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإنّ هذا منكم رِئاء؛ فازدادوا لَجاجة .

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن النّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً . وقال له : إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه : فناد : إن الملك كان منجّماً قد حسب لك ونظر في أمرك، فقال : إنّك غداً تُفقأ عينُك[1] . ففعل الرسول ، ١/٢٢٧٨ فقال المغيرة : بشّرتَني[2] بخير وأجر ؛ ولولا أنْ أجاهدَ بعد اليوم أشباهَكم من المشركين ، لتمنّيتُ أنّ الأخرى ذهبت أيضاً . فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجّبون مِنْ بصيرته ؛ فرجع إلى الملك بذلك، فقال : أطيعوني يا أهلَ فارس ؛ وإنّي لأرى لله فيكم نِقْمة لا تستطيعون ردَّها عن أنفسكم . وكانت خيولُهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلاّ عليها ، فلا يزالون يبدءون المسلمين ، والمسلمون كافّون عنهم الثلاثة الأيام ؛ لا يبدءونهم ؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم ورَدَعوهم .

كتب إليّ السريّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان ترجمان رستم عن أهل الحيرة يُدعى عَبُود.

كتب إليّ السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ وسعيد بن المرزبان ، قالا : دعا رستم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه — وكان عربيّاً من أهل الحيرة : يُدعى عَبُود — فقال له المغيرة : ويحك يا عَبُود ! أنت رجل عربيّ ؛ فأبلغْه عنّي إذا أنا تكلّمت كما تُبلغني عنه. فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته ، إلى إحدى

---

(١) ابن حبيش : « إنا نفقأ عينك غداً » .   (٢) ذ : لتبشرني » .

ثلاث خلال : إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا ؛ ليس فيه تفاضُل بيننا ، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون . قال : ما « صاغرون » ؟ قال : أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمَده أن يقبلها منه ... إلى آخر الحديث ؛ والإسلام أحبّ إلينا منهما . ٢٢٧٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : شهدتُ القادسيَّة غلامًا بعد ما احتلمت ؛ فقدم سعد القادسيَّة فى اثنى عشر ألفًا ؛ وبها أهل الأيَّام ، فقدمتْ علينا مقدّمات رستم ، ثمّ زحف إلينا فى ستين ألفًا ، فلما أشرف رستم على العسكر قال : يا معشرَ العرب ، ابعثوا إلينا[١] رجلاً يكلّمنا ونكلّمه ؛ فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة ونفرًا ، فلما أتوْا رستم جلس المغيرة على السَّرير ، فنخر أخو رستم ، فقال المغيرة : لا تنخر ؛ فما زادنى هذا شرفًا ولانقص أخاك . فقال رستم : يا مغيرة ، كنتم أهل شقَاء ، حتى بلغ ؛ وإن كان لكم أمرٌ سوى ذلك ، فأخبرونا . ثم أخذ رستم سهمًا من كنانته ، وقال : لا تروْا أنّ هذه المغازل تغنى عنكم شيئًا ؛ فقال المغيرة مجيبًا له ، فذكر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم [قال] : فكان ممَّا رزقنا الله على يديه حبَّة تنبت فى أرضكم هذه ؛ فلمّا أذقناها عيالنا ، قالوا : لا صبرَ لنا عنها ، فجئنا لنُطعمهم أو نموت . فقال رستم : إذًا تموتون أو تُقتلون ، فقال المغيرة : إذًا يدخل مَن قتل منّا الجنّة ، ويدخل مَن قتلنا منكم النارَ ، ويظفر مَن بقىَ منّا بمن بقى منكم ؛ فنحن نخيّرك بين ثلاث خلال ... إلى آخر الحديث فقال رستم : لا صلح بيننا وبينكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : أرسل إليهم سعد بقيَّة ذوى الرأى جميعًا ، وحبس الثّلاثة[٢] ، فخرجوا حتى أتوْه ليعظموا عليه استقباحًا ، فقالوا له : إنّ أميرَنا يقول لك : إنّ الجوار يحفظ الوُلاة ، وإنّى أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ٢٢٨٠/١

(١) ز : « لنا » . (٢) ز : « فحبس الثلاثة جميعاً » .

ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا مِن بعْض ؛ إلاّ أنّ داركم لكم ، وأمركم فيكم ؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم دوننا ، وكنّا لكم عونا على أحد إن أرادكم أو قوِى عليكم . واتّق الله يا رستم ؛ ولا يكوننّ هلاكُ قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تَغْبَط به إلا أن تدخل فيه وتطرُد به الشيطان عنك ؛ فقال : إنى قد كلّمت منكم نفرًا ، ولو أنهم فهموا عنّى رجوت أن تكونوا قد فهِمتم ، وإنّ الأمثال أوضحُ من كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثَلكم تَبَصَّروا . إنكم كنتم أهل جَهد فى المعيشة ، وقَشَف فى الهيئة ، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم نُسِئ جِوارَكم ؛ ولم ندع مواساتكم ، تُقحِمون المرّة بعد المرّة ، فنميركم ثم نردّكم[1] ، وتأتوننا أجَراء وتجّارًا ، فنحسِن إليكم ؛ فلما تطاعمتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ، وأظلّكم ظلّنا ، وصفتم لقومكم ؛ فدعوتموهم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مثلُكم فى ذلك ومثلُنا كمثل رجل كان له كَرْم ، فرأى فيه ثعلبا ، فقال : وما ثعلب ! فانطلق الثّعلب ، فدعا الثّعالب إلى ذلك الكَرْم ، فلما اجتمعن عليه سدّ عليهنّ صاحبُ الكرْم الجُحر الّذى كنّ يدخلْن منه ، فقتلهنّ ؛ وقد علمتُ أنّ الذى حمَلكم على هذا الحرصُ والطمعُ والجَهد ؛ فارجعوا عنّا عامَكم هذا ، وامتاروا حاجتَكم ، ولكم العَوْد كلّما احتجتم ، فإنى لا أشتهى أن أقتلكم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُمارة بن القعقاع الضّبىّ ، عن رجل من يَربوع شهدَها ، قال : وقال وقد أصابَ أناس كثير منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرُهم القتل والهرَب ، ومَن سنّ هذا لكم خيرٌ منكم وأقوى ؛ وقد رأيتم أنتم كلّما أصابوا شيئًا أصيب بعضهم ونجا بعضهم ؛ وخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون مثل جُرْذان ألِفت جرّة فيها حَبّ ، وفى الجرّة ثَقْب ، فدخل الأوّل فأقام فيها ، وجعل الأخَر ينقُلن منها ويرجعْن ويكلّمْنه فى الرجوع ، فيأبَى فانتهى سمن الذى فى الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُريَهم حُسن حاله ،

[1] ز : « ندرؤكم » .

٢٢٨١/١
٢٢٨٢/١

فضاق عليه الجُحر ، ولم يُطِق الخروج ، فشكا القَلَق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكفّ وجوّع نفسه ، وبقِيَ في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلَها أتى عليه صاحب الجَرّة فقتله . فاخرُجوا ولا يكونَنّ هذا لكم مثلا .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : وقال : لم يخلق الله خلْقا أولَع من ذُباب ولا أضرّ ؛ ما[1] خلاكم يا معشر العرب ؛ ترون الهلاك ويُدليكم فيه الطّمع ؛ وسأضرب لكم مثلكم : إنّ الذّباب إذا رأى العسلَ طار ، وقال : مَن يوصّلني إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهنهُه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشِب وقال : مَن يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضًا : إنما مثلُكم مثل ثعلب دخل جُحرًا وهو مهزول ضعيف إلى كَرْم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكَرْم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلمّا طال مكثُه في الكَرْم وسمِن ، وصلَحت حالُه ، وذهب ما كان به من الهزال أشِر ، فجعل يعبث بالكَرْم ويُفسد أكثر ممّا يأكل ، فاشتدّ على صاحب الكَرْم ، فقال : لا أصبر علىّ هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلمانه ، فطلبوه وجعل يراوِغهم في الكَرْم ، فلّما رأى أنّهم غيرُ مُقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجُحر الّذى دخل منه ، فنشب . اتّسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكَرْم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جئتم وأنتم مهازيل ؛ وقد سمِنتُم شيئًا من سِمَن ؛ فانظروا كيف تخرجون ! وقال أيضًا : إنّ رجلا وضع سَلاًّ ، وجعل طعامه فيه ؛ فأتى الجِرذان ، فخرقوا سلّه ، فدخلوا فيه فأراد سدّه ، فقيل له : لا تفعل ، إذًا يخرقْنَه ، ولكن انقب بحياله ؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوّفة ؛ فإذا جاءت الجُرذان دخلْن من القصبة وخرجن منها ، فكلّما طلع عليكم جُرَذ قتلتموه . وقد سددتُ عليكم ؛ فإيّاكم أن تقتحموا القصَبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلاّ قُتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ؛ ولا أرى عَددًا ولا عُدّة !

٢٢٨٣/١

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « أما » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سَيْف ، عن محمّد وطلحة بإسنادهما وزياد معهما ، قالوا : فتكلّم القوم فقالوا : أمّا ما ذكرتم من سُوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا ، فلمّا تبلغ كُنْهَه ! يموت الميّت منّا إلى النار ، ويبقى الباقى منّا فى بؤس ؛ فبينا نحن فى أسْوَإ ذلك ؛ بعث الله فينا رَسُولاً من أنْفُسِنَا إلى الإنس والجنّ ، رحمةً رحم بها مَن أراد رحْمَتَه ، ونقمة ينتقم بها ممن ردّ كرامته ؛ فبدأ بنا قبيلة قبيلة ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه ؛ ولا أشدّ إنكارًا لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذى جاء به من قومه ، ثم الّذين يلُونهم ، حتى طابقْناه على ذلك كلّنا ؛ فنصبنا له جميعًا ، وهو وحده فَردٌ ليس معه إلاّ الله تعالى ؛ فأعطِىَ الظّفرَ علينا ، فدخل بعضُنا طوعًا ، وبعضنا كرهًا ، ثم عرفنا جميعًا الحقّ والصّدق لما أتانا به من الآيات المعجزة ؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جهاد الأدنى فالأدنى ، فسرنا بذلك فيما بيننا ، نرى أنّ الذى قال لنا ووعَدنا لا يُخرَم عنه ولا يُنقَض ؛ حتى اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرّأى فيما لا يطيق الخلائق تألينهم . ثم أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد فى سبيله ، ونَنفُذ لأمره ، وننتجز موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ؛ فإن أجبتمونا تركناكم ورجعنا وخلّفنا فيكم كتابَ الله ؛ وإن أبيتم لم يحلّ لنا إلاّ أن نعاطيكم القتال أو تفتدوا بالجزى ؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أورثنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم . فاقبلوا نصيحتنا ؛ فوالله لَإسلامُكمْ أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولَقتالكم بعدُ أحبّ من صلحكم . وأمّا ما ذكرت من رثاثتنا وقلّتنا فإنّ أداتنا الطاعة ، وقتالنا الصبر[1] . وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتمُ للرجال والأمور الجسام وللجِدّ الهزل ؛ ولكنّا سنضرب مثلكم ، إنّما مثلُكم مثلُ رجل غرَس أرضا ، واختار لها الشّجَر والحَبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيّنها بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جنّاتها ، فخلاَ الفلاحون فى القصور على ما لا يحبّ ، وفى الجنان بمثل ذلك ، فأطال نظرتهم ؛ فلمّا لم يستحيوا[2] من تلقاء أنفسهم ؛ استعتَبهم فكابروه ، فدعا

(١) ز : « بالنصر » .

(٢) ابن حبيش والنويرى : « يستجيبوا » .

إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطّفهم النّاس ، وإن أقاموا فيها صارُوا خَوَلاً لهؤلاء يملكونهم ؛ ولا يملّكون عليهم ؛ فيسومونَهُم الخَسْفَ أبدًا ؛ ووالله أن لو لم يكن ما نقول لك حقًّا ، ولم يكن إلاّ الدنيا ، لما كان لنا عَمّا ضرِينا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زِبْرِجكم من صبرٍ ، ولقارعناكم حتى نغلبَكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبرُوا إلينا ، فخرجوا من عنده عشيًّا ، وأرسل سعد إلى النّاس أن يقفوا مواقفَهم ، وأرسل إليهم : شأنَكم والعبور؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة ! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ؛ تكلّفوا مِعبرًا غير القناطر ، فباتوا يسكُرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم .

* * *

يوم أرماث

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكَم ، قالا : لمّا أراد رستم العبورَ أمر بسكْر[1] العتيق بِحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلي عين الشمس ، فباتوا ليلتَهم حتّى الصباح يسكُرون العتيق بالتراب والقَصَب والبراذع حتى جعلوه طريقًا ، واستتَم بعد ما ارتفع النهار من الغد . ٢٢٨٦/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ورَأى رستم من الليل أن ملَكًا نزل من السماء ، فأخذ قِسِيّ أصحابه ، فختم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء ؛ فاستيقظ مهمومًا محزونًا ، فدعا خاصّته فقصّها عليهم ، وقال : إنّ الله ليَعظُنا ، لو أنّ فارس تركوني أتّعظ ! أما ترون النصر قد رُفع عنّا ، وترون الريح مع عدوّنا ، وأنّا لا نقوم لهم في فعل ولا مَنطق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجبريّة ! فعبروا بأثقالهم حتى نزلُوا على ضَفّة العتيق .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمَش ، قال :

---

(١) سكر النهر : سد فاه .

لمَّا كان يوم السُّكْر ، لبس رستم درعَيْن ومِغفرًا وأخذ سلاحه ، وأمر بفرسه فأسرِج ، فأُتِيَ به فوثَب ؛ فإذا هو عليه لم يمسَّه ولم يضع رِجله فى الرّكاب ، ثم قال : غدًا ندقّهم دقًّا ، فقال له رجل : إن شاء الله ، فقال : وإن لم يشأ !

كتبَ إلىّ السرىُّ ، بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال رستم : إنّما ضَغَا الثعلب حين مات الأسد — يذكّرهم[1] موتَ كسرى — ثم قال لأصحابه : قد خشيتُ أن تكونَ هذه سنة القرود . ولما عَبَر أهل فارس أخذوا مصافّهم ، وجلس رستم على سريره وضُرِب عليه طيّارة ، وعبّى فى القلب ثمانية عشر فيلاً ، عليهَا الصناديق والرّجال ، وفى المجنّبتين ثمانية وسبعة ، عليها الصناديق والرّجال ، وأقام الجالِنوس بينه وبين ميمنته والبيرزان بينه وبين ميسرته ، وبقيت القنطرة بين خيليْن من خيول المسلمين وخيول المشركين ؛ وكان يزْدَجِرْد وَضَع رجُلاً على باب إيوانه ، إذ سرّح رستم ، وأمَرَه بلزومه وإخباره ، وآخرَ حيث يسمعه من الدّار، وآخر خارج الدار، وكذلك علَى كلّ دعوة رجلا ؛ فلما نزل رستم، قال الذى بساباط : قد نزل ، فقاله الآخر... حتى قاله الذى على باب الإيوان ؛ وجعل بين كلّ مرحلتَيْن على كلّ دعوة رجلاً ؛ فكلّما نزل وارتحل أو حدث أمرٌ قاله ؛ فقاله الذى يليه ، حتى يقوله الذى يلى باب الإيوان ؛ فنظّم ما بين العتيق والمدائن رجالاً ، وترك البُرُد ، وكان ذلك هو الشأن .

٢٢٨٧/١

وأخذ المسلمون مصافّهم ، وجُعِل زُهرة وعاصم بين عبد الله وشُرَحبيل ، ووكلّ صاحب الطلائع بالطِّراد ، وخلَط بين الناس فى القلب والمجنّبات ، ونادى مناديه : ألا إنّ الحسد لا يحلّ إلاّ على الجهاد فى أمر الله يأيّها الناس ؛ فتحاسدوا وتغَايروا على الجِهاد . وكان سعد يومئذ لا يستطيعُ أن يركبَ ولا يجلس ، به حُبون[2] ، فإنّما هو على وجهه فى صدره وسادة ، هو مُكِبّ عليها ، مُشرِف على الناس من القَصْر ، يرمى بالرّقاع فيها أمرُه ونهيُه ،

٢٢٨٨/١

(١) ابن حبيش : « يريد » .

(٢) الحبون : الدماميل ، واحدها حبن .

إلى خالد بن عُرْفُطة ، وهو أسفل منه ؛ وكان الصفّ إلى جنب[١] القَصْر ، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدًا مُشرِفًا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ؛ عن القاسم بن الوليد الهمْدانىّ ، عن أبيه، عن أبى نِمْران ، قال : لمّا عَبَر رستم تحوّل زُهرة والجالنوس ، فجعل سعد زُهرةَ مكان ابن السِّمط ، وجعل رستم الجالِنوس مكان الهُرْمُزان، وكان بسعد عِرْق النَّسَا ودَمَاميل ، وكان إنما هو مكبّ ، واستخلف خالد بن عُرْفُطة علَى الناس ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احملونى، وأشرِفوا بى على النّاس ؛ فارتقَوْا به ، فأكبّ مطّلعًا عليهم ، والصفّ فى أصل حائط قُدَيْس ؛ يأمر خالدًا فيأمر خالد الناس ، وكان ممّن شغب عليه وجوهٌ من وجوه النّاس ، فهمّ بهم سعد وشتَمهم ، وقال : أمَا والله لولا أنّ عدوّكم بحضرتكم لجعلتكم نَكالاً لغيركم ! فحبسهم — ومنهم أبو مِحْجَن الثَّقَفِىّ — وقيّدهم فى القصر ، وقال جرير : أما إنى بايعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على أن أسمعَ وأطيع لمن ولاّه الله الأمر وإن كان عبدًا حبشيًّا ، وقال سعد : والله لا يعود أحدٌ بعدها يحبس المسلمين عن عدوّهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلاّ سُنَّت به[٢] سُنَّة يؤخَذ بها مِنْ بعدى.

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : إنّ سعدًا خطب مَنْ يليه يومئذ ؛ وذلك يوم الاثنين فى المحرّم سنة أربع عشرة ، بعد ما تهدّم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطة فحمِد الله وأثنى عليه . وقال : إن الله هو الحقّ لا شريك له فى المُلْك ؛ وليس لقوله خلْف ، قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[٣] ، إنّ هذا ميراثكم وموعود ربّكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج ؛ فأنتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم

١/٢٢٨٩

---

(١) ابن حبيش : « جانب » . (٢) ابن حبيش : « سننت فيه » .
(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

بما نال منهم أصحاب الأيّام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ؛ وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم ، وخيار كلّ قبيلة ، وعزُّ مَن وراءكم ؛ فإن تَزْهدوا فى الدّنيا وترغبوا فى الآخرة جمَعَ الله لكم الدُّنيا والآخرة ، ولا يقرّب ذلك أحدًا إلى أجلِه ، وإنْ تفشَلوا وتَهِنوا وتضعُفوا تذهب ريحُكم ، وتُوبِقوا آخرتكم .

وقام عاصم بن عمرو فى المجرّدة ؛ فقال : إنّ هذه بلاد قد أحلّ الله لكم أهلَها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الأعلوْن والله معكم ؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضّرب والطعن فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ؛ وإن خُرتم وفشِلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يُبق هذا الجمع منكم باقية ؛ مخافةَ أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . اللهَ اللهَ ! اذكروا الأيّام وما منحكم الله فيها ؛ أوَ لا ترون أنّ الأرض وراءكم بسابس قِفارٌ ليس فيها خَمَر ولا وَزَر يُعقل إليه ، ولا يُمتنَع به ! اجعلوا همّكم الآخرة .

١/٢٢٩٠ وكتب سعد إلى الرّايات : إنى قد استخلفتُ عليكم خالد بن عُرْفُطة ، وليس يمنعنى أن أكونَ مكانَه إلاّ وَجَعى الذى يعودُنى وما بى من الحُبُون ، فإنّى مُكبّ على وجهى وشخصى لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنّه إنّما يأمركم بأمرى ، ويعمل برأيى . فقُرئ على النّاس فزادهم خيرًا ، وانتهوْا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثّوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عُذر سعد والرّضا بما صنع .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلاّم ، عن مسعود ، قال : وخطب أمير كلّ قوم أصحابَه ، وسيّر فيهم ، وتحاضّوا على الطاعة والصبر تواصَوْا ؛ ورجع كلّ أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ؛ ونادى مُنادى سعد بالظّهر ، ونادى رستم : «پاد شِهان مِرَنْدر» ، أكل عمر كبدِى أحرق الله كبده ! علّم هؤلاء حتى علموا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، قال : حدّثنا سيف ، عن النّضر ، ١/٢٢٩١ عن ابن الرُّفيل ، قال : لمّا نزل رستم النّجَف بعثَ منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسيّة كبعض مَن ندّ منهم ، فرآهم يستاكون

عند كلّ صلاة ثم يصلّون فيفترقون إلى مواقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثتُ فيهم ليلةً ، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيئًا إلا أن يمصّوا عيدانًا لهم حين يُمسُون ، وحين ينامون ، وقُبيلَ أن يُصبحوا . فلمّا سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذّن مؤذّن سعد الغداة ، فرآهم يتحشحشون[1] ؛ فنادى فى أهل فارس أنْ يركبوا ، فقيل له : ولمَ ؟ قال : أما ترون إلى عدوّكم قد نُودِىَ فيهم فتحشحشوا لكم ! قال عينه : ذلك إنما تحشحُشُهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية : أتانى صوت عند الغداة ، وإنما هو عُمَر الذى يكلّم الكلاب فيعلّمهم العقل ، فلمّا عبروا تواقفوا ، وأذّن مؤذّن سعد للصّلاة ، فصلّى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كَبِدِى !

كتب إلىّ السرىّ ، قال : حدّثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعدٌ الذين انتهى إليهم رأىُ الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتُهم وأصناف الفَضْل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوى الرأى النَّفرُ الذين أتوا رستم المغيرةُ ، وحُذَيْفة ، وعاصم ؛ وأصحابهم ؛ ومن أهل النجدة[2] طُلَيْحة ، وقَيس الأسدىّ ، وغالب ، وعمرو ابن مَعْد يكرب وأمثالهم ؛ ومن الشعراء الشّمّاخ والحُطَيْئَة ، وأوس بن مَغْراء ، وعبْدة بن الطبيب ؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم . وقال قبل أن يُرسلهم : انطلقوا فقوموا فى النّاس بما يحقّ عليكم ويحقّ عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنّكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شُعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا فى الناس ، فذكّروهم وحرّضوهم على القتال ، فساروا فيهم . فقال قيس بن هُبَيرة الأسَدىّ : أيّها الناس ، احمَدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يَزِدْكم ، واذكروا آلاءَ الله ، وارغَبوا إليه فى عاداته ؛ فإنّ الجنّة أو الغنيمة[3] أمامكم ؛ وإنه ليس وراء هذا القصْر إلا العراء

٢٢٩٢/١

(١) التحشحش : التحرك للنهوض .

(٢) ابن حبيش : « النجدات » .

(٣) ز : « والغنيمة » .

والأرض القَفْر ، والظِّراب الخُشْن ، والفلوات التي لا تقطعها الأدِلّة .

وقال غالب : أيُّها الناس ، احمَدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدْكم ، وادعوه يُجبْكم ؛ يا معاشر مَعَدّ ؛ ما علَّتُكم اليوم وأنتم في حصونكم – يعني الخيل – ومعكم من لا يعصيكم – يعني السيوف ؟ اذكروا حديث الناس في غدٍ ؛ فإنه بكم غداً يُبْدَأ عنده ، وبمن بعدكم يُثنَّى .

١/٢٢٩٣

وقال ابن الهُذَيْل الأسديّ : يا معاشر معدّ ، اجعلوا حصونَكم السيوف ، وكونوا عليهم كأسود الأجَم ، وتربَّدوا[1] لهم تربُّد النُّمور ، وادَّرِعوا العَجاج ، وثِقوا بالله . وغُضُّوا الأبصار ، فإذا كلَّت السيوف فإنها مأمورة ، فأرسلوا عليهم الجنادل ، فإنها يؤْذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وقال بُسْر بن أبي رُهْم الجُهَنيّ : احمَدوا الله ، وصدّقوا قولكم بفعل ، فقد حمِدتم الله على ما هداكم له ووحّدتموه ولا إله غيره ، وكبّرتموه ، وآمنتم بنبيّه ورُسُله فلا تَموتُنّ إلا وأنتم مُسْلِمُون ؛ ولا يكونَنّ شيء بأهونَ عليكم من الدُّنيا ، فإنها تأتي مَن تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرُب منكم لتميلَ بكم . انصُروا الله ينصُركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشرَ العرب ؛ إنّكم أعيانُ العرب ، وقد صمدتم[2] الأعيان من العجم ؛ وإنما تخاطرون بالجنّة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونُنّ على دنياهم أحوطَ منكم على آخرتكم . لا تحدِثوا اليوم أمراً تكونون به شَيْناً على العَرَب غداً .

وقال ربيع بن البلاد السعديّ : يا معاشرَ العرب ، قاتلوا للدّين والدُّنيا ؛ ﴿وسَارِعُوا إلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمواتُ وَالأرْضُ أعِدَّتْ لِلمُتَّقِينَ[3]﴾ ، وإن عظّم الشيطان عليكم الأمرَ ، فاذكروا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

١/٢٢٩٤

---

(١) تربدوا : تعبسوا واغضبوا .
(٢) صمدتم : قصدتم .
(٣) سورة آل عمران ١٣٣ .

وقال رِبْعيّ بن عامر: إنّ الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزّيادة، وفى الصبر الرّاحة، فعوّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعوّدوها الجزَع فتعتادوه.

وقام كلّهم بنحو من هذا الكلام، وتواثق الناس، وتعاهدوا، واهتاجوا لكلّ ما كان ينبغى لهم، وفعل أهلُ فارس فيما بينهم مثلَ ذلك، وتعاهدوا وتواصوْا؛ واقترنوا بالسلاسل؛ وكان المقترنون ثلاثين ألفًا.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبىّ: إنّ أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً، مع كلّ فيل أربعة آلاف.

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن حلاّم، عن مسعود بن خِراش، قال: كان صفّ المشركين على شفير العتيق، وكان صفّ المسلمين مع حائط قُدَيْس، الخندقُ من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسَل، وثلاثون فيلا تُقاتِل، وفِيَلة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل. وأمر سعد النّاس أن يقرءوا على النّاس سورة الجهاد، وكانوا يتعلّمونها.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال سعد: الزمُوا مواقفكم، لا تحرّكوا شيئًا حتى تصلّوا الظهر، فإذا صلّيتم الظهر فإنّى مكبّر تكبيرةً، فكبّروا واستعدّوا. واعلموا أنّ التّكبير لم يُعْطَه أحدٌ قبلكم، واعلموا أنّما أعطيتموه تأييدًا لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبّروا، ولتُستتمّ عُدّتكم، ثم إذا كبّرتُ الثالثة فكبّروا، ولينشّط فرسانُكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبّرت الرابعة فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوّكم؛ وقولوا: لا حول ولا قوّة إلا بالله! ١/٢٢٩٥

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الرّيان، عن مُصْعَب بن سعد، مثله.

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب، عن سيف، عن زكريّاء، عن أبى إسحاق، قال: أرسل سعد يوم القادسيّة فى النّاس: إذا سمعتم التّكبير

فشدّوا شُسوع نعالِكم ، فإذا كبَّرتُ الثانية فتهيَّئوا ، فإذا كبَّرت الثالثة فشدّوا النواجذ على الأضراس واحملوا .

كتب إلىّ السرىُّ بن يحيى ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لمَّا صلَّى سعد الظهر أمر الغلام الَّذى كان ألزمه عمر إيّاه — وكان من القرّاء — أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلَّمونها كلّهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلُونه سورةَ الجهاد ، فقرئت فى كلّ كتيبة ، فهشَّت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما فرغ القُرّاء كبَّر سعد ، فكبَّر الذين يلُونه تكبيرة ، وكبَّر بعض الناس بتكبير بعض ، فتحشحش[1] الناس ، ثم ثنَّى فاستتمّ الناس ، ثم ثلَّث فبرز أهلُ النَّجدات فأنشبوا القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالُهم ، فاعتوروا الطَّعن والضّرب ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدىّ وهو يقول : ١/٢٢٩٦

قد عَلِمَتْ واردَةُ المسائحِ ذاتُ اللَّبانِ والبنانِ الواضحِ[2]
أنِّى سِمامُ البَطَلِ المُشايحِ[3] وفارجُ الأمْرِ المُهِمِّ الفادحِ

فخرج إليه هُرمُز — وكان من ملوك الباب ، وكان متوَّجًا — فأسره غالب أسرًا ، فجاء سعدًا ، فأدخل ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو وهو يقول :

قد عَلِمَتْ بَيْضاءُ صَفْراءُ اللَّبَبْ[4] مِثْلُ اللُّجَيْنِ إذْ تَغَشَّاهُ الذَّهَبْ
أنِّى امْرُؤٌ لا مَنْ تَعيبُهُ السُّبَبْ[5] مِثْلى على مِثْلِكَ يُغْرِيهِ العَتَبْ

---

(١) تحشحش الناس : تحركوا.

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) المشايح : المقاتل .

(٤) اللبب ، بالتحريك : موضع القلادة من الصدر .

(٥) ط : « يعينه السبب » ، وانظر التصويبات .

فطارد رجلا من أهل فارس ، فهرب منه واتّبعه ، حتى إذا خالط صفّهم التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغل ، واعتصم بأصحابه فحموه ، واستاق عاصم البغل والرّحل ، حتى أفضى به إلى الصفّ ، فإذا هو خبّاز الملك وإذا الّذى معه لطَفُ الملك الأخبصةُ والعسل المعقود ، فأتى به سعداً ، ورجع إلى موقفه ، فلمّا نظر فيه سعد ، قال : انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال : إنّ الأمير قد نفّلكم هذا فكلوه ، فنفّلهم إياه . قالوا : وبينا الناس ينتظرون التكبيرة الرابعة ، إذ قام صاحب رجّالة بنى نَهْد قيس بن حِذْيَم بن جُرثومة ، فقال : يا بنى نَهْد انهدوا ، إنما سمّيتم نَهْداً لتفعلوا . فبعث إليه خالد بن عُرفُطة : والله لتكُفّنّ أولأولّيَنّ عملَك غيرك . فكفّ . ٢٢٩٧/١

ولما تطاردت الخيل والفُرسان خرج رجُلٌ من القوم ينادى : مَرد ومَرد ، فانتدب له عمرو بن معديكرب وهو بحياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثم جلد به الأرض فذبحه ، ثم التفتَ إلى النّاس ، فقال : إن الفارسىّ إذا فقد قوسه فإنما هو تَيْس . ثم تكتّبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضّض الناس بين الصّفين ، وهو يقول : إنّ الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مِزراقه ، فإنّما هو تيْس ؛ فبينا هو كذلك يحرّضنا إذ خرج إليه رجلٌ من الأعاجم ، فوقف بين الصفّين فرمى بنُشّابة ، فما أخطأت سِيَةَ قوسِه وهو متنكّبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بمِنْطَقته ، فاحتمله فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا منّا كسر عنقَه ، ثم وضع سيفَه على حَلْقه فذبحه ؛ ثم ألقاه . ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم ! فقلنا : يا أبا ثَور ، مَن يستطيع أن يصنع كما تصنع ! ٢٢٩٨/١

وقال بعضهم غير إسماعيل : وأخذ سوارَيْه ومنْطقته ويلْمَق ديباج عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ،

عن قيس بن أبى حازم ؛ أنّ الأعاجم وجّهت إلى الوجه الّذى فيه بَجيلةُ ثلاثة عشر فيلا[١] .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، قال : كانت — يعنى وقعة القادسيّة — فى المحرّم سنة أربع عشرة فى أوله . وكان قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس : أحِلْنا ، فأحالهم على بَجيلة ، فصرفوا إليهم ستّة عشر فيلا .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمّا تكتّبت الكتائب بعد الطّراد حمل أصحاب الفيَلة عليهم ، ففرّقت بين الكتائب ، فابذعرّت[٢] الخيل ؛ فكادت[٣] بَجيلة أن تُؤكل[٤] ؛ فرّت عنها خيلُها نِفارًا ، وعمّن كان معهم فى مواقفهم[٥] ، وبقيت الرجّالة من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بنى أسَد : ذبّبوا[٦] عن بَجيلة ومن لافّها من الناس ؛ فخرج طُلَيحة بن خُوَيْلِد وحَمّال بن مالك وغالب بن عبد الله والرِّبّيل بن عمرو فى كتائبهم ، فباشروا الفيَلة حتى عدلها ركبانها ؛ وإنّ على كلّ فيل[٧] عشرين رجلا .

١/٢٢٩٩ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمدبن قيس ، عن موسى بن طريف ، أن طُلَيحة قام فى قومه حين استصرخهم سعد ، فقال[٨] : يا عشيرتاه ؛ إنّ المنوَّه باسمه ، الموثوق به ، وإنّ هذا لو علم أنّ أحدًا أحقّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ؛ ابتدءوهم[٩] الشّدّة ، وأقدِموا عليهم

(١) فى ابن حبيش بعدها : « وصفوا على سائر الناس سبعة عشر » .
(٢) ابذعرت الخيل : تفرقت ؛ وفى ز : « فانذعرت » .
(٣) ابن حبيش : « وكادت » .
(٤) ابن الأثير والنويرى : « تهلك » .
(٥) ابن حبيش : « موقفهم » .
(٦) ذبوا : دافعوا .
(٧) ابن حبيش : « كل فيل يومئذ » .
(٨) ابن حبيش : « فقال وهو يحرضهم » .
(٩) ابن حبيش : « ابدءوهم » .

إقدام الليوث الحربة ؛ فإنما سميتم أسداً لتفعلوا فعله[١] ؛ شدّوا ولا تصدّوا، وكرّوا[٢] ولا تفرّوا ، لله درّ ربيعة ! أى فرىّ يفرون ! وأىّ قرن يغنون[٣] ! هل يوصل إلى مواقفهم[٤] ! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ! شدّوا عليهم باسم الله ! فقال المعرور بن سويد وشقيق : فشدّوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيلة عنهم ؛ فأخرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه ؛ فما لبّثه طليحة أن قتله .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كندة ؛ لله درّ بنى أسد ! أىّ فرىّ يفرون[٥] ! وأىّ هذّ يهذّون[٦] عن موقفهم منذ اليوم ! أغنى كلّ قوم ما يليهم ؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس[٧] ! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب[٨] منذ اليوم ، وإنهم ليقتتلون ويقاتلون ؛ وأنتم جثاة على الركب تنتظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة ؛ فقالوا : عثّر الله جدّك[٩] ! إنك لتؤبّسنا[١٠] جاهداً ، ونحن أحسن الناس موقفاً ! فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم ! فها نحن معك . فنهد ونهدوا ، فأزالوا الذين بإزائهم ؛ فلما رأى أهل فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسد رموهم بحدّهم وبدر المسلمين الشدّة عليهم ذو الحاجب والجالنوس ، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم ؛ وقد كبّر سعد الرابعة ، فزحف إليهم

١/٢٣٠٠

(١) ز : « فعلة الأسد » .
(٢) ز : « وكبروا » .
(٣) ز : « يعنون » .
(٤) ز : « من واقفهم » .
(٥) الفرىّ : الأمر العظيم ؛ ويقال . فلان يفرى الفرىّ ؛ إذا كان يأتى بالعجب فى عمله .
(٦) الهذ : القطع السريع .
(٧) ز : « الناس » .
(٨) ابن حبيش : « إخوانكم من العرب » .
(٩) ابن حبيش : « فقال له : عثر جدك » .
(١٠) تؤبسنا ، أى تحقر أمرنا .

المسلمون ورحَى الحرب تدور على أسَد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ؛ فكانت الخيول تُحْجِم عنها وتَحيد، وتلحّ فرسانهم على الرَّجْل يشمّسون بالخيل ؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشرَ بنى تميم ؛ ألستم أصحابَ الإبل والخيل ! أما عندكم لهذه الفيَلة من حيلة ! قالوا : بلى والله ؛ ثم نادى فى رجال من قومه رماة وآخَرين لهم ثَقافة[1] ، فقال لهم :

١/٢٣٠١ يا معشرَ الرماة ذبُّوا ركبان الفيَلة عنهم بالنَّبْل ، وقال : يا معشرَ أهل الثقافة استدبِروا الفيَلة فقَطِّعُوا وُضُنها[2] ؛ وخرج يحميهم والرَّحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفيَلة ، فأخذوا بأذنابها وذباذب[3] توابيتها ، فقَطعوا وضُنَها ، وارتفع عُواؤهم ؛ فما بقىَ لهم يومئذ فيل إلاّ أعرِىَ ، وقُتل أصحابها ، وتقابل الناس ونُفِّس عن أسد ، وردّوا فارسَ عنهم إلى مواقفهم ؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس . ثمّ حتى ذهبت هَدأة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ؛ وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة ؛ وكانوا ردءًا للنّاس ؛ وكان عاصم عادية النّاس وحاميتهم ؛ وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرماث .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن رجل من بنى كنانة ، قال : جالت المجنَّبات ودارت على أسد يوم أرماث فقتل تلك العشيَّة منهم خمسمائة رجل ؛ فقال عمرو بن شأس الأسدىّ :

١/٢٣٠٢ جَلَبْنَا الخَيْلَ من أكنافِ نِيقٍ ... إلى كِسْرَى فوافَقَها رِعالا[4]

١/٢٣٠٣ تَرَكْنَ لهم على الأقسام شجْوًا ... وبالحَقْوَيْنِ أيّامًا طِوالا

وداعِيَةٍ بفارسَ قد تَرَكْنا ... تُبَكِّى كلّما رَأتِ الهِلالا

قَتَلنا رُسْتُمًا وبَنِيه قَسْرًا ... تُثِيرُ الخيلُ فوقَهُمُ الهَيالا

تركْنا منهمُ حيْثُ التَقيْنا ... فِئامًا ما يُرِيدون ارتِحالا[5]

(١) ابن حبيش : « وأخرى أهل ثقاف » .
(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر .
(٣) الذباذب : أشياء تعلق بالهودج للزينة . (٤) الرعال : الجماعة من الخيل .
(٥) الفئام : الجماعة من الناس ، وفى ط : « قياما » .

وفرّ البيـــرُزانُ ولم يُحامِي وكان على كتيبتِه وَبالا
ونجّى الهُرْمُزَانَ حِذارُ نَفْسٍ وركْضُ الخيلِ مُوصِلةً عِجالا[1]

(١) وذكر ابن حبيش هذه الأبيات أيضاً : منسوبة إلى عمرو بن شأس :

لقد عَلِمَتْ بنو أَسَدٍ بأنّا أولو الأحلام إن ذكروا الحلُوما
وأنّا النازلون بكلِّ ثغرٍ ولو لم نُلْفِه إلا هَشيما
ترى فينا الجِياد مُســـوّماتٍ مع الأبطال يَعْلُـكْنَ الشَّكيما
ترى فينا الجِيادَ مجلّحاتٍ تُنْهِنهُ عن فَوارِسِها الخصوما
بجَمعٍ مثل سَلْم مكفَهِرٍّ تشَبِّهُهُمْ إذا اجتمعوا قروما
بمثلِهمُ تُلاقى يومَ هَيْجٍ إذا لاقيْتَ بأساً أو خصوما
نفَينا فارســـاً عمّا أرادت وكانت لا تُحَاوِلُ أن تَرِيمـا

يوم أغواث

كتب إلىّ السرىّ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :

١/٢٣٠٤ وكان سعد قد تزوّج سلْمى بنت خصَفَة ؛ امرأة المثنّى بن حارثة قبله[١] بشَراف ، فنزل بها القادسيّة ، فلمّا كان يوم أرماث ، وجال الناسُ ، وكان لا يُطيق جِلْسةً إلاّ مستوفِزًا أو على بطنه ؛ جعل سعد يتَمَلْمل ويحُول جزَعًا فوق القصر ؛ فلمّا رأت ما يصنع أهلُ فارس ، قالت : وامُثنّياهُ ولا مُثنّى للخيل اليوم ! — وهى عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفى نفسه — فلطَم وجهها ، وقال : أين المثنّى من هذه الكتيبة التى تدورُ عليها الرّحى! — يعنى أسدًا وعاصمًا وخيله — فقالت : أغَيْرةً وجُبْنًا ! قال : والله لا يعذِرنى اليوم أحد إذا أنتِ لم تعذِرينى وأنتِ ترَيْنَ ما بى ، والناس أحقّ ألاّ يعذِرونى ! فتعلّقها الناس ؛ فلمّا ظهر النّاس لم يبقَ شاعر إلاّ اعتدّ بها عليه ؛ وكان غير جبانٍ ولا ملوم . ولمّا أصبح القوم من الغد أصبحوا على تعبية ، وقد وكّل سعد رجالا بنقل الشهداء إلى العُذيْب ونقل الرّثيث[٢] ؛ فأمّا الرّثيث فأسلِمَ إلى النساء يقمْن عليهم إلى قضاء الله عزّ وجلّ عليهم ؛ وأمّا الشّهداء فدفنوهم[٣] هنالك على مُشرّق — وهو واد بين العُذيْب وبين عين الشمس فى عُدْوتيه جميعًا ؛ الدنيا منهما إلى العُذَيب والقُصوى منهما من العُذيب — والنّاس ينتظرون بالقتال حمْلَ الرّثيث والأموات ؛

١/٢٣٠٥ فلمّا استقلّت بهم الإبل وتوجّهت[٤] بهم نحو العُذَيب طلعت نواصى[٥] الخيل من[٦] الشأم — وكان فتح دِمشْق قبل القادسيّة بشهر — فلمّا قدم على أبى عُبَيدة كتاب عمر بصرْف أهلِ العراق أصحاب خالد ؛ ولم يذكر خالدًا

(١) ابن الأثير : « بعده » .
(٢) الرثيث : الجريح وبه رمق .
(٣) ابن الأثير : « فدفنوا » .
(٤) ابن حبيش : « ووجهت » .
(٥) ابن حبيش : « طلعت عليهم نواصى الخيل » .
(٦) ابن حبيش : « من نحو الشام » .

ضنّ بخالد فحبسه وسرّح الجيش ؛ وهم ستة آلاف ؛ خمسة آلاف من ربيعة ومُضر وألف من أفناء اليَمن من أهل الحجاز ؛ وأمّر عليهم هاشم بن عُتبة بن أبى وقّاص ، وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو ، فجعله[1] أمامه ؛ وجعل على إحدى مجنّبتَيْه[2] قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المرادىّ — ولم يكن شهد الأيّام ، أتاهم وهم باليرموك حين صُرِف أهل العراق وصُرِف معهم — وعلى المجنّبة الأخرى الهَزهاز بن عمرو العِجلىّ ، وعلى الساقة أنس بن عبّاس . فانجذب القعقاع وطوى وتعجّل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشارًا ؛ وهم ألف ، فكلّما بلغ عشرة مَدَى[3] البَصَر سرّحوا فى آثارهم عشرة ، فقدّم القعقاع أصحابه فى عشرة ، فأتى النّاس فسلّم عليهم ، وبشّرهم بالجنود، فقال : يأيّها الناس ؛ إنّى قد جئتكم فى قوم؛ والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسّوكم حسدوكم حُظْوتَها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدّم ثم نادى : مَن يبارز ؟ ٢٣٠٦/١
فقالوا فيه بقول أبى بكر : لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه، فخرج إليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : مَن أنت ؟ قال : أنا بهمَن جاذَوَيْه ، فنادى : يا لثارات أبى عبيد وسَليط وأصحاب يوم الجسْر ! فاجتلدا ، فقتله القعقاع، وجعلت خيله تَرِد قِطَعًا ، وما زالت تردُ إلى الليل وتنشّط الناس ؛ وكأن لم يكن بالأمس مصيبة ؛ وكأنّما استقبلوا قتالَهم بقتل الحاجبىّ وللحاق القِطَع ، وانكسرت الأعاجم لذلك . ونادى القعقاع أيضًا : مَن يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البِيرزان والآخر البِنْدوان ؛ فانضمّ إلى القعقاع الحارث بن ظَبْيان بن الحارث أخو بنى تَيْم اللاّت ، فبارز القعقاع البِيرزان، فضربه فأذرى رأسَه ، وبارز ابن ظَبْيان البِندوان، فضربه فأذرى رأسَه ، وتورّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشرَ المسلمين ، باشروهم بالسيوف، فإنّما يُحْصَد الناس بها ! فتواصَى النّاس ،

---

(١) ط : « فعجله » ، وأثبت ما فى ز .

(٢) ز : « مجنبته » .

(٣) ابن حبيش : « مد » .

وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتّى المساء . فلم ير أهل فارس فى هذا اليوم شيئًا ممّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتْل ، ولم يقاتلوا فى هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتها تكسّرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد .

١/٢٣٠٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كانت امرأة من النّخَع لها بنون أربعة شهدوا القادسيّة ؛ فقالت لبنيها : إنّكم أسلمتم فلم تُبدّلوا ، وهاجرتم فلم تثوبُوا[1] ، ولم تَنْبُ بكم البلاد ، ولم تُقحمكم السَّنة ، ثم جئتم بأمّكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدى أهل فارس ؛ والله إنّكم لبنُو رجل واحد ، كما أنّكم بنو امرأة واحدة ، ما خُنْتُ أباكم ، ولا فضحت خالكم ؛ انطلقوا فاشهدوا أوّل القتال وآخره . فأقبلوا يشتدّون ، فلمّا غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء ، وهى تقول : اللهمّ ادفع[2] عن بنىّ ! فرجعوا إليها ، وقد أحسنوا القتال ؛ ما كُلِم منهم رجل كَلْمًا ؛ فرأيتُهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العَطاء ، ثم يأتون أمّهُم ، فيُلقونه فى حجْرها ، فتردّه عليهم وتقسمه فيهم على ما يُصلحهم ويُرضيهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فأزرَ القعقاعَ يومئذ ثلاثة نفر من بنى يربوع رياحيّين ، وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة كبّر وكبّر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، واليربوعيّون : نعَيْم بن عمرو بن عتّاب ، وعتّاب بن نُعَيم بن عتّاب بن الحارث ابن عمرو بن همّام ، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة ؛ أحد بنى زيد . وقدم ذلك اليوم رسولٌ لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء ، إن كنت لقيتَ حربًا . فدعا حَمّالَ بن مالك والرِّبّيل بن عمرو بن ربيعة الوالبيّيْن وطليحة بن خويلد الفَقْعسىّ — وكلّهم من بنى أسد — وعاصم بن عمرو التميمىّ ؛ فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع ابن عمرو واليربوعيّين فحملهم على الأفراس ؛ فأصاب ثلاثة من بنى يربوع

١/٢٣٠٨

---

(١) ط « تثربوا » . (٢) ز : « ارفع » .

ثلاثـة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بنى أسد ثلاثة أرباع السيوف ، فقال فى ذلك الربّيل بن عمرو :

لقد عَلِم الأقوامُ أنّا أحقُّهم ... إذا حصلوا بالمُرْهَفات البواترِ

وما فَتِئَتْ خَيْلِى عَشِيَّةَ أرْمَثُوا ... يَذُودون رَهْوًا عن جُموعِ العشائرِ

لَدُنْ غدوةٍ حتى أتى الليلُ دونهمْ ... وقد أفلحَتْ أخرَى الليالى الغوابرِ

وقال القعقاع فى شأن الخيل :

لم تعرف الخيل العِرابُ سواءنا ... عَشِيَّةَ أغواثٍ بجَنْبِ القَوادِسِ

عشيَّةَ رُحْنا بالرِّماح كأنَّها ... على القوم ألوانُ الطُّيورِ الرَّسارِسِ[1]

٢٣٠٩/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعدىّ ، عن أبيه ، قال : كان يكون أوّل القتال فى كلّ أيامها المطاردة ، فلمَّا قدم القعقاع قال : يأيّها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، ونادَى[2] : مَنْ يبارزُ ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتلَه ، ثم البيرزان فقتله ، ثم خرج الناس من كلّ ناحية ، وبدأ الحرب والطِّعان ، وحمل بنو عمّ القعقاع يومئذ ؛ عشرة عشرة من الرَّجالة ، على إبل قد ألبسوها فهى مجلّلة مبرقعة ، وأطافت بهم خيولُهم ، تحميهم[3] ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصفّين يتشبَّهون[4] بالفيَلة ، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرماث ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلاّ نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين . فلمَّا رأى ذلك الناس استنُّوا بهم ، فلقىَ فارس من الإبل يوم أغواث أعظمَ ممَّا لقى المسلمون من الفيَلة يوم أرماث .

وحمل رجلٌ من بنى تميم ممّن كان يحمى العشيرة يقال له سواد ، وجعل يتعرَّض للشهادة ، فقُتل بعد ما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة ؛ حتّى تعرَّض لرستم يريده ، فأصيب دونه .

---

(١) ابن حبيش : « أمثال الطيور » .

(٢) كذا فى ز ، وفى ط : « فنادى » .

(٣) كذا فى ابن الأثير وابن حبيش وفى ط : « يحمرهم » .

(٤) ابن حبيش : « يشبهون » .

٢٣١٠/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصْن عن العَلاء ابن زياد، والقَاسم بن سُلَيم عن أبيه ، قالا : خرج رجل من أهلِ فارس ، ينادى : مَنْ يبارز ؟ فبرز له عِلْباء بن جحش العِجلىّ ، فنفَحه عِلباء ، فأسحره[1] ، ونفحه الآخر فأمْعاه ، وخرّا ؛ فأمّا الفارسىّ فمات من ساعته ، وأمّا الآخر فانتثرت أمعاؤه ، فلم يستطع القيام ، فعالج إدخالها فلم يتأتّ له حتّى مرّ به رجل من المسلمين ، فقال : يا هذا ، أعنّى على بطنى ، فأدخله له ، فأخذ بصِفاقَيْه[2] ، ثم زحف نحو صفّ فارس ما يلتفت إلى المسلمين ، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعًا من مَصْرَعه ، إلى صفّ فارس ، وقال :

أرْجُو بها من ربّنا ثوابا قد كنتُ مِمّنْ أحْسَنَ الضِّرابا

كتب إلىّ السّرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء، والقاسم عن أبيه ، قالا : وخرج رجل من أهل فارس فنادى : مَنْ يبارز ؟ فبرز له الأعْرَف بنُ الأعلم العقيلىّ فقتله ، ثم برز له آخر فقتله ، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه ، ونَدَر سلاحُه عنه فأخذوه ، فغبّر فى وجوههم بالتّراب حتّى رجع إلى أصحابه ؛ وقال فى ذلك :

وإن يأخذوا بَزّى فإنّى مُجَرّبٌ خَرُوجٌ من الغَمّاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وإنى لحَامٍ من وراء عشيرتى رَكُوبٌ لآثارِ الهَوَى مُحفِلُ الأمْرِ

٢٣١١/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن عن العلاء ، والقاسم عن أبيه ، قالا : فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حَملة ؛ كلّما طلعت قطعة حَمل حملة ، وأصاب فيها ، وجعل يرتجز ويقول :

أُزْعِجُهُم عَمْدًا بها إزْعاجا أطعُنُ طَعْنًا صائبًا ثَجّاجا
* أرْجُو به من جنّةٍ أفواجا *

---

(١) أسحره : أصاب سحره ؛ والسحر : الرئة .
(٢) الصفاق : جلد البطن .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين فى ثلاثين حملة ؛ كلّما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمذانىّ ، وقال فى ذلك القعقاع :

حَبَوْتُهُ جيّاشةً بالنفسِ هدّارةً مثلَ شُعاع الشمسِ
فى يوم أغواثٍ فَلِيلِ الفُرْسِ أَنْخُسُ بالقوم أشدَّ النَّخْسِ
* حتى تَفِيضَ مَعْشَرى ونَفْسى[1] *

وبارز الأعْوَر بن قُطبة شَهْرَ بَرازَ سِجِسْتان، فقتل كلّ واحد منهما صاحبه ، فقال أخوه فى ذلك :

لم أرَ يوماً كان أحلَى وأمَرّْ من يوم أغواثٍ إذ افترّ الثَّغَرْ
* من غير ضَحْكٍ كان أَسْوَا وأَبَرّْ *

٢٣١٢/١ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ؛ وشاركهم ابن مِخراق عن رجل من طيّئ ، قالوا : وقاتلت الفرسان يوم الكتائب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار ؛ فلمّا عدَل[2] النهار تزاحف الناس ؛ فاقتتلوا بها صَتيتاً[3] حتى انتصف الليل ؛ فكانت ليلة أرماث تُدعى الهَدْأة ، وليلة أغواث تُدعى السَّواد ، والنّصف الأول يدعى السَّواد . ثم لم يزل المسلمون يروْن فى يوم أغواث فى القادسيّة الظَّفَر ، وقتلوا فيه عامّة أعلامهم ؛ وجالت فيه خيل القلب ، وثبتَ رَجْلهم ؛ فلولا أنّ خيلهم كرّت أخِذ رستم أخذا ، فلمّا ذهب السواد بات النّاس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرماث ؛ ولم يزل المسلمون ينتمون لَدُن[4] أمسوا حتى تفايئوا . فلمّا أمسى سعد وسمع ذلك نام ، وقال لبعض من عنده : إن تمّ الناس على الانتماء فلا تُوقِظْنى ، فإنهم أقوياء على عدوّهم ؛ وإن سكتوا ولم ينْتَم الآخرون فلا توقظنى ، فإنّهم على السَّواء

(١) ابن حبيش : « حتى تفيظ » .
(٢) ابن الأثير : « اعتدل » .
(٣) الصتيت : الجلبة والصوت .
(٤) الأغانى : « منذ لدن » .

فإن سمعتَهم ينتمون فأيقظِني ؛ فإن انتماءهم عن السُّوء .

فقالوا : ولما اشتدّ القتال بالسواد ، وكان أبو مِحْجَن قد حُبِس وقُيِّد ، فهو فى القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله ، فزبره وردّه ، فنزل ، فأتى سلْمَى بنت خَصَفَة ، فقال : يا سلمى يا بنت آل خَصَفَة ؛ هل لكِ إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلِّين عنّى وتُعيرينني البَلْقاء ؛ فللّه علىّ إن سلّمنى الله أن أرجع إليكِ حتى أضعَ رجلى فى قَيْدى ، فقالت : وما أنا وذاك ! فرجع يرسُف فى قيوده ، ويقول :

١/٢٣١٣

كَفَى حَزَنًا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقَنا[1] ... وأُترَكَ مشدوداً علىَّ وثاقيا

إذا قُمْتُ عَنَّانى الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مصاريعُ دونى قد تُصِمُّ المُناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخْوَةٍ ... فقد تركونى واحدًا لا أخا ليَا[2]

ولله عَهْدٌ لا أَخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ ألّا أزورَ الحوانيا

فقالت سَلْمى : إنّى استخرتُ الله ورضيتُ بعهدك ، فأطلقَتْه . وقالت : أمّا الفرَس فلا أعيرها ؛ ورجعتْ إلى بيتها ، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذى يلِى الخندق فركبها ؛ ثم دبّ عليها ؛ حتى إذا كان بحِيال الميمنة كبّر ، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفّين ؛ فقالوا : بسرجها ، وقال سعيد والقاسم : عُرْيًا ؛ ثم رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة فكبّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفّين برمحه وسلاحه ، ثم رجع من خلْف المسلمين إلى القلب فندَر[3] أمام النّاس ، فحمل على القوم يلعب بين الصفّين برمحه وسلاحه ؛ وكان يقصِف الناس ليلتئذٍ قصْفًا منكرًا

١/٢٣١٤

---

(١) القنا : الرماح .

(٢) بعده فى الأغانى :

وقدْ شفّ جسمِى أنّنى كلّ شارقٍ ... أعالج كَبْلا مصمتاً قدْ برانيَا

فللّه دَرِّى يوم أترك موثقاً ... وتذهل عنّى أسرتى ورجاليَا

حبيساً عن الحربِ العوان وقد بدتْ ... وإعمال غيرِى يوْم ذاك العوَاليَا

(٣) الأغانى : « فبدر » .

وتعجَّب[1] الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروْه من النَّهار ، فقال بعضهم : أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مُشرِف على النَّاس مُكِبّ من فوق القصر : والله لولا مَحْبِس أبى مِحْجَن لقلتُ : هذا أبو مِحْجن و هذه البلقاء! وقال بعض الناس: إنْ كان الخَضِر يشهد الحروب فنظنّ صاحب البلقاء الخَضِر ، وقال بعضهم : لولا أنّ الملائكة لا تُباشر القتال لقلنا: مَلَكٌ يثبِّتنا[2] ؛ ولا يذكره الناس ولا يأبهون له ؛ لأنَّه بات فى محبسه ، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل أبو مِحْجَن حتى دخل من حيث خرج ؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد رجليْه فى قيديْه ، وقال :

لقد علِمَتْ ثقيفٌ غيرَ فَخْرٍ ... بأنّا نحن أكرمُهم سُيُوفَا ١/٢٣١٥

وأكثرُهُمْ دُروعًا سابغَاتٍ ... وأصبرُهم إذا كرِهوا الوُقُوفا

وأنّا وَفدُهم فى كلّ يومٍ[3] ... فإن عَمِيُوا فَسَل بِهِمُ عَرِيفَا[4]

وليلةَ قادِسٍ لم يَشْعُروا بى ... ولم أُشعِرْ بمَخْرَجِىَ الزُّحُوفَا

فإن أُحْبَسْ فذلكُمُ بلائى[5] ... وإنْ أُترَكْ أُذيقُهُمُ الحُتوفا[6]

فقالت له سلْمى : يا أبا مِحْجَن ، فى أىّ شىء حبسك هذا الرجل ؟ قال : أمَا والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنّى كنت صاحبَ شراب فى الجاهليّة ، وأنا امرؤ شاعر يدِبّ الشعر على لسانى ، يبعثه على شفتَى أحيانًا ، فيُساء لذلك ثنائى ؛ ولذلك حبسنى ، قلت :

إذا مِتُّ فادْفِنّى إلى أصل كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عِظامى بعد موتى عُرُوقُها ١/٢٣١٦

ولا تَدْفِنَنِّى بالفَــلاة فإننى ... أخافُ إذا ما متُّ ألَّا أذوقُها

وتُرْوِى بخمر الحُصّ لَحْدِى فإننى[7] ... أسيرٌ لها من بعدِ ما قد أسوقُها

---

(١) الأغانى : « فتعجب الناس منه » .
(٢) الأغانى : « هذا ملاك بيننا »
(٣) الأغانى : « وأنا رفدهم » .
(٤) الأغانى : « فإن جحدوا » .
(٥) الأغانى : « فقد عرفوا بلائى » .
(٦) الأغانى : « وإن أطلق » .
(٧) الأغانى : « ليروى بخمر الحص لحمى » .

ولم تزل سلْمى مغاضبة لسعد عشيّة أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد؛ حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحتْه وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرَم ، والله لا أجيب لسانى إلى صفة قبيح أبداً [1] .

* * *

يوم عِماس

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، وابن مخراق عن رجل من طيّئ ، قالوا : فأصبحوا من اليوم الثالث؛ وهم على مواقفهم؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ، [2] وأصبح ما بين النّاس كالرِّجلة الحَمراء — يعنى الحَرّة — ميلٌ فى عرض ما بين الصّفين ، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث [3] وميّت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميّت . وقال سعد : مَنْ شاء غسّل الشهداء ، ومن شاء فليدفنْهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، ٢٣١٧/١ وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويُبلِّغون الرّثيث إلى النساء ، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النِّساء والصبيان يحفرون القبور فى اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بِعُدْوَتى مُشَرّق ، فدُفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسيّة وأهل الأيّام ، فمرّ حاجب وبعض أهلِ الشهادة ووُلاةِ الشهداء فى أصل نخلة بين القادسيّة والعُذَيب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرّثيث إذا حُملوا فانتهِىَ بهم إليها وأحدهم يعقِل سألهم أن يقفوا به تحتها يستَرْوِح إلى ظلّها ، ورجل من الجرْحَى يُدعى بُجَيراً ، يقول وهو مستظلّ بظلها :

أَلا يا اسْلَمِى يا نَخْلَةً بين قادِسٍ ... وبين العُذَيْبِ لا يُجاوِرُكِ النَّخْلُ

---

(١) الخبر فى الأغانى ، بروايته عن الطبرى فى ٢١ : ١٣٩ ، ١٤٠ (ساسى) .

(٢) ز : « مواقفها » .

(٣) الرثيث هنا : الجريح وبه رمق .

ورجل من بنى ضبّة، أو من بنى ثوْر يُدعى غَيْلان، يقول :

أَلا يا اسلَمِي يا نخلةً بين جَرْعةٍ يجاوِرُكِ الجُمّانُ دونكِ والرَّغلُ[1]

ورجل من بنى تيْم الله، يقال له : رِبْعىّ يقول : ٢٣١٨/١

أيا نخلة الجَرْعاءِ يا جَرْعةَ العِدَى سَقَتْكِ الغوادِى والغُيُوثُ الهواطِلِ

وقال الأعور بن قُطبة :

أيا نخلة الرُّكبان لازُلْتِ فانضرِى ولا زال فى أكناف جَرْعائِكِ النَّخل

وقال عوف بن مالك التميمىّ — ويقال التيْمىّ تيْم الرّباب :

أَيا نخلةً دون العُذَيب بتَلْعةٍ سُقِيتِ الغَوادِى المُدْجِنات من النّخل

كتب إلىّ السرىُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا : وبات القعقاع ليلته كلّها يسرّب أصحابَه إلى المكان الذى فارقهم فيه من الأمس، ثم قال : إذا طلعتْ لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، كلّما توارى[2] عنكم مائة فليتبعها مائة؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلاّ جدّدتم للناس رَجاءً وجدًّا، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحدٌ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم؛ وخلّوْا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصفّين قد أضيعوا، وكانوا لا يعرضون لأمواتهم[3]، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشدّ[4] بها أعضاد المسلمين؛ فلمّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيلَ، وطلعت نواصيها كبّر وكبّر الناس، وقالوا : جاء المَدَد، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قِبَل خَفّان، فتقدمَ الفرسان وتكتّبت الكتائب، فاختلفوا الضّرب والطّعن، ومددُهم متتابع؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتّى انتهى إليهم هاشم؛ وقد طلعوا فى سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع فى يوميه، فعبّى ٢٣١٩/١

---

(١) الجمان والرغل : نبتان.

(٢) ابن حبيش : « توارت ».

(٣) ابن حبيش : « لموتاهم ».

(٤) ز : « ليشتد ».

أصحابه سبعين سبعين ، فلمّا جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم فى سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث — ولم يكن من أهل الأيّام ؛ إنما أتى من اليمن اليَرموك — فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب ؛ كبّر وكبّر المسلمون ؛ وقد أخذوا مصافّهم ، وقال هاشم : أوّل القتال المطاردة ثم المراماة ؛ فأخذ قوسَه ، فوضع سهمًا على كَبِدها ، ثم نزع فيها ، فرفعت فرسُه رأسها ، فخلّ [1] أذنها ، فضحك وقال : واسوأتاه من رمية رجل ! كلّ من رأى ينتظره ! أين ترون سهمى كان بالغًا ؟ فقيل : العتيق ، فنزّقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم ، حتى عاد إلى موقفه ، وما زالت مَقَانبه تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون فى علاج توابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيَلة معها الرّجالة يحمُونها أن تقطَع وُضُنها ، ومع الرّجّالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه ، ليُنفروا بهم خيلَهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأنّ الفيل إذا كان وحْده ليس معه أحد كان أوحشَ ، وإذا أطافوا به كان آنسَ ، فكان القتال كذلك ، حتى عدَل النهار ، وكان يومُ عِماس من أوّله إلى آخره شديدًا ؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نُقطة إلّا تعاوَرَها الرجال [2] بالأصوات حتى تبلغ يزدجِرْد ، فيبعث إليهم أهل النّجَدات ممّن بقى عنده ، فيَقْوَون بهم ، وأصبحت عنده للّذى لقىَ بالأمس الأمداد على البرُد ، فلولا الذى صنع الله للمسلمين بالذى ألهم القعقاعَ فى اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين .

١/٢٣٢٠

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قدم هاشم بن عُتْبة من قِبَل الشأم ، معه قيس بن المكشوح المرادىّ فى سبعمائة بعد فَتْح اليرموك ودمشق ؛ فتعجّل فى سبعين ، فيهم [3] سعيد بن نِمْران

١/٢٣٢١

(١) يقال : خلّ الشىء ، أى ثقبه ونفذه .

(٢) ز : « تعاورا لها » .

(٣) ابن حبيش : « منهم » .

الهمْدانىّ . قال مجالد : وكان قيس بن أبى حازم مع القعقاع فى مقدّمة هاشم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن جَحْدَب بن جَرْعَب ، عن عصْمة الوابلىّ — وكان قد شهد القادسيّة — قال : قدم هاشم فى أهل العراق من الشأم ، فتعجّل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلاّ نُفيْر ، منهم ابن المكشوح ؛ فلمّا دنا تعجّل فى ثلثمائة ، فوافق النّاس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع النّاس فى صفوفهم .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كان اليوم الثالث يوم عِماس ؛ ولم يكن فى أيام القادسيّة مثله ؛ خرج النّاس منه على السّواء ، كلّهم على ما أصابه كان صابرًا ، وكلّما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مِثلَه ، وكلّما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثلَه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف، عن عمرو بن الرّيّان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : قدم هاشم بن عتبة القادسيّة يوم عِماس ، فكان لايقاتل إلاّ على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذَكَر ؛ فلمّا وقف فى الناس رمى بسهم ، فأصاب أذُن فرسه ، فقال : واسوأتاه من هذه ! أين تروْن سهمى كان بالغًا لو لم يُصِب أذن الفرس ! قالوا : كذا وكذا ، فأجال فنزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم[1] حتى بلغ حيث قالوا . ١/٢٣٢٢

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وكان فى الميمنة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرّيان ، عن إسماعيل بن محمد، قال: كنّا نرى أنه كان على الميمنة، وما كان عامّةُ جُنَن الناس إلاّ البراذع ؛ براذع الرحال ، قد أعرضوا فيها الجريد، وعصّب من لم يكن له وقاية رءوسَهم بالأنساع[2] .

---

(١) ز : « يصرفهم » . (٢) الأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير وقيل - حبل من أدم يكون عريضاً تشد به الرحال .

كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب، عن سيف، عن أبى كِبْران الحسن ابن عُقبة ، أنّ قيس بن المكشوح ، قال مقدَمَه من الشأم مع هاشم،وقام فيمن يليه ، فقال لهم : يا معشرَ العرب ، إنّ الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا. دَعْوَتُكم واحدة ،وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدُو بعضكم على بعض عَدْوَ الأسْد ، ويختطف بعضكم بعضًا اختطاف الذئاب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجّزوا من الله فتح فارس ؛ فإنّ إخوانكم من أهل الشأم قد أنجز الله لهم فتح الشأم ، وانتثال القصور الحُمر والحصون الحُمر

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثىّ ، عن الشعبىّ ،قال : قال عمرو بن معديكرب : إنّى حاملٌ على الفيل ومَنْ حوله — لفيل بإزائهم — فلا تَدَعونى أكثر من جَزْر جَزور ؛ فإن تأخَّرْتم عنّى فقدتم أبا ثور ؛ فأنّى لكم مثل أبى ثور ! فإن أدركتمونى وجدتمونى وفى يدى السيف . فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وستره الغبار ، فقال أصحابه : ما تنتظرون! ما أنتم بخُلَقاء أن تُدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسَهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإنّ سيفه لفى يده يضاربهم ، وقد طُعِن فرسه ، فلمّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجْل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسىّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسىّ إلى عمرو ؛ فهمّ به وأبصره المسلمون ، فغشُوه ، فنزل عنه الفارسىّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو : أمكِنونى من لجامه ، فأمكنوه منه فركبه . ٢٣٢٣/١

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبدىّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيَّة ، قالوا : لمّا كان يوم عِماس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصَّفَّين هدر وشقشق ونادى : مَنْ يبارز؟ فخرج رجل منّا يقال له شَبْر بن علقمة — وكان قصيرًا قليلا دميمًا — فقال : يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرّجل ، فلم يُجبه أحدٌ ؛ ولم يخرج إليه أحد ، فقال : أما والله لولا أن تزدرونى لخرجت

إليه . فلمّا رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحَجَفته [١] ، وتقدمّ . فلمّا رآه الفارسيّ هدرّ ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه ليذبحه ومِقْوَدُ فرسه مشدود بمِنْطقته ، فلما استلّ السيف حاص الفرس حيصة [٢] فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يُسْحب ، فافترشه [٣] ، فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم ؛ فوالله لا أفارقه حتى أقتله وأسلبه . فذبحه وسلبه ، ثم أتى به سعداً ، فقال : إذا كان حين الظّهر فأتني ، فوافاه بالسَّلَب ، فحمِد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال : إنّي قد رأيتُ أن أنحلَه إيّاه ، وكلّ مَن سلب سلَبًا فهو له ، فباعه باثني عشر ألفاً .

١/٢٣٢٤

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : ولمّا رأى سعد الفيَلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرماث ، أرسل إلى أولئك المُسْلِمة : ضَخْم ، ومُسْلِم ، ورافع ، وعَشَنَّق ؛ وأصحابهم من الفرس الّذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيَلة : هل لها مَقاتِل ؟ فقالوا : نعم ، المشافر والعيون لا يُنتفَع بها بعدها . فأرسل إلى القعقاع وعاصم ابنَي عمرو : اكفياني الأبيض — وكانت كلّها آلفة له ، وكان بإزائهما — وأرسل إلى حمّال والرِّبِّيل : اكفياني الفيل الأجرب ، وكانت آلفة له كلّها ، وكان بإزائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمّين ليّنين ودبّا في خيل ورجل فقالا : اكتنفوه لتحيّروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمّال والرّبيل مثلَ ذلك ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كلّ واحد منهما يَمنة ويَسرة ، وهما يريدان أن يتخبّطا ، فحمل القعقاع وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا رمحَيْهما معًا في عينَي الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلّى مشفرَه ، فنفحه القعقاع ، فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا مَن كان عليه ، وحمل حمّال ، وقال للرّبّيل : اختَرْ ، إمّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه ، أوتطعن في عينه وأضرب مشفرَه ؛ فاختار الضّرب ، فحمل عليه حمّال وهو

١/٢٣٢٥

(١) الحجفة : التّرس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٢) يقال : حاص الفرس يحيص حيصاً : إذا عدل وحاد .

(٣) ابن حبيش : « فافترسه » .

متشاغل بملاحظة من اكتنفه ؛ لا يخاف سائسه إلاّ على بِطانه ، فانفرد به أولئك ، فطعنه فى عينه ، فأقعى ؛ ثم استوى ونفحه الرِّبّيل ، فأبان مشفره وبصر به سائسُه، فبقر[1] أنفه وجبينه بفأسه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قال رجلان من بنى أسد ؛ يقال لهما الرِّبّيل وحمّال : يا معشر المسلمين أىّ الموت أشدّ ؟ قالوا : أن يُشَدّ على هذا الفيل، فنزّقا[2] فرسيْهما حتى إذا قاما على السَّنابك ضرباهما على الفيل الذى بإزائهما ، فطعن أحدهما فى عين الفيل ، فوطئ الفيل من خلفه ، وضرب الآخر مشفرَه ، فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطَّبَرْزين فى وجهه؛ فأفلت بها هو والرِّبّيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذى بإزائهما ، ففقآ عينيه ، وقطعا مشفره ، فبقى متلدِّدًا [3] بين الصّفّين ؛ كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه ، وإذا أتى صفّ المشركين نخسُوه .

١/٢٣٢٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبىّ ، قال : كان فى الفيَلة فيلان يعلّمان الفيَلة ، فلمّا كان يوم القادسيّة حملوهما على القلْب ؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصماً التميميّين وحمّالا والرِّبّيل الأسديّين ؛ فذكر مثل الأوّل إلاّ أن فيه : وعاش بعد ، وصاح الفيلان صياح الخنزير ، ثم ولّى الأجرب[4] الّذى عُوّر ، فوثب فى العتيق ، فاتّبعته الفيلة ؛ فخرقَت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق فى أثره ، فأتت [5] المدائن فى توابيتها ، وهلك مَن فيها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ؛ قالوا : فلمّا ذهبت الفيَلة ، وخلَص المسلمون بأهل ِ فارس ، ومال الظّل تزاحفَ المسلمون ، وحماهم فرسانهم الّذين قاتلوا أوّل النهار ، فاجتلدوا بها [6] حتى أمسوْا

(١) بقر أنفه : شقه .
(٢) نزق الفرس ، بالتشديد : ضربه حتى ينزو ويثب.
(٣) ابن حبيش : « يتلدد » .
(٤) ز : « الآخر » .
(٥) ابن حبيش : « فبيتت » .
(٦) بها ، أى بالسيوف .

على حَرْد ؛ وهم فى ذلك على السَّواء ، لأنّ المسلمين حين فعلوا بالفيول ما فعلوا ، تكتَّبت كتائب الإبل المجفَّفة[1] ، فعرقبوا فيها ؛ وكفكفوا عنها .

وقال فى ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَّضَ قومى مَضرَحِىُّ بنُ يَعْمَرٍ ... فلله قومى حين هَزُّوا العَواليا

وما خام عنها يومَ سارت جموعُنا ... لأهل قُدَيسٍ يمنعون المواليا[2]

فإن كنتُ قاتلتُ العدوَّ فَلَلْتُهُ ... فإنِّى لألقَى فى الحروب الدَّواهيا

فُيولا أراها كالبيوت مُغِيرةً[3] ... أسمِّل أعياناً لها ومآقيا

١/٢٣٢٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمّا أمسى الناس من يومهم ذلك ، وطعنوا فى الليل ؛ اشتدّ القتال وصبر الفريقان ، فخرجا على السَّواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسُمِّيت ليلة الهَرير ؛ لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسيّة .

قال أبو جعفر : كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ابن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جيش ؛ أنّ سعداً بعث ليلة الهرير طُليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خَشْيَةَ أن يأتيَه القوم منها ؛ وقال لهما : إن وجدتما القوم قد سبقوكما إليها فانزلا بحيالهم ؛ وإن لم تجداهم عَلموا بها ، فأقيما حتى يأتيكما أمرى — وكان عمر قد عهد إلى سعد ألاّ يولّى رؤساء أهل الرِّدّة على مائة — فلما انتهيا إلى المخاضة فلم يريا فيها أحداً ، قال طليحة : لو خُضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم! فقال عمرو : لا ، بل نعبر أسفل ؛ فقال طُليحة : إنّ الذى أقوله أنفع للناس ، فقال عمرو : إنّك تدعونى إلى مالا أطيق[4] ، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو العسكر من وراء العتيق وحده ، وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً ، فأغاروا ،

---

(١) مجففة ، أى عليها التجافيف ، جمع تجفاف ؛ وهو ما يوضع على ظهر الفرس أو الجمل فى الحرب يصنع من الحديد أو غيره .

(٢) خام : نكص وجبن .

(٣) ابن حبيش : « كالليوث مغيرةً » .

(٤) ابن حبيش : « نطيق » .

١/٢٣٢٨ وثارت بهم[1] الأعاجم ، وخَشِيَ سعد منهما الّذى كان ، فبعث قيس بن المكشوح فى آثارهما فى سبعين رجلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نُهى عنهم أن يولّيهم المائة ، وقال : إن لحقتَهم فأنت عليهم . فخرج نحوهم ، فلمّا كان عند الخاضة وجد القوم يكرُدون عمرًا وأصحابه ، فنهنه الناسُ عنه ، وأقبل قيسٌ على عمرو يلومه ، فتلاحَيا ، فقال أصحابه : إنّه قد أمِّر عليك ؛ فسكت ، وقال : يتأمَّر علىَّ رجل قد قاتلتُه فى الجاهليّة عُمْرَ رجل ! فرجع إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السُّكْر ، كبّر ثلاث تكبيرات ؛ ثم ذهب ، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك ! وسفل حتى خاض ، ثمّ أقبل إلى العسكر ، فأتى سعدًا فأخبره ؛ فاشتدّ ذلك على المشركين ، وفرِح المسلمون وما يدرون ما هو !

كتب إلىَّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن قُدامة الكاهلىّ ، عمّن حدّثه ، أن عشرة إخوة من بنى كاهل بن أسَد ، يقال لهم بنو حَرْب ؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتئذ ، ويقول :

أنا ابن حَرْبٍ ومعى مِخراقى أضرِبهُمْ بصارِمٍ رَقْراقِ
إذْ كَرِه الموت أبو إسحاقِ وجاشتِ النَّفْسُ على التَّراقى
* صَبْراً عِفاقُ إنّه الفراقُ *

١/٢٣٢٩ وكان عِفاق أحد العشرة ، فأصيب فَخذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول :

صبْرًا عِفاقُ إنّها الأساوِرَهْ صَبْراً ولا تَغرُرْكَ رِجْلٌ نادِرَهْ

فمات من ضربته يومئذ .

كتب إلىَّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، عن حُميد بن أبى شجّار ، قال : بعث سعد طليحة فى حاجة فتركها ، وعبر العتيق ؛ فدار إلى عسكر القوم ، حتى إذا وقف على رَدْم النهر كبّر ثلاث تكبيرات ، فراع أهلَ فارس ، وتعجّب المسلمون ،

(١) ابن حبيش : « فأغار فثارت به » .

فكفّ بعضُهم عن بعض للنّظَر فى ذلك ، فأرسلت الأعاجم فى ذلك ، وسأل المسلمون عن ذلك . ثم إنهم عادوا وجدّدوا تعبية ، وأخذوا فى أمرٍ لم يكونوا عليه فى الأيّام الثلاثة ، والمسلمون على تعبيتهم ، وجعل طليحة يقول : لا تَعْدَموا امرأً ضعضعكم . وخرج مسعود بن مالك الأسدىّ وعاصم بن عمرو التميمىّ وابن ذى البُردين الهلالىّ وابن ذى السَّهْمَيْن وقيس بن هُبيرة الأسدىّ ؛ وأشباههم؛ فطاردوا القومَ ، وانبعثوا [١] للقتال ، فإذا القوم لُمَّة لا يشدّون ، ولا يريدون غير الزّحف [٢] . فقدّموا صفًّا له أذنان ، وأتبعوا آخر مثله ، وآخر وآخر ، حتّى تمّت صفوفُهم ثلاثة عشر صفًّا فى القلْب والمجنّبتيْن كذلك ؛ فلما أقدم [٣] عليهم فرسان العسكر رامَوْهم فلم يعطفهم ذلك عن ركوبهم ؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلتئذ خالد بن يَعْمَر التميمىّ ، ثم العمْرىّ ؛ فحمل القعقاع على ناحيته الّتى رمى بها مزدلفًا ، فقادوا على ساق ، فقال القعقاع [٤] :

١/٢٢٣٠

سَقَى اللهُ ياخَوْصاءُ قَبْرَ ابن يَعْمَرٍ إذا ارتحل السُّفّارُ لم يترحّلِ
سقى الله أرضًا حلّها قبرُ خالدٍ ذِهابَ غَوادٍ مُدْجِناتٍ تُجَلْجِلُ [٥]
فأقسمتُ لا يَنْفَكُّ سيفى يَحُسُّهم فإن زَحَل الأقوامُ لم أتزحّلِ

فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد ؛ فقال سعد : اللهمّ اغفرْها له ، وانصرْه قد أذنت له إذ لم يستأذنّى ، والمسلمون على مواقفهم ، إلاّ مَن تكتّب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصفٌّ فيه الرَّجّالة أصحاب الرماح والسيوف ، وصف فيه المُرامية ، وصفّ فيه الخيول ، وهم أمام الرّجّالة [٦] ، وكذلك الميمنة ، وكذلك الميسرة . وقال سعد : إنّ الأمر الذى صنع القعقاع ، فإذا كبّرتُ ثلاثًا فازحفوا ، فكبّر تكبيرة فتهيّئوا ، ورأى النّاس كلّهم مثل الذى

(١) ابن حبيش : « وابتعثوا » .
(٢) ابن حبيش : « إلا الزحف » .
(٣) ز : « قدم » .
(٤) ابن حبيش : « وفى ذلك من الشأن يقول القعقاع بن عمرو » .
(٥) فى البيت إقواء .
(٦) ابن حبيش : « الرجال » .

رأى ، والرَّحى تدور على القعقاع ومَن معه .

كتب إلىَّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيْدِ الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرّة ، قال : وقام قيس بن هبيرة المرادىّ فيمن يليه ، ولم يشهد شيئًا من لياليها إلاّ تلك الليلة ؛ فقال : إنّ عدوّكم قد أبى إلاّ المزاحفة ، والرّأى رأى أميركم[1] ، وليس بأن تحمل الخيل ليس معها الرَّجّالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوُّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ؛ ولم يطيقوا أن يُقدِموا عليهم ، فتيسَّروا للحملة. فتيسّروا وانتظروا التكبيرة[2] وموافقة حمل الناس ؛ وإنّ نُشّاب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين . ٢٣٣١/١

كتب إلىَّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمّن حدّثه ، قال: وقال دُريد بن كعب النَّخَعىّ ، وكان معه لواء النَّخع : إنّ المسلمين تهيّئوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين[3] الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يَسبق الليلةَ أحدٌ إلاّ كان ثوابه على قدر سَبْقه ؛ نافسوهم فى الشهادة ، وطيبوا بالموت نفسًا[4] ؛ فإنّه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلاّ فالآخرة ما أردتم .

كتب إلىَّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشعَث بن قيس: يا معشرَ[5] العرب ؛ إنّه لا ينبغى أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ، ولا أسخى أنفسًا عن الدنيا ، تنافَسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزَعوا من القتل ، فإنه أمانىّ الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجّل .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعشار : ترجّلوا[6] أيُّها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزعوا ممّا لا بدّ منه ، فالصّبر أنجى من الفزَع . وفعل طُليحة وغالب وحمّال وأهل النَّجدات من جميع القبائل مثلَ ذلك .

---

(١) ابن حبيش : « الأمير » .
(٢) ز : « التكبير » .
(٣) ابن حبيش . « المؤمنين » .
(٤) ابن حبيش : « أنفسا » .
(٥) ابن حبيش : « معاشر » .
(٦) ز : « ترحلوا » .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنّضر بن السريّ ، قالا : ونزل ضِرار بن الخطّاب القُرَشيّ ، وتتابع على التسرّع إليهم النّاس كلّهم فيها بين تكبيرات سعد حين [١] استبطئوه . فلمّا كبّر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتى انضمّ إلى القعقاع ، وحملت النّخَع ، وعصى الناس كلّهم سعدًا ، فلم ينتظر [٢] الثالثة إلاّ الرؤساء ، فلما كبّر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبلوا اللّيل استقبالاً بعد ما صلّوا العشاء . ٢٣٣٢/١

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الهرير عامّة ؛ ولم ينتظروا بالحملة سعدًا ، وكان أوّل مَن حمل القعقاع ، فقال : اللهمّ اغفرها له وانصره . وقال : واتميماه سائرَ الليلة ! ثمّ قال : أرى الأمر [٣] ما فيه هذا [٤] ، فإذا كبّرتُ ثلاثًا فاحملوا . فكبّر واحدة فلحقتهم [٥] أسد ، فقيل : قد حملت أسد ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم ؛ وأسَداه سائرَ الليلة ! ثم قيل : حملت النّخَع ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم وانصرهم ؛ وانَخعاه سائر الليلة ! ثم قيل : حملت بجيلة ، فقال : اللهمّ اغفرها لهم ، وانصرهم ؛ وابجيلتاه ! ثم حملت الكنود ، فقيل : حملت كندة ، فقال : واكندتاه ! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبيرة ، فقامت حربهم على ساق حتى الصّباح ، فذلك ليلة [٦] الهرير .

كتب إليّ السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نويرة ، عن عمّه أنس بن الحُلَيْس ، قال : شهدتُ ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتَهم حتى الصّباح ، أفرِغ عليهم الصبر إفراغًا ، وبات سعد بليلة لم يَبِت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمرًا لم يروْا مثلَه قطّ ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتى ٢٣٣٣/١

---

(١) ز : « حتى » . (٢) ط : « فلم ينتظروا » .
(٣) ابن حبيش : « إن الأمر » . (٤) ز : « ما في هذا » .
(٥) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « فلحقهم » .
(٦) ابن حبيش : « فتلك الليلة » .

إذا كان وجهُ الصُّبْح ، انتهى الناس فاستدلّ بذلك على أنّهم الأعلوْن ، وأنّ الغلَبة لهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعوَر بن بنان [1] المنقرى ، قال : أوّل شىء سمعه سعد ليلتئذ مما يستدلّ به على الفتح فى نصف الليل الباقى صوتُ القعقاع بنِ عمرو وهو يقول :

نحن قتلْنا مَعْشَرًا وزائدا أربعةً وخمسةً وواحِدا

نُحْسَبُ فوق اللِّبَد الأساودا حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جاهِدا

*اللهُ ربّى ، واحترزتُ عامِداً *

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعور ومحمد عن عمِّه ، والنضر عن ابن الرُّفَيْل ، قالوا : اجتلدوا تلك الليلة من أوّلها حتى الصّباح لاينطقون، كلامُهم الهرير ، فسُمِّيت ليلة الهرير . ١ / ٢٣٣٤

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الرّيّان ، عن مُصْعَب بن سعد ، قال : بعث سعد فى تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى الصفّ ، إذْ لم يجد رسولاً ، فقال : انظُر ما ترى من حالهم ؛ فرجع فقال : ما رأيت أىْ بُنىّ ؟ قال : رأيتُهم يلعبون ، فقال : أو يَجِدّون !

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير العَبْدىّ ، عن عابس الجُعفىّ ، عن أبيه ، قال : كانت بإزاء جُعْفىّ يوم عماس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التامّ ، فازدلفُوا لهم ، فجالدوهم بالسيوف ، فرأوْا أنّ السيوف لا تعمل فى الحديد فارتدعوا ، فقال حُمَيْضة : مالكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتى أريَكم ، انظروا . فحمل على رجل منهم ، فدقّ ظهره بالرّمح ، ثم التفت

(١) ط : « بيان » ، وانظر ١ : ٣١٦٧ (طبع ليدن) .

إلى أصحابه، فقال : ما أراهم إلاّ يموتون دونكم . فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفّهم .

١ / ٢٣٣٥ كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : لا والله ما شهدها من كِنْدة خاصّة إلاّ سبعمائة ؛ وكان بإزائهم تُرْك الطّبَرِىّ ، فقال الأشعث : يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم فى سبعمائة ، فأزالهم وقتل تُرْكا ، فقال راجزهم :

نحن تركنا تُرْكَهم فى المَصْطَرَهْ مُختضِباً من بَهَران الأَبْهَرَهْ

* * *

ليلة القادسيّة

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد وطلحة وزياد ، قالوا : وأصبحوا ليلة القادسيَّة ؛ وهى صُبْحة ليلة الهرير ، وهى تسمىّ ليلة القادسيَّة ، من بين تلك الأيام والناس حَسْرَى ، لم يغمضوا ليلتهم كلّها ، فسار القعقاع فى النّاس ، فقال : إن الدّبْرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعة واحملوا ، فإنّ النّصر مع الصّبر . فآثروا الصّبر على الجزَع ؛ فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء، وصمدوا لرستم، حتّى خالطوا الّذين دونه مع الصُّبح ؛

ولما رأت ذلك القبائل قامَ فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يَغوث والأشعث ابن قيس وعمرو بن معديكرب وابن ذى السَّهْمَيْن الخثعمىّ وابن ذى البُرْدَيْن الهلالىّ ، فقالوا : لا يكونَنّ هؤلاء أجدّ فى أمر الله منكم ، ولا يكونَنّ هؤلاء — لأهل فارس [1] — أجرأ على الموت منكم ؛ ولا أسخَى أنفسا عن الدنيا ، تَنافسوها . فحملوا ممّا يليهم [2] حتّى خالطوا الّذين بإزائهم ؛ وقام ١ / ٢٣٣٦ فى ربيعة رجال ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى ؛ فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجرأ مما كنتم بالجرْأة ! فكان أوّل مَن زال حين قام قائم الظهيرة الهُرْمزان والبيرزان ، فتأخّرا وثبتا حيث [3] انتهيا ، وانفرج

(١) ابن الأثير والنويرى : « يعنى الفرس »
(٢) ابن الأثير : « فيما يليهم » .
(٣) ز : « حين » .

القلْب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النَّقْع ، وهبَّت ريحٌ عاصف ، فقلعت طيَّارة رستم عن سريره ، فهوت فى العتيق ؛ وهى دَبُور ، ومال الغبار عليهم ، وانتهى القعقاع ومَن معه إلى السرير فعثروا به ، وقد قام رستم عنه حين طارت الرّيح بالطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهى واقفة ، فاستظلّ فى ظلّ بغل وحِمْله ، وضرب هلال بن عُلَّفة الحِمْل الذى رستم تحته ؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به ؛ فأزال من ظهره فَقَارًا ، ويضربه ضربة فنفحت مِسْكًا ، ومضى رستم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ؛ فتناوله وقد عام ؛ وهلال قائم ، فأخذ برجله ، ثم خرج به إلى الجُدّ [1] ، فضرب جبينه بالسَّيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلتُ رستم وربّ الكعبة ؛ إلىّ ؛ فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يرونه ؛ وكبَّروا وتنادَوْا ، وانبتّ قلب المشركين عندها وانهزموا [2] ، وقام الجالنوس على الرَّدْم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ؛ فأمَّا المقترنون فإنَّهم جشعوا فتهافتوا فى العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبِّر ، وهم ثلاثون ألفًا ، وأخذ ضرار بن الخطاب « دِرَفْش كابيان » ، فعُوِّض منها ثلاثين ألفا ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتى ألف ، وقتلوا فى المعركة عشرة آلاف سوى مَنْ قتلوا فى الأيَّام قبله . ١/٢٣٣٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عَطيَّة ، عن عمرو بن سَلمة ، قال : قتَل هلال بن عُلَّفة رستمَ يوم القادسيّة .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن أبى كعب الطائىّ ، عن أبيه ، قال : أصيب من الناس قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة ، وقتل ليلة الهرير ويوم القادسيّة ستة آلاف من المسلمين ، فدُفنوا فى الخندق بحيال مُشرِّق . ١/٢٣٣٨

---

(١) الجدّ : شاطئ البحر.

(٢) ز : « عنها وانهفتوا » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لما انكشف أهلُ فارس ؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخَنْدق والعتيق أحد ، وطبّقت [١] القتلى ما بين قُدَيْس والعتيق أمر سعد زُهرة باتّباعهم ، فنادى زهرة فى المقدّمات ، وأمر القعقاعَ بمَن سفَل ، وشُرَحْبيل بمن علا ، وأمر خالدبن عُرْفُطة بسَلْب القتلى وبدَفْن الشهداء ، فدُفن الشهداء ، شهداء ليلة الهرير ويوم القادسيّة ، حول قُديْس ألفان وخمسمائة وراءَ العتيق بحيال مُشرِّق ، ودُفن شهداء ما كان قبل ليلة الهرير على مشرِّق ، وجُمعت الأسلاب والأموالُ فجُمع منها شىءٌ لم يُجمَع قبله ولا بعده مثله ؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعَا له ، فقال : أين صاحبُك ؟ قال : رميتُ به تحت أبغُل ؛ قال : اذهبْ فجِئْ به ، فذهبفجاء به ، فقال : جرِّدْه إلاّ ما شئتَ ، فأخذ سلبه فلم يَدَعْ عليه شيئًا ، ولما رجع القعقاع وشُرحبيل قال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا : اغد فيما طلب هذا ؛ فعلا هذا ، وسفَل هذا ، حتى بلغا مقدار الخرّارة من القادسيّة ، وخرج زُهرة بن الحَوِيّة فى آثارهم ، وانتهى إلى الرّدْم وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَب ، فقال زهرة : يا بُكَيْر ، أقدِم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال : ثِبِى أطلالُ ، فتجمّعت وقالت : وَثْبًا وسورة البَقَرَة ! ووثب زهرةُ — وكان على حصان — وسائرُ الخيل فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ، ونادى زُهرة حيث كاعت [٤] الخيل : خذوا أيّها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتّبعونه ، فلحق بالقوم والجالنوس فى آخرهم [٥] يحميهم ، فشاوله [٦] زهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبَه ، وقتلوا

٢٣٣٩/١

(١) ابن حبيش : « وطبق القتلى » .

(٢) ز : « فاقتحمه » .

(٣) ثبى : انهضى وقومى .

(٤) كاعت الخيل : جبنت .

(٥) ابن حبيش : « أخراهم » .

(٦) فى اللسان عن أبى زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح ، والمشاولة مثله » .

ما بين الخرّارة إلى السَّيْلَحين ، إلى النَّجَف ؛ وأمسوْا فرجعوا فباتوا بالقادسيَّة .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شُبْرُمَة ، عن شقيق ، قال : اقتحمنا القادسيَّة صدرَ النهار ، فتراجَعْنا وقد أتى الصلاة ؛ وقد أصيب المؤذّن ، فتشاحَّ النَّاس فى الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ؛ فخرج سهم رجل فأذَّن .

* * *

ثم رجع الحديث . وتراجع الطلبُ الَّذين طلبوا مَنْ علاَ على القادسيَّة ومَن سفَل عنها ، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحّوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيَّة يومهم ذلك وليلتَهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميعٌ لا ينتظرون أحدًا من جندهم ؛ وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمَّى لعُمَر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلة الفزارىّ . ١ / ٢٣٤٠

كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، قال : دعانى سعد ، فأرسلنى أنظر له فى القتلَى ، وأسمّى له رءوسهم ، فأتيته فأعلمته ، ولم أرَ رستم فى مكانه ، فأرسل إلى رجل من التَّيْم يُدعى هلالاً ، فقال : ألم تُبلغنى أنَّك قتلت رستم ! قال : بلى ، قال : فما صنعت به ؟ قال : ألقيته تحت قوائم الأبغُل ، قال : فكيف قتلَته ؟ فأخبره ، حتَّى قال : ضربت جبينه وأنفَه . قال : فجئنا به ، فأعطاه سلَبه ، وكان قد تخفَّف حين وقع إلى الماء ، فباع الَّذى عليه بسبعين ألفًا ، وكانت قيمة قَلَنْسُوَتْه مائة ألف لو ظفر بها . وجاء نفر من العِباد حتّى دخلوا على سعد ، فقالوا : أيّها الأمير ؛ رأينا جسد رستم على باب قصرك وعليه رأس غيره ؛ وكان الضَّرب قد شوَّهه ؛ فضحك .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال الدَّيْلَم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين ، وقاتلوا معهم على غير الإسلام : إخوانُنا الَّذين دَخلوا فى هذا الأمر من أوّل الشأن أصوَبُ منَّا وخير ، ولا والله لا يُفْلح أهلُ فارس بعد رستم إلا مَن دخل فى ١ / ٢٣٤١

هذا الأمر منهم ؛ فأسلموا ؛ وخرج صبيان العسكر فى القتلى ، ومعهم الأداوَى يسقُون مَن به رَمَقٌ من المسلمين ، ويقتلون مَن به رَمق من المشركين ، وانحدروا من العُذَيْب مع العشاء . قال : وخرج زهرة فى طلب الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرحبيل فى طلب مَن ارتفع وسفل ، فقتلوهم فى كلّ قرية وأجَمة وشاطىء نهر ؛ ورجعوا فوافوا صلاةَ الظهر ، وهنّأ الناس أميرَهم ، وأثنى على كلّ حىّ خيرًا ، وذكرَه منهم .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المَرْزُبان ، قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ؛ ملكًا من ملوكهم ؛ بين الخرّارة والسَّيْلَحين ، وعليه يارقَان[1] وقُلْبان[2] وقُرْطان على بِرْذَوْن له قد خَضَّدَ ، فحمل عليه ، فقتله . قال : والله إنّ زهرة يومئذ لعلَى فرس له ما عنانها إلا من حَبْل مضفور كالمِقْوَد ، وكذلك حزامها شَعْرٌ منسوج ، فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلَبه ، فقالوا : هذا سلَب الجالنوس ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ ؟ قال : الله ، فنفَّله سلَبه . ٢٣٤٢/١

كتب إلىّ السَّرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ، قال : كان سعد استكثر له سلَبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنّى قد نفَّلت مَنْ قتل رجلا سلَبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفًا .

وعن سيف ، عن البرمكان ، والمجالد عن الشعبىّ ، قال : لحق به زهرة ، فرفع له الكُرة فما يخطئها بنُشَّابة ، فالتقيا فضربه زهرة فجدّله — ولزهرة يومئذ ذُؤابه وقد سُوّد فى الجاهليّة ، وحسن بلاؤه فى الإسلام و[له] سابقة ، وهو يومئذ شابّ — فتدرّع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعةً وسبعين

(١) فى اللسان : « اليارق : ضرب من الأسورة : قال شبرمة بن الطفيل :

لعمرِى لظبىٌ عند باب ابن محرزٍ أَغنّ عليه اليارقان مَشُوفُ
أحبّ إليكُمْ من بيوتٍ عِمادُها سيوفٌ وأرْماحٌ لهنّ حَفيف

(٢) القلب ، بالضم : سوار للمرأة إذا كان مفتولا من طاق .

ألفًا . فلما رجع إلى سعد نزع سَلَبه ، وقال : ألا انتظرتَ إذْنى ! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى سعد : تَعمِد إلى مثل زهرة – وقد صلِىَ بمثل ماصَلِىَ به ، وقد بقِىَ عليك من حربك ما بقِىَ – تكسر قَرْنَه ، وتُفسد قلبه ! أمْضِ له سَلَبَه ، وفضّلْه على [1] أصحابه عند العطاء بخمسمائة .

وعن سيف ، عن عبيد ، عن عصمة ، قال : كتب عمر إلى سعد : أنا أعلم بزُهرة منك ، وإنّ زهرة لم يكن ليغيّب من سلب سلبه شيئًا ؛ فإن كان الّذى سعى به إليك كاذبًا فلقّاه الله مثل زهرة ، فى عضدَيْه يا رَقان ؛ وإنّى قد نفّلت كلّ مَنْ قتل رجلا سلَبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفا . ١/٢٣٤٣

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر ، أنّ أهل البلاء يوم القادسيّة فُضّلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة فى أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلا ؛ منهم زهرة ، وعصْمة الضَّبّىّ ، والكلَج . وأمّا أهل الأيّام ، فإنه فرِض لهم على ثلاثة آلاف فُضّلوا على أهل القادسيّة .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن يزيد الضّخم ، قال : فقيل لعمر : لو ألحقتَ بهم أهل القادسيّة ! فقال : لم أكن لألحقَ بهم من لم يدركهم . وقيل له فى أهل القادسيّة : لو فضلت مَن بعُدَتْ داره على مَنْ قاتلهم بفنائه ! قال : وكيف أفضّلهم عليهم على بعد دارهم ، وهم شَجَن العدّو ، وما سوَّيت بينهم حتى استطبتهم ؛ فهلاّ فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا !

وعن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبىّ ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بنى عبْس ، قال : لمّا زال رستم عن مكانه ركب بغلاً ، فلمّا دنا منه هلال نزع له نشّابة ، فأصاب قدمه فشكّها فى الرِّكاب ، وقال : « بپايه » [2] ، فأقبل عليه هلال . فنزل ، فدخل تحت البغل ، فلمّا لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامتَه . ١/٢٣٤٤

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شَقيق ، قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسيّة حَمْلة رجل واحد ، فهزمهم الله ، فلقد رأيتُنى أشرتُ إلى أسوارٍ منهم

---

(١) ز : « عن » .

(٢) كلمة فارسية ، معناها « كما انت » ، وانظر ص ٥٧٧ س ١ من هذا الجزء .

فجاء إلىّ وعليه السلاح التامّ ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بنى عَبْس ، قال : أصاب أهلَ فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب النّاس قبلهم ؛ قتِلوا حتّى إن كان الرجل من المسلمين ليدعوُ الرجُلَ منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنّه ليأخذ سلاَحَه فيقتله به ، وحتى إنّه ليأمر الرّجليْن أحدَهما بصاحبه؛ وكذلك فى العِدّة .

وعن سيف ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن أبيه ، عمّن شهدها ، قال : أبصر سَلْمان بن ربيعة الباهلىّ أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا: لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل مَن كان تحتها وسلبهم . وكان سلمان فارس الناس يوم القادسيّة ، وكان أحدالّذين مالوا بعد الهزيمة على مَنْ ثبت ، والآخر عبد الرحمن ابن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد تكتّبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله .

وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البَهِىّ ، أن الشعبىّ قال : كان يقال : لَسَلْمَان أبصرُ بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور . فكان موضع المَحبَس اليوم دارَ عبد الرحمن بن ربيعة، والّتى بينها وبين دار المختار دار سَلْمان ؛ وإنّ الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدّامها ، هو اليوم فى دار المختار ، فأقْطعه فقال له : ما جرّأك علىّ يا أشعث ؟ والله لئن حُزْتَها لأضربنّك بالجُنيْىّ — يعنى سيفه — فانظر ما يبقى منك بعدُ ، فصدف عنها ولم يتعرّض لها . ١/٢٣٤٥

وعن سيف ، عن المهلّب ومحمد وطلحة وأصحابه ، قالوا : وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيَوْا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمَد لهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يُتبعوا فالّة القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى ؛ وصمد لكلّ كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين . وكان قتال أهل هذه الكتائب ،

من أهل فارس على وجهين ؛ فمنهم من كذب فهرب ، ومنهم من ثبت حتى قتل ؛ فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتائب الهرمزان وكان بإزاء عطارد ، وأهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع ، وهو كاتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وزاذ بن بهيش وكان بإزاء عاصم بن عمرو ، وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو ؛ وكان ممن استقتل شهريار بن كنارا وكان بإزاء سلمان . وابن الهربذ وكان بإزاء عبد الرحمن ، والفرخان الأهوازى وكان بإزاء بسر بن أبى رهم الجهنى ، وخسروشنوم الهمذانىّ وكان بحيال ابن الهذيل الكاهلىّ . ١/ ٢٣٤٦

ثم إن سعداً أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوّب فى هزيمته أو صعّد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحويّة الجالنوس .

* * *

* ذكر حديث ابن سحاق :

١/ ٢٣٤٧ قال أبو جعفر الطبرىّ رحمه الله : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال : ومات المثنّى بن حارثة ، وتزوّج سعد بن أبى وقّاص امرأته سلمى ابنة خصفة وذلك فى سنة أربع عشرة . وأقام تلك الحجّة للنّاس عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ، فشتا بها ، فلمّا أصافت الرّوم سار هرقل فى الرّوم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلىّ وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة ، غسّان بشر كثير ؛ ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك ، فلمّا نزلها أقام بها ، وبعث الصّقلار ؛ خصيّاً له ، فسار بمائة ألف مقاتل ، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً ، عليهم جرجة ، ومعه من المستعربة من غسّان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم الغسّانىّ ، وسائرهم من الرّوم ؛ وعلى جماعة الناس الصّقلار خصىّ هرقل ؛ وسار إليهم المسلمون

وهم أربعة وعشرون ألفًا عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوْا باليَرْموك فى رجب سنة خمس عشرة ؛ فاقتتل الناس قتالا شديدًا حتى دُخِل عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دخِل العسكر — منهنّ أم حكيم بنت الحارث بن هشام — حتى سابقْن[1] الرجال ، وقد كان انضمّ إلى المسلمين حين ساروا إلى الرّوم ناس من لَخْم وجُذام ؛ فلمّا رأوا جِدّ القتال فرّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبهم من القُرى ، وخذلوا المسلمين . ١/٢٣٤٨

حدّثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزُّبير ، عن أبيه ، قال : قال قائل من المسلمين حين رأى من لخم وجذام ما رأى :

القومُ لَخْمٌ وجُذَامٌ فى الهرَبْ ونحنُ والرّومُ بمَرْجٍ نَضطرِبْ

* فإن يعودوا بَعْدَها لا نَصْطَحِبْ *

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزُّبير ، قال : كنت مع أبى الزبير عامَ اليرموك ؛ فلمّا تعبّى المسلمون للقتال ، لبس الزُّبير لأمتَه ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لموليَيْن له : احبسا عبدَ الله بن الزُّبير معكما فى الرَّحْل ؛ فإنه غلام صغير . قال : ثم توجّه فدخل فى الناس ؛ فلمّا اقتتل النّاس والرّوم نظرت إلى ناس وقوف على تلّ لا يقاتلون مع الناس . قال : فأخذت فرسًا للزبير كان خلّفه فى الرّحل فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم ؛ فقلت : أنظر ما يصنع الناس ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب فى مَشْيَخة من قريش من مُهاجِرة الفتح وقوفًا لا يقاتلون ؛ فلمّا رأوْنى رأوْا غلامًا حدَثًا ، فلم يتّقونى . قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبَتْهم الحرب ، للروم يقولون : إيهٍ إيهٍ بنى الأصْفَر ! فإذا مالت الرّوم وركبهم المسلمون ، قالوا : يا ويح بنى الأصْفَر ! فجعلتُ أعجب من قولهم ، فلمّا هزم الله الرّوم ورجع الزُّبير ، جعلت أحدّثه ١/٢٣٤٩

---

(١) ز : « سايقن » .

خبرهم . قال: فجعل يضحك ويقول: قاتلهم الله، أبوْا إلاّ ضِغنًا ! وماذا لهم إن يَظْهَرْ علينا الرّوم ! لنحن خير لهم منهم .

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أنزل نصرَه ، فهزمت الرّوم وجموع هرقل التى جمع ، فأصيب من الرُّوم أهل إرمينيَة والمستعربة سبعون ألفًا ، وقتل الله الصّقلار وباهانَ ؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصّقلار حين لحق به ، فلمّا هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غَنْم فى طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطْيَة ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومَن فيها ، فساقهم إليه ، وأمر بمَلَطْية فحُرِقت . وقُتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بنى أميَّة بن عبد شمس عمرُو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص ؛ ومن بنى مخزوم عبدالله بن سفيان بن عبد الأسد ، ومن بنى سهم سعيد بن الحارث بن قيس .

قال : وفى آخر سنة خمس عشرة ، قتل الله رستم بالعراق ؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسيَّة مع سعد بن أبى وقّاص ، وذلك أنّ سعدًا حين حسر عنه الشتاء، سار من شَرَاف يريد القادسيَّة ، فسمع به رستم ، فخرج إليه بنفسه ؛ فلمّا سمع بذلك سعد وقف ، وكتب إلى عمر يستمدّه ؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفىّ فى أربعمائة رجل مددًا من المدينة ، وأمدّه بقيس ابن مكشوح المرادىّ فى سبعمائة ، فقدموا عليه من اليرموك . وكتب إلى أبى عبيدة : أن أمدّ سعد بن أبى وقّاص أميرَ العراق [1] بألف رجل من عندك ؛ ففعل أبو عبيدة ، وأمّر عليهم عياض بن غَنْم الفِهْرىّ ؛ وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة.

١/٢٣٥٠

وقد كان لكسرى مُرابطة فى قصر بنى مقاتل، عليها النُّعمان بن قَبيصة ؛ وهو ابن حيّة الطائىّ ابن عمّ قَبيصة بن إياس بن حيَّة الطائىّ صاحب الحيرة ؛ فكان فى منظَرة له، فلمّا سمع بسعد بن أبى وقاص سأل عنه عبدَ الله بن سنان ابن جرير الأسدىّ ؛ ثم الصَّيْداوِىّ ، فقيل له : رجل من قريش ، فقال :

(١) ابن حبيش : « سعدا بالعراق » .

أمّا إذ كان قُرَشيًّا فليس بشىء ؛ والله لأجاهدنّه القتال ؛ إنما قريش عبيد مَن غَلَب ؛ والله ما يمنعون خفيرًا ، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير[1] ؛ فغضب حين قال ذلك عبدُ الله بن سنان الأسدىّ ، فأمهله حتى إذا دخل عليه وهو نائم ، فوضع الرمح بين كتِفَيْه فقتله ، ثم لحق بسعد فأسلم . وقال فى قتله النُّعمان بن قَبِيصة :

لقد غادَرَ الأقوامُ ليلةَ أدْلَجوا ... بقصر العِبادِى ذَا الفَعالِ مُجَدّلا

دَلَفْتُ له تحت العَجاج بِطَعْنَةٍ ... فأصبح منها فى النّجيعِ مُرَمَّلا[2]

أقولُ له والرمح فى نُغْضِ كَتْفِهِ[3] ... أبا عامرٍ عنك اليمينُ تحَلّلا ١ / ٢٣٥١

سَقَيْتُ بها النّعْمانَ كأساً رَوِيّةً ... وعاطيْته بالرُّمح سمًّا مُثَمَّلا[4]

تركتُ سباعَ الجوِّ يعرِفن حوله ... وقد كان عنها لابن حيَّةَ مَعْزِلا

كفيتُ قريشاً إذ تغيّبَ جَمْعُها ... وهَدَّمتُ للنُّعمان عِزًّا مُؤثّلا

ولمّا لحق سعد بن أبى وقّاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن معهما ، سار إلى رستم حين سمع به حتى نزل قادِسَ — قرية إلى جانب العُذَيب — فنزل الناس بها ، ونزل سعد فى قصر العُذيب ، وأقبل رستم فى جموع فارس ستين ألفًا ممّا أحْصِىَ لنا فى ديوانه ، سوى التّباع والرقيق ، حتى نزل القادسيّة وبينه وبين الناس جسرُ[5] القادسيّة ، وسعد فى منزله وَجِعٌ ، قد خرج به قَرْح شديد ، ومعه أبو مِحْجَن بن حبيب الثقفىّ محبوس فى القصر ، حبسه فى شرب الخمر ، فلمّا أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إلىّ رجلا منكم جليدًا أكلّمْه ، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة ، فجاءه وقد فرق رأسه أربع فِرَق : فرقة من بين يديه إلى قفاه ، وفرقة إلى أذنيْه ، ثم عقصَ شعره ، ولبس بُردًا له ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ، ورستم من وراء الجسر العتيق ممّا يلى ١ / ٢٣٥٢

---

(١) ابن الأثير : « بخفين » . (٢) مرملا ، أى ملطخاً .

(٣) نغض الكتف : أعلى منقطع الغضروف . (٤) المثمل : السم الناقع .

(٥) ط : « العتيق جسر القادسية » ، وكلمة « العتيق » مقحمة ، فيما يبدو ، للشرح .

العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممّا يلى الحجاز فيما بين القادسيّة والعُذَيب ، فكلّمه رستم ، فقال : إنّكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظللتم من ظِلالنا ؛ فذهبتم فدعوتم أصحابكم ، ثم أتيتمونا بهم ، وإنما مَثَلُكم مَثَل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلبًا واحدًا ، فقال : ما ثعلب واحد ! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعالب إلى الحائط ؛ فلمّا اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجُحْر الذى دخلْن منه ، ثم قتلهنّ جميعًا . وقد أعلم أن الذى حملكم على هذا معشر العرب الجَهدُ الذى قد أصابكم ؛ فارجعوا عنّا عامكم هذا ، فإنّكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوّنا ، ونحن نُوقِر لكم ركائبكم قمحًا وتمرًا ، ونأمر لكم بكُسوة ، فارجعوا عنّا عافاكم الله !

فقال المغيرة بن شعبة : لا تذكُر لنا جهدًا إلاّ وقد كنا فى مثله أو أشدّ منه ؛ أفضلُنا فى أنفسنا عيشًا الذى يقتل ابنَ عمّه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل كذلك حتّى بعث الله فينا نبيًّا ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدّقه منّا مصدّق ، وكذّبه منّا آخر ، فقاتل مَن صدّقه مَن كذبه ، حتى دخلنا فى دينه ؛ من بين مُوقِن به ، وبين مقهور ؛ حتّى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل مَن خالفنا ، وأخبرَنا أن من قُتِل منّا على دينه فله الجنّة ، ومَنْ عاش ملك وظهر على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل فى ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلاّ من أحببتَ ، وعليك الزكاة والخُمس ، وإن أبيتَ ذلك فالجزية ؛ وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك .

١/٢٣٥٣

قال له رستم : ما كنت أظن أنى أعيش حتى أسمع منكم هذا معشر العرب . لا أمسى غدًا حتى أفرُغ منكم وأقتلكم كلّكم . ثم أمر بالعَتيق أن يُسكَر ، فبات ليلته يسكر بالبرازع [1] والتراب والقَصَب حتى أصبح ، وقد تركه طريقًا مَهْيَعًا ، وتعبّى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن

(١) ط : « بالزرع » ، والصواب ما أثبته ، وانظر ص ٥٢٩ س ١٥ من هذا الجزء .

عُرْفُطة حليف بنى أميَّة بن عبد شمس ، وجعل على ميمنة الناس جرير ابن عبد الله البَجَلىّ ، وجعل على ميسرتهم قيس بن المكشوح المُرادىّ .

ثم زحف إليهم رستم ، وزحف إليه المسلمون ، وما عامّةُ جُنَنِهم — فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سَلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبى بكر — غير براذع الرّحال ، قد عرّضوا فيها الجريد ، يترّسون بها عن أنفسهم ، وما عامّة ما وضعوه على رءوسهم إلا أنساع الرِّحَال ، يطوى الرجل نِسْعَ رحْله على رأسه يتّقى به ، والفُرس فيما بينهم من الحديد واليلامق ؛ فاقتتلوا قتالا شديدًا ، وسعد فى القصر ينظر ، معه سلمَى بنت خَصَفة ؛ وكانت قبله عند المثنّى بن حارثة ، فجالت الخيل ، فرعبت سلمى حين رأت الخيل جالت ، فقالت : وامثنّياه ولا مُثنّى لى اليوم ! فغار سعد فلطم وجهها ، فقالت : أغَيْرةً وجُبْناً ! فلمّا رأى أبو مِحْجن ما تصنع الخيل حين جالت ، وهو ينظر من قصر العُذيب وكان مع سعد فيه ، قال : ١/٢٣٥٤

كَفَى حَزَنًا أن تَرْدِىَ الخيْل بالقنا وأُتْرَكَ مشدودًا عَلَىَّ وثاقيا[1]

إذا قمْتُ عَنَّانى الحديدُ وأُغلِقَتْ مَصاريعُ دونى لا تُجيبُ المُناديا

وقدْ كُنْتُ ذَا مالٍ كثيرٍ وإخوة فقَدْ تَرَكونى واحِدًا لا أخاليا

فكلّم زَبْراءَ أمّ ولد سعد — وكان عندها محبوسًا ، وسعد فى رأس الحصن ينظر إلى الناس — فقال : يا زَبْراءُ ، أطلقينى ولك علىّ عهد الله وميثاقه ، لئن لم أقتل لأرجعنّ إليك حتى تجعلى الحديد فى رجلىّ ، فأطلقته وحملته على فرس لسعد بلْقاءَ وخلّت سبيله ، فجعل يشدّ على العدوّ وسعد ينظر . فجعل سعد يعرف فرسَه ويُنكرها ، فلمّا أنْ فرغوا من القتال ؛ وهزم الله جموع فارس ، رجع أبو مِحْجن إلى زَبْراء ، فأدخل رِجْله فى قيده ، فلمّا نزل سعد من رأس الحصن رأى فرسه تعرق ، فعرف أنها قد رُكِبَتْ ، فسأل عن ذلك زَبْراء ، فأخبرته خبر أبى مِحْجن فخلّى سبيله . ١/٢٣٥٥

---

(١) ردى الفرس يردى ، إذا عدا ترجم الأرض رجما .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمرو بن مَعْديكرب شهِد القادسيّة مع المسلمين .

وحدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسْوَد النَّخَعيّ ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسيّة ؛ فلقد رأيت غلامًا منّا من النَّخَع يسوق ستين أو ثمانين رجلا من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناءَ الأحرار !

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، مولى بَجيلة ، عن قيس بن أبي حازم البَجَليّ — وكان ممّن شهد القادسيّة مع المسلمين — قال : كان معنا يوم القادسيّة رجل من ثَقيف ، فلحق بالفُرْس مرتدًّا ، فأخبرهم أنّ بأس الناس في الجانب الذي به بَجيلة . قال : وكُنّا رُبع النّاس ؛ فوجّهوا إلينا ستة عشر فيلا وإلى سائر الناس فيلَيْن ، وجعلوا يُلقون تحت أرجُل خيولنا حَسَك الحديد ، ويرشقوننا بالنُّشّاب ، فكأنّه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفرّوا . قال : وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول : يا معشرَ المهاجرين ، كونوا أسودًا ، فإنّما الأسد من أغنَى شأنه ؛ فإنّما الفارسيّ تيس إذا ألقى نيزَكه . ١/٢٣٥٦

قال : وكان أسوار منهم لايكاد تسقط له نُشّابة ، فقلنا له : يا أبا ثوْر ، اتّق ذلك الفارسيّ فإنه لا تقع له نُشّابة ؛ فتوجّه إليه ورماه الفارسيّ بنشّابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه ، واستلبه سوارَيْن من ذهب ومِنطقة من ذهب ويَلْمقًا[1] من ديباج ، وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكرَه وما فيه ، وإنما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذى قتل رستم هِلال بن علّفة التَّيْميّ رآه فتوجّه إليه ، فرماه رستم بنشّابة فأصاب قدمه وهو يتبعه ، فشكّها إلى ركاب سَرْجه ، ورستم يقول بالفارسية :

---

(١) اليلمق : القباء المحشو .

« ببابه »، أى« كما أنت» ؛ وحمل عليه هلال بن عُلَّفة فضربه فقتله ، ثم احتزّ رأسه فعلّقه ، وولّت الفُرْس فأتبعهم المسلمون[١] يقتلونهم[٢] ؛ فلما بلغت الفرس الخرّارة نزلوا فشربوا من الخمر ، وطعموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجّبون من رَميهم ، وأنّه لم يعمل فى العرب . وخرج جالنوس فرفعوا له كُرَةً فهو يرميها ويشكّها بالنّشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشدّ على جالنوس زُهرة بن حَوِيّة التميمىّ فقتله ، وانهزمت الفرس ، فلحقوا بدير قُرَّةَ وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قُرّة على من هنالك من الفرس ؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قرّة عياض بن غَنْم فى مدده من أهل الشأم ، وهم ألف رجل ، فأسْهَمَ له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسيّة ، وسعد وَجِعٌ من قَرْحته تلك ، وقال جرير ابن عبد الله :

١/٢٣٥٧

أنا جريرٌ كُنْيتِى أبو عَمرْو   قد نَصَرَ اللهُ وسَعْدٌ فى القَصرْ

وقال رجل من المسلمين أيضًا :

نُقاتِلُ حتى أنزَلَ اللهُ نَصْرَهُ   وسَعْدٌ بباب القادسيّة مُعْصِمُ
فأبْنا وقد آمَت نِساءٌ كثيرةٌ   ونِسْوَةُ سَعْدٍ ليسَ فيهنَّ أيِّمُ

قال : ولما بلغ ذلك من قولهما سعدًا ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القَرْح فى فَخِذَيْه وأليَتَيْه ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لَعَمْرى يُجبّن ؛ فقال سعد يجيب جريرًا فيما قال :

١/٢٣٥٨

وما أرْجُو بَجِيلةَ غيْرَ أنّى   أؤمِّلُ أجْرَهم يوم الحِسَابِ
فقد لَقِيَتْ خُيُولُهُمُ خيولاً   وقَد وَقَعَ الفَوارِسُ فى ضِرابِ
وقد دَلَفَتْ بعَرْصتِهم فيولٌ   كأنّ زُهاءها إبلٌ جِرابُ[٣]

---

(١) ز : « واتبعوهم » .
(٢) ابن حبيش : « فقتلوهم » .
(٣) فى البيت إقواء .

ثم إنّ الفرس هربت من دير قُرّة إلى المدائن يريدون نِهاوَنْد ، واحتملوا معهم الذّهب والفضة والديباج والفِرِنْد والحرير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلّوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلبَ من المسلمين ، فبعث خالد بن عُرْفُطة حليف بني أمية ، ووجّه معه عياض بن غَنْم في أصحابه ، وجعل على مقدّمة النّاس هاشم بن عُتْبة بن أبي وقّاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البَجَلى ، وعلى ميسرتهم[1] زُهرة بن حَوِيّة التميميّ ؛ وتخلّف سعد لما به من الوَجَع ؛ فلمّا أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع الناسَ بمن بَقِيَ معه من المسلمين ؛ حتى أدركهم دون دِجلة على بَهُرَسِير ، فلمّا وضعوا على دِجْلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة ، فلم يهتدوا لها ؛ حتى أتى سعدًا عِلْج من أهل المدائن ، فقال : أدُلّكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمْعِنوا في السير ! فخرج بهم على مخاضة بقَطْرَ بُّلَ ، فكان أول مَن خاض المخاضة هاشم ابن عُتبة في رَجْله ، فلمّا جاز اتّبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطة بخيله ، ثم أجاز عياض بن غَنْم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ؛ فزعموا أنه لم يُهْتَدَ لتلك المخاضة بعد . ثم ساروا حتى انتهَوْا إلى مُظْلِم ساباط ، فأشفق النّاس أن يكون به كمين للعدّو ، فتردّد الناس ، وجبنوا عنه ؛ فكان أول مَنْ دخله بجيشه هاشم بن عُتبة ، فلمّا أجاز ألاح للناس بسيفه ، فعرّف الناس أن ليس به شيء يخافونه[2] ، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطة ، ثم لحق سعد بالناس ؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جلولاء بها ، فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من الفيء أفضلَ مما أصابوا بالقادسيّة ، وأصيبت ابنة لكسرى ، يقال لها منجانة ؛ ويقال : بل ابنة ابنه . وقال شاعر من المسلمين :

١/٢٣٥٩

يارُبَّ مُهْرٍ حَسَنٍ مُطَهَّمْ ... يَحْمِلُ أثقالَ الغُلامِ المُسْلِمْ

يَنْجُو إلى الرّحمن من جهنَّمْ ... يومَ جَلولاءَ ويوم رُسْتَمْ

ويومَ زَحفِ الكوفة المُقدَّمْ ... ويوم لاقَى ضَيْقَة مُهزَّمْ

* وخرَّ دينُ الكافرين للفَمْ *

---

(١) ز : « ميسرته » . (٢) كذا في ز وفي ط : « تخافونه » .

١/٢٣٦٠ ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين[١] ؛ فكتب إليه عمر : أن قِفْ ولا تطلبوا غير ذلك . فكتب إليه سعد أيضًا : إنما هى سُرْبة[٢] أدركناها والأرض بين أيدينا ، فكتب إليه عمر : أن تف مكانك ولا تتبعهم ، واتّخذْ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد ، ولا تجعل بينى وبين المسلمين بحرًا . فنزل سعد بالناس الأنبار ، فاجتوَوْها وأصابتهم بها الحُمّى ، فلم توافقهم ، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك ، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة فى منابت العُشب ؛ فانظر فلاةً فى جنب البحر فارتَدْ للمسلمين بها منزلا .

قال : فسار سعد حتى نزل كُوَيْفة عمرو بن سعد ، فلم توافق النّاس مع الذّباب والحمّى . فبعث سعد رجلا من الأنصار يقال له الحارث بن سلَمة — ويقال : بل عثمانَ بن حُنَيْف ، أخا بنى عمرو بن عوف — فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم ، فنزلها سعد بالنّاس ، وخطّ مسجدها ، وخطّ فيها الخِطَط للنّاس .

وقد كان عمر بن الخطاب خرج فى تلك السنة إلى الشأم فنزل الجابيَة ، وفتِحت عليه إيلياء ؛ مدينة بيت المقدس ، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلةَ بن الطُّفيل السُّلَمىّ إلى حِمْص ، ففتحها الله على يديه ، واستعمل سعد بن أبى وقّاص على المدائن رجلا من كِنْدة ، يقال له شُرَحْبيل بن السِّمط ؛ ١/٢٣٦١ وهو الذى يقول فيه الشاعر :

ألا لَيْتَنى والمَرْءَ سعدَ بن مالكٍ ... وزَبْراء وابن السِّمْطِ فى لُجَّة البَحْرِ

* * *

ذكر أحوال أهل السّواد

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عُمَيْر ، عن قَبيصة بن جابر ، قال : قال رجل منّا يوم القادسيّة مع الفتح :

(١) ابن حبيش : « المسلمين » .

(٢) السربة : جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون .

نقاتل حتى أنزلَ اللهُ نصرَهُ وسعدٌ ببابِ القادسيّة معصِمُ
فأُبْنا وقد آمَتْ نساء كثيرةٌ ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنّ أيّمُ

فبعث بها فى الناس ، فبلغت سعدًا ، فقال : اللهمّ إن كان كاذبًا ، أوقال الذى قال رياءً وسُمْعة وكَذِبًا ، فاقطع عنّى لسانه ويَده .
وقال قَبِيصة : فوالله إنّه لواقف بين الصفّين يومئذ ؛ إذ أقبلت نُشّابة لدعوة سعد ، حتّى وقعت فى لسانه فيبس شِقُّه ؛ فما تكلّم بكلمة حتى لحق بالله .

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام بن شُرَيْح الحارثىّ ، عن أبيه ، قال : قال جرير يومئذ :

أنا جريرٌ كنيتِى أبو عمْرْو قدْ نصرَ اللهُ وسعد فى القَصِرْ

٢٣٦٢/١ فأشرف عليه سعد ، فقال :

وما أرْجو بَجِيلَةَ غيرَ أنّى أؤمّلُ أجْرَها يومَ الحِسَابِ
وقد لَقِيَتْ خُيولُهُمُ خُيُولاً وقدْ وقع الفَوارِسُ فى الضِّرابِ
فلولا جَمْعُ قَعقاع بن عَمْرٍو وحمّالٍ للَجُّوا فى الكِذابِ
هُمُ منعوا جُموعَكُمْ بطَعْنٍ وضَرْبٍ مِثْلِ تَشْقِيقِ الإهاب
ولولا ذاكَ أُلفِيتُمْ رَعاعًا تُشَلُّ جموعُكم مثل الذُّباب[1]

كتب إلىّ السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سُليم بن عبد الرحمن السعدىّ ، عن عثمان بن رجاء السعدىّ ، قال : كان سعد بن مالك أجرَأ النّاس وأشجعَهم ؛ إنه[2] نزل قصرًا غير حصين بين الصفّين ، فأشرف منه على النّاس ، ولو أعراه الصّفّ فُواقَ ناقة أخذ برُمّته ؛ فوالله ما أكرثه هول تلك الأيام ولا أقلقه .

---

(١) ز : « الذئاب » .
(٢) ز : « وإنه » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ، عن أمّ كثير ؛ امرأة همّام بن الحارث النّخعىّ ، قالت : شهدنا القادسيّة مع سعد مع أزواجنا ، فلمّا أتانا أن قد فُرغ من الناس شددنا علينا ثيابَنا ، وأخذنا الهَراوَى ، ثم أتينا القتْلى ؛ فما كان من المسلمين سقيناه ورفعناه ؛ وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصّبْيان نولّيهم ذلك ، ونصرّفهم به. ٢٣٦٣/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطيّة — وهو ابن الحارث — عمّن أدرك ذلك ؛ قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر امرأةً يوم القادسيّة من بَجيلة والنّخَع ، وكان فى النّخَع سبعمائة امرأة فارغة ، وفى بَجيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألفٌ من أحياء العرب ، وهؤلاء سبعمائة ، وكانت النّخَع تُسمّى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنّما جرّأهم على الانتقال بأثقالهم توطئةُ خالد ، والمثنّى بعد خالد ، وأبى عُبيد بعد المثنّى ، وأهل الأيّام ، فلاقوْا بأسًا بعد ذلك شديدًا .

كتب إلىّ السرىّ ؛ عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمّد والمهلّب وطلحة ، قالوا : وكان بُكَيْر بن عبد الله اللّيْثىّ وعتبة بن فَرْقَد السُّلَمىّ وسِماك بن خَرَشة الأنصارىّ — وليس بأبى دُجانة — قد خطبوا امرأة يوم القادسيّة ، وكان مع النّاس نساؤهم ؛ وكانت مع النّخَع سبعمائة امرأة فارغة ؛ وكانوا يُسمّوْن أختانَ المهاجرين حتى كان قريبًا ؛ فتزوجهنّ المهاجرون قبل الفتح وبعد الفتح ؛ حتى استوعبوهنّ ، فصار إليهن سبعمائة رجل من الأفناء ؛ فلمّا فرغ النّاس خطب هؤلاء النّفر هذه المرأة — وهى أرْوَى ابنة عامر الهِلاليّة — هلال النّخَع ؛ وكانت أختها هُنَيْدة تحتَ القعقاع بن عمرو التميمىّ ، فقالت لأختها : استشيرى زوجَكِ أيّهم يراه لنا ! ففعلت ؛ وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسيّة ؛ فقال القعقاع : سأصفهم فى الشعر فانظرى لأختك ، وقال : ٢٣٦٤/١

إن كنتِ حاولتِ الدّراهم فانكِحى سِماكًا أخا الأنصار أوْ إبن فَرْقَدِ

وإن كنتِ حاولتِ الطّعان فيَمّمِى بُكَيْرًا إذاما الخيلُ جالَتْ عن الرّدِى

وكلُّهُمُ فى ذِرْوة المجدِ نَازلٌ فشأْنَكُمُ إنّ البَيانَ عن الغدِ

وقالوا : وكانت العرب توقّع[١] وقعة العرب وأهل فارس فى القادسيّة فيما بين العُذيب إلى عدَن أبْيَن ، وفيما بين الأُبلّة وأيلة؛ يروْن أنّ ثبات مُلكهم وزواله بها، وكانت فى كلّ بلد[٢] مُصيخةٌ إليها، تنظُر ما يكون من أمرها؛ حتّى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول: لا أنظر فيه حتّى أنظر ما يكون من أمر القادسيّة .: فلمّا كانت وقعة القادسيّة سارت بها الجنّ، فأتت بها ناسًا من الإنس، فسبقت أخبار الإنس إليهم؛ قالوا: فبدرت امرأة ليلا على جبل بصَنْعاء، لا يُدرَى مَنْ هى ؟ وهى تقول :

١/٢٣٦٥

حُيِّيتِ عنّا عِكْرِمَ ابنةَ خالدٍ ... وما خَيْرُ زادٍ بالقَليل المُصَرَّدِ
وحَيّتْكِ عنّى الشمسُ عند طُلوعها ... وحَيّاكِ عنّى كلُّ ناجٍ مُفرَّدِ
وحَيّتْكِ عنّى عُصْبَةٌ نَخَعيّةٌ ... حِسانُ الوُجوهِ آمَنوا بِمُحَمَّدِ
أقاموا لِكِسْرَى يَضْرِبون جُنودَه ... بكلِّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
إذا ثَوَّبَ الدّاعى أناخوا بكَلْكَلٍ ... مِنَ الموت تَسْوَدُّ الغَياطِلُ مُجْرَدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازًا يغنّى بهذه الأبيات :

وَجدْنا الأكْثَرين بنى تميمٍ ... غَداةَ الرَّوْع أصْبَرَهُمْ رِجالا
هُمُ ساروا بِأرْعَنَ مُكْفَهِرٍّ ... إلى لَجِبٍ فَزَرَّتْهُمْ رِعالا
بُحُورٌ للأكاسِرِ مِن رِجالٍ ... كأُسْدِ الغاب تحْسَبُهُمْ جِبالا
تَرَكْنَ لهم بقادِسَ عِزَّ فَخْرٍ ... وبالخيفَيْنِ أيّامًا طِوالا
مُقَطَّعَةً أكفُّهمُ وسُوقٌ ... بِمَرْدًى حيثُ قابلَتِ الرِّجالا

١/٢٣٦٦

(١) ابن الأثير : « تتوقع » .
(٢) ابن حبيش : « بلدة » .

قال : وسُمِع بنحو ذلك فى عامّة بلاد العرب .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد والمهلّب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعدّة مَنْ قتلوا وبعدّة مَن أصيب من المسلمين ؛ وسمّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيلة الفزارىّ ، وشاركهم النّضْر بن السرىّ عن ابن الرُّفيل بن مَيْسور ؛ وكان كتابه : أمّا بعد ؛ فإن الله نصرَنا على أهل فارس ، ومنحهم سُنَن مَن كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزَلْزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعِدّة لم ير الراءون مثل زُهائها[١] فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سَلَبَهموه ونقله عنهم إلى المسلمين . واتّبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفى الفجاج ؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ ، وفلان ، وفلان . ورجال من المسلمين لا نَعلَمُهم ، اللهُ بهم عالِم ، كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دَوِىَّ النحل ، وهم آساد النّاس ؛ لا يشبههم[٢] الأسود ، ولم يفضُل مَن مضى منهم مَنْ بقى[٣] إلاّ بفضل الشهادة إذ لم تُكتَب لهم . ١/٢٣٦٧

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لمّا[٤] أتى عمرَ بن الخطاب[٥] نزولُ رستم القادسيّة ، كان يستخبر الرّكبان عن أهل القادسيّة من حين يُصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . قال : فلمّا لقِى[٦] البشير سأله من أين[٧] ؟ فأخبره ، قال : يا عبدَ الله حدّثنى ، قال : هزم الله العدوّ[٨] ، وعمر يخُبّ معه ويستخبره[٩] والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه[١٠] ؛ حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلّمون عليه بإمْرة المؤمنين ، فقال : فهلاّ أخبرتَنى رحمك الله ، أنّك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخى !

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب

---

(١) الزهاء : العدد أو المقدار .
(٢) ابن حبيش : « لاتشبههم » .
(٣) ابن حبيش : « على من بقى » .
(٤) ابن حبيش : « ولما » .
(٥) ابن حبيش : « الخبر بنزول » .
(٦) ابن حبيش : « لقيه » .
(٧) ابن حبيش : « من أين جاء » .
(٨) ابن الأثير : « المشركين » .
(٩) ابن الأثير : « يسأله » .
(١٠) ابن حبيش : « وهو لا يعرفه » .

وزياد ، قالوا : وأقام المسلمون فى انتظار بلوغ البشير وأمرِ عمر ، يقوِّمون أقباضهم ، ويتحرَّزون جندَهم ، ويرمُّون أمورهم . قالوا : وتتابع أهلُ العراق من أصحاب الأيَّام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ، ورجعوا مُمِدِّين لأهل القادسيَّة ؛ فتوافوْا بالقادسيَّة من الغد ومن بعد الغد ، وجاء أوّلهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مُراد وهَمْدان ، ومن أفناء الناس ، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمَّا ينبغى أن ٢٣٦٨/١ يُسار[1] به فيهم — وهذا الكتاب الثانى بعد الفتح — مع نذير بن عمرو . ولمَّا أتى عمرَ الفتح قام فى النَّاس فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إنى حريص على ألاّ أدَعَ حاجة إلاّ سددتها ما اتَّسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنَّا تآسينا فى عيشنا حتى نستوىَ فى الكَفاف ، ولوددت أنّكم علمتم من نفسى مثل الذى وقع فيها لكم ، ولستُ معلِّمكم[2] إلاّ بالعمل[3] ؛ إنى والله ما أنا بملِك فأستعبدكم ، وإنّما أنا عبدُ الله عُرِضَ علىّ الأمانة ، فإن أبيتُها ورددتها عليكم واتّبعتكم حتى تشبعوا فى بيوتكم ، وترووْا سعدتُ ، وإن أنا حملتها واستتبعتُها[4] إلى بيتى شقيت ؛ ففرحتُ قليلا ، وحزنت طويلا ، وبقيت لا أقال ولا أُرَدّ فأستعتِب .

قالوا : وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحُليس : إنّ أقوامًا من أهل السَّواد ادّعوا عهودًا ، ولم يُقِمْ على عهد أهل الأيام لنا ، ولم يفِ به أحد علمناه إلاّ أهل بانِقيا وبَسْما وأهل أُلَّيْس الآخرة وادّعى ٢٣٦٩/١ أهل السَّواد أنّ فارس أكرهوهم وحشروهم ؛ فلم يخالفوا إلينا ؛ ولم يذهبوا فى الأرض .

وكتب مع أبى الهيّاج الأسدىّ — يعنى ابن مالك — إنّ أهلَ السَّواد جلوا ، فجاءنا مَن أمسك بعهده ولم يُجلب علينا ؛ فتمّمنا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ؛ وزعموا أنّ أهلَ السَّواد[5] قد لحقوا بالمدائن ، فأحدِث إلينا فيمن تمّ وفيمن جلا وفيمن ادّعى أنه

(١) ز : « يشار » . (٢) ابن حبيش : « معلمكموه » .
(٣) ز : « بالعلم » . (٤) كذا فى ز .
(٥) ابن حبيش : « الأرض » .

استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم[١] ؛ فإنّا بأرض رغيبة[٢] ، والأرض خلاء من أهلها ، وعددنا قليل ، وقد كثر أهل صُلحنا ؛ وإنّ أعمرَ لنا وأوهن لعدوّنا تألّفُهم . فقام عمر فى الناس فقال : إنّه مَن يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظّه ولا يضرّ إلا نفسه ، ومَنْ يتّبع السُّنَّة وينته إلى الشرائعِ ، ويلزم السبيل النَّهْج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة ؛ أصاب أمره ، وظفر بحظّه ، وذلك بأنّ الله عزّوجلّ يقول : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٣] ، وقد ظفر أهل الأيّام والقوادس بما يليهم ، وجلا أهله ، وأتاهم مَنْ أقام على عهدهم ، فما رأيكم فيمن زعم أنه استُكرِه وحُشر ؛ وفيمن لم يدّع ذلك ولم يُقِم وجَلاَ ، وفيمن أقام ولم يدّع شيئًا ، ولم يَجْلُ ، وفيمن استسلم . فأجمعوا على أنّ الوفاء لمن أقام وكفّ لم يزده غبّه إلا خيرًا ، وأن من ادّعى فصُدّق أو وفى فبمنزلتهم ، وإن كُذِّب نُبذ إليهم وأعادوا صلحهم ؛ وأن يُجعل أمر مَنْ جلا إليهم ، فإن شاءوا وادعوهم وكانوا لهم ذمّة ، وإن شاءوا تمّوا على منعهم من أرضهم ولم يُعطوهم إلاّ القتال ؛ وأن يخيّروا مَن أقام واستسلم : الجزاء ، أو الجلاء ، وكذلك الفلاّح . ١/ ٢٣٧٠

وكتب جواب كتاب أنس بن الحُليس : أمّا بعد ؛ فإنّ الله جل وعلا أنزل فى كلّ شىء رُخْصة فى بعض الحالات إلاّ فى أمرين : العدلِ فى السِّيرة والذّكر ؛ فأمّا الذّكر فلا رخصة فيه فى حالة ، ولم يرضَ منه إلاّ بالكثير ، وأمّا العدل فلا رخصة فيه فى قريب ولا بعيد ، ولا فى شدّة ولا رخاء ، والعدل — وإن رُئِىَ ليّنًا — فهو أقوى وأطفأ للجور ، وأقمع للباطل من الجوْر ، وإن رُئِى شديدًا فهو أنكش للكفر ؛ فمن تمّ على عهده من أهل السّواد ، ولم يُعِنْ عليكم بشىء ؛ فلهم الذمّة ، وعليهم الجزْية ؛ وأمّا مَن ادّعى أنه استكرِه ممن لم يخالفْهم إليكم أو يذهب فى الأرض ؛ فلا تصدّقوهم بما ادّعوْا من ذلك إلاّ أن تشاءوا ؛ وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم ، وأبلغوهم مأمنَهم .

(١) ابن حبيش : « واستسلم » .
(٢) أرض رغيبة : مرغوب فيها .
(٣) سورة الكهف ٤٩ .

وأجابهم فى كتاب أبى الهيَّاج : أمَّا من أقام ولم يَجْلُ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد[1] بمقامهم لكم وكفِّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاّحون إذا فعلوا ذلك ؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصُدِّق فلهم الذمَّة ؛ وإن كذّبوا نُبذ إليهم ؛ وأمَّا مَنْ أعان وجلا[2] ؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم ؛ فإن شئتم فادعُوهم إلى أن يقيموا[3] لكم فى أرضهم ، ولهم الذِّمَّة ، وعليهم الجِزية ؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

١/٢٣٧١

فلمَّا قدمتْ كُتُب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على مَن يليهم ممَّنْ جلا وتنحّى عن السواد أن يتراجعوا ، ولهم الذمَّة وعليهم الجزية ، فتراجعوا وصاروا ذمَّة كمن تمّ ولزم عهدَه ؛ إلاّ أن خراجهم أثقل ؛ فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتَهم وعقدوا لهم ، وأنزلوا مَن أقام منزلة ذى العهد وكذلك الفلاّحين ، ولم يُدخلوا فى الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ، ولم يُجبهم إلى واحدة من اثنتين : الإسلام ، أو الجِزاء ، فصارت فيئًا لمن أفاء الله عليه ؛ فهى والصوافى[4] الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمَّة وأخذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رءوس الرّجال على ما فى أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ، ومن صوّب معهم وعيالُ من قاتل معهم وماله ؛ وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسِّكك ، وما كان لآل كسرى ؛ فلم يتأتَّ قَسْم ذلك الفىء الذى كان لآل كسرى ومن صوّب معهم ؛ لأنه كان متفرِّقًا فى كلّ السّواد ، فكان يليه لأهل الفىء مَن وَثِقُوا به ، وتراضَوْا عليه ؛ فهو الّذى يَتَداعاه أهلُ الفىء لا عُظْمُ السواد ؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاونُ بقسمه بينهم ؛ فذلك الذى شبّه على الجَهَلة أمر السّواد ، ولو أنّ الحُلماء جامعوا السُّفهاء الذين سألوا الوُلاةَ قسمَه لقسموه بينهم ، ولكنّ الحلماء أبوْا ، فتابع الولاة الحلماء ، وتُرِك قول السفهاء . كذلك صنع علىّ رحمه الله ، وكلّ مَنْ طُلب إليه قسمُ ذلك فإنّما تابع

١/٢٣٧٢

---

(١) ابن حبيش : « العهدة » . (٢) ز : « رجلا » .

(٣) ابن حبيش : « يقوموا » . (٤) الصوافى : الأرض والأملاك التى جلا عنها أهلها .

الحلماء ، وترك قولَ السفهاء ، وقالوا : لئلاّ يضرب بعضُهم وجوهَ بعض .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن عامر الشّعبىّ ، قال : قلت له : السّواد ما حاله ؟ قال : أخذ عَنْوَةً ، وكذلك كلّ أرض إلاّ الحصون ، فجلا أهلها ؛ ، فدُعوا إلى الصّلح والذّمة ، فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمّة ، وعليهم الجزاء ؛ ولهم المَنَعة ، وذلك هو السنّة ، كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدُومة ، وبقىَ ما كان لآل كسرى ومَن خرج معهم فيئًا لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن ماهان ، قالوا : فتح الله السّوادَ عَنْوةً — وكذلك كلّ أرض بينها وبين نهر بلْخ — إلاّ حصنًا ، ودُعوا إلى الصلح ، فصاروا ذمّة ، وصارت لهم أرَضوهم ولم يُدخلوا فى ذلك أموال آل كسرى ومَن اتّبعهم ، فصارت فيئًا لمن أفاءه الله عليه ، ولا يكون شىء من الفتوح فيئًا حتى يُقسم ؛ وهو قوله : ﴿ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ؛ ممّا اقتسمتم . ٢٣٧٣/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبى الحسن ، قال : عامّة ما أخذ المسلمون عَنْوة فدعوهم إلى الرجوع والذمّة ، وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه ومنعوهم .

وعن سيف ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبىّ ، قال : قلت له : إنّ أناسًا يزعُمون أنّ أهل السّواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد ؟ أخذ السّواد عَنْوة ، وكلّ أرض علمتها إلاّ حصنًا فى جبل أو نحوه . فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا ، وقبل منهم الجزاء ، وصاروا ذمّة ؛ وإنّما يُقسم من الغنائم ما تُغنّم ؛ فأمّا ما لم يُغنَم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يُتغنّم ، فلهم جرت السنّة بذلك .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى ضَمْرة ، عن عبد الله بن المستورِد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كلّها أخذت عَنْوة إلاّ حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يُنزَلوا . ثم دُعوا — يعنى الذين أخذوا عَنْوة — إلى الرّجوع والجزاء ، فصاروا ذمّة أهل السّواد ، والجبَل كلّه

أمر لم يزل يُصنع فى أهل الفىء ، وإنما عمل عمر والمسلمون فى هذا الجزاء والذمّة على إجريّا [1] ما عمل به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تَبُوك إلى دُومة الجنْدل ، فأخذها عَنْوة ، وأخذ ملِكها أكَيْدِرَ بن عبد الملك أسيرًا ، فدعاه إلى الذمّة والجزاء ، وقد أخذت بلاده عَنْوة ، وأخذ أسيرًا ؛ وكذلك فعل با بنى عريض [2] ، وقد أخذا فادّعيا أنهما أودّاؤه ، فعقد لهما على الجزاء والذمّة ، وكذلك كان أمر يُحنّه ابن رُؤْية صاحب أيْلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصّة ، مَن روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم . ١/٢٣٧٤

وعن سيف ، عن حجّاج الصوّاف ، عن مسلم مولى حُذَيفة ، قال : تزوّج المهاجرون والأنصار فى أهلِ السّواد — يعنى فى أهل الكتابيْن منهم ، ولو كانوا عبيدًا لم يستحلّوا ذلك ، ولم يحلّ لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا [3] ... ﴾ الآية ، ولم يقل : « فتياتهم من أهل الكتابين » .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال : بعث عمر بن الخطّاب إلى حُذيفة بعد ما ولّاه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغنى أنّك تزوّجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها . فكتب إليه : لا أفعل حتّى تخبرَنى : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ! فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن فى نساء الأعاجم خَلابة ، فإن أقبلتم عليهنّ غلبنَكم [4] على نسائكم . فقال : الآن ؛ فطلّقها . ١/٢٣٧٥

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سوّار ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : شهدت القادسيّة مع سعد ، فتزوّجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلمّا قفلنا ؛ فمنّا مَن طلّق ، ومنّا من أمسك .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبى سليمان ، عن سعيد بن جُبَير ، قال :

---

(١) ابن حبيش : « على آخر ما » .
(٢) ابن حبيش : « حريض » .
(٣) سورة النساء ٢٥ .
(٤) ز : « غلبتكم » .

أخذ السَّواد عَنْوة، فدُعوا إلى الرّجوع والجزاء، فأجابوا إليه، فصاروا ذمَّة، إلاّ ما كان لآل كسرى، وأتباعهم، فصار فيئًا لأهله، وهو الذى يتحجّى أهل الكوفة إلى أن جُهل ذلك، فحسبوه السَّواد كلّه، وأمّا سوادهم؛ فذلك.

وعن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن إبراهيم بن يزيد النَّخعىّ، قال: أخذ السَّواد عَنْوة، فدُعوا إلى الرجوع، فمَنْ أجابَ فعليه الجزية وله الذمّة، ومَن أبى صار ماله فيئًا، فلا يحلّ بيع شىء من ذلك الفىء فيما بين الجبَل إلى العُذَيب من أرض السَّواد ولا فى الجبَل.

وعن سيف، عن محمَّد بن قيس، عن الشعبىّ، بمثله: لا يحلّ بيع شىء من ذلك الفىء فيما بين الجبَل والعُذَيب. ٢٣٧٦/١

وعن سيف، عن عمرو بن محمَّد، عن عامر، قال: أقطع الزبير وخبّاب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبّار أزمانَ عثمان، فإن يكن عثمان أخطأ فالّذين قبلوا منه الخطأ أخطأ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا. وأقطع عمر طلحة وجرير بن عبد الله والرُّبَيل بن عمرو، وأقطع أبا مُفَزِّر دار الفيل فى عدد ممّن أخذنا عنهم، وإنما القطائع على وجه النَّفْل من خُمس ما أفاء الله. وكتب عُمر إلى عُثمان بن حُنيف مع جرير: أمّا بعد؛ فأقطعْ جرير ابن عبد الله قَدْر ما يقوته لا [1] وكْس ولا شَطَط. فكتب عثمان إلى عمر: إنّ جريرًا قدِم علىّ بكتاب منك تُقْطعه ما يقوته، فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجعَك فيه. فكتب إليه عمر: أن قد صدق جرير، فأنفِذ ذلك، وقد أحسنتَ فى مؤامرتى [2] وأقْطع أبا موسى. وأقطع علىّ رحمه الله كردوسَ بن هانىء الكردُوسيّة، وأقطع سُويد بن غفلة الجعفىّ.

وعن سيف، عن ثابت بن هُرَيم، عن سُوَيد بن غفلة، قال: استقطعت عليًا رحمه الله، فقال: اكتب: هذا ما أقطع علىٌّ سُوَيدا أرضا لداذَوَيْه؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله.

وعن سيف، عن المستنير، عن إبراهيم بن يزيد، قال: قال عمر: إذا ٢٣٧٧/١

(١) ز: «ولا».
(٢) مؤامرتى، أى مشاورتى.

عاهدتم قومًا فأبرءوا إليهم من معرّة الجيوش . فكانوا يكتبون فى الصلح لمن عاهدوا : « ونبرأ إليكم من معرّة الجيوش » .

وقال الواقدىّ : كانت وقعة القادسيَّة وافتتاحها سنة ستّ عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسيَّة سنة خمس عشرة .

قال : والثَّبَت عندنا أنَّها كانت فى سنة أربع عشرة .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : كانت سنة خمس عشرة ، وقد مضى ذكرى الرواية عنه بذلك .

* * *

ذكر بناء البَصْرة

قال أبو جعفر : وفى سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطّاب رحمه الله ـ فيما زعم الواقدىّ ـ النّاس بالقيام فى المساجد فى شهر رمضان بالمدينة ، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك .

وفى هذه السنة ـ أعنى سنة أربع عشرة ـ وجّه عمر بن الخطاب عُتْبة ابن غَزْوان إلى البصرة ، وأمره بنزولها بمَن معه ، وقطع مادّة أهلِ فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم فى قول المدائنىّ وروايته .

وزعم سيف أن البصرة مُصّرت فى ربيع سنة ست عشرة ، وأنّ عُتبة بن غَزْوان إنَّما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جَلولاء وتَكْريت والحِصْنين ؛ وجَّهه إليها سعد بأمر عمر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عنه . فحدّثنى عمر بن شبّة ؛ قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن أبى مخْنف ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال : قُتل مِهران سنة أربع عشرة فى صفر ، فقال عمر لعتبة ـ يعنى ابنَ غزوان ـ : قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحيرة وما حولها ، وقتل عظيم من عظمائها ، ١/٢٣٧٨

ولست آمن أن يمدّهم إخوانُهم من أهل فارس ؛ فإنى[1] أريد أن أوجّهك إلى أرض الهند[2] ، لتمنَع أهلَ تلك الجيزة من إمداد إخوانهم على إخوانكم ، وتقاتلهم ؛ لعلّ الله أن يفتح عليكم . فسرْ على بركة الله ، واتّق الله ما استطعت ، واحكم بالعدل ، وصلّ الصلاة لوقتها ، وأكثر ذكر الله . فأقبل عتبة فى ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، وضوَى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادى ، فقدم البصرة فى خمسمائة ، يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ، فنزلها فى شهر ربيع الأول — أو الآخر — سنة أربع عشرة ، والبصرة يومئذ تدعى أرضَ الهند فيها حجارة بيض خُشُن ، فنزل الخُرَيبة ، وليس بها إلا سبع دساكر ؛ بالزابُوقة والخُرَيبة وموضع بنى تميم والأزد : ثنتان بالخُريبة ، وثنتان بالأزد ، وثنتان فى موضع بنى تميم وواحدة بالزابوقة . فكتب إلى عمر ، ووصف له منزله فكتب إليه عمر : اجمع للناس موضعًا واحدًا ؛ ولا تفرّقهم ؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقَى أحدًا .

وأمّا محمد بن بَشّار ؛ فإنّه حدّثنا ، قال : حدّثنا صفوان بن عيسى الزُّهرىّ ، قال : حدّثنا عمرو بن عيسى أبو نَعامة العَدَوِىّ ، قال : سمعت خالد بن عُمَير وشُوَيْسًا أبا الرُّقاد ، قالا : بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان ، فقال له : انطلق أنت ومَن معك ؛ حتّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فأقبلوا حتّى إذا كانوا بالمِرْبَد وجدوا هذا الكذّان[3] . قالوا : ما هذه البَصْرة ؟ فساروا حتّى بلغوا حيال الجِسْر الصغير ، فإذا فيه حَلْفاء وقصبٌ نابتة ، فقالوا : ها هنا أمرتم ، فنزلوا دون صاحب الفُرات ، فأتوه فقالوا : إنّ ها هنا قومًا معهم راية ، وهم يريدونك ، فأقبل فى أربعة آلاف أسوار ، فقال : ما هم إلا ما أرى ؛ اجعلوا فى أعناقهم الحبال ، وأتونى بهم ؛ فجعل عتبة يَرْتَجِل[4] ، وقال : إنى شهدت الحرب[5] مع النبىّ صلّى الله عليه وسلم ؛ حتّى إذا زالت الشمس ، قال : احملوا ؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين ، فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات ، أخذوه

١ / ٢٣٧٩

(١) ابن حبيش : « فأنا » .
(٢) ابن حبيش : « السند » .
(٣) الكذان : حجارة رخوة كالمدر .
(٤) يزجل : يرفع صوته .
(٥) ابن حبيش : « القتال » .

أسيرًا ، فقال عتبة بن غَزْوان : ابغوا لنا منزلا هو أنزه من هذا — وكان يوم عِكاك[١] وَوَمَد[٢] — فرفعوا له منبرًا ، فقام يخطب ، فقال : إنّ الدنيا قد تصرّمت وولّت حَذّاء[٣] ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة[٤] الإناء . ألا وإنّكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم . وقد ذكر لى :

١/٢٣٨٠ لو أنّ صخرة ألقيت من شفير جهنّم هوت[٥] سبعين خريفًا ، ولتُملأنّه ؛ أوعجبتم ! ولقد ذكر لى أنّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنّة مسيرة أربعين عامًا ، وليأتينّ عليه يوم وهو كظيظ[٦] بزحام ، ولقد رأيتُنِى وأنا سابع سبعة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مالنا طعام إلا ورق السَّمُر ، حتى تقرّحت أشداقنا ؛ والتقطت بُردة فشققتها بينى وبين سعد ، فما منّا من أولئك السبعة من أحدٍ إلا وهو أمير مِصْر من الأمصار ، وسيُجرّبون الناس بعدنا .

وعن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما توجّه عُتبة بن غزوان المازنىّ من بنى مازن بن منصور من المدائن إلى فَرْج الهند ، نزل على الشاطئ بحيال جزيرة العرب ، فأقام قليلا ثم أرَز ، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجَر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتَوَوا الطين ، فنزلوا فى الرابعة البصرة — والبصرة كلّ أرض حجارتها جصّ — وأمر لهم بنهر يجرّى من دِجْلة ، فساقوا إليها نهرًا للشَّفة ، وكان إيطان أهل البصرةالبصرة اليوم وإيطانُ أهل الكوفة الكوفة اليوم فى شهر واحد . فأمّا أهل الكوفة فكان مقامهم قبل

١/٢٣٨١ نزولها المدائن إلى أن وطّنوها ، وأمّا أهل البصرة فكان مقامهم على شاطئ دِجْلة . ثم أرزوا مرّات حتى استقرّوا وبدءوا ، فخنسوا فرسخًا وجَرّوا معهم نهرًا ، ثم فرسخا ثم جرّوه ثم فرسخًا ، ثم جَرّوه ثم أتوا

---

(١) العكاك : شدة الحر مع سكون الريح . وفى ز : « عكاب » ، وهو الغبار .

(٢) الومد : شدة الحر .

(٣) حذاء : أى مسرعة .

(٤) الصبابة : البقية .

(٥) ابن الأثير : « لهوت » .

(٦) الكظيط : الممتلئ .

الحجر، ثم جرُّوه، واختُطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجَرباء عاصم بن الدُّلف، أحد بنى غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم.

وقد كان قُطبة بن قتادة – فيما حدّثنى عمر، قال: حدّثنا المدائنىّ عن النّضر بن إسحاق السُّلَمىّ، عن قطبة بن قتادة السَّدُوسىّ – يُغير بناحية الخُرَيبة من البصرة، كما كان المثنىّ بن حارثة الشيبانىّ يُغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يُعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قِبَله من العجم، فنفاهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أتانى كتابك أنّك تغيرُ على مَنْ قِبَلك من الأعاجم، وقد أصبت ووُفِّقت؛ أقم مكانك، واحذر على مَن معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى. فوجّه عمر شريح بن عامر، أحد بنى سعد بن بكر إلى البصرة؛ فقال له: كن ردءًا للمسلمين بهذه الجيزة؛ فأقبلَ إلى البصرة؛ فترك بها قطبة، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عُتْبة بن غزوان. ١/٢٣٨٢

حدّثنا عمر، قال: حدّثنى علىّ، عن عيسى بن يزيد، عن عبد المَلك بن حذيفة ومحمد بن الحجّاج، عن عبد الملك بن عُمَير، قال: إنّ عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجّهه إلى البصرة: يا عتبة، إنّى قد استعملتك على أرض الهند، وهى حوْمة من حوْمة العدوّ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يُعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمىّ أن يُمدّك بعَرْفجة بن هرثمة؛ وهو ذو مجاهدة العدوّ ومكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه، ومَنْ أبى فالجزية عن صَغَار وذلّة، وإلاّ فالسيف فى غير هوادة. واتّق الله فيما وُلّيت، وإيّاك أن تنازعك نفسك إلى كِبْر يفسد عليك إخوتك، وقد صحبتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززتَ به بعد الذّلة، وقويتَ به بعد الضعف، حتى صرتَ أميرًا مسلّطًا وملِكًا مطاعًا، تقول فيُسمع منك، وتأمر فيطاع أمرُك، فيالها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على مَنْ دونك! احتفظ[1] من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولَهِيَ[2] أخوَفُهما عندى عليك ١/٢٣٨٣

(١) ابن الأثير: «واحتفظ».
(٢) ابن حبيش: «وهى».

أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنّم، أعيذك بالله ونفسى من ذلك. إنّ الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتّق مصارع الظالمين.

١/٢٣٨٤ حدّثنى عمر بن شبّة، قال: حدّثنا علىّ، قال: حدّثنا أبو إسماعيل الهمدانىّ وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبىّ، قال: قدم عتبة بن غزْوان البصرة [فى][1] ثلثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إنّ أمير المؤمنين أمرنى أن أنزل أقصى البرّ من أرض العرب، وأدنى أرض الرّيف من أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فنزل الخُرَيبة وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عُتْبة فنزل دون الإجّانة، فأقام نحوا من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عُتْبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسىّ وقسامة بن زهير المازنىّ فى عشرة فوارس، وقال لهما: كونا فى ظهرنا، فتردّا المنهزم، وتمنعا مَن أرادنا من ورائنا. ثم التقوْا فما اقتتلوا مقدار جزْر جَزور وقسمها؛ حتى منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره، فأقاموا أيامًا، وألقى الله فى قلوبهم الرّعب. فخرجوا عن المدينة، وحملوا ما خفّ لهم، وعبَروا إلى الفُرات، وخلّوا[2] المدينة، فدخلها المسلمون

١/٢٣٨٥ فأصابوا متاعًا وسلاحًا وسبيًا وعينًا، فاقتسموا العين، فأصاب كلّ رجل منهم درهمان، وولّى عُتْبة نافعَ بن الحارث أقباضَ الأبُلّة؛ فأخرج خُمسه، ثم قسّم الباقى بين مَنْ أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث.

وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبُلّة تسعة، وأبو بكر ستّة.

وعن داود بن أبى هند، قال: أصاب المسلمون بالأبُلّة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كلّ رجل درهمين، ففرض عمر لأصحاب الدّرهمين ممن أخذهما من فتح الأبُلّة فى ألفين من العطاء، وكانوا ثلثمائة رجل، وكان فتح الأبُلّة فى رجب، أو فى شعبان من هذه السنة.

---

(١) من هنا يبدأ النقص الموجود بالمخطوطات التى رجع إليها مصححو ط وآخره فى ص ٦١٥ س ٨ من هذا الجزء.

(٢) خلوها: تركوها.

وعن الشعبيّ ، قال : شهد فتح الأبُلَّة مائتان وسبعون ، فيهم أبو بكْرة ، ونافع بن الحارث ، وشِبْل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومُجاشع بن مسعود ، وأبو مريم البلَوىّ ، وربيعة بن كَلَدة بن أبى الصَّلْت الثقفىّ ، والحجّاج .

وعن عَبَاية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبُلَّة مع عُتْبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دستِ مَيْسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقيَنا مَرْزُبان دست مَيْسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه وأخذ أسيرًا ، فأخِذ قباؤه ومِنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجيَّة اليَشكرى .

وعن أبى المَليح الهُذَلىّ ، قال : بعث عُتبة أنسَ بن حُجيَّة إلى عمر بمنطقة مرزبان دَسْت ميسان ؛ فقال له : كيف المسلمون ؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يَهيلون الذّهب والفضّة . فرغب الناس فى البصرة ، فأتوْها . ٢٣٨٦/١

وعن علىّ بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأبُلَّة ، جمع له مرزبان دَسْت مَيْسان ، فسار إليه عُتْبة من الأبُلة ، فقتله ، ثم سرّح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة . ووفَد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّىَ بالناس حتى يقدَم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير . فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفياكان[1] ؛ عظيم من عظماء أبزْ قُباذ[2] للمسلمين ، فخرج إليه المغيرة بن شعبة ، فلقيه بالمرْغاب ، فظفِر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : مَن استعملت على البصرة ؟ قال : مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلا من أهل الوبَر على أهل المدر ؟ تدرى ما حدث ! قال : لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عُتبة فى

(١) ابن حبيش : « الميلكان » ، ابن الأثير : « الفيلكان » .
(٢) ابن حبيش : « أبرقباد » .

الطريق ، واستعمل عمرُ المغيرةَ بن شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جَوْشن ، قال : شخص عُتْبة بعد ما قتل مرزبان دَسْت مَيْسان ، ووجّه مجاشعًا إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة ابن شعبة بالصّلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمّع أهل مَيْسان ، فلقيَهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبريّ ، بإسناده عن قَتادة ، قال : جمع أهل مَيْسان للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلّف المغيرة الأثقال ، فلقي العدوّ دون دِجْلة ، فقالت أرْدة بنت الحارث بن كَلَدة : لو لحقنا بالمسلمين فكنّا معهم ! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتّخذ النّساءُ من خُمُرهنّ رايات ، وخرجْنَ يُرِدْنَ المسلمين ، فانتهينَ إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلمّا رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنّوا أنّ مددًا أتى المسلمين فانكشفوا ، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدّة . ١/٢٣٨٧

وعن حارثة بن مُضَرِّب ، قال : فُتحت الأُبُلّة عَنوة ، فقسم بينهم عتبة كَكَّة — يعني خبزًا أبيض . وعن محمّد بن سيرين مثله .

قال الطّبريّ ، وكان ممّن سُبِيَ من مَيْسان يَسار أبو الحسن البصريّ ، وأرطبان جدّ عبد الله بن عون بن أرطبان .

وعن المثنّى بن موسى بن سلمة بن المحبّق ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : شهدت فتح الأُبُلّة ، فوقع لي في سهمي قِدْر نحاس ، فلمّا نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصْبَر[1] يمين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس ، فإن حلف سُلّمت إليه ؛ وإلاّ قسمت بين المسلمين . قال : فحلفتُ ، فسلّمت لي .

قال المثنّى : فأصول أموالنا اليوم منها .

---

(١) في اللسان : « ومن هذا يمين الصبر ، وهو أن يحبسه السلطان على اليمين حتى يحلف بها » .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لمّا خرج الناس لقتال أهل الأبُلّة خرج زوجي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين ومكّوك زبيب[1] ، وإنّهم مضوْا حتى إذا كانوا حيال الأبُلّة ، قالوا للعدوّ ، نعبر إليكم أو تعبرون إلينا ؟ قال : بل اعبرُوا إلينا ، فأخذوا خشب العُشَر[2] فأوثقوه ، وعبروا إليهم ، فقال المشركون : لا تأخذوا أوّلهم حتى يعبُرَ آخرهم . فلمّا صاروا على الأرض كبّروا تكبيرة ، ثم كبّروا الثانية ، فقامت دوابُّهم على أرجلها ، ثم كبّروا الثالثة ، فجعلت الدّابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رءوسٍ تُنْدَر ، ما نرى مَن يضربها ؛ وفتح الله على أيديهم . ١/٢٣٨٨

المدائنيّ ، قال : كانت عند عُتبة صفيّة بنت الحارث بن كَلَدة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شِبْل بن معبَد البَجَليّ ، فلمّا ولِي عتبة البصرة انحدر معه أصهارُه : أبو بكْرة ، ونافع ، وشِبْل بن معبد ؛ وانحدر معهم زياد ؛ فلمّا فتحوا الأبُلّة لم يجدوا قاسمًا يقسم بينهم ، فكان زياد قاسمَهم ؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجرَوْا عليه كلّ يوم درهمين .

وقيل : إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ؛ والأول أصحّ ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر .

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين ، ثم رُمِي بما رُمِيَ ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعد عُتْبة أبا موسى ، وبعده المغيرة .

وفيها — أعني سنة أربع عشرة — ضرب عمر ابنَه عبيد الله وأصحابَه في شراب شربوه وأبا مِحْجن .

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان على مكّة عتّاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمن يَعلَى بن مُنْيَة ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقّاص ، وعلى الشأم أبو عبيدة بن الجرّاح ، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص — وقيل : العلاء بن الحضرميّ — وعلى عُمان حُذيفة بن مِحصن . ١/٢٣٨٩

---

(١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) العشر كصرد : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير : قال بعضهم : فيها مصَّر سعد بن أبى وقّاص الكُوفة ؛ دلّهم عليها[1] ابن بُقَيلة ؛قال لسعد:أدلُّك على أرض ارتفعت عن[2] البقّ ، وانحدرت عن الفلاة ! فدلّهم على موضع الكوفة اليوم .

* * *

ذكر الوقعة بمرْج الروم

وفى هذه السنة كانت الوقعة بمرْج الرُّوم ، وكان من ذلك أنّ أبا عُبيدة خرج بخالد بن الوليد من فِحْل إلى حِمْص ، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليَرموك ؛ فنزلوا جميعًا على ذى الكَلاع ، وقد بلغ الخبر هرقلّ ، فبعث توذَرا البِطريق حتى نزل بمرْج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرْج الروم وجمعِهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجِراحُ فيهم فاشية ،فلمّا نزل على القوم بمرْج الرّوم نازله يوم نزل عليه شنس الروميّ ،فى مثل خيل توذرا؛ إمداداً لتوذرا ورِدءاً لأهل حمص ؛ فنزل فى عسكر على حِدَة ، فلمّا كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقعَ ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس ، وأتى خالداً الخبر أنّ توذرا قد رَحل إلى دمشق ، فأجمع رأيه ورأى أبى عبيدة أن يُتبعه خالد، فأتبعه خالد من ليلته فى جريدة ؛ وقد بلغ يزيد بن أبى سفيان الذى فعل[3]، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون ؛ فأخذهم من خلفهم، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم؛ فأناموهم ولم يفلِتْ منهم إلاّ الشريد ؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظَهْرٍ وأداة وثياب ، وقسم

١/ ٢٣٩٠

(١) ابن الأثير : « على موضعها » .
(٢) ابن الأثير : « من » .
(٣) ابن الأثير :« فعل توذرا » ، النويرى : « الخبر » .

ذلك يزيد بن أبى سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبى عبيدة ، وقد قتل خالد توذرا ، وقال خالد :

نحن قَتَلْنا توذَرا وشوذرا وقَبْلَه ما قد قَتَلْنا حَيْذَرا

* نحن أَزَرْنا الغَيْضَةَ الأُكَيْدِرا *

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد فى أثر توذرا شنس ، فاقتتلوا بمرْج الرّوم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شنس ، وامتلأ المرْج من قتلاهم ، فأنتنت منهم الأرض، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حِمْص[1] .

* * *

ذكر فتح حمْص

حكى الطبرىّ عن سيف ، فى كتابه، عن أبى عثمان ، قال : ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرْج ، أمر أمير حمص بالسَّير والمضىّ إلى حِمْص ، وقال: إنّه بلغنى أنّ طعامهم لحوم الإبل، وشرابهم ألبانها ، وهذا الشتاء فلا تُقاتلوهم إلاّ فى كلّ يوم بارد، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد ، هذا جُلّ طعامه وشرابه . وارتحل من عسكره ذلك ، فأتى الرُّهاء ، وأخذ عامله بحمص ، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حِمْص ، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يُغادون المسلمين ويراوحونهم فى كلّ يوم بارد ؛ ولقىَ المسلمون بها برداً شديداً، والرّوم حصاراً طويلاً ، فأمّا المسلمون فصبروا ورابطوا، وأفرغ الله عليهم الصَّبْر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنّما تمسَّك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء . ٢٣٩١/١

وعن أبى الزّهراء القُشَيْرىّ، عن رجل من قومه، قال: كان أهل حِمْص

---

(١) الأكساء هنا : الأدبار ؛ يريد أنهم تتبعوهم .

يتواصوْن فيما بينهم ، ويقولون : تمسّكوا فإنّهم حُفاة ، فإذا أصابهم البرد تقطّعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ؛ فكانت الرّوم تَراجعُ ، وقد سقطت أقدام بعضهم فى خِفافهم ، وإن المسلمين فى النّعال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتّى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة المسلمين . قالوا : كيف والملك فى سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شىء ! فتركهم ؛ وقام فيهم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرّجاء ، فما تنتظرون ؟ فقالوا : البِرسام ، فإنما يسكن فى الشتاء ويظهر فى الصيف ، فقال : إن هؤلاء قوم يُعانون ؛ ولأنْ تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عَنْوة ؛ أجيبونى محمودين قبل أن تجيبونى مذمومين ! فقالوا : شيخ خَرِف ، ولا علم له بالحرب .

وعن أشياخ من غسّانَ وبَلْقين ، قالوا : أثاب الله المسلمين على صَبْرهم أيام حِمْص أن زُلزل بأهل حِمْص ؛ وذلك أنّ المسلمين ناهدوهم ، فكبّروا تكبيرة زلزلت معها الرّوم فى المدينة ، وتصدّعت الحيطان ، ففزعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة ، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبَّرُوا الثانية ، فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان ؛ وفزعوا إلى رؤسائهم وذوى رأيهم ، فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله ! فأجابوهم : لا يطلب الصلح غيرُكم ؛ فأشرفوا فنادَوا : الصلح الصلح ! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموالَ الرّوم وبنيانَهم ؛ لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صُلْح دمشق على دينار وطعام ، على كلّ جريب أبدا أيسروا أو أعسروا . وصالح بعضُهم على قَدْر طاقته ؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقِصَ ، وكذلك كان صلْح دمشق والأردنّ ؛ بعضُهم على شىء إن أيسروا وإن أعسروا ، وبعضُهم على قَدْر طاقته ، ووَلّوا مُعاملةَ ما جلا ملوكهم عنه . ١/٢٣٩٢

وبعث أبو عبيدة السِّمْطَ بن الأسود فى بنى معاوية ، والأشعثَ بن مِئْناس فى السَّكون ، معه ابن عابِس ، والمقداد فى بَلِيّ ، وبلالا وخالداً فى الجيش ، والصبّاح

ابن شُتَيْر وُذهيل بن عطية وذا شمستان، فكانوا فى قصبتها . وأقام فى عسكره، وكتب إلى عمر بالفتح ، وبعث بالأخماس مع عبد الله بن مسعود، وقد وفّده. وأخبر خبر هرقل ؛ وأنه عبر الماء إلى الجزيرة ، فهو بالرُّهاء ينغمس أحياناً ويطلع أحياناً . فقدم ابن مسعود على عمر ، فردّه ، ثم بعثه بعد ذلك إلى سعد بالكوفة، ثم كتب إلى أبى عُبَيدة: أن أقم فى مدينتك وادعُ أهلَ القوّة والجلَد من عرب الشأم ، فإنّى غير تارك البعثة إليك بمن يكانفك ؛ إن شاء الله . ١/٢٣٩٣

* * *

حديث قِنَّسرين

وعن أبى عثمان وجارية ، قالا : وبعث أبو عبيدة بعد فتح حِمْص خالدَ ابن الوليد إلى قِنَّسْرين ، فلمّا نزل بالحاضر زحف إليهم الرّوم ، وعليهم ميناس ، وهو رأس الرّوم وأعظمُهم فيهم بعد هرَقل ، فالتقوْا بالحاضر ، فقتِل ميناس ومَن معه مقتلةً[1] لم يُقتَلوا مثلها، فأما الرّوم فماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد، وأمّا أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب ، وأنّهم إنما حُشروا ولم يكن من رأيهم حربُه، فقبل منهم وتركهم . ولمّا بلغ عمرَ ذلك قال: أمّر خالد نفسَه ؛ يرحم الله أبا بكر ؛ هو كان أعلمَ بالرّجال منّى، وقد كان عزله والمثنّى مع قيامه ، وقال : إنّى لم أعزلهما عن ريبة ؛ ولكن الناس عظّموهما ، فخشيت أن يوكَلوا إليهما . فلمّا كان من أمره وأمر قِنَّسرين ما كان، رجع عن رأيه ، وسار خالد حتى نزل قِنَّسرين ، فتحصّنوا منه ، فقال : إنّكم لو كنتم فى السحاب لحمَلنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا . قال : فنظروا فى أمرهم ، وذكروا ما لقىَ أهلُ حمص ؛ فصالحوه على صُلْح حمص ، فأبى إلاّ على إخراب المدينة فأخربها ، واتّطأت حِمْص وقنّسرين ؛ فعند ذلك خنَس[2] هرَقل ؛ وإنّما كان سبب خنوسه أنّ خالداً حين قتل ميناس ومات الرّوم على دمه ، وعقد لأهل الحاضر وترك قِنَّسرين ، طلع من قبَل الكوفة عمر ١/٢٣٩٤

---

(١) ابن الأثير : « مقتلة عظيمة » .

(٢) خنس خنوساً : رجع وتأخر .

ابن مالك من قبل قَرْقيسيا ، وعبد الله بن المُعتمّ من قِبَل الموْصل ، والوليد ابن عقبة من بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرَقل ، وأهل الجزيرة فى حرّان والرّقة ونَصيبين وذواتها لم يُغرِضوا غرضَهم ؛ حتى يرجعوا إليهم ؛ إلاّ أنهم خلّفوا فى الجزيرة الوليدَ لئلاّ يؤتَوْا من خلفهم ؛ فأدرب خالد وعياض ممّا يلى الشأم ، وأدرب عمر وعبد الله مما يلِى الجزيرة ؛ ولم يكونوا أدربوا قبله ؛ ثم رجعوا ، فهى أوّل مُدرِبة كانت فى الإسلام سنة ست عشرة . فرجع خالد إلى قِنّسرين فنزلها ، وأتته امرأته ، فلمّا عزله قال : إنّ عمر ولاّنى الشأم حتى إذا صارت بثنيّةً وعسلا عزَلنى [1].

قال أبو جعفر الطبرىّ : ثم خرج هرَقل نحو القسطنطينية ، فاختُلِف فى حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشأم ؛ فقال ابن إسحاق : كان ذلك سنة خمس عشرة ؛ وقال سيف : كان سنة ستّ عشرة .

* * *

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينيّة

١ / ٢٣٩٥

ذكر سيف عن أبى الزّهراء القُشيرىّ ، عن رجل من بنى قُشَير ، قالوا : لما خرج هرَقل من الرُّهاء واستتبع أهلَها ، قالوا : نحن ها هنا خير منّا معك ، وأبوْا أن يتبعوه ، وتفرّقوا عنه وعن المسلمين ؛ وكان أوّل مَن أنبح كلابها ، وأنفر [2] دجاجها زياد بن حنظلة ، وكان من الصحابة ، وكان مع عمر ابن مالك مساندَه ، وكان حليفًا لبنى عبد بن قُصىّ ؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرَقل حتى شِمْشاط ؛ فلما نزل القوم الرّهاء أدرب فنفذ نحو القسطنطينيّة ، ولحقه رجلٌ من الرّوم كان أسيراً فى أيدى المسلمين ، فأفلت ؛ فقال له : أخبرنى عن هؤلاء القوم ، فقال : أحدّثك كأنّك تنظر إليهم ؛ فُرسان بالنهار ورهبان بالليل ، ما يأكلون فى ذمّتهم إلاّ بثمن ، ولا يدخلون إلاّ بسلام ، يقفون على

---

(١) البثنية : نسبة إلى البثنة ، بلدة بدمشق مشهورة بالحنطة الجيدة .

(٢) ابن الأثير : « ونفر » .

مَن حاربهم حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتَنى ليرثُنّ ما تحت قدَمَىّ هاتين .

وعن عبادة وخالد ، أنّ هرقل كان كلّما حجّ بيت المقدس فخلّف سُورية ، وظعن فى أرض الرّوم التفت فقال : عليكِ السّلام يا سوريَة تسليم مودّع لم يقضِ منك وطرَه ، وهو عائد . فلمّا توجّه المسلمون نحو حِمْص عَبَر الماء ، فنزل الرّهاء ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتِحت قِنّسرين وقتِل ميناس ، فخنّس عند ذلك إلى شمشاط ؛ حتى إذا فصل منها نحو الرّوم علا على شرف ، فالتفت ونظر نحو سوريَة ، وقال : عليكِ السلام يا سوريَة ، سلاما [1]لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومىّ أبداً إلاّ خائفاً ، حتى يولد المولود المشئوم ، ويا ليته لا يولد ! ما أحلَى فِعلَه ، وأمرّ عاقبته على الرّوم ! ١/٢٣٩٦

وعن أبى الزّهراء وعمرو بن ميمون ، قالا : لما فصَل هرقل من شمشاط داخلا الرّوم التفت إلى سوريَة ، فقال : قد كنت سلّمت عليك تسليم المسافر ، فأمّا اليوم فعليك السلام يا سوريَة تسلم المفارق ، ولا يعود إليكِ رومىّ أبداً إلا خائفاً ، حتى يولد المولود المشئوم ، وليته لم يولد ! ومضى حتى نزل القسطنطينيّة . وأخذ أهلَ الحصون التى بين إسكندريّة وطَرسُوس معه ؛ لئلاّ يسير المسلمون فى عمارةِ ما بين أنطاكيَة وبلاد الرّوم ، وشعّث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربمّا كمن عندها الرّوم ؛ فأصابوا غِرّة المتخلّفين ، فاحتاط المسلمون لذلك .

* * *

ذكر فتح قَيْساريّة وحَصْر غزّة

ذكر سيف ، عن أبى عثمان وأبى حارثة ، عن خالد وعبادة ، قالا : لما انصرف أبو عبيدة وخالد إلى حِمْص من فِحْل ، نزل عمرو وشرحبيل على بَيْسان فافتتحاها ، وصالحته الأُرْدُنّ ، واجتمع عسكر الرّوم بأجنادَيْن . ١/٢٣٩٧

(١) ابن الأثير : « سلام » .

وبَيْسان وغزّة ، وكتبوا إلى عمر بتفرّقهم ، فكتب إلى يزيد بأن يدفئ ظهورَهم بالرّجال ، وأن يسرّح معاوية إلى قَيْساريّة . وكتب إلى عمرو يأمره بصدم الأرْطَبون ؛ وإلى علقمة بصدْم الفيقار .

وكان كتاب عمر إلى معاوية : أما بعد ، فإنّي قد ولّيتك قَيساريّة ، فسر إليها واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله ، الله ربّنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا ، نعم المولى ونعم النصير » . فانتهى الرّجلان إلى ما أمرا به ، وسار معاوية فى جنده حتى نزل على أهل قيساريّة وعليهم أبنى ، فهزمه وحصره فى قيساريّة . ثم إنهم جعلوا يزاحفونه ، وجعلوا لا يزاحفونه من مرّة إلاّ هزمهم وردّهم إلى حصنهم . ثمّ زاحفوه آخر ذلك ، وخرجوا من صياصيهم ، فاقتتلوا فى حفيظة واستماتة ، فبلغت قتلاهم فى المعركة ثمانين ألفًا ، وكمّلها فى هزيمتهم مائة ألف ، وبعث بالفتح مع رجلين من بنى الضُّبيب ، ثم خاف منهما الضّعف ، فبعث عبدَ الله بن علقمة الفراسىّ وزهير بن الحلاب الخثعمىّ ، وأمرهما أن يتبعاهما ويسبقاهما ، فلحقاهما ، فطوَياهما وهما نائمان . وابن علقمة يتمثّل وهى هِجِّيراه :

أرّقَ عَينى أَخَوَا جُذَامِ كيفَ أنامُ وهُمَا أمامى !

إذْ يرحَلانِ والهَجيرُ طامِى أخو حُشَيْمٍ وأخو حَرامِ

٢٣٩٨/١ وانطلق علقمة بن مُجَزِّز ، فحصر الفيقار بغزّة ، وجعل يراسله ، فلم يشفه مما يريد أحد ؛ فأتاه كأنّه رسول علقمة ، فأمر الفيقار رجلاً أن يقعد له بالطريق ، فإذا مرّ قتله ، ففطِن علقمة ، فقال : إنّ معى نفراً شركائى فى الرّأى ، فأنطلقُ فآتيك بهم ؛ فبعث إلى ذلك الرّجل : لا تعرض له . فخرج من عنده ولم يَعُد ، وفعل كما فعل عمرو بالأرطبون ، وانتهى بريد معاوية إلى عمر بالخبر ، فجمع الناس وأباتهم على الفرح ليلا ، فحمد الله وقال : لتحمدوا الله على فتح قيساريّة ، وجعل معاوية قبل الفتح وبعده يحبس الأسرَى عنده ، ويقول : ما صنع ميخائيل بأسرانا صنعنا بأسراهم مثله ، ففطمه عن العَبَث بأسرَى المسلمين حتى افتتحها .

ذكر فتح بَيْسان ووقعة أجْنادين

ولمّا توجّه علقمة إلى غزّة وتوجّه معاوية إلى قَيسارِيّة، صمد عمرو بن العاص إلى الأرْطَبون، ومرّ بإزائه، وخرج معه شُرَحبيل بن حَسَنة على مقدّمته، واستخلف على عمل الأرْدُنّ أبا الأعوَر، وولى عمرو بن العاص مجنّبتيه عبدَ الله بن عمرو وجُنادة بن تميم المالكيّ؛ مالك بن كنانة، فخرج حتى ينزل على الرّوم بأجنادِين، والرّوم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطَبون. وكان الأرطبون أدْهى الرُّوم وأبعدَها غَوْراً، وأنكاها فعلا، وقد كان وضع بالرّملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلمّا جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرطبون الرّوم بأرطبون العرب، فانظروا عمّ تتفرّج[1]! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجّه أمراء الشأم يمدّ كلّ أمير جند ويرميه بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الرّوم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيساريّة، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيساريّة؛ وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علْقمة ابن حكيم الفراسيّ ومسروق بن فلان العكيّ على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلوهم عن عمرو، وبعث أبا أيوّب المالكيّ إلى الرّملة، وعليها التّذَارِق، وكان بإزائهما، ولما تتابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق، وبعث عُمارة بن عمرو بن أميّة الضّمْريّ مدداً لأبي أيّوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة، ولا تشفيه الرُّسل، فوليَه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمّل حصونَه حتى عرف ما أراد. وقال أرطبون في نفسه: والله إنّ هذا لعمرو، أو إنه لَلّذي يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظمَ عليهم من قتله. ثم دعا حرَسيًّا فسارّه بقتله، فقال: اخرج. فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، وفطِن له عمرو، فقال: قد سمعتَ منّي وسمعتُ منك، فأمّا ما قلتَه فقد وقع منّي

١/٢٣٩٩

(١) ابن الأثير والنويري: «تنفرج».

موقعاً؛ وأنا واحد من عشرة ؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكانفه[1]
١/٢٤٠٠ ويشهدنا أموره ، فأرجع فآتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى عرضت مثلَ الذى أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ؛ وإن لم يروْه رددتَهم إلى مأمنهم ، وكنتَ على رأس أمرك . فقال : نعم ، ودعا رجلا فسارّه ، وقال : اذهب إلى فلان فردّه إلىّ ، فرجع إليه الرّجل وقال لعمرو : انطلق فجئْ بأصحابك ؛ فخرج عمرو ورأى ألاّ يعود لمثلها ، وعلم الرّومىّ بأنه قد خدعه ، فقال : خدَعنى الرّجُل؛ هذا أدهى الخلق . فبلغت عمر ، فقال : غلبه عمرو ، لله عمرو ! وناهده عمرو ، وقد عرف مأخذه وعاقبته ، والتقوْا ولم يجد من ذلك بدًّا فالتقَوْا بأجناديْن ، فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليَرموك ؛ حتى كثرت القتلى بينهم .

ثم إنّ أرطبون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجناديْن . ولمّا أتى أرطبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ،ثم أزالهم إلى أجناديْن ، فانضمّ علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيّوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أرطبون إلى عمرو بأنك صديقى ونظيرى ؛ أنت فى قومك مثلى فى قومى ؛ والله لا تفتتح من فلسطين شيئاً بعد أجناديْن، فارجع ولا تَغرّ فتلقَى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة . فدعا عمرو رجلا يتكلم بالروميّة ، فأرسله إلى أرطبون ، وأمره أن يُغرِب ويتنكّر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرَنى به إذا رجعت إن شاء الله .

وكتب إليه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك ، لو أخطأتْك خَصْلة تجاهلت فضيلتى ، وقد علمتَ أنّى صاحبُ فتح هذه البلاد ، وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً – لوزرائه – فأقرئْهم كتابى ، ولينظروا فيما بينى وبينك

١/٢٤٠٣ فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرطبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ،فاقترأه فضحكوا وتعجّبوا ،وأقبلوا على أرطبون ، فقالوا : من أين علمتَ أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف ؛ فرجع الرّسول إلى عمرو فعرف أنه عمر .

---

(١) لنكانفه ، أى لنعاونه .

وكتب إلى عمر يستمدّه ، ويقول : إنى أعالج حربًا كئودا صدومًا وبلاداً ادُّخِرت لك ، فرأيَك . ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك ، عرف أنّ عمراً لم يقل إلاّ بعلم ، فنادى فى الناس ، ثم خرج فيهم حتّى نزل بالجابية . وجميع ما خرج عمر إلى الشأم أربعَ مرّات ، فأما الأولى فعلى فرَس ، وأما الثانية فعلى بعير ، وأما الثالثة فقصّر عنها أن الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها على حمار . فاستخلف عليها ، وخرج وقد كتب مخرجَه أوّلَ مرة إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية – ليوم سمّاه لهم فى المجرّدة – وأن يستخلفوا على أعمالهم . فلقوه حيث رفعت لهم الجابية ؛ فكان أوّل مَنْ لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على الخيول ؛ عليهم الدّيباج والحرير ، فنزل وأخذ الحجارة ، فرماهم بها ، وقال : سَرْعَ ما لُفِتّم عن رأيكم ! إيّاىَ تستقبلون فى هذا الزّى ؛ وإنما شبعتم منذ سنتين ! سَرْعَ ما ندّت بكم البِطْنة! وتالله لو فعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنها يلامقة ، وإنّ علينا السلاح ، قال : فنعم إذاً . وركب حتّى دخل الجابية وعمرو وشُرحبيل بأجْنادَيْن لم يتحرّكا من مكانهما . ١/٢٤٠٢

* * *

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله ، قال : لما قدم عمر رحمه الله الجابيةَ ، قال له رجل من يهود : يا أميرَ المؤمنين ؛ لا ترجع إلى بلادك حتّى يفتح الله عليك إيلياء ؛ فبينا عمر بن الخطاب بها ؛ إذ نظر إلى كُرْدوس من خيل مقبل ، فلمّا دنَوْا منه سلّوا السيوف ، فقال عمر : هؤلاء قوم يستأمِنون ، فأمّنوهم ؛ فأقبلوا فإذا هم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجِزْية ، وفتحوها له ، فلمّا فتحت عليه دعا ذلك اليهوديّ ، فقيل له : إن عنده لعلماً . قال : فسأله عن الدجّال – وكان كثير المسألة عنه – فقال له اليهوديّ : وما مسألتك عنه يا أميرَ المؤمنين! فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لُدٍّ ببضعَ عشرة ذراعًا . ١/٢٤٠٣

وعن سالم، قال: لمّا دخل عمر الشأم تلقّاه رجل من يهود دمشق ، فقال : السّلامُ عليك يا فاروق ! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتّى يفتح الله إيلياء ؛ وكانوا قد أشجَوا عمراً وأشجاهم ؛ ولم يقدر عليها ولا على الرّملة ، فبينا عمر معسكراً بالجابية ، فزع الناس إلى السلاح ، فقال : ما شأنكم ؟ فقالوا : ألا ترى الخيل والسيوف ! فنظر ، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف ؛ فقال عمر : مستأمِنةٌ ، ولا تُراعوا وأمِّنوهم؛ فأمّنوهم ؛ وإذا هم أهل إيلياء ، فأعطوْه واكتتبوا منه على إيلياء وحيِّزها ، والرّملة وحيّزها ؛ فصارت فلسطين نصفين : نصفٌ مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرّملة ؛ وهم عشر كُوَر ، وفلسطين تعدِل الشأم كلّه ؛ وشهد ذلك اليهودىّ الصّلح ، فسأله عمر عن الدجّال؛ فقال : هو من بنى بنيامين ؛ وأنتم والله يا معشرَ العرب تقتلونه على بضع عشرة ذراعًا من باب لُدّ .

١/٢٤٠٤ وعن خالد وعبادة ، قالا : كان الذى صالح فلسطين العوامّ من أهل إيلياء والرّملة؛ وذلك أنّ أرطبون والتّذارِق لحقا بمصْر ، مقدَمَ عمر الجابية ، وأصيبا بعد فى بعض الصوائف[(١)] .

وقيل : كان سبب قدوم عمر إلى الشأم ، أنّ أبا عبيدة حضر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشأم، وأن يكون المتولّى للعقد عمر بن الخطاب ؛ فكتب إليه بذلك ، فسار عن المدينة .

وعن عَدِىّ بن سهل ، قال : لما استمدّ أهلُ الشأم عمر على أهل فلسطين ، استخلف علياً ، وخرج ممدًّا لهم ، فقال علىّ: أين تخرج بنفسك ! ١/٢٤٠٥ إنك تريد عدوًّا كَلِبًا ، فقال : إنّى أبادر بجهاد العدوّ موت العباس ؛ إنّكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشرّ كما ينتقض أوّلُ الحبْل .

قال : وانضمّ عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم ، فشهد الكتاب .

وعن خالد وعبادة ، قالا : صالح عمر أهل إيلياء بالجابية ، وكتب لهم

---

(١) الصوائف : جمع صائفة ؛ وبها سميت غزوة الروم ؛ لأنهم كانوا يغزونها صيفاً لمكان البرد والثلج .

فيها الصلح لكلّ كُورة كتابًا واحداً ، ما خلاَ أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبَريئها وسائر ملّتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ،ولا يُنتقص منها ولا من حيِّزِها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ؛ وعلى أهل إيلياء أن يعطُوا الجزية كما يُعطِي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم واللصوت[1] ؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومَن أقام منهم فهو آمن ؛وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزْية ، ومنْ أحبّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويخلّي بيَعهم وصُلُبهم فإنّهم آمنون على أنفسهم وعلى بيَعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومَن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزْية ، ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمّة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدالرحمن بن عوف ،ومعاوية بن أبي سفيان. وكتب وحضَر سنة خمس عشرة. ١/٢٤٠٦

فأما سائر كُتبهم فعلى كتاب لُدّ . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ،أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلُبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم ؛ أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقصُ منها ولا من حيِّزها ولا مِللها ، ولا من صُلُبهم ولا من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ؛ ولا يضارّ أحد منهم ؛ وعلى أهل لُدّ ومَن دخل معهم من أهل فلسطين أن يُعطوا الجزية كما يعطى أهلُ مدائن الشأم ، وعليهم إن خرجوا مثلُ ١/٢٤٠٧

[1] اللصت مثل اللص : السارق ، وجمعه لصوت .

ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرّح إليهم ، وفرّق فلسطين على رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرّملة ، وعلقمة بن مُجزّز على نصفها وأنزله إيلياء ؛ فنزل كلّ واحد منهما فى عمله فى الجنود التى معه .

وعن سالم ، قال : استعمل علقمة بن مجزّز على إيلياء وعلْقمة بن حكيم على الرّملة فى الجنود التى كانت مع عمرو وضمّ عمراً وشُرَحبيل إليه بالجابية ، فلمّا انتهيا إلى الجابية ، وافقا عمر رحمه الله راكبًا ، فقبّلا ركبتيه ، وضمّ عمر كلّ واحد منهما محتضنَهما[1] .

وعن عبادة وخالد ، قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكّنها الجند ، شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجّى[2] ، فنزل عنه ، وأتِىَ ببرذون فركبه ، فهزّه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبحّ الله مَنْ علمك هذا ! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمّه أيامًا يوقّحه[3] فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبى صفيّة ؛ شيخ من بنى شيبان ، قال : لما أتى عمرُ الشأم أتِىَ ببرذون فركبه ، فلما سار جعل يتخلّج[4] به ، فنزل عنه ، وضرب وجهه ، وقال : لا علّم الله مَنْ علّمك! هذا من الخيَلاء ؛ ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه ، ما خلا أجنادَيْن فإنها فتِحت على يدى عمرو ، وقيساريّة على يدىْ معاوية .

١/٢٤٠٨

وعن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : افتتِحت إيلياء وأرضها على يدى عمر فى ربيع الآخر سنة ستّ عشرة .

وعن أبى مريم مولى سلامة ، قال : شهدتُ فتح إيلياء مع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ؛ ونحن معه ،

---

(١) النويرى : « محتضناً » .

(٢) وجى الفرس وتوجى : إذا وجد وجعاً فى حافره .

(٣) يوقحه ، أى تركه أياماً حتى صلب حافره .

(٤) ابن الأثير : « يتجلجل » ، والنويرى : « يتخلخل » .

فدخله ثم قرأ سجدة داود ، فسجد وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيْوَة ، عمّن شهد ؛ قال : لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال : ارقُبوا لى كعبًا ، فلمّا انفرق به الباب ، قال : لبّيْك ، اللهم لبّيك ، بما هو أحبُّ إليك ! ثم قصد المحراب ؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذّن بالإقامة ، فتقدّم فصلّى بالناس ، وقرأ بهم « ص » ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم فى الثانية صدْرَ « بنى إسرائيل »[1] ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال : علىّ بكعب ، فأتِىَ به ، فقال : أين ترى أن نجعل المصلّى ؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيتَ والله اليهوديّة يا كعب ، وقد رأيتك وخلعَك نعليك ، فقال : أحببتُ أن أباشره بقدمىّ ، فقال : قد رأيتُك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورَها ، اذهب إليك ، فإنا لم نؤمر بالصّخرة ، ولكنّا أمرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدرَه ، ثم قام من مُصلاّه إلى كُناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ١/٢٤٠٩ فى زمان بنى إسرائيل ؛ فلمّا صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال : يأيّها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجثا فى أصلها ، وجثا فى فَرْج من فروج قبائه ، وسمع التكبير من خلْفه ، وكان يكره سُوء الرِّعةَ فى كلّ شىء ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : كبّر كعب وكبّر الناس بتكبيره فقال : علىّ به فأتِىَ به ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنه قد تنبّأ على ما صنعت اليوم نبىّ منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال : إنّ الرّوم أغاروا على بنى إسرائيل فأدِيلوا عليهم ، فدفنوه ، ثم أدِيلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبَغوْا على بنى إسرائيل ، ثم أديلت الرّوم عليهم إلى أن وَليتَ ، فبعث الله نبيًّا على الكُناسة ، فقال : أبشرِى أورى شَلَم ! عليكِ الفاروق ينقّيك مما فيك . وبعث إلى القُسطنطينيّة نبىّ ؛ فقام على تلّها ، فقال : يا قُسطنطينيّة ، ما فعل أهلك ببيتى ! أخربوه وشبّهوك كعرشى ؛ وتأوّلوا علىّ ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جلْحاء[2] يوما ما ، لا يأوى إليك أحد ، ولا يستظلّ فيك

---

(١) أى سورة الإسراء .

(٢) يقال : بلد جلحاء ، أى لا شجر فيها .

على أيدى بنى القاذر سبَـأ وودّان ؛ فما أمسوْا حتى ما بقى منه شىء .

وعن ربيعة الشامىّ بمثله ؛ وزاد : أتاك الفاروق فى جندى المـُطيع ، ويُـدركون لأهلك بثأرك فى الرّوم . وقال فى قسطنطينيّة : أدعـُك جـَلْحاء بارزة للشمس ، لا يأوى إليك أحد ، ولا تظلّينه .

١/٢٤١٠ وعن أنس بن مالك ، قال : شهدت إيلياء مع عمر ، فبينا هو يطعم النّاس يومًا بها أتاه راهبها وهو لا يشعرُ أنّ الخمر محرّمة ، فقال : هل لك فى شراب نجده فى كتبنا حلالا إذا حرّمت الخمر ! فدعاه به فقال : من أىّ شىء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتّى صار إلى ثلثه ، فغرف بإصبعه ، ثم حرّكه فى الإناء فشطره ، فقال : هذا طِلاء ؛ فشبّهه بالقَطِران ، وشرب منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشأم به ؛ وكتب فى الأمصار : إنى أتيت بشراب مما قد طُبِخ من العصير حتى ذهب ثُلثاه وبقى ثُلثه كالطِّلاء ، فاطبخوه وارزقوه المسلمين .

وعن أبى عثمان وأبى حارثة ، قالا : ولحق أرْطبون بمصر مقدَمَ عمر الجابية ، ولحق به مَن أحبّ ممّن أبى الصلح ، ثم لحق عند صُلح أهل مصر ، وغلبهم بالرّوم فى البحر ، وبقىَ بعد ذلك ؛ فكان يكون على صوائف الرّوم ، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُرَيْس ؛ فقطع يد القيسىّ ، وقتله القيسى[1] ، فقال :

فإن يَكُنْ أرْطَبونُ الرُّومِ أفسدَها ... فإنّ فيها بحَمْدِ اللهِ مُنْتَفَعا

بَنانتَانِ وجُرْموزٌ أقيمُ به ... صَدْرَ القَناةِ إذا ما آنَسوا فزَعا

وإنْ يَكُنْ أَرْطَبُونُ الرُّومِ قَطّعَها ... فقَدْ ترَكتُ بها أوصالَه قِطَعا

وقال زياد بن حنظلة :

تذَكّرتُ حربَ الرُّومِ لمّا تطاوَلَتْ ... وإذ نَحْنُ فى عامٍ كثيرٍ نزائلُهْ

١/٢٤١١ وإذ نَحْنُ فى أرضِ الحجازِ وبيْننا ... مَسيرَةُ شَهْرٍ بيْنَهُنّ بَلابلُهْ

وإذْ أرْطَبُونُ الرُّومِ يَحْمِى بِلادَهُ ... يُحاوِلُهُ قَرْمٌ هُناكَ يُساجِلُهْ

(١) النويرى : « القرتى » .

فلمَّا رأى الفاروق أزْمانَ فَتْحِها سَما بِجُنودِ الله كَيْما يُصاوِلَهْ
فلمَّا أحسّوه وخافوا صِوالَهُ أتَوْهُ وقالوا أنْتَ مِمَّنْ نُواصِلَهْ
وألقتْ إليْهِ الشام أفْلاذَ بَطْنِها وعَيْشاً خَصيباً ما تُعَدُّ مآكِلَهْ
أباحَ لَنا ما بيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ مَواريثَ أعْقابٍ بَنَتْها قَرَامِلَهْ
وكَمْ مُثْقَلٍ لمْ يَضْطَلِعْ باحْتِمالِهِ تَحَمَّلَ عِبْئاً حينَ شالَتْ شَوائِلَهْ

وقال أيضًا :

سَما عُمَرٌ لمّا أتتْهُ رَسائلٌ كأصْيَدَ يَحْمِي صرْمَةَ الحَيِّ أغْيَدَا
وقد عَضَّلَتْ بالشَّأمِ أرْضٌ بأهلِها تريدُ من الأقوامِ مَن كان أنْجَدَا
فلمَّا أتاهُ ما أتاهُ أجابَهُمْ بجَيْشٍ تَرَى مِنهُ الشَّبائِكَ سُجّدَا
وأقبَلَتِ الشأمُ العَرِيضَةُ بالذى أراد أبوحفْص وأزكى وأزْيَدَا
فقَسَّطَ فيما بَيْنَهُمْ كلَّ جِزْيَةٍ وكلَّ رِفادٍ كان أهْنَا وأحْمَدا

* * *

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفى هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودّون الدّواوين ، وأعطى العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أميّة والحارث بن هشام وسُهيل بن عمرو فى أهل الفتح أقلّ ما أخذ[1] مَن قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا : لا نعترف أن يكون أحد أكرم منّا ، فقال : إنّى إنّما أعطيتكم على السابقة فى الإسلام لا على الأحساب ؛ قالوا : فنعم إذاً ، وأخذوا ، وخرج الحارث وسُهَيل بأهليهما نحو الشأم ؛ فلم يزالا مجاهدين حتّى أصيبا فى بعض تلك الدّروب ؛ وقيل : ماتا فى طاعون عَمْواس[2] ١/٢٤١٢

(١) النويرى : « أعطى » .
(٢) عمواس ، رواه الزمخشرى بسكون الثانى ، ورواه غيره بفتحه : كورة بفلسطين ؛ كان منها ابتداء الطاعون فى زمن عمر ، ثم فشا فى الشام كله ؛ فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة وغيرهم ؛ وكان ذلك سنة ١٨ هـ . ياقوت .

ولما أراد عمر وضعَ الديوان ، قال له علىّ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك، قال : لا ، بل أبدأ بعمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمَن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ؛ فى ذلك مَن شهد الفتح وقاتل عن أبى بكر ، ومَن ولى الأيام قبل القادسيّة ؛ كلُّ هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسيّة وأهل الشأم ألفين ألفين ؛ وفرض لأهل البلاء البارع [١] منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة ، فقيل له : لو ألحقت أهلَ القادسيّة بأهل الأيّام ! فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة مَن لم يدركوا ، وقيل له : قد سوّيت من بَعُدتْ داره بمَن قربت داره وقاتلهم عن فنائه ، فقال : مَن قربت داره أحقّ بالزيادة ، لأنهم كانوا ردءاً للحُوق [٢] وشجىً للعدوّ ، فهلاّ قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نُصرة الأنصار بفنائهم ؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ؛ وفرض لمن بعد القادسيّة واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف : المثنّى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف الثَّلِيث [٣] بعدهم ، ثلثمائة ثلثمائة ؛ سوّى كلَّ طبقة فى العطاء ، قويّهم وضعيفهم ، عربيّهم وعجمهم ، وفرض للروادف الرَّبيع [٤] على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجَر والعِباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأباذرّ وسلمان ؛ وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً — وقيل . اثنى عشر ألفاً — وأعطى نساء النبىّ صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ؛ إلاّ مَنْ جرى عليها الملك ؛ فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهنّ فى القِسمة ؛ فسوِّ بيننا ؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لمحبّة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيّاها فلم تأخذ ؛ وجعل نساء أهل بدر فى

١/٢٤١٣

(١) ابن الأثير : « النازع » . (٢) ابن الأثير : « للحترف » .
(٣) النويرى : « الثلث » ، وهما سواء .
(٤) الربيع هنا : الجزء من أربعة .

خمسمائة خمسمائة ، ونساءَ مَن بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيّام ثلثمائة ثلثمائة ، ونساء أهل القادسيّة مائتين مائتين ، ثم سوّى بين النساء بعد ذلك ؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكينًا ، وأطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا ، فوجدوه يخرج من جَريبتين ، ففرض لكلّ إنسان منهم ولعياله جريبتين فى الشهر. ٢٤١٤/١

وقال عمر قبل موته : لقد هممتُ أن أجعلَ العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، ألفًا يجعلها الرجل فى أهله ، وألفًا يزوّدها[1] معه ، وألفًا يتجهّز بها ، وألفًا يترفّق بها ؛ فمات قبل أن يفعل][2] .

قال أبو جعفر الطبرىّ : كتب إلىّ السرىّ عن شعيب ، عن سيف ؛ عن محمد وطلحة والمهلّب وزياد والمجالد وعمرو ، عن الشعبىّ ؛ وإسماعيل عن الحسن ، وأبى ضمرة عن عبد الله بن المُستورد عن محمد بن سيرين ، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيّب ، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم ، وزهرة عن أبى سلمة ، قالوا : فرض عمر العطاء حين فرض لأهل الفىء الذين أفاء الله عليهم ؛ وهم أهل المدائن ، فصاروا بعدُ إلى الكوفة ، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبَصْرة ودمشق وحِمْص والأردنّ وفِلسطين ومِصر ، وقال : الفىء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم ، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ؛ ألا فبهم سُكنت المدائن والقرى ، وعليهم جرى الصُّلح ؛ وإليهم أدّى الجزاء ، وبهم سُدّت الفروج ودُوّخ العدوّ . ثم كتب فى إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاءً واحداً سنة خمسَ عشرة .

وقال قائل : يا أميرَ المؤمنين ، لو تركت[3] فى بيوت الأموال عدّة لكون إن كان ! فقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرّها ؛ وهى فتنة لمن بعدى ؛ بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله ؛ فهما عدّتنا التى بها أفضينا إلى ما ترون ، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم . ٢٤١٥/١

---

(١) النويرى : « يتزودها » .

(٢) هذا آخر ما زيد من ابن الأثير وابن حبيش : مما لم يرد فى الأصول المخطوطة ، وانظر ص ٥٩٤ س ٥ من هذا الجزء .

(٣) ابن الأثير : « شركت » .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمرو وسعيد ؛ قالوا : لما فتح الله على المسلمين وقُتِل رستم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشأم جمع المسلمين ، فقال : ما يحلّ للوالى من هذا المال ؟ فقالوا جميعًا : أمّا لخاصّته فقوتُه وقوت عياله ، لاوَكْسَ ولا شَطَطَ ، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ، ودابّتان إلى جهاده وحوائجه وحُمْلانه إلى حَجّتِهِ وعمرته ، والقَسْم بالسويّة ، أن يعطَى أهلُ البلاء على قدر بلائهم ، ويرمّ أمور الناس بعد ؛ ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تُكشف ، ويبدأ بأهل الفىء .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسيّة ودمشق ، فقال : إنى كنت امرأً تاجرًا ، يغنى الله عيالى بتجارتى وقد شغلتمونى بأمركم ، فماذا ترون أنه يحلّ لى من هذا المال[1] ؟ فأكثر القوم وعلىّ عليه السلام ساكت ، فقال : ما تقول يا علىّ ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قولُ ابن أبى طالب . ١/٢٤١٦

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمّد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن أسلم ، قال : قام رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال : ما يحلّ لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف ، و حُلّة الشتاء وحلّة الصيف ، وراحلة عمر للحجّ والعمرة ، ودابّة فى حوائجه وجهاده .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مُبَشّر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لمّا ولِىَ عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كانوا فرضوا له ، فكان بذلك ؛ فاشتدّت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين[2] منهم عثمان ، وعلىّ وطلحة ، والزبير ، فقال الزّبير : لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إيّاه فى رزقه ! فقال علىّ : وددنا قبل ذلك ؛ فانطلِقوا بنا ، فقال

---

(١) ابن الأثير والنويرى : « فى هذا المال » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « الصحابة » .

عثمان : إنه عمر ! فهلموّا فلنستبرئ ما عنده من وراء ؛ نأتى حفصة فنسألها ونستكتمها ، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمّى له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوا من عندها ، فلقيَت عمر فى ذلك ، فعرفت الغضب فى وجهه ، وقال : مَن هؤلاء ؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيَك ، فقال : لو علمت مَن هم لسؤت وجوههم ؛ أنت بينى وبينهم ! أنشدك بالله ؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشّقين [1] كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجُمَع ؛ قال : فأىّ الطعام ناله عندكِ أرفَع ؟ قالت : خبزنا خُبزة شعير ، فصببنا عليها وهى حارّة أسفل عُكّة [2] لنا ، فجعلناها هشّة دسمة ؛ فأكل ٢٤١٧/١ منها وتطعّم منها استطابة لها . قال : فأىّ مُبسَط كان يبسطه عندك كان أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ثخين كنا نربّعه فى الصيف ، فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفَه وتدثّرنا بنصفه ، قال : يا حفصة ؛ فأبلغيهم عنى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّر فوضع الفُضول مواضعَها ؛ وتبلّغ بالتّزجية [3] ، وإنّى قدّرت فوالله لأضعنّ الفضول مواضعها ، ولأتبلّغنّ بالتزجية ؛ وإنما مثَلى ومثل صاحبىّ كثلاثة سلكوا طريقًا ؛ فمضى الأوّل وقد تزوّد زادًا فبلغ ، ثم اتّبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتّبعه الثالث ؛ فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما ؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه ، والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتُتحت القادسيّة وصالح مَن صالح من أهل السوّاد وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق ، قال عمر للناس : اجتمعوا فأحضرونى علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسيّة وأهل الشأم . فاجتمع

---

(١) الثوب الممشق : المصبوغ بالمشق ، أى المغرة .

(٢) العكة : زقيق صغير للسمن .

(٣) التزجية : الاكتفاء ؛ يقال : تزجيت بكذا ، أى اكتفيت به ، وفى ط : « الترجية »

رأى عمر وعليّ علىّ أن يأخذوا من قبل القرآن ، فقالوا : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ – يعنى من الخمس – ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ؛ إلى الله وإلى الرسول ؛ من الله الأمر وعلى الرسول القسم ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ .. ﴾ الآية، ثم فسّروا ذلك بالآية التى تليها : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ .. ﴾[1] الآية ، فأخذوا الأربعة أخماس على ماقسم عليه الخمس فيمن بُدِئَ به وثُنّى وثُلّث ، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم. ثم استشهدوا على ذلك أيضاً : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾[2] ، فقسّم الأخماس على ذلك ، واجتمع على ذلك عمر وعليّ ، وعمل به المسلمون بعدَه ، فبدأ بالمهاجرين ، ثم بالأنصار ، ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ، ثم فوض الأعطيَة من الجزاء على مَن صالح أو دُعى إلى الصلح من جزائه ، مردود عليهم بالمعروف ؛ وليس فى الجزاء أخماس ، والجزاء لمن منع الذّمة . ووفّى لهم ممّن ولى ذلك منهم ؛ ولمن لحق بهم فأعانهم ، إلا أن يؤاسوا بفضلةٍ من طيب أنفس منهم مَن لم ينل مثل الذى نالوا . ١/٢٤١٨

قال الطبرىّ : وفى هذه السنة – أعنى سنة خمس عشرة – كانت وقعات فى قول سيف بن عمر ، وفى قول ابن إسحاق : كان ذلك فى سنة ست عشرة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ؛ وكذلك ذلك فى قول الواقدىّ .

* * *

١/٢٤١٩ نذكر الآن الأخبار التى وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التى ذكرتُ أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك :

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : عهد عمر إلى سعْد حين أمره بالسّيْر إلى المدائن أن يخلّف النّساء والعيال بالعتيق ، ويجعل معهم كَثْفاً[3] من الجند ، ففعل

(١) سورة الحشر ٧ ، ٨ . (٢) سورة الأنفال ٤١ .

(٣) الكثف : الجماعة .

وعهد إليه أن يُشركهم فى كلّ مغنم ما داموا يخلفون المسلمين فى عيالاتهم . قالوا : وكان مُقام سعد بالقادسيّة بعد الفتح شهرين فى مكاتبة عمر فى العمل بما ينبغى ، فقدّم زُهرة نحو اللسان — واللسان لسان البرّ الذى أدلعَه فى الريف ، وعليه الكوفة اليوم ، والحيرة قبل اليوم — والنّخيرجان معسكر به ، فارفضّ ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، فلحق بأصحابه . قالوا : فكان مما يلعب به الصبيان فى العسكر وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطىء العتيق ، أمر كان النساء يلعبن به فى زَرود وذى قار ؛ وتلك الأمواه حين أمِروُا بالسير فى جمادى إلى القادسيّة ، وكان كلامًا أبَدْنَ فيه كالأوابد من الشعر ؛ لأنه ليس بين جمادى ورجب شىء :

العَجَبْ كُلُّ العجَبْ بين جُمادَى ورَجَبْ
أمْرٌ قَضاه قد وَجَبْ يُخْبِرُه مَن قد شَجَبْ ١/٢٤٢٠
* تحت غبارٍ ولَجَبْ *

* * *

خبر يوم بُرس

قال : ثمّ إنّ سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسيّة كلّه ، وبعد تقديم زُهرة بن الحَويّة فى المقدّمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتمّ ، ثم أتبع عبدَ الله شُرحبيل بن السِّمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولاّه خلافَته ، عملَ خالد بن عرْفُطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكلّ المسلمين فارس مُؤْد قد نقل الله إليهم ما كان فى عسكر فارس من سلاح وكُراع ومال ، لأيّام بقين من شوّال ، فسار زُهرة حتى ينزل الكوفة — والكوفة كلّ حَصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين — ثم نزل عليه عبدُالله وشرحبيل ، وارتحل زُهرة حين نزلاَ عليه نحو المدائن ، فلمّا انتهى إلى بُرْس لقيَه بها بُصْبُهرى فى جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بُصْبُهْرى ومن

معه إلى بابل وبها فالّة القادسيّة (١) وبقايا رؤسائهم : النّخيرجان ومِهران الرازىّ والهُرْمزان وأشباههم ؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرُزان ، وقدم عليهم بُصْبُهرى وقد نجا بطعنة ، فمات منها .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضْر بن السّرىّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : طعن زهرة بُصْبُهرى فى يوم بُرْس ، فوقع فى النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل؛ ولما هُزم بُصْبُهرى أقبل بِسطام دِهقان بُرْس ، فاعتقد من زُهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل .

١/٢٤٢١

* * *

يوم بابل

قالوا : ولما أتى بِسْطام زهرةَ بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فُلاّل القادسيّة ، أقام وكتب إلى سعد بالخبر . ولمّا نزل سعد على مَن بالكوفة مع هاشم بن عتبة ، وأتاه الخبر عن زُهرة باجتماع الفُرْس ببابل على الفيرُزان ، قدّم عبدَ الله ، وأتبعه شُرَحبيلَ وهاشماً ، ثم ارتحل بالناس ، فلمّا نزل عليهم بُرْس ، قدّم زهرة فأتبعه عبد الله وشُرَحبيل وهاشما ، واتّبعهم فنزلوا على الفيرُزان ببابل ، وقد قالوا : نقاتلهم دَسْتًا قبل أن نفترق ، فاقتتلوا ببابل ، فهزموهم فى أسرع من لَفْتِ الرّداء ، فانطلقوا على وجوههم ؛ ولم يكن لهم همّة إلا الافتراق ، فخرج الهرمزان متوجّها نحو الأهواز ، فأخذها فأكلها ومِهرجان قَذَق ، وخرج الفيرُزان معه حتى طلع على نَهاوند ، وبها كنوز كسرى ؛ فأخذها وأكل الماهَيْن (٢) ، وصمد النّخيرجان ومِهران الرازىّ للمدائن ، حتى عبرا بَهُرَسِير إلى جانب دِجْلة الآخر ، ثم قطعا الجِسْر ، وأقام سعد ببابل أيّامًا ، وبلغه أن النّخيرجان قد

---

(١) فالة القادسية : المنهزمون منهم .

(٢) الماهان : الدينور ونهاوند ، إحداهما ماه البصرة والأخرى ماه الكوفة .

خلّف شهريار ؛ دِهقانا من دهاقين الباب بِكُوثَى فى جمع ، فقدّم زهرةَ ثم أتبعه الجنودَ ، فخرج زهرة حتى ينزل على شهريار بكُوثَى بعد قتل ١/ ٢٤٢٢ فيومان والفَرُّخان فيما بين سُورَا والدَّيْر .

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضْر بن السرىّ ، عن ابن الرّفيل، عن أبيه ، قال : كان سعد قدّم زُهرة من القادسيّة فمضى متشعبًا فى حربه وجنده ، ثم لم يلقَ جمعًا فهزمهم إلاّ قُدّم ، فأتبعهم لا يمرّون بأحد إلاّ قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من بابل قدّم زُهرة بُكَيْر بن عبد الله الليثىّ وكَثير بن شهاب السعدىّ أخا الغَلاّق حين عَبَر الصَّراة ، فيلحقون بأخرَيات القوم وفيهم فيومان والفَرّخان ؛ هذا ميْسانىّ وهذا أهوازىّ ، فقتل بكير الفرُّخان ، وقتل كثير فيومان بسُورا . ثمّ مضى زُهرة حتى جاوز سُورا ، ثم نزل، وأقبل هاشم حتى نزل عليه ، وجاء سعد حتى ينزل عليهم ، ثم قدّم زُهرة ، فسار تِلقاء القوم ، وقد أقاموا له فيما بين الدّير وكُوثَى ، وقد استخلف النَّخيرجان ومِهران على جنودهما شهريار، دِهْقان الباب . ومَضَيا إلى المدائن ، وأقام شهريار هنالك ، فلما التقوْا بأكناف كُوثَى ، جيش شهريار وأوائل الخيل ، خرج فنادى : ألا رجل ، ألا فارس منكم شديد عظيم يخرج إلىّ حتى أنكّل به ! فقال ١ /٢٤٢٣ زُهرة : لقد أردت أن أبارزَك ؛ فأمّا إذ سمعت قولك ، فإنّى لا أخرج إليك إلاّ عبداً ؛ فإن أقمتَ له قتلك إن شاء الله ببغيك ؛ وإن فررتَ منه فإنما فررت من عبد ، وكايده ؛ ثمّ أمر أبا نباتة نائل بن جُعشم الأعرجىّ — وكان من شجعان بنى تميم — فخرج إليه ، ومع كلّ واحد منهما الرمح ، وكلاهما وثيق الخَلْق ؛ إلاّ أنّ الشهريار مثل الجمل ، فلمّا رأى نائلا ألقى الرمح ليعتنقه ، وألقى نائلٌ رمحه ليعتنقه ، وانتضيا سيفيهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا فخرّا عن دابّتيهما ، فوقع على نائل كأنه بيت ، فضغطه بفخذه ، وأخذ الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه فى فم نائل ، فحطم عظمهما، ورأى منه فُتوراً ، فثاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد على صدره ، وأخذ خنجره ، فكشف درعه عن بطنه ، فطعنه فى بطنه وجنبه حتى مات ،

فأخذ فرسه وسواريه وسلبه ، وانكشف أصحابه ، فذهبوا فى البلاد ، وأقام زهرة بكوثَى حتّى قدم عليه سعد ، فأتى به سعداً ، فقال سعد : عزمت عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقَباءه ودِرْعه ، ولتركبنّ برذونه! وغنّمه ذلك كلّه . فانطلق ، فتدرّع سلبه ، ثم أتاه فى سلاحه على دابّته ، فقال : اخلع سواريك إلاّ أن ترى حرباً فتلبسهما ؛ فكان أوّل رجل من المسلمين سُوِّر بالعراق . ٢٤٢٤/١

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد ، قالوا : فأقام سعد بكُوثَى أيامًا ، وأتى المكان الذى جلس فيه إبراهيم عليه السلام بكُوثَى ، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشّرون إبراهيم ، وأتى البيت الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوسًا ، فنظر إليه وصلّى على رسول الله وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ : ﴿ وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] .

حديث بَهُرَسِير
فى ذى الحجّة سنة خمس عشرة فى قول سيف

كتب إلىّ السرىّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلّب وعمرو وسعيد والنّضر، عن ابن الرُّفيل، قالوا: ثم إنّ سعداً قدم زهرة إلى بَهُرَسير ، فمضى زُهرة من كُوثَى فى المقدّمات حتى ينزل بَهُرَسير ، وقد تلقّاه شيرزاذ بساباط بالصّلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه وتبعتْه المجنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد فى أثره ، وقد فلّ زهرة كتيبة كِسرى بُوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المُقرَّطُ . أسد كان لكسرى قد ألفه وتخيّره من أسود المظلِم ؛ وكانت به كتائب كسرى التى تُدعى بُوران ، وكانوا يحلفون بالله كلّ يوم : لا يزول مُلك فارس ما عشنا —، فبادر ٢٤٢٥/١

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

المقرّط الناس حين انتهى إليهم سعد ؛ فنزل إليه هاشم فقتله ، وسُمّى سيفه المَتْن ، فقبّل سعد رأس هاشم ، وقبّل هاشم قَدَم سعد ؛ فقدّمه سعد إلى بَهُرسير ، فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ[1] ﴾ ، فلمّا ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فنزل على النّاس ببهُرَسير ، وجعل المسلمون كلّما قدمت خيل على بهُرَسير وقفوا ثم كبّروا ؛ فكذلك حتّى نجز آخر مَنْ مع سعد ؛ فكان مقامه بالناس على بَهُرسير شهريْن ، وعبروا فى الثالث .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلَى بن مُنْيَة ، وعلى اليمامة والبحرين عثْمان ابن أبى العاص ، وعلى عُمان حُذيفة بن محصن ، وعلى كُور الشأم أبو عبيدة ابن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبى وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة[2] ؛ وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة . ٢٤٢٦/١

تم الجزء الثالث من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء الرابع وأوله : ذكر حوادث سنة ست عشرة

(١) سورة إبراهيم ٤٤ .
(٢) ط . « أبو فروة » .



فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحه

* * *

السنة الثانية عشرة

* وانظر أيضا خبر الخنافس أيضا ص ٤٧٢ — ٤٧٦ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)

* * *

السنة الثالثة عشرة

* وانظر أيضاً أخبار وقعة أغنادين ص ٦٠٥ — ٦٠٦ من هذا الجزء حوادث سنة ١٥

* وانظر خبر الخنافس أيضاً فى صفحة ٣٨٠ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٢)

صفحه

* وانظر أيضاً أخبار وقعة أجنادين ص ٤١٥ — ٤١٨ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)

رقم الإيداع	١٩٧٩/٤٨٨١
الترقيم الدولى ٣ — ٨٤٦ — ٢٤٧ — ٩٧٧	ISBN

١/٧٩/٣٤٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



Dhakha'ir Al-'Arab
30

Tarikh At Tabari

Par

Abı Ja'far Mohammad ibn Jarır At-Tabarı

Tome III

Edition Critique

Par

Mohammad Abul Fadl Ibrahım



DAR AL-MAAREF